صفحات من تاريخنا المعاصر ٦

الشيعة في لبنان

(حركة أمل أنموذجًا)

محمد سرور زين العابدين

الجزء الثاني

دار الجابية
لندن - بريطانيا

الشيعة في لبنان

(حركة أمل أنموذجاً)



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١١٥٤١/ ٢٠١٢م

الشيعة في لبنان

(حركة أمل أنموذجاً)

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١١٥٤١ / ٢٠١٢م

دار الجابية

لندن - بريطانيا

DAR AL-JABIA

P.O.Box : 508 London UB5 9GF

daraljabia@gmail.com

صفحات من تاريخنا المعاصر (٦)

الشيعة في لبنان

(حركة أمل أنموذجاً)

محمد سرور زين العابدين

الجزء الثاني

دار الجابية
لندن - بريطانيا

مَلَكْنَا فكان العَدل منا سجيَّة
فلما مَلَكْتم سَال بالدم أَبْطح
وحَلَّلْتم قتل الأُسَارىٰ وطَالما
عَدَوْنا علىٰ الأَسْرىٰ نَمُنُّ ونَصفح
فَحَسْبُكم هذا التفاوت بيننا
فكلُّ إناء بالذي فيه يَنضح

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

ففي: ٨/ ٣/ ١٩٦٣م قاد البعثيون والناصريون انقلاباً عسكرياً ضد من أسموهم بالخونة الانفصاليين، وما كان ناظم القدسي وخالد العظم وشركاؤهم في الحكم كذلك، بل كانوا من دعاة الحرية والاستقلال والوحدة.

وفي: ١٨/ ٧/ ١٩٦٣م، قاد البعثيون انقلاباً عسكرياً دموياً ضد الناصريين، ونصبوا لهم محكمة ميدانية، وكان التحقيق وإصدار الحكم وتنفيذه يتم خلال دقائق قليلة... أجل خلال دقائق قليلة كانت أجساد الرفاق الناصريين تتدلى على أعواد المشانق، وكان الرفاق البعثيون ينظرون إليها بوقاحة لا يحسدون عليها، وكانوا قبل بضعة أشهر قد أقسموا أن لا يغدروا بهم.

ثمة أمر جدير بالتدبر، فقد كان الذين أُعدموا أو سُجنوا هم من أهل السنة أو لنقل من ذراري أهل السنة وحدهم، وكذلك كان كبير القضاة العسكريين [1] الذي يصدر الحكم من أهل السنة، أما أصحاب القرار فهم نصيريون ومعهم بعض الأقليات الأخرى.

---

(١) كان الضابط النصيري محمد النبهان قد اخترق صفوف الناصريين، وحوكم معهم، لكن محاكمته كانت مسرحية، ثم سجن مدة قليلة جداً وأخلي سبيله.

جاءنا فيما بعد الأمين العام لحزب البعث، أي المسؤول الأول فيه، ليقول لنا في كتابه [التجربة المرة]: (إن الجناح النصيري في الحزب أي محمد عمران، وصلاح جديد، وحافظ الأسد، وإبراهيم ماخوس لم يكونوا في يوم من الأيام بعثيين، ولم تكن خلافاتهم إلا تمثيلاً وتضليلاً للآخرين). وقوله هذا يؤكد ما أكرّر قوله: (لقد ركب النصيريون حماراً اسمه حزب البعث العربي الاشتراكي).

في عام ١٩٦٣م حصل موسى الصدر على الجنسية اللبنانية، بدعم قوي من الرئيس اللبناني فؤاد شهاب وشاه إيران محمد رضا بهلوي الذي أرسله إلى لبنان في أواخر الخمسينيات من القرن الماضي لشق صف المسلمين، وليربط الشيعة بأمهم الحنون إيران، وقد نجح الصدر في مهمته، وتفصيل ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

في ٢٣/ ٢/ ١٩٦٦م قادت اللجنة العسكرية انقلاباً دموياً، وأطاحت بالقيادة التاريخية للحزب وفي طليعتهم ميشيل عفلق، صلاح البيطار، منيف الرزاز، شبلي العيسمي، منصور الأطرش. وبعد هذا التاريخ أصبح حزب البعث شعاراً يجترونه دون أن يكون له أي وجودٍ في عالم الواقع.

وفي عام ١٩٦٩م أقرّ مجلس النواب اللبناني قانون إنشاء [مجلس شيعي أعلى]، وفي ٢٣/ ٥/ ١٩٦٩م انتُخِب موسى الصدر رئيساً لهذا المجلس، وخَلع عليه أمناء المجلس لقب [إمام شيعة لبنان]، وصار لشيعة لبنان بعد هذا التاريخ وضع آخر، فهم من جهة قد قوي ارتباطهم العلني بإيران، ومن جهة أخرى فقد تحالفوا مع النصارى، وكل ذلك كان يستهدف المسلمين السّنة، كما يستهدف العرب كلهم.

استدرج النظام الباطني السوري العرب إلى حرب مع إسرائيل في الخامس من

حزيران عام ١٩٦٧م، وكانوا جميعاً يعلمون عدم قدرتهم من خلال التقرير الذي قدّمه الجنرال علي علي عامر رئيس أركان القيادة العربية الموحدة وخلاصة ما جاء فيه: [إن العرب غير قادرين على خوض معركةٍ مع إسرائيل، وخوضها في هذا الوقت يعني[1] هزيمة منكرة]. وقد كان، فسقطت سيناء، والضفة الغربية، والجولان، أما حافظ الأسد وزير الدفاع السوري وصاحب بلاغ سقوط القنيطرة، فقد كفانا مؤونة فضحه وفضح نظامه، وكشف صلاتهم المشبوهة مع الكيان الصهيوني الدكتور سامي الجندي في عدد من كتبه، وفي مقابلات له مع مجلة الحوادث، وسامي الجندي لمن لا يعرفه: عضو مجلس قيادة الثورة وناطق رسمي باسمه، عضو قيادة الحزب القطرية، ووزير الثقافة والإرشاد والإعلام، وسفير سورية في فرنسا أيام حرب حزيران، ومن شاء مزيداً من المعلومات فليراجع كتابي [رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي]. وكنت قد أصدرته في ٢٠ شوال ١٤٠٢ هـ باسم محمد عبد الغني النواوي، لأني لا أستطيع ذكر اسمي في ذلك الحين.

قاد حافظ الأسد انقلاباً عسكرياً في ١٦/ ١١/ ١٩٧٠ م وأطاح بصديقه صلاح جديد ورئيس الجمهورية نور الدين الأتاسي، ويوسف زعين، وانفرد في الحكم، وهذا هو الانقلاب الخامس خلال سبع سنين: فالأول في آذار ١٩٦٣ م ضد أهل السنة الرجعيين الانفصاليين!، والثاني ضد أهل السنة الناصريين! وكان في شهر تموز ١٩٦٣ م، والثالث في ٢٣/ ٢/ ١٩٦٦ م ضد القيادة التاريخية للحزب، والإطاحة بها يعني أن حزب البعث انتهى، وبين ١٩٦٦ – ١٩٦٩ م جرت انقلابات متتالية لم يعلن عنها وتصفيات أطاحت

(١) والتقرير قدّم في مؤتمر الدار البيضاء، ووقع عليه المسؤولون العرب.

بالدروز والإسماعيليين، وهذه التصفيات لم تتوقف طوال حكم آل الأسد، والانقلاب الخامس هو الذي قاده حافظ الأسد في ١٦/ ١١/ ١٩٧٠ م، وهو الذي أسماه [الحركة التصحيحية].

الانقلاب الجديد أو الحركة التصحيحية ألغاز عرفنا بعضها، ولم نعرف بعضها الآخر. ومما عرفناه أن الحاكم الفرد الجديد أقام حكمه على أربع دعائم:

الدعامة الأولى: الشأن السوري الداخلي: فتح صفحة جديدة مع الشعب فرفع عنهم بعض المظالم، وأصدر عفواً عاماً عن الملاحقين سياسياً، فعاد الذين ألجأهم الظلم إلى مغادرة البلاد، ومدّ يده إلى التجار الذين نالهم من الجور الشيء الكثير، والتجار في سورية من أهم عوامل استقرار النظام أي نظام، فهم رقم لا يمكن تجاوزه، وأكثرهم يجعلون أموالهم فوق كل اعتبار، ومن أجل حماية هذه الأموال فقد اختار معظمهم شركاء لهم من كبار المسؤولين مثل شقيق الرئيس أو ابنه أو رئيس الوزراء أو غير ذلك، وهؤلاء لا يساهمون في رأس المال، وإنما يأخذون نسبة من الأرباح مقابل حماية الشركة، وتحقيق مصالحها المرجوة ولو كان في ذلك مخالفة صريحة للقوانين المرعِيّة، ومن هنا نفهم لماذا رفض التجار اليوم -إلا ما رحم ربي- الانضمام إلى الثورة الشعبية المباركة!!.

الدعامة الثانية: الشأن العربي: كان النظام الذي أطاح به حافظ الأسد مكروهاً على المستوى العربي، فهو يرى نفسه تقدمياً اشتراكياً، ويرى الدول العربية رجعية متخلفة وعميلة للاستعمار... وعندما جاء الانقلاب الجديد تنفس العرب الصعداء، ومدّوا يد التعاون لقائد الانقلاب الجديد، وقد ردّ الأسد التحية بأحسن منها، فاحتفظ بعلاقات وثيقة مع دول الخليج، وأقام اتحاداً عربياً مع مصر السادات، وليبيا القذافي، وسودان

النميري، ولم يكن حافظ الأسد صادقاً ولا مخلصاً في تعامله مع أي بلد عربي، فالاتحاد كان شكلياً ولا وجود له في عالم الواقع، والدول الأخرى كان يصادقها من جهة ويتآمر عليها من جهة أخرى، وهذا ما دأب عليه الباطنيون في القديم والحديث.

الدعامة الثالثة: التحالف الشيعي النصيري: بعد انقلاب أسد على زملائه بأشهر قليلة صدر بيان ممهور بتوقيع شيوخ النصيرية من جهة، وتوقيع شيخين من شيوخ الشيعة من جهة أخرى، وكان مما جاء فيه: (إن العلويين والشيعة كلمتان مترادفتان مثل كلمتي الإمامة والجعفرية، فكل شيعي هو علوي العقيدة، وكل علوي هو شيعي المذهب).

هذا القول مرفوض جملةً وتفصيلاً، وقد ناقشت بطلانه في الفصل الثاني من كتابي هذا، وبينت بالأدلة أن كل طرف كان يكذب على الطرف الآخر. حدّثني من أثق بدينه وتقواه قال: التقيت موسى الصدر في منزل الشيخ عبد المعز عبد الستار رحمه الله بقطر، وسألته: يا شيخ هل النصيريون من المسلمين، فأجاب: لا، ليسوا مسلمين، ولكن نريد من خلال حوارنا معهم أن نجعلهم كذلك [1]!!.

كان عدد الذين اطلعوا على هذا البيان في شامنا قليلاً جداً، وكانوا يعلمون أن الشيعة

---

(١) قال صاحبي المتخصص بعلم الحديث: الرواية عن المجهول لا قيمة لها. فأجبته: لا أريد الدخول معك بنقاش حول صعوبة كتابة التاريخ بعقلية المحققين من علماء الحديث، بل ومنهج المحدّث نفسه يختلف عندما يكتب في التاريخ. وأكثر الرواة اليوم يحجمون عن ذكر أسمائهم خوفاً من إرهاب الرافضة وبطشهم، ولكن هذا الذي تبحث عنه يا صاحبي ورد في كتاب للنصيريين من أهل طرابلس الشام، وخلاصة ما جاء فيه أن المجلس الشيعي الأعلى الذي كان يرأسه الصدر نفسه رفض ضم أي نصيري إليه رغم إلحاحهم في الطلب، فعد إن شئت إلى الفصل الثاني من كتابي هذا.

شيء، والنصيريين شيء آخر، ولا مجال للظن بأنهما أبناء دين واحد أو أبناء طائفة واحدة. وما كان يدور بخلدهم أن هذا البيان سيرسخ أقدام الموقعين عليه والداعين إليه يوماً بعد آخر خلال أكثر من أربعين عاماً، وما كانوا يدرون ماذا سيحدث بعد ذلك، ورغم شكوكهم بزعيم هذا النظام الذي يتشدق بالقومية إلا أنهم ما كانوا يظنون أنه سيكون العدو الأول للقومية العربية، ولوحدة العرب، وحليفاً ودوداً لأعدائهم.

نظرت طويلاً في التحالف الشيعي النصيري الذي أسفر عن توقيع الطرفين على هذا البيان، فوجدته شبيهاً بالتحالف الأمريكي الإسرائيلي، فالأمريكان يعتبرون الكيان اليهودي في فلسطيننا خطاً أحمر لا يجوز المساس به، وفي المقابل، فإسرائيل قاعدة أمريكية ينطلقون منها لحماية مصالحهم في المنطقة.

الدعامة الرابعة: علاقات نظام الأسد مع الأمريكان:

قطعت الحكومة السورية علاقتها الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب حزيران ١٩٦٧م وكانت هذه العلاقات من قبل سيئة، وهناك أمور أعدت في الخفاء لا نعرف منها إلا أن دولةً عربيةً كانت توسطت بين نظام أسد الجديد والأمريكان، وقال رفاق أسد في حزب البعث إن لهذه الدولة العربية دوراً مهماً في انقلاب أسد.

أسد كان يدرك أن فتح صفحةٍ جديدةٍ مع الأمريكان سيضمن استمرار حكمه، ولهذا فقد فتحت السفارة الأمريكية أبوابها في دمشق، وتحسنت العلاقات بين البلدين إلا أنها كانت باطنيةً من الطرفين، ظاهرها الخلاف وباطنها التعاون إلى حد كبير.

وإذن هذه الدعائم الأربعة فرضت على سورية حاكماً مستبداً لا تعرف سورية في تاريخها الحديث مثيلاً له.

والذي يعنيني من ذكر هذا البيان وتبعاته: ماذا جنت الشيعة من تحالفها مع النظام النصيري في سورية؟!.

عندما كنا نتحدث عن المشروع الإسلامي والوحدة الإسلامية، كان البعثيون يردون علينا بشدة: تريدون الوحدة مع شاه إيران الذي أقام أوثق الروابط مع الكيان الصهيوني، وابتلع أراض عربية مثل الأحواز والجزر العربية؟!. وها هو نظام أسد الذي أوصله حزب البعث إلى حكم سورية يصافح الشاه ويقول له في أول زيارة له لطهران: لقد كنا نتابع من بعيد وبإعجاب شديد التقدم الكبير الذي حققته إيران تحت القيادة الحكيمة للشاهنشاه أريا مهر... ويعده بأن زيارته لإيران ستكون نقطة تحول إيجابية في تاريخ العلاقات بين البلدين. وصدق الأسد في وعده، فتعاونه وتنسيقه مع إيران وقادة إيران (لا فرق في ذلك بين الشاه والخميني) لم ينقطع حتى يومنا هذا.

كانت البداية مع إيران ثم مع شيعة لبنان ثم مع الشيعة في كل مكان، وفضلاً عن ذلك فقد فتحت سورية حافظ الأسد أبوابها أمام نشر التشيع، فبنوا الحسينيات والحوزات في بلد لا تبلغ نسبتهم فيه نصف بالمئة، وتضاعف نشاطهم في عهد الأسد الابن، فصار الزائر لسورية يرى لهم مقامات في كل مدينة، وأظهروا بدعهم وكرههم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وخاصة الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﵁، فكانوا يأتون على قبره، ويلقون عليه الأوساخ، مما دعا الناس إلى رفع جدار المقبرة وحراستها قدر الإمكان.

وبرز هذا التحالف بشكل سافر في: ٣١/ ٥/ ١٩٧٦ م عندما دخلت القوات المدرعة السورية لبنان لتنفّذ مخططات أمريكية إسرائيلية ضد الفلسطينيين، وعلى الفور اشتبكت

القوات السورية الغازية في قتالٍ ضارٍ مع قوات منظمة التحرير الفلسطينية في جبل لبنان، ثم في طرابلس والشمال، ثم في صيدا وبيروت، وأضعفت هذه المعارك قوات منظمة التحرير، فانتقلت من الهجوم إلى الدفاع، وعلا شأن قوات الموارنة التي تحميها إسرائيل في الجنوب، والقوات السورية في بيروت والجبل والشمال.

ومنذ ٣١/ ٥/ ١٩٧٦ م انضم الموارنة إلى التحالف الشيعي النصيري، وكان مخيم تل الزعتر أول ضحايا قوات النمور [كميل شمعون] وقوات الكتائب [بيار جميل]. وسقط المخيم بعد صمود أسطوري، وبلغ عدد القتلى أكثر من ثلاثة آلاف معظمهم ذبُحوا بعد سقوط المخيم في ١٢/ ٨/ ١٩٧٦ م، وما كان ذلك ليحدث لولا منع القوات السورية الغازية قوات منظمة التحرير من الوصول إلى المخيم ونجدة إخوانهم المحاصرين.

طيلة أربعة عشر عاماً كانت المخيمات الفلسطينية في لبنان كلها هدفاً لإسرائيل، والموارنة، والشيعة، وللقوات السورية النصيرية، وكان المخيم يدمر من قِبَل جهة، وبعد بضعة سنين تستهدفه جهة أخرى فتدمر ما بقي منه. وكذلك كان شأن مدن وأحياء وقرى أهل السنة اللبنانيين في جميع أنحاء لبنان، وخلال أربعين عاماً أو يزيد [أي منذ انقلاب حافظ الأسد عام ١٩٧٠ م] بلغ عدد القتلى والجرحى والمفقودين والمسجونين في كل من سورية ولبنان أكثر من ربع مليون سنّي.

وتعيش سورية وأنا أخط سطور هذه المقدمة أحداثاً مخيفةً، لا أقول هزت سورية وحدها، ولا هزت العالم العربي وحده، بل هزت العالم كله، وهذا هو موجزها:

تأثر بعض الصبية الصغار في مدينة ذرعا بحوران بالمظاهرات التي تشهدها بعض البلدان العربية، وتطالب بسقوط هذه الأنظمة الفاسدة المستبدة، فكتبوا على جدران

مدرستهم عبارات تتوعد بشار الأسد الذي أورثه أبوه الحكم بالقوة، فألقت قوات الأمن القبض على هؤلاء الصبية الذين لا يتجاوز معظمهم سن العاشرة، وزجّوا بهم في غياهب سجونهم التي لا تشبهها أي سجون في بلاد العالم... ذهب آباء الأطفال يشفعون لهم عند مسؤول الأمن في ذرعا، وهو ابن خالة بشار الأسد، فأساء استقبالهم، واستفزهم بكلام لا يقبله أحرار حوران مهما كانت العاقبة، وفي أول يوم جمعة بعد هذا اللقاء انطلقت مظاهرات محدودة في مدينة ذرعا، فقابلتها السلطات الأمنية بوحشية لا يعرف نظام آل أسد غيرها، ولكن قناع الخوف قد سقط، فاشتدت المظاهرات، ثم امتدت إلى حوران كلها، ورفع المتظاهرون شعارهم الذهبي: [الموت ولا المذلة]، فظن الطغاة المتجبرون أن مزيداً من الوحشية وإراقة الدماء، تسكِت هؤلاء العبيد [كما يظنون] إلى الأبد، وقد صدَم هؤلاء الوحوش كيف تجرأ هؤلاء المواطنون على رفع رؤوسهم مرةً ثانيةً.

ولكن الله جلّ وعلا أراد أمراً آخر، ولا رادّ لإرادته.. تجاوبت المحافظات السورية مع أهل حوران، وعمّت المظاهرات وطننا الحبيب، فجنّ جنون النظام، وأطلق العنان لجيشه -وليس جيش الوطن- وقوات أمنه، وشبيحته، والشبيحة خليط من رجال الأمن والمرتزقة الذين تدفع لهم أجور مغرية، وحزب الله اللبناني، وخبراء إيرانيين كما يجمع على ذلك أهلنا في سورية.

هؤلاء انطلقوا كحُمُر مستنفِرَة يقتلون وينهبون ويمارسون أشدّ أنواع البطش والإرهاب، وكان مما فعلوه: الاعتداء على الأعراض، استباحة حرمات الناس في منازلهم.. احتلوا المساجد وعبثوا فيها، ومنعوا صلاة الجمعة والصلوات الخمس فيها، وهدموا منارات بعض المساجد، وبدلاً من رفع الأذان كانت تبثّ فيها الأغاني الفاجرة، وبدلاً من الركّع السجود، كان يقيم جندهم فيها، وما أدراك ما يفعله هؤلاء الجند في

مكان إقامتهم.

عاش أهالينا في ضيق شديد، لا يأمنون على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم.. ففي فصل الشتاء الذي تبلغ فيه درجة الحرارة الصفر غادر أهل السنة [والسنة وحدهم] منازلهم مذعورين خائفين، واستوطنوا المزارع والوديان والغابات وسفوح الهضاب فراراً من جيش النظام وشبيحته الذين يجتاحون منازلهم في أي وقت، ومن يعتقل فقد لا يعود لأهله أو قد يعود وهو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة.. وحتى المخيمات الفلسطينية لم تسلم من عدوانهم الغاشم، ونذكر مثالاً على ذلك مخيم الرمل جنوب اللاذقية. لقد اجتاحه النظام، ووجّه إليه مختلف أنواع أسلحته من البر والبحر، وأوقع بأهله مذبحةً عظيمةً ومع ذلك يدّعون أنهم دولة ممانعة وصمود، وهدفهم تحرير فلسطين. كبرت كلمةً تخرج من أفواههم، فهل يريدون تحرير فلسطين بدون أهلها؟.

تقول منظمات حقوق الإنسان إن عدد القتلى والجرحى والمفقودين والمعتقلين منذ ١٨/ ٣/ ٢٠١١ م وحتى يومنا هذا مائة ألف أو يزيد، ونكرر هؤلاء من السنة وحدهم دون غيرهم، ولا يزال العالم ينظر إليهم دون أن يقدّم لهم شيئاً.

وقصارى القول: فإن شيعة العالم الذين باركوا ما يسمى بالربيع العربي في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن، غيّروا موقفهم عندما وصل هذا الربيع إلى سورية، وأصبح يهدد نظام عميلهم بشار الأسد الذي أوغلت قواته في قتل واضطهاد شعب سورية الأبيّ، وما اكتفوا بالاستنكار اللفظي بل قاتلوا مع عصابات آل الأسد، ومارسوا أشدّ أنواع التعذيب والاضطهاد والتنكيل، وقدّموا له أسلحةً نوعيةً، وخبرات ثبت نجاحها في إيران.

أتساءل بلسان حال أهلي في سورية: تذكروا ماذا فعلنا بكم عندما جئتمونا من لبنان

تبحثون عن لقمة العيش؟!. لقد استقبلناكم أحسن استقبال، وما كنا نسمح لأحد أن يعتدي عليكم أو يجرح مشاعركم.. وهذا هو شأننا مع كل غريب يعيش بيننا.

كان بعضكم يصلي معنا تقيةً، وكان البعض الآخر لا يصلي، فنرحب بالصنف الأول، ولا نجبر الصنف الثاني على الصلاة.. كان علماؤنا وأهل الرأي فينا يعرفون عقيدة الشيعة بأنواعهم ومع ذلك ينصحوننا بحسن التعامل معهم وعدم إثارة النعرات الطائفية. . كان الشيعة يمارسون حريتهم، وبعضهم كتب أسوأ أنواع الكتب التي تنال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن أئمتنا على مختلف مراحل التاريخ، فما قتلنا أحداً ولا اختطفناه، وأشدّ ما فعله بعضنا تأليف كتب يقارعون فيها الحجة بالحجة والدليل بالدليل.

هؤلاء الذين جاءونا من لبنان وأحسنّا استقبالهم، هم اليوم شبيحة النظام ورجال أمنه.. وهم الذين كشّروا عن أنياب الغدر واللؤم والخيانة، وطعنوا الأمة في أمنها ووحدتها.. وهم الذين يتقربون من الأقليات ويدعونهم إلى تشكيل حلف ليواجهوا جميعاً [غولاً] اسمه العرب السنة. إنه الشعار الذي رفعه المستعمر الدخيل على مختلف مراحل التاريخ لتمزيق وحدة الأمة، والاستعانة ببعضها على البعض الآخر، وهو هو ما تدعو إليه وتتمسك به كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وفي كتابنا هذا، وكتبنا السابقة ما يؤكد صلة هؤلاء بأولئك.

يتساءل أهلنا في سورية: كيف تحول هذا الحمل الوديع إلى وحشٍ كاسر؟!.

ستتجاوز هذه العاصفة قريباً إن شاء الله، فكيف يقابل الجار جاره.. وكيف يعتذر الجندي الشيعي أو النصيري لزميله السني.. ويمضي أهلنا في التساؤل: ألم نؤيد ثورة

الخميني على الشاه محمد رضا بهلوي واستبشرنا بها خيراً؟!.

ألم نهتف بالأمس [عام ٢٠٠٦] للشاطر حسن نصر الله عندما قيل لنا: إنه انتصر على دولة الكيان الصهيوني؟!. ألم نصدّق قول هذا المعتوه بشار الأسد: إننا دولة ممانعة ؟!. وأخيراً وجد أهلنا أنفسهم يجُرُّون وراء سراب خادع، فراحوا يهتفون بصوت واحد: [لا إيران ولا حزب الله، بدنا ناس يخافوا الله].

بأقل من عشر كلمات تحدث أهلنا عن تجربتهم المريرة مع إيران وآياتها ومشتقاتها في البلاد العربية خلال ثلاثين عاماً أو يزيد قليلاً.

إنه إبداع نطقت به القلوب قبل الحناجر.. ولكن !!. هل يثبتون على هذا الموقف؟، وهل علموا حق العلم من هو المراوغ الكذّاب، وهل يستطيع أن يخدعهم مرة أخرى أو مرات أخر؟.

أما قولي: فإني لا أستغرب ما فعلوه بنا اليوم في سورية، ولبنان، والعراق، وإيران، واليمن، وفي كل مكان لهم ثقل فيه، كما أني لا أستغرب أن يكون شيعة لبنان [حركة أمل وحزب الله] الأداة التنفيذية للمخططات الإيرانية في العالم الإسلامي، لا أستغرب هذا ولا ذاك لسببين:

الأول: نحن في نظرهم كفار، مارقون من الدين، ونواصب نكره آل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. ولا نؤمن بولايتهم -أهل البيت- وعصمة أئمتهم، والإمامة شرط في قبول الأعمال عند الله سبحانه وتعالى، بل شرط في قبول الإيمان بالله وبخاتم أنبيائه ورسله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ويكاد الباحث لا يجد كتاباً من كتب أئمتهم المعتمدة في القديم والحديث يخلو من ذكر الأئمة كركنٍ من

أركان دينهم. ومن أواخر أئمتهم الذين يقولون بهذا القول: الخميني في مواضع شتى من مؤلفاته، ومحسن الحكيم.

الثاني: يقول الشيخ الفاضل موسى جار الله التركستاني في كتابه الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: (وكنت أتعجب وأتأسف إذ كنت أرى في كتب الشيعة أنّ أعدى أعداء الشيعة وأقواهم هم أهل السنة والجماعة، ورأيت رأي العين أنّ روح العداء قد استولت على قلوب جميع طبقات الشيعة).

والشيخ جار الله عاش بينهم وعرفهم عن كثب، ثم تناول مؤلفاتهم بالبحث والدراسة والنقد، ومن كان هذا شأنه، فلابدّ أن ينتهي إلى مثل ما انتهى إليه هذا الشيخ رحمه الله.

فأهل السنة والجماعة ممثّلون بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، هم الذين حرّفوا كتاب الله عزّ وجل، وأنكروا وحيه، وعادوا أولياءه.

وأهل السنة ممثّلون بعمر بن الخطاب ﷺ، هم الذين اقتحموا بيت علي بن أبي طالب ﷺ، واعتدوا على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم بالضرب حتى كسروا ضلعاً من أضلاعها.

وأهل السنة والجماعة ممثّلون بالخوارج هم الذين قتلوا علياً ﷺ.

وأهل السنة والجماعة ممثّلون بيزيد بن معاوية هم الذين قتلوا الحسين بن علي رضي الله عنهما في كربلاء، وسبوا أهل بيته.

لهذا ولغيره مما لم نذكره بغية الاختصار، فالشيعة يعربون عن حقدهم وعداوتهم

لأهل السنة في مآتم يتقاطرون إليها من كل حدب وصوب عدّة مرات في العام الواحد.. يبكون فيها على الحسين ﷺ، وكأنه قُتل قبل ساعات، ولا أدري من أين يأتون بهذه الدموع، ولا يكتفون بالبكاء والعويل، بل يجلدون أنفسهم حتى تسيل الدماء من أجسادهم.

هذه الملايين التي تخرج كل عام تتربّى على عداوة أهل السنة، [ومن هؤلاء أقرباؤهم وأصدقاؤهم وزملاؤهم في العمل] وتتوعد بالثأر لجريمةٍ ارتكبت قبل أربعة عشر قرناً، والمدانون فيها [وليس المتهمين] بالأمس واليوم وغداً هم أكثر من مليار مسلم سني لم يشهدوا الجريمة، ولم يروا القاتل، ومن ثم فهم يتقربون إلى الله بحب الحسين وآل بيت رسول الله ﷺ.

هذا الحقد الدفين الذي يرضعه الطفل من ثدي أمه، وينشأ عليه الشباب، وتترسّخ جذوره عاماً بعد آخر.. هو الذي يدفعهم إلى التمسك بالمثل القائل (عدو عدوك صديقك)، فألدّ أعدائهم أهل السنة، وأي عدو يغزو بلادنا، ويستبيح بيضتنا هو صديقهم وحليفهم في السر، أو في السر والعلن. ومن هنا كان تحالفهم مع النصيريين في كل من سورية ولبنان، ومع الأمريكان في كل من أفغانستان والعراق، ومع الصهاينة في كل من لبنان وإيران.

ولا يخلو تاريخنا من مرحلةٍ تآمر الشيعة فيها مع كل عدوٍ يغزو بلادنا، فقبل ثمانين عاماً ساعدهم الإنجليز على ضم الأحواز العربية إلى إيران، ومنذ حوالي قرنين والإنجليز الذين احتلوا بعض دول الخليج العربي يعملون على تجنيس الإيرانيين الشيعة حتى أصبح وجودهم خطراً يهدد استقرار المنطقة.. وقبل ألف عام تعاونوا مع الغزاة الصليبيين،

وحاول الغلاة منهم اغتيال البطل صلاح الدين الأيوبي رحمه الله - والاغتيالات صفة من صفاتهم في القديم والحديث- لأنه كان خبيراً بمكائدهم، حريصاً على استئصال شأفتهم، وما زال -رحمه الله- يواصل الليل مع النهار والسر مع الإعلان إلى أن وفقه الله في القضاء على الدولة العبيدية.

أما تعاون الشيعة وبالأخص شيعة جبل عامل مع التتار والصفويين، فقد تحدثت عنه في الفصل الأول من كتابي هذا وبينت أن علماءهم هم الذين غيّروا وبدّلوا في ديانتهم تقرباً للشاه إسماعيل الصفوي وهم الذين أفتوا لهم بإبادة من لم يتشيع من أهل السنة، ونبش بعض قبور الصحابة والتابعين وحرق عظامهم. أما خسائر أهل السنة في الأرواح فيكفي أن نعلم أنهم كانوا الأكثرية الساحقة في إيران، فأصبحوا الأقلية في نهاية العهد الصفوي.

وإذن: فقد عرضت في كتابي هذا، وفي كتبٍ أخرى [1] سبقته صوراً فظيعة من الجرائم التي ارتكبها شيعة لبنان وحلفاؤهم النصيريون بحق أهل السنة في كل من لبنان وسورية، وما كان هؤلاء يُمَيّزون بين لبناني وسوري وفلسطيني، ولا بين المتمسك بدينه

---

(١) من كتبي التي صدرت قبل كتابي هذا، وعالجت فيها التشيع في إيران قديماً وحديثاً، وشؤون الأقليات والشيعة العرب وما إلى ذلك:

- وجاء دور المجوس. الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الإيرانية.
- رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي. الدويلات الطائفية.
- أحوال أهل السنة في إيران.
- أأيقاظ قومي أم نيام..؟
- اغتيال الحريري. وتداعياته على أهل السنة في لبنان.
- مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان. الجزء الأول.

والمسلم بالهوية وحدها إذا كان سنياً، وكذلك فقد نال إخواننا الأكراد والتركمان ما نالنا، وزيادةً على ذلك فقد حجبوا الجنسية السورية عن مئات الألوف من الأكراد.

وهذا الذي عرضته تاريخ لا يجوز لباحث السكوت عنه لأنه يثير طائفة ضد طائفة أخرى، أو لأي سبب آخر.

فكبار المؤرخين من سلف أمتنا كالطبري، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن الأثير، وغيرهم لم يلقوا بالاً لهذه الحساسية التي يثيرها البعض في عصرنا هذا، ولينظر من شاء إلى ما كتبه ابن كثير عن العلقمي، والطوسي وغيرهما من علماء الشيعة.

من حق المنتقدين لنا أن يتأكدوا من صحة ما نكتب، وينظروا في الأدلة التي اعتمدنا عليها، ومن صحة نقلنا عن شهود الأحداث، وليس لهم بعد ذلك أن يقولوا لمن يتلقى الضربات والدماء تسيل من جسده، لا تصرخ.. لا تبكي.. لا تطلب الإغاثة والإسعاف، ولا يقول للثكلى: إن الذي قتلناه يستحق الموت، ولا نقبل منك إلا شكر صنيعنا.

وإذا كان هناك من يخشى التاريخ، فليتنبه إلى أفعاله، وليتجنب الظلم والجبروت والطغيان، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

يا أبناء الطائفة الشيعية: إن السيل قد بلغ الزبى ولم يبق في قوس التصبر مفزع. لقد تجاوز قادتكم من آيات الفرس كل حد.. وساقوكم كالأنعام لقتال أبناء دينكم وعمومتكم، وخضتم معهم معارك دامية لا تخدم إلا الأكاسرة الجدد، وأطماعهم التوسعية.. فإلى متى تطفئون مصابيح عقولكم.. سلوا عرب الأحواز الشيعة هل يعاملهم الآيات كما يعاملون الشيعة الفرس؟!.

ويا أبناء عمومتنا: لقد بلغتم القمة في صعودكم بعد استغلال آياتكم لسذاجة قومنا

الذين أحسنوا الظن بهم، وصدّقوا شعاراتكم ووعودكم الخلاّبة. واليوم استيقظ قومنا من سبات نومهم العميق وهم يتساءلون: كيف خدعنا الأكاسرة الجدد طيلة ثلث قرن أو يزيد؟ وكيف تنكّر لنا أبناء عمومتنا، وسلّوا علينا سيوف الحقد والغدر؟، بل وكيف جعل التشيع منهم فرساً يكرهون العرب، ويبغضون القادة الذين أعزّ الله بهم دينه؟ فهل يظنون أن ننخدع بهم وبتقيتهم مرة أخرى؟.

أيها الشيعة العرب: أحسب -والله أعلم- أن الأيام القادمة ستكون عليكم وليست لكم، والعدّ العكسي قد بدأ، فانظروا ماذا أنتم فاعلون، وماذا ستقولون غداً، لأبناء عمومتكم السنة الذين فعلتم بهم الأفاعيل، وتناسيتم أنكم قلة قليلة تعيش وسط بحر متلاطم من أهل السنة، وهكذا تفعل نشوة الانتصار فيمن لا عقل له!!.

فكّروا.. تدبّروا.. اقرؤوا ما نكتب.. وتذكّروا أنه لن ينفعكم غداً خميني، وخامنئي، ورفسنجاني، وسيستاني. قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾﴾ [البقرة].

اطمئنوا بأننا لن نظلمكم غداً، أي عندما يعود الحكم في بلادنا إلى أهله، ولكن لن يكون غدنا كأمسنا، ولن نتجاهل حقائق التاريخ التي غفلنا عنها حينا من الزمن، والمؤمن لا يلدغ من جحرٍ مرتين.. أجل لن ننسى قول ابن كثير عن سقوط بغداد: (وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مائة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهّل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال،

وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين، والله غالبٌ على أمره) (١)

وقال مؤرخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساري في كتابه روضات الجنات [ص:٥٧٨] وفي ترجمة النصير الطوسي: (ومن جملة أمره المشهور حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران -هلاكوخان بن تولى خان بن جنكرخان من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار الإسلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد وإخماد ثائرة الجور والإلباس بإبادة دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في الماء دجلة ومنها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء والأشرار).

ما أشبه الليلة بالبارحة، ولينظر من شاء ما فعله آل الأسد بسورية وجيشها، وما فعلته إيران وربيبها حزب الله بلبنان وجيشه، وكيف أصبحت الهيمنة بلبنان لجيش حزب الله.

ولينظر من شاء أيضاً ما فعلته إيران وشيعة العراق بالعراق وجيشه الذي كان يعدّ أقوى جيش عربي، وما فعلته إيران والأمريكان بأفغانستان.

قلت فيما مضى: لن نظلمهم، ولكن لن يكون غدنا كأمسنا، وهذا يعني كما قال علماء السلف: (وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم، فإنهم من أغش الناس للمسلمين

---

(١) البداية والنهاية: ١٣/ ٢٠٣ – ٢٠٥ .

ولولاة أمورهم، وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة).

وأختم هذه المقدمة بهذا الدعاء:

اللهم لا تعذب لساناً يخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدلّ عليك، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب في سبيلك، فبعزتك لا تدخلني النار، اللهم آمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد سرور زين العابدين

٦ صفر ١٤٣٣ هـ

الموافق ٣١/ ١٢/ ٢٠١١

الفصل الأول

نظرات في تاريخ شيعة لبنان

المبحث الأول: المتاولة في لبنان.

المبحث الثاني: العرب بين غزو التتر وغدر الروافض.

المبحث الثالث: المتاولة في خدمة الصفويين.

تمهيد

هالني أمر المجزرة التي ارتكبتها أمل وشيعتها في المخيمات الفلسطينية، وهالني أكثر أن إيران وسورية الباطنية كانتا تقدمان كل دعم لحركة أمل. وهنا تساءلت: هل هذه الواقعة مسألة شاذة لا يجوز القياس عليها، أم لها جذور راسخة في تاريخ القوم؟!.

وهذا هو الذي دفعني لإعداد هذا الفصل الذي بيّنت فيه خطورة شيوخ متاولة لبنان، وتعاونهم مع كل عدو يحتل أرضنا ويستبيح بيضتنا: كالتتر، والصليبيين الفرنج، والفرنسيين في العصر الحديث، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن عداوتهم لنا توحّد ما بينهم وبين النصيريين والفرق الباطنية الأخرى على مبدأ: **عدو عدوك صديقك**.

المبحث الأول
المتاولة في لبنان

يعتبر جبل عامل موطناً لشيعة لبنان منذ عدة قرون، وحسب روايتهم التي لا يسندها دليل فإن التشيع بينهم بدأ منذ أن كان أبو ذر الغفاري ﷺ في الشام. ويمتد جبل عامل من نهر الأولي وجزين شمالاً إلى حدود لبنان مع فلسطين جنوباً، ويعتز الشيعة بهذا الجبل فترى أديبهم ومؤرخهم وعالمهم وتاجرهم لا بد وأن يضيف إلى اسمه [العاملي] نسبة إلى هذا الجبل، ومن ثم فهم اليوم يعربون عن استيائهم من تغيير اسم هذه المنطقة، فبدلاً من جبل عامل يقول الناس [لبنان الجنوبي]. ومما هو جدير بالذكر أن الشيعة يشكلون الأكثرية في جبل عامل، فالمسلمون السُّنة يجاورون الشيعة في هذه المنطقة وهم الأكثرية في صيدا، وكذلك فنسبة النصارى لا بأس بها. وهذا غير الفلسطينيين الذين استوطنوا هذه المنطقة منذ أكثر من ستين عاماً، وكما هو معروف فهم مسلمون سنة.

وفي غير جبل عامل فالشيعة استوطنوا بعلبك وبعض قرى البقاع وجبل لبنان وضاحية بيروت الجنوبية التي حولوها إلى مدينة واسعة الأرجاء، مترامية الأطراف ولم تكن من قبل أكثر من قرية صغيرة اسمها [برج البراجنة] والتي لم تكن شيعية، فهل توافدهم على الضاحية كان عفوياً أو جاء بناء على خطة أحكموا رسمها؟

الذي أعتقده أن استيطانهم في هذه المنطقة كان عفوياً، فهم يعيشون في قرى مغلقة، وفي سنوات الجفاف يبحثون عن عمل خارج قراهم، فبعضهم يغادر لبنان فيجد بغيته في بلاد الشام، وبعضهم الآخر يهاجر إلى إفريقيا وأوروبا وأمريكا، وفئة ثالثة منهم وجدت

عملاً لها في مدن لبنان، وأبرز هذه المدن العاصمة بيروت، ومثل هؤلاء يتخذون سكناً بسيطاً لهم في أطراف المدينة. غير أن هذه الصورة العفوية اختفت بعد مجيء موسى الصدر إلى لبنان عام ١٩٥٨م، وبعد قيام ثورة الخميني في إيران، وتصريحات الفرس عن تصدير ثورتهم، وزعمهم أن لبنان سيكون الجمهورية الإسلامية الثانية.. في هذه الفترة اختفت العفوية، وصارت بيروت والضاحية وطريق المطار والساحل الممتد من العاصمة حتى صيدا هدفاً استراتيجياً من أهداف قيادة شيعة لبنان وقيادتهم في قم وطهران، فابتاعوا الأراضي وبنوا القلاع التي يخالف ظاهرها باطنها، وتحولوا إلى دويلة قوية داخل دويلة ضعيفة هزيلة متداعية. ففي سجون دويلتهم يقتلون ويأسُرون من شاءوا والدولة التي يعيشون في ظلها لا تملك من أمرها شيئاً.

وإذا كان جبل عامل موطناً من مواطن الشيعة في القديم والحديث، فبقية المناطق اللبنانية ليست كذلك، فالتاريخ يحدثنا على أنهم خسروا مناطق مهمة كثيرة في لبنان من أهمها طرابلس التي كان يحكمها [بنو عمار]، وكسروان، وبعض بيروت. وتسنَّنت طرابلس وما حولها من مناطق كسروان وعكَّار، وتفسيراتهم لهذا التحول متهافتة كقولهم: تسنن من تسنن خوفاً من سيوف المحتلين الغزاة، ولكن الذي أراه أن عقيدة الشيعة التي انتحلها البويهيون والصفويون تخالف العقل والفطرة، وإذا وجد هؤلاء من يبلغهم الإسلام كما جاء به المصطفى ﷺ فلسوف يستجيبون لنداء الحق.

وشيعة لبنان دون غيرهم من شيعة العالم يسمون أنفسهم [المتاولة] ومفردها متوالي،

وهو من تولّى[1] علياً وأهل بيته رضي الله عنهم، وهذا هو الاسم الذي ورد في الوثائق العثمانية والفرنسية والعربية، وهم يعتزون وينتخون به في حروبهم مع جيرانهم من مختلف الملل:

(وين بني متوال يا عز الرجـال)

(وين راحــــوا أولاد أم عـلي)

ويقول شاعرهم في مدحهم والثناء على بطولاتهم:

لبنـي متوال ظهر العاديـات ... من متون الخيل يمضون الصقال[2]

إلا أن اسم المتاولة من الأسماء التي يتندر بها الناس وينبزون به أبناء الطائفة الشيعية ولذلك أسباب:

منها: التخلف والهمجية لأنهم يعيشون في قرى مغلقة عليهم، وليس فيها الانفتاح المعروف عند أهل المدن.

ومنها: سوء علاقاتهم مع جيرانهم من أبناء الطوائف الأخرى التي تتحول في كثير من الأحيان إلى معارك دامية، وكذا كان حالهم مع الدروز، ومع قبيلة [الرولة] - عنزة- وبينهم وبين أهل فلسطين الذين يجاورونهم، وهذا كان قبل عام ١٩٤٨م، وقبل جرائمهم التي ارتكبوها بحق المخيمات الفلسطينية مما سيأتي الحديث عنه في هذا الكتاب إن شاء

---

(١) لا، لا يتولون أبناء علي ﷺ، وإنما يتولون علياً والحسين، ومن أسمَوهم بالمعصومين من أبناء الحسين ﷺ .

(٢) انظر كتاب: [تاريخ جبل عامل] لمؤلفه محمد جابر آل صفا، منشورات دار النهار، ص: (١٣١).

الله، وأقل هذه الحروب كانت بينهم وبين النصارى، وأشدها معاركهم ضد الدروز منذ القرن السادس الهجري.

ومنها: أن الناس في لبنان وما حولها يعيشون في بحر متلاطم من المسلمين السنة، ويرى هؤلاء الناس مهما كانت ديانتهم أن الشيعة يأتون أفعالاً ليست من الإسلام في شيء، فليس في الإسلام أن تبطن شيئاً وتظهر خلافه، وليس في الإسلام عصمة لغير أنبياء الله جلَّ وعلا. وليس في الإسلام متعة، بل ومن طبيعة العربي نفوره ومقته من المرأة التي تتاجر أو تؤجِّر عرضها لساعات أو لأيام أو لأية مدة محددة. وأنا ها هنا أنقل مواقف الناس التي عشتها ولا أتجنى على أحد.

وإذن: فالناس في بلاد الشام ينظرون إلى المتاولة نظرة ريبة واستصغار، وهم في ميزان كل من لا ينتسب لطائفتهم يكذبون وإن صدقوا، يعادون وإن تظاهروا بالمودة والرحمة.. يعيشون في دهاليز من السرية والكتمان.. يتلقون التعليمات من النجف وقم وطهران من مراجع شعوبية فارسية حاقدة وإن تدثروا بدثار أهل البيت. ومن شاء مزيداً من المعلومات والأدلة، فليدرس الحوار في الزجل اللبناني بين نصراني ومتوالي أو بين درزي ومتوالي... ولولا إسفاف الشعراء وسوء الألفاظ التي يستخدمونها لعرضت نماذج من هذا الزجل.

علاقتهم بغيرهم

شيعة لبنان [على مختلف مستوياتهم: علماء، مؤرخون، أدباء، تجار، عامة] يعتقدون بأن الفتوحات الإسلامية شكل من أشكال الاستعمار البغيض، مثلهم اليوم كمثل الاستعمار الفرنسي أو الإسرائيلي، ولا تقل الاستعمار المغولي أو الصليبي لأنهم كانوا عوناً لهؤلاء الغزاة الدخلاء.

ويعادي شيعة لبنان كل من يخالفهم في الاعتقاد، سواء كان مسلماً أو نصرانياً أو درزياً أو يهودياً، وهم أشد عداوة للمسلمين السنة، ولكنهم يستخدمون الحيلة في التعبير عن هذه العداوة.. فإذا تحدثوا عن عداوتهم الشديدة لجيرانهم السنة ذكروا البلدان بدلاً من ذكر الديانات كقولهم: عرب عنزة، أهل صفد، وبيروت، ودمشق، وحماة،... وإذا تحدثوا عن التاريخ وكرههم لقادة الفتوح الإسلامية الذين أعزَّ الله بهم دينه ذكروا الأمويين والعباسيين، والزنكيين، والأيوبيين، والمماليك، والعثمانيين.

قال أحد شعرائهم في زجله اللبناني مفتخراً ببطولات قومه وانتصارهم الكاسح على جميع جيرانهم:

وين مير الشوف يوم صال ... من عرب صالين على الوادي نزل

في عساكر عدها تسعون ألف ... أو تزيد عداد خوفاً أن نزل

قادها من حمص لديرة حماه ... لقرايا الشام صواتو وصل

من أرض بيروت للشوف العريض ... من بلاد جبيل كم فارس وصل

شي دروز وشي يهود وشي صنوف   شي نصارى شي كراد وشي ملل

وانحدر بجموع ما إلهم عداد   يا جميل الستر في هذي الملل

ويمضي الشاعر في الحديث عن اعتزازه بقومه وبيان ثباتهم بوجه هذه الملل، ثم إلحاقهم الهزيمة الشنيعة بهذه الجموع كلها ويبقى السؤال: هل تحقق ذلك أم هو من نسيج الخيال؟

وقال مؤرخهم: (وقد عانى أهل جبل عامل من تسلط الحكام عليهم من الأمويين إلى الأيوبيين إلى المماليك فالعثمانيين وصولاً إلى الانتداب الفرنسي فالاحتلال الإسرائيلي. وقد أظهر أهل هذه المنطقة تمرداً دائماً على الاحتلال فكانوا من المقاومين الأشداء دوماً...)

وقال آخر: (وكان جبل عامل في أكثر الأعصار هدف الكوارث والمحن والعداوات الشديدة من مجاوريه من حكام دمشق وأمراء بلاد صفد وجبل لبنان وغيرهم). وأضاف: (وكانت العداوة الدينية من أعظم البلايا على أهل جبل عامل، فيها استُحلت دماؤهم وقتلت علماؤهم ظلماً وعدواناً...).

وتحدث مؤرخ ثالث عن علماء جبل عامل، فقال: (توالى على هذه الطائفة العدد الكبير من العلماء، وكان لتهجيرهم على أيدي العثمانيين بالغ الأثر في نشر دعوة التشيع في الهند وإيران وباكستان وغيرها من الدول).[١]

عجيب أمر هؤلاء الناس فهم من جهة يعترفون بأنهم تمردوا دائماً على كل محتل، وكانوا

(١) انظر المراجع التالية: أ- تاريخ جبل عامل لمؤلفه: محمد جابر آل صفا. ب- فصول من تاريخ الشيعة في لبنان، علي الزين. جـ- التشيع بين جبل عامل وإيران، علي مروة. د- خطط جبل عامل، محسن الأمين.

من المقاومين الأشداء دوماً، ومن جهة أخرى يجأرون بالشكوى من الحكام المحتلين الذين استحلوا دماءهم وقتلوا علماءهم.. فهل رأيتم أو سمعتم أن طائفة من الناس تخرج على حكامها بحد السيف وترفض الإذعان أو الاستسلام لهم، ثم يحمل الحكام وحاشيتهم الورود والرياحين وينثرونها فوق رؤوسهم. وهل رأيتم أو سمعتم أن علماء طائفة باطنية يلعنون الشيخين ويكفرون أصحاب رسول الله ﷺ كما يكفرون أهل السنة حكاماً ومحكومين، ولا يرون شرعية للخلفاء الراشدين ولكل من جاء بعدهم واستَنَّ بسنتهم، ثم يتركهم الحاكم بعد هذا كله دون حساب أو عقاب؟

فكل من ارتضى أن يكون من المقاومين الأشداء لكل حاكم يجب أن يضع في حسبانه التأديب الأشد.. فكيف يتباكى بعد ذلك على ما لحقه من ظلم وجور؟

إن الذين يستغربون تغير موقف متاولة لبنان عام ١٩٧٦م وانتقالهم المفاجئ من خندق القوات الوطنية إلى خندق القوات الباطنية السورية التي دخلت لبنان وفق خطة أمريكية صهيونية صليبية كما رأينا في الجزء الأول من هذا الكتاب، ومن ثم يستغربون اعتداءاتهم الفظيعة على المخيمات الفلسطينية في عامي [١٩٨٥-١٩٨٦م] التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من اللبنانيين والفلسطينيين السنة، وكانوا في عدوانهم الوحشي لا يفرقون بين طفل رضيع وشيخ مسن وامرأة ضعيفة مذعورة.

ومما لا ينقضي منه استغراب الناس ودهشتهم ذلك التحالف بين آيات إيران وشيعة العراق من جهة، والولايات المتحدة الأمريكية [الشيطان الأكبر] وحلفائها من الدول الغربية من جهة أخرى، والذي كان من نتائجه سقوط بغداد عام [٢٠٠٣م] واحتلال الولايات الأمريكية المتحدة للعراق وتسليم الحكم فيها للشيعة في ظروف مأساوية تذكر بأيام التتار. وهذا التحالف

الدنس جاء بعد تحالف إيران وشيعة أفغانستان من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى، والذي أسفر عن احتلال الولايات المتحدة لأفغانستان عام [٢٠٠١م].

للذين يستغربون هذا وذاك نقدم إليهم فيما يلي مقتطفات من تاريخنا الإسلامي تؤكد بأن تاريخ الرافضة معنا يعيد نفسه، ومن وثق بهم فعليه أن ينتظر نهايته.

المبحث الثاني

العرب بين غزو التتر وغدر الروافض

(لما دخلت جيوش [هولاكو] بلاد إيران أرسل إليه ابن العلقمي يُحَرِّضه على قصد بغداد.. وعندما اقتربت جيوش التتار من عاصمة الإسلام [بغداد] كان أول من برز إلى التتار هو، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه فاجتمع بالسلطان هولاكو -لعنه الله-، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة... فخرج الخليفة في سبعمائة راكب من القضاة والفقهاء والصوفية ورؤوس الأمراء والدولة والأعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حُجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين وأنزل الباقون عن مراكبهم ونُهبت، وقُتلوا عن آخرهم. وأُحضر الخليفة بين يدي هولاكو فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت).

(وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسنوا له قتل الخليفة.. ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي والمولى نصير الدين الطوسي، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الآلموت وانتزعها من أيدي الإسماعيلية.. وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما تهيب

هولاكو من قتل الخليفة هوَّن عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً وهو في جوالق لئلا يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل بل خنق ويقال بل أغرق فالله أعلم.

ثم مالوا على البلد فقتلوا من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقنى الوسخ. وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب، فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينجُ منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي. وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس).

(وقُتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن وتعطلت المساجد والجمعات مدة شهور ببغداد.. وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده ونسائه، فيُذهب به إلى مقبرة الخلال تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة فقيل: ثمانمائة ألف، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون).

العلقمي والطوسي في نظر الرافضة

ابن العلقمي[١] الذي دبر هذه المجزرة التي لا يعرف تاريخ المسلمين مثيلاً لها كان موضع تقدير الشيعة واعتزازهم، وكذلك كان الطوسي. قال مؤرخ الشيعة الميرزا محمد باقر الخونساري في ترجمته لشيخهم النصير الطوسي:

(ومن جملة أمره المشهور حكاية استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران [هولاكو خان بن تولي خان بن جنكيز خان] وهو من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول.. ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار الإسلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح البلاد وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد ثائرة الجور والإلباس بإبادة دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطَّغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في الماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار ومحل الأشقياء والأشرار).[٢]

ويبالغ قائد الثورة الإيرانية [خميني] في ثنائه على الطوسي وابن العلقمي فيقول:

(ومثل هذا الفراغ والثلم لا يحدث بفقدي أنا أو مثلي ممن يقبع في زاوية بيته، وإنما يحدث بفقد الإمام الحسين عليه السلام والأئمة من بعده ويشعر الناس بالخسارة أيضاً بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي والعلامة [ابن العلقمي] وأضرابهم ممن قدم

---

(١) ابن العلقمي هو محمد بن أحمد البغدادي. تولى الوزارة في دولة بني العباس أربعة عشر عاماً، ووثق به المستعصم آخر الخلفاء العباسيين فألقى إليه زمام أموره.

(٢) جاء قول الخونساري في كتابه [روضات الجنات] الطبعة الثانية، ص: (٥٧٨) عن كتاب [المنتقى من منهاج الاعتدال] للإمام الذهبي، حاشية محب الدين الخطيب، ص: (٣٢٦).

خدمات جليلة للإسلام). [١]

ثم يستطرد الخميني فيهاجم الفقهاء الذين يتعاونون تقية مع الظالمين والمستعمرين.. ولكنه وهو في غمرة هذا الهجوم يتذكر الطوسي وأمثاله ممن كانوا أداة للغزاة المستعمرين، فيستدرك ويقول:

(كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين، فهنا يجب الامتناع عن ذلك حتى لو أدى الامتناع إلى قتله، إلا أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين مثل دخول علي بن يقطين ونصير الدين الطوسي رحمها الله). [٢]

وإذا كان الطوسي قد مرَّ ذكره المشين ودوره الخطير في خدمة أعداء الله، فمن هو علي بن يقطين؟!

قال صاحب الأنوار النعمانية: (وفي الروايات أن علي بن يقطين وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين، وكان من خواص الشيعة فأمر غلمانه وهدّوا سقف الحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريباً، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم، فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم فكتب عليه السلام إليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت إلي قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم، وحيث أنك لم تتقدم إلي فكفِّر عن كل رجل قتلته منهم بتيس والتيس خير منه.

فانظر إلى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل ديَّة أخيهم الأصغر وهو كلب الصيد فإن

(١) الحكومة الإسلامية، الخميني، ص: (١٢٨).

(٢) الحكومة الإسلامية، الخميني، ص: (١٤٢).

ديته عشرون درهماً، ولا دية أخيهم الأكبر وهو اليهودي أو المجوسي فإنها ثمانمائة درهم وحالهم في الآخرة أخس وأبخس). (١)

(في حبسه جماعة من المخالفين) أي من أهل السنة والجماعة وتارة يسمونهم النواصب، وكلها أسماء باطلة. والشاهد هنا أن دية المسلم السني عند هؤلاء الرافضة أقل من دية كلب الصيد، وأقل بكثير من دية اليهودي أو المجوسي.

إنَّ في ذلك لذكرى

هذا هو موقف الشيعة من بغداد وحتى ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى أي أرض وطأتها أقدام الغزاة التتار: تعاون مطلق مع المستعمرين الذين أراقوا دماء الأبرياء واستعبدوا الأحرار وسبوا النساء واستباحوا الأموال.

ليت شعري كيف تجتمع طائفة عربية تدعي الإسلام على هذه الخيانة التي تقشعر من هولها الأبدان؟!.

سقوط بغداد كان في عام ٦٥٦هـ، ثم اتجهت جحافل التتار نحو مدينة دمشق، وها هنا يأتي الحديث عن دور فرق الشيعة في كل من سورية ولبنان لأنه لم تكن هناك حدود بين البلدين. لقد سقطت: حلب، وحماه، وحمص، ثم دمشق في عام ٦٥٨هـ، وقام الشيعة طوال الطريق بتأدية الدور الذي أداه ابن العلقمي والطوسي في بغداد.

وقعت مجازر في دمشق وغيرها من المدن السورية، لكنها لم تكن مثل مجزرة بغداد،

---

(١) الأنوار النعمانية لرئيس علمائهم نعمة الله الجزائري: (٢/ ٣٠٨) طبع تبريز - إيران [عن كتاب حقيقة الشيعة، لـ عبدالله بن عبدالله الموصلي].

لأن الناس كانوا يتوقعون هذه الهجمات، وأخذوا بالأسباب التي تقيهم من هولها، ومن هذه الأسباب التجاء كثير من علماء الشام إلى مصر ومبايعتهم لملكهم المظفر قطز الذي خاض معركة فاصلة مع الغزاة التتار، وهزمهم في معركة [عين جالوت] الشهيرة، ثم تابع فلولهم وطهر بلاد الشام من رجسهم.. وبعد عين جالوت صارت حروب المسلمين بين كَرٍّ وفَرٍّ.

ومن هذه الحروب المدمرة، الحرب التي قادها [تيمور لنك]، يقول أحد أشهر المؤرخين النصيريين المعاصرين:

(جاء تيمور لنك بجيوش لا يُعرفُ مقدارها، واستولى على بغداد وحلب والشام [٨٢٢ -٨٢٣هـ].. وداوم تيمور لنك في الاستيلاء على البلاد وشيخه [بركة] يبشره بدوام فتوحاته حتى جاء لبغداد وأخذها من يد السلطان أحمد[١].. وأخذ من كان من أرباب الصنائع في بغداد لسمرقند.. واستولى على الموصل [عام ٨٩٦هـ]. وبنى بها مراقد الأنبياء: جرجيس ويونس عليهما السلام.. وجاء للرها واغتسل بمحل النبي إبراهيم.. ثم جاء لماردين وأعطاها الأمان.. ثم استولى على ديار بكر وعنتاب التي التجأ أميرها إلى حلب.. وعندما أرسل الخليفة تحاريره لجميع الملوك والأمراء المسلمين بأن يمدوا حلب بما يستطيعون من قوة، جاءت الإمدادات من كل جانب من العالم الإسلامي).

---

(١) هو أحمد بن أويس الجلائري الذي كان قد التجأ إلى السلطان العثماني وأعاده السلطان ناصر الدين فرج بن الظاهر إلى حكم بغداد.

وأضاف:

(وكان نائب حلب [١] هو الأمير [النصيري] العلوي [تيمور طاش] الذي اتصل بتيمور لنك خفية، واتفق معه على أن يذْهَمَ تيمور لنك حلب.. فهاجمها بالفعل ودخلها عنوة.. فأمعن في القتل والنهب والتعذيب مدة طويلة حتى أنشأ من رؤوس البشر تلة عظيمة، وقد قتل جميع القواد المدافعين عن المدينة.. وانحصرت المصائب بالسُّنيين [٢] فقط).. وأضاف:

(ثم سافر تيمور إلى الشام.. وقبل سفره جاءت إليه العلوية [النصيرية] درة الصدف بنت سعد الأنصار [٣] ومعها أربعون بنتاً بكراً من العلويين وهن يَنُحْنَ ويبكين ويطلبن الانتقام لأهل البنت وبناتهم اللاتي جيء بهن سبايا للشام، فوعدها تيمور بأخذ الثأر ومشت البنات العلويات [النصيريات] مع تيمور وهن يَنُحْنَ ويبكين وينشدن الأناشيد المتضمنة للتحريض على الأخذ بالثأر.. فكان ذلك سبباً في نزول أفدح المصائب التي لم يسمع بمثلها بأهل الشام، ولم ينجُ من بطش تيمور لنك بالشام إلا عائلة واحدة من المسيحيين، وأمر تيمور بقتل أهل السنة واستثناء العلويين [النصيريين]. وبعد الشام ذهب

(١) نائب حلب كان نصيرياً وكذلك تيمورلنك كان نصيرياً محضاً من جهة العقيدة إذ توجد [حسب قول صاحب كتاب تاريخ العلويين] له أشعار دينية موافقة لآداب الطريقة الجنبلانية [النصيرية] وأسباب دخوله في هذا المذهب شيخه [بركة].

(٢) أي المسلمين من أهل السنة والجماعة، وهذا قول المؤرخ النصيري مؤلف كتاب تاريخ العلويين.

(٣) سعد الأنصار هذا من رجال الملك الظاهر، وهو مدفون بحلب وله قبر فوقه قبة، والملك الظاهر هو: ناصر الدين فرج بن الظاهر برقوق، من المماليك.

تيمور لبغداد وقتل بها تسعين ألفاً..).

وجاء في منتخبات التواريخ لدمشق:

(وبعد سقوط قلعة دمشق، فتح تيمور لعساكره باب النهب والسلب وارتكاب المنكرات، واستدعى الأعيان والعلماء واحداً واحداً، وسلط عليهم أنواع العذاب، واستصفى أموالهم، وأتى من المنكرات في تعذيبهم ما تقشعر منه الأبدان مثل الكي بالنار وسقي الماء الحار مطفياً فيه الرماد والكلس وغير ذلك مما ترتعش اليد عند كتابته ويتلعثم اللسان عند ذكره.

وأباح المدينة لجنوده وأتباعه، فعاثوا وعبثوا وتنوعت مشاربهم من النهب في الأسواق والفتك بالأرزاق وهتكوا الأعراض، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل بعد ما استخلصوا الأموال أضرموا النار في أحياء المدينة فالتهمت البقية الباقية من البيوت والأسواق والمعابد وطمست نفائس الآثار ومحت محاسن هذه البلدة الزاهرة التي هي الدرة الوحيدة في مناظرها وطيب هوائها وحسن موقعها، فأصبحت مغانيها كأن لم تغنَ بالأمس ولله في خلقه شؤون. ومن ألطف ما قيل في ذلك العصر من أحد شعراء دمشق:

أأهل دمشق لا تخشون شراً … فإن أمامنا فرجاً قريباً

وقد نقل مؤرخو دمشق أنه لما جاءت جموع التتر نزلوا بالمدرسة العادلية أكبر مدارس الشافعية بدمشق فأحرقت، ونُصِب المنجنيق على القلعة إلى سطح جامع بني أمية فأحرقوه، فأعيد عمله، وكان المغول يحرسونه.. ونقل ابن خلدون أيضاً أنهم انتهكوا حرمة المساجد بكل محرَّم من غير استثناء وهدموا ما كان حول

القلعة من المساكن، فالمدارس والأبنية ودار السعادة، وأهين القضاة والحكماء والخطباء وعطلت الجماعات والجمعة، وفحش القتل والسبي، وهدمت دار الحديث وكثير من المدارس.) اهـ.[١]

فتوى ابن تيمية في التتر والروافض

عاش شيخ الإسلام ابن تيمية مرحلة غزو المغول لبلاد المسلمين، ولهذا فقد رحل والده به وبأخيه من حران[٢] إلى دمشق عام ٦٦٧هـ فراراً بهما من هجمات المغول، وما كان الأب يدري أن ابنه هو من سيتصدى لهذا الغزو ويوحّد الأمة على قتال ودحر المعتدين.

رأى وسمع ابن تيمية الكثير الكثير عن خيانة ابن العلقمي للخليفة العباسي، كما رأى وسمع تعاون: الأرمن والنصارى والشيعة الإمامية والنصيريين والإسماعيليين مع النصارى في الحروب الصليبية، ثم مع المغول من بغداد إلى سواحل البحر المتوسط، فهو

---

(١) المصادر التي اعتمدت عليها:

١ - تاريخ العلويين. المؤلف: النصيري محمد أمين غالب الطويل.

٢ - طائفة النصيرية، تاريخها وعقائدها. تأليف د. سليمان الحلبي.

٣ - منتخبات التواريخ لدمشق. تأليف محمد أديب تقي الدين الحصني. ونقل هذه الواقعة عن كتاب شذرات الذهب وكتاب تاريخ ابن خلدون.

٤ - التاريخ الإسلامي. تأليف: محمود شاكر. ومن الجدير بالذكر أن احتلال حلب وحماه ودمشق كان بين عامي: [٨٠٠ و ٨٠٤هـ] والتاريخ الذي ذكره غالب الطويل غير صحيح.

(٢) حرّان بلدة في الشمال الشرقي من سورية، وفي عام ١٩٣٨م ضمها الأتراك إلى دولتهم بالتواطؤ مع فرنسا التي كانت تستعمر سورية.

-رحمه الله- خير شاهد على هذه الحقبة من تاريخنا التي نقلت عنه من خلال فتاويه، ففتواه الأولى: حسم فيها حيرة الأمة كلها.

نص السؤال: ما تقول الفقهاء أئمة الدين في هؤلاء التتار الذين قدموا سنة تسع وتسعين وستمائة، وفعلوا ما اشتهر من قتل المسلمين، وسبي بعض الذراري، والنهب لمن وجدوه من المسلمين، وهتكوا حرمات الدين من إذلال المسلمين، وإهانة المساجد، لا سيما [بيت المقدس] وأفسدوا فيه، وأخذوا من أموال المسلمين الجم الغفير وأخرجوهم من أوطانهم، وادعوا مع ذلك التمسك بالشهادتين، وادعوا تحريم قتال مقاتلهم، لما زعموا من اتباع أصل الإسلام، ولكونهم عفوا عن استئصال المسلمين، فهل يجوز قتالهم أو يجب وأيما كان فمن أي الوجوه جوازه أو وجوبه؟ أفتونا مأجورين.

يقول ابن عبدالهادي في عقوده الدرية عن مسألة قتال التتار قبل فتوى شيخ الإسلام:

(ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان، حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان...

ثم أصدر شيخ الإسلام فتواه الثانية بوجوب قتال التتار كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة.. ثم أطال وأفاد رحمه الله في ذكر الأدلة [ولينظر من شاء الفتوى في المجلد (٢٨/ ٥٠٢-٥٠٤) من مجموع فتاوى شيخ الإسلام].

واجتمعت كلمة الأمة على قتال التتار بعد صدور هذه الفتوى. يقول ابن كثير

[البداية والنهاية:(١٤/ ٢٤)]:

(فتفطن العلماء والناس لذلك، وكان يقول للناس: إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني، فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم ونياتهم ولله الحمد) .

ثم أتبع شيخ الإسلام القول بالعمل، فهو لم يصدر فتواه ويجلس في منزله، وإنما خرج ومعه أخوه وأصحابه إلى ميدان القتال [شقحب]، وعندما بلغ أرض المعركة قال لحاجب من الحجاب الشاميين ذي دين متين: يا فلان أوقفني موقف الموت. قال: فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون كالسيل تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم، ثم قلت له: يا سيدي هذا موقف الموت، وهذا العدو، قد أقبل تحت هذه الغبرة المنعقدة فدونك وما تريد.

قال الحاجب: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص بصره وحرك شفتيه طويلاً، ثم انبعث وأقدم على القتال. وأما أنا فخُيِّل إِليَّ أنه دعا عليهم، وأن دعاءه استجيب منه في تلك الساعة.

قال: ثم حال القتال بيننا والالتحام، وما عدت رأيته، حتى فتح الله ونصر، وانحاز التتار إلى جبل صغير عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة وكان آخر النهار.

قال: وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما تحريضاً على القتال، وتخويفاً للناس من الفرار. فقلت يا سيدي لك البشرى بالنصر فإنه قد فتح الله ونصر، وهاهم التتار محصورون بهذا السفح، وفي غد إن شاء الله تعالى يؤخذون عن آخرهم.

قال: فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله، ودعا لي في ذلك الموطن دعاء وجدت

بركته في ذلك الوقت). [١]

بعد الانتصار الساحق الذي حققه جيش المسلمين على التتار، دعا شيخ الإسلام إلى قتال الذين كانوا شوكة في خاصرة الأمة، ولا بد لنا أولاً من عرض أقوال العلماء والمؤرخين في بيان أحوالهم وأفعالهم.

يقول ابن كثير:

(ووقف الكرج الأرمن والنصارى من سكان دمشق مع التتر فنهبوا الصالحية ومسجد الأسدية، ومسجد خاتون، ودار الحديث الأشرفية، واحترق جامع التوبة، وسبَوا كثيراً من الفتيان والفتيات من أُسر شريفة، وفعلوا بالمزة مثل ما فعلوا بالصالحية، وكذلك بداريا وغيرها).

وقال ابن كثير في أحداث سنة أربع وسبعمائة: (وفي مستهل ذي الحجة ركب الشيخ تقي الدين بن تيمية ومعه جماعة من أصحابه إلى جبال الجرد والكسروانيين ومعه نقيب الأشراف زين العابدين بن عدنان فاستتابوا خلقاً منهم وألزموهم بشرائع الإسلام ورجع مؤيَّداً منصوراً.) [٢]

وقال صالح بن يحيى في كتابه [تاريخ بيروت]:

(إن الهاربين من عساكر الملك الناصر محمد بن قلاوون من قازان سنة تسع وتسعين وستمائة تفرقوا في البلاد فحصل لهم الأذية من المفسدين خصوصاً من أهل كسروان

(١) الكواكب الدرية، ابن عبدالهادي.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير المجلد الرابع عشر.

وجزين، وأكثرهم أذية للهاربين أهل كسروان بالغوا إلى أنهم مسكوا بعض الهاربين وباعوهم للفرنج، وأما التشليح والقتل فكان كثيراً)

وفي موضع آخر من كتابه قال صالح بن يحيى:

(إن الكسروانيين أظهروا الخروج عن الطاعة، وأنه في ذي الحجة سنة ٧٠٤هـ جهز إليهم آقوش زين الدين عدنان، ثم توجه بعده تقي الدين وقراقوش وتحدث معهم في الرجوع إلى الطاعة فما أجابوا إلى ذلك).(١)

وهذه الحيثيات التي دفعت ابن تيمية إلى قتالهم، يقول ابن عبدالهادي:

(ثم لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادة في الحال والقال والجاه، والتحقيق في العلم، حتى حرك الله عزمات نفوس ولاة الأمر لقتال أهل جبال كسروان وهم الذين بغوا وخرجوا على الإمام، وأخافوا السُّبل وعارضوا المارّين بهم من الجيش بكل سواء. فقام الشيخ في ذلك أتم القيام، وكتب إلى أطراف الشام في الحث على قتال المذكورين، وأنها غزاة في سبيل الله).

وأضاف ابن عبد الهادي: (ثم تجهز هو بمن معه لغزوهم بالجبل، صحبه ولي الأمر نائب المملكة المعظمة، أعز الله نصره، والجيوش الشامية المنصورة، وما زال مع ولي الأمر في حصارهم وقتالهم، حتى فتح الله الجبل وأجلى أهله، وكان من أصعب الجبال وأشقها ساحة، وكانت الملوك المتقدمة لا تقدم على حصاره، مع علمها بما عليه أهل من البغي والخروج على الإمام والعصيان، وليس إلا لصعوبة المسلك ومشقة النزول عليهم.

---

(١) لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني. المؤلف محمد علي مكي. دار النهار للنشر.

وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ لسببين على ما يقوله الناس:

أحدهما: لكون أهل هذا الجبل بغاة رافضة سَبَّابَةً تعيَّن قتالهم.

والثاني: لأن جبل الصالحية لما استولت الرافضة عليه -في حال استيلاء الطاغية قازان- أشار بعض كبرائهم بنهب الجبل وسبي أهله وقتلهم، وتحريق مساكنهم انتقاماً منهم لكونهم سنّية، وسماهم ذلك المشير: نواصب، فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول وتلك الإشارة.

(قالوا: فكوفئ الرافضة بمثل ذلك، بإشارة كبير من كبراء أهل السنة وزناً بوزن، جزاء على يد ولي الأمر وجيوش الإسلام).

(وكان توجه الشيخ تقي الدين ﷺ إلى الكسروانيين في مستهل ذي الحجة من سنة أربع وسبعمائة وصحبه الأمير قراقوش، وتوجه نائب السلطنة الأمير جمال الدين الأفرم بمن تأخر من عسكر دمشق إليهم لغزوهم واستئصالهم في ثاني شهر المحرم من سنة خمس وسبعمائة، وكان قد توجه قبله العسكر، طائفة بعد طائفة في ذي الحجة.

(وفي يوم الخميس سابع عشر وصل النائب والعسكري معه إلى دمشق بعد أن نصرهم الله على حزب الضلال من الروافض والنصيرية وأصحاب العقائد الفاسدة، وأبادهم الله من تلك الأرض، والحمد لله رب العالمين.)[(١)]

ومما جاء في فتوى الشيخ تقي الدين التي ينص فيها على وجوب قتال أهل جبال الجرد وكسروان:

---

(١) الكواكب الدرية ص: (١٨٢).

(ولما قدم التتار إلى البلاد وفعلوا بالمسلمين ما لا يحصى من الفساد، وأرسلوا إلى أهل قبرص، فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصليب، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسراهم ما لا يحصي عدده إلا الله، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوماً يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص، وفرحوا بمجيء التتار).

وأضاف: (ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية، ظهر فيهم الخزي والنكال ما عرفه الناس منهم، ولما نصر الله الإسلام النصرة العظمى عند قدوم السلطان كان بينهم شبيه بالعزاء.)

وقال رحمه الله: (وكل هذا وأعظم منه عند هذه الطائفة، كان من أسباب خروج جنكيز خان إلى بلاد الإسلام، وفي استيلاء هولاكو على بغداد، وفي قدومه إلى حلب، وفي نهب الصالحية، وغير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله. ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها منهم، في أمر لا يضبط شره، كل ليلة تنزل منهم طائفة، ويفعلون من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد: كانوا في قطع الطرقات وإخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين، فإما أن يقتلوه وإما أن يسلبوه، وقليل منهم من يفلت بالحيلة.

وقال رحمه الله في الختام: (وقد اتفق العلماء على قطع الشجر وتخريب العامر عند الحاجة إليه، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس، وأن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها، وما أيسوا من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار، وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم.)(١)

---

(١) نقلت جانباً من هذه الفتوى بشكل مختصر، فالشيخ رحمه الله وهو يتحدث عما فعله أهل=

موقف الروافض من الحروب الصليبية

وكذلك كان موقف الباطنيين أيام الحروب الصليبية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في فتواه عن النصيرية:

(فهؤلاء المحادّون لله ورسوله كثروا بالسواحل وغيرها، فاستولى النصارى على الساحل، ثم بسببهم استولوا على القدس الشريف وغيره، فإن أحوالهم كانت من أعظم الأسباب في ذلك، ثم لما أقام الله ملوك المسلمين المجاهدين في سبيل الله كنور الدين الشهيد، وصلاح الدين الأيوبي وأتباعهم، وفتحوا السواحل من النصارى ممن كان بها منهم، وفتحوا أيضاً أرض مصر، فإنهم كانوا مستولين عليها نحو مائتي سنة، واتفقوا هم والنصارى، فجاهدهم المسلمون حتى فتحوا البلاد، ومن ذلك التاريخ انتشرت دعوة الإسلام بالديار المصرية والشامية).[١]

وفي كتاب الكامل لابن الأثير، وكتاب الروضتين لابن أبي شامة شواهد كثيرة على تعاون الرافضة والنصيرية والإسماعيلية والعبيدية مع النصارى الفرنج.

يقول ابن أبي شامة عن الدولة العبيدية: (وفي أيامهم كثرت الرافضة واستحكم أمرهم، ووضعت المكوس على الناس، واقتدى بهم غيرهم، وأفسدت عقائد طوائف من

=كسروان من الرافضة [الشيعة الإمامية] والنصيرية، أشار إلى الشيعة ومشتقاتها في سائر لبنان مثل جزين وما حواليها وجبل عامل ونواحيه. ولينظر من شاء إلى رسالته التي أرسلها إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، المجلد السادس عشر المحتوي على الجزئين السابع والعشرين والثامن والعشرين.

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، مصدر سابق.

أهل الجبال الساكنين بثغور الشام كالنصيرية، والدرزية، والحشيشية نوع منهم لضعف عقولهم وجهلهم ما لم يتمكنوا من غيرهم. وأخذت الفرنج أكثر البلاد بالشام والجزيرة، إلى أن منّ الله على المسلمين بظهور البيت الأتابكي وتقدّمه مثل صلاح الدين، فاستردوا البلاد، وأزالوا هذه الدولة عن رقاب العباد.)(١)

وعندما تولى الحكم نور الدين الملقب بالملك العادل [٥١١-٥٦٩] لم يكن كأي حاكم ابتليت به أمتنا في القديم والحديث. فمن صفاته أنه كان متواضعاً مهيباً وقوراً، مكرِماً للعلماء ينهض للقائم ويؤنسهم، لا يردُّ لهم قولاً، عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة رحمه الله، ولا تعصب عنده. سمع الحديث بحلب ودمشق من جماعة، وسمع منه جماعة، وبنى مدارس كثيرة.. وكان يجلس في كل أسبوع أربعة أيام يحضر الفقهاء عنده، ويأمر بإزالة الحجاب حتى يصل إليه من يشاء، ويسأل الفقهاء عما يُشكِل عليه.(٢)

إذن نحن أمام عالم ومجاهد يباشر القتال بنفسه ويتمنى أن يموت شهيداً. ومما يروى

---

(١) انظر كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. الجزء الأول، القسم الثاني، ص: (٥١٠)، ومما يجدر ذكره أن ابن أبي شامة يشير إلى أن عبيداً مؤسس هذه الدولة هو من نسل القداح الملحد المجوسي، وقيل كان والد عبيد هذا يهودياً من أهل سلمية من بلاد الشام، وكان حداداً، وعبيد هذا كان اسمه سعيداً، فلما دخل المغرب تسمى بعبيد الله، وزعم أنه علوي فاطمي، وادعى نسباً ليس بصحيح، لم يذكره أحد من مصنفي الأنساب العلوية... وهؤلاء يدعون الشرف ونسبتهم إلى مجوسي أو يهودي، حتى اشتهر لهم ذلك بين العوام، فصاروا يقولون الدولة الفاطمية والدولة العلوية.

(٢) تاريخ ابن خلدون، وكتاب الروضتين، والكامل لابن الأثير، وكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي.

عنه أنه كان لا يرى إلا عابساً، وراجعه في ذلك إمام وخطيب مسجده، فكان رده: (إني أستحي من الله أن أبتسم وفي ديار المسلمين قدم كافر).

نظر هذا الحاكم العالم المجاهد بنور الله، فرأى أن الخطر يأتي الأمة من جهة الباطنيين الذين شكلوا إمارات وجيوباً في كل من: حلب وسلميّة، وحمص، وطرابلس، وصور. ولم تكن هذه الإمارات تشمل هذه المدن كما هي الآن، ولكنها تشمل المدن ومساحات واسعة حولها. وفضلاً عن ذلك فقد كانت عوناً للفرنج ضد أهل السنة حكام هذه البلاد.

ولا يخفى على نور الدين عقائدهم ونواياهم وتعاونهم المطلق مع كل عدو يحتل أرضنا ويستبيح بيضتنا.. وفي النهاية لا يمكن تحقيق أي نصر ضد الفرنج ما لم يتم القضاء على هذه الجيوب والأوكار الطائفية، وكان له ما أراد، ولكن بعد جهد جهيد، ومقاومة عسيرة.

أما الخطوة الثانية في مسيرة الشهيد، فتوحيد مصر مع الشام، ولا يتسنى له ذلك إلا بعد القضاء على الدولة العبيدية المجوسية.. وجاءته الفرصة المناسبة فلقد دب الخلاف بين أركان هذه الدولة، وكل طرف كان يستعين بنور الدين فصار له موضع قدم في مصر، مازال يزداد حتى قضى صلاح الدين الأيوبي على هذه الدولة قضاء مبرماً، وأعاد لمصر وجهها الإسلامي السني المشرق.

وبعد القضاء على العدو الداخلي تحقق له ولصلاح الدين من بعده النصر على الفرنج وتحرير بيت المقدس، وهكذا يكون التخطيط لتحقيق النصر على كل عدو دخيل.

وإنني اليوم أعجب أشد العجب من الذين فتنتهم الشعارات الباطنية

المزيفة فانحازوا إلى صف أحفاد: العلقمي، والطوسي، والصفوي، والخميني، وغيرهم وغيرهم.

ألم يروا تحالفات هؤلاء مع الأمريكان والصهاينة والشيطان الرجيم في كل من أفغانستان والعراق؟! ألم يروا ما فعلوه بالفلسطينيين بالعراق؟ ألم يروا ما فعلوه بالمخيمات الفلسطينية وأهل السنة بلبنان؟! ألا يخشون أن يكونوا ممن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

ومن أغرب ما يقوله هؤلاء الغافلون من أبناء جلدتنا:

هناك مشروعان في بلدانا: مشروع صهيوني حدوده من النيل إلى الفرات، ومشروع إيراني يهدف إلى توحيد الأمة الإسلامية وتحرير فلسطين!!

وهم انضموا إلى المشروع الإيراني، ولسان حالهم يقول: من لم ينضم للمشروع الإيراني، فليس أمامه إلا المشروع الصهيوني ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

بل إن الذي اجتث شأفة الرافضة هو الذي حرر القدس وما حولها، فرحم الله نور الدين الذي أخذ بأسباب النصر واقتدى بمن سبقه من سلف هذه الأمة الخيرة ولهذا فقد (امتدت سلطته في الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسماً من سورية الغربية، والموصل، وديار بكر والجزيرة

ومصر، وبعض بلاد المغرب وجانباً من اليمن، وخطب له بالحرمين).[١]

(١) كتاب الأعلام للزركلي. مصدر سابق.

أما أباطيل الذين يتحدثون ويتعصبون لما يسمونه المشروع الشيعي الإيراني الذي يهدف إلى تحرير فلسطين، فقد بينت بهتانه في جميع كتبي التي تحدثت فيها عن إيران الفارسية وعن الشيعة العرب الذين يمكرون بنا اليوم وغداً.

المبحث الثالث

المتاولة في خدمة الصفويتن

نوجز فيما يلي أهم ما ابتدعه الصفويون في المذهب الشيعي:

- اتخذ الشاه إسماعيل سب الخلفاء وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلاً [بيش باد]، وهذه العبارة تعني باللغة الأذربيجانية، أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه. أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته. وقد قيل أن عدد قتلاه زاد عن ألف ألف نفس.
- الاحتفال بذكرى مقتل الحسين على النحو الذي يتبع الآن، وهذا الاحتفال كان قد بدأ به البويهيون في بغداد في القرن الرابع الهجري، ولكنه أهمل وتضاءل شأنه من بعدهم، ثم جاء الشاه إسماعيل أخيراً فطوَّره، وأضاف إليه مجالس التعزية بحيث جعله قوي الأثر في القلوب.
- صكُّوا عملة للبلاد وكتبوا عليها: لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله.

قلنا عن احتفالهم بذكرى مقتل الحسين (على النحو الذي يتبع الآن) وخلاصة ذلك: إظهار التطبير، أي ضرب الرؤوس حتى التدمية بآلة حادة وسكين كبير تسمى الطبر، وضرب الظهور بالزناجيل وهو الجنزير حتى الاحمرار، واللطم على الوجوه والصدور ولبس الأسود منذ بداية شهر محرم.

وتبدأ هذه الفعاليات منذ الأول من محرم إلى اليوم العاشر منه يوم [عاشوراء]، وهو يوم مقتل الحسين ﷺ، ويمنع الزواج شهر المحرم.

وهذا الأمر كان قد استحدث بشكل خفيف في الفترة البويهية، ولكن الشاه إسماعيل

طوَّره بهذا الشكل مع الأشعار البكائية التي تؤثر في النفوس كدعاية للتشيع.

- وضع الشهادة الثالثة في الأذان [أشهد أن علياً ولي الله]، وهذه البدعة وضعتها فرقة شيعية من قبل ذكرها عالم شيعي هو ابن بابويه القمي. وكذا حاربها أشهر علمائهم وهو الشيخ الصدوق في كتابه [من لا يحضره الفقيه] ولكن الشاه إسماعيل أمر بهذه البدعة التي لم تدخل العراق حتى [١٨٧٠م].
- جعل الشاه عباس الصفوي ضريح الإمام علي الرضا في مدينة طوس مركزاً دينياً، وكان يهدف إلى تحويل الحجاج الإيرانيين وغيرهم من شيعة العالم من مكة المكرمة إلى مشهد، وضرب بنفسه مثلاً حيث حج من أصفهان إلى مشهد مشياً على قدميه، فقطع ٨٠٠ ميل واستغرقت رحلته شهراً، ومنذ ذلك العهد أصبحت مشهد مقدسة عند الشيعة، وأفتى علماؤهم بمضاعفة الأجر لمن يزور العتبات المقدسة مشياً.
- السّجود على التربة الحسينية، وهي قطعة من الطين يسجد عليها الشيعة بدل الأرض تسمى [التربة الحسينية] وأصبحت اليوم من المسلَّمات الدينية عندهم.
- ضرورة الدفن في النجف، فقد كان تؤتى بالجثث متعفنة من إيران لبعد الطريق، وصعوبة التنقل من أجل الدفن في النجف، واشتغل لذلك تجار إيرانيون بنقل الجثث بعد تجفيفها كي توصل إلى مقبرة النجف.. وإلى يومنا هذا، سرت هذه البدعة حتى أصبحت من بدهيات شيعة العراق الدفن بالنجف.
- استعان عباس الصفوي بالإنجليز، فكان مستشاراه [السير أنطوني والسير روبرت شيرلي]، ولهذا فقد تمكن من تحقيق انتصارات على الدولة العثمانية.

يقول الإيراني سليم واكيم:

(وإثر ظهور البرتغاليين في المنطقة بدأت إيران علاقات تجارية مع انكلترا وفرنسا وهولندا، ومهدت هذه العلاقات إلى اتصال على مستوى دبلوماسي وثقافي وديني عند اعتلاء عباس الأول عرش فارس عام [١٥٨٧م].

وسجلت تغييرات أساسية في البلاد وفي علاقاتها مع الغرب، وكان من نتائج التحول السياسي الذي أحدثه شاه عباس أن غصَّ بلاطه بالمبشرين والقسس، فضلاً عن التجار والدبلوماسيين والصناع والجنود المرتزقة، فبنى الغربيون الكنائس في إيران).[1]

وأرسل القائد البرتغالي [البوكريل] رسالة إلى الشاه إسماعيل الصفوي جاء فيها:

(إني أقدّر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا أردت أن تَنقضَّ على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر، أمام جدة أو عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد)[2]. وفعلاً فقد أقر إسماعيل الصفوي البرتغالين على استيلائهم على مضيق هرمز.

- (دخل الشاه إسماعيل بغداد فاتحاً عام [١٥٠٨م] بعد خيانة محمد كمونة -وهو من وجهاء الشيعة- ولأن أهل بغداد لم يقاوموا الشاه بعد إخبار محمد كمونة لهم بعدله..

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، ص: (٥٠٢). وإيران في الحضارة، سليم واكيم ص: (١٠٠).

(٢) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص: (٦٣)، د. زكريا إبراهيم بيومي.

لكن الذي حدث خلاف ذلك، فقد أمر الشاه إسماعيل قائده حسين لاله بتهديم مدينة بغداد، وقتل أهل السنة. فنفذ القائد أمر سيده، ثم توجه إلى مقابر أهل السنة، فنبش قبورهم وأحرق عظامهم، وهدم قبر أبي حنيفة وعبدالقادر، ونكل بقبر أبي حنيفة ونبش قبره وقتل كل من ينتسب لذرية خالد بن الوليد ﷺ في بغداد.

وقد أرَّخ الشيعة في ذلك الزمان لهذه الحادثة حتى قال ابن شدقم [الشيعي] في كتابه [تحفة الأزهار وزلال الأنهار]: فتح بغداد وفعل بأهلها النواصب ذوي العناد ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع العذاب حتى نبش قبور موتاهم. وقد فَرَّ كثير من سنَّة بغداد، وممن هرب الأسرة الكيلانية بعد أن خرب الشاه إسماعيل قبر عبدالقادر ... فرَّ هؤلاء إلى الشام ومصر، وحكوا للعالم الإسلامي ما فعل الصفويون الشيعة ببغداد وأهلها.

وصلت أخبار المذبحة العظيمة لأهل السنة إلى بلاد الدولة العثمانية في تركيا، إضافة إلى ما حدث لهم في إيران وقتل الآلاف المؤلفة منهم.. لذا اجتمع السلطان العثماني سليم الأول في عام [٩٢٠هـ / ١٥١٤م] برجال الدولة وقضاتها وعلمائها ورجال السياسية وقرروا أن الدولة الصفوية تمثل خطراً على العالم الإسلامي بالعموم وعلى الدولة العثمانية بالخصوص.

ولهذا قرر السلطان إعلان الجهاد المقدس ضد هذه الدولة وسار سليم الأول بجيشه، وفي موقعة صحراء جالديران شمال تبريز سحق الجيش الصفوي على أرضه، وفَرَّ الشاه إسماعيل تاركاً كل أمواله، وأسرت زوجته، وقتل الخائن محمد كمونة. وهكذا تحررت العراق من الصفويين بعد احتلال دام ست سنوات [٩١٤ - ٩٢٠هـ].[1]

---

(١) عودة الصفويين بحث قيم كتبه: عبد العزيز بن صالح المحمود.

❊ ❊ ❊

هذه المنكرات التي ابتدعها الصفويون في دين الشيعة الإمامية، ليس لها أدنى قيمة ما لم يقرها علماء المذهب ويؤصِّلوها في بحوث شرعية تُدَرَّس في حوزاتهم العلمية.

وعندما تردد بعض علماء العراق وإيران ورفض البعض الآخر، لم يجد الصفويون أمامهم إلا علماء جبل عامل [المتاولة]، وكان لهم شهرة في عالم الشيعة فاستعانوا بهم، ورفعوا مكانتهم، وذللوا لهم كل صعب.

يقول فيليب حبيب في كتابه [لبنان في التاريخ]:

(عند مُنصرَم القرن السادس عشر ميلادي عندما جعل الشاه إسماعيل، مؤسس الدولة الصفوية في إيران دين الدولة الرسمي المذهب الشيعي، وجد أنه من العسير أن يوفر للناس أئمة يعلِّمون الناس حقيقة المعتقد، ويرسخون مبادئه في نفوسهم، ووجد أيضاً أن الكتب غير متوفرة، فعمد إلى ملء الفراغ باستحضار علماء الشيعة من لبنان -جبل عامل، وقد غادر من لبنان جمهور من أولئك العلماء وذهبوا إلى إيران بدعوة أو بغير دعوة).

وكان من أهم وأشهر من تولى وزر هذا الانحراف الخطير في المذهب الشيعي الإمامي الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن عبدالعالي العاملي الكركي المعروف بالمحقق الثاني الذي رحل إلى إيران في عهد الشاه إسماعيل الصفوي، وكان له عنده المنزلة العظيمة، كما كان معززاً في عهد ولده السلطان الشاه طهماسب الأول الذي عيَّنه حاكماً في الأمور الشرعية لجميع البلاد، وكتب له بذلك فرماناً عجيباً، حتى أنه ذكر له فيه أن معزول الشيخ لا يستخدم، ومنصوبه لا يعزل.

وفي كتاب [لؤلؤة البحرين] أن المحقق الكركي كان من علماء دولة الشاه طهماسب الصفوي، وقد جعل أمور المملكة بيده، وكتب رقماً إلى جميع الممالك بامتثال ما يأمر به، وأن أصل الملك إنما هو له، فكان الشيخ يكتب إلى جميع البلدان كتباً بدستور العمل في الخراج، وما ينبغي تدبيره في أمور الرعية.

ومما قاله نعمة الله الجزائري في صدر كتابه [شرح غوالي اللآلي]: (إن الشيخ علي ابن عبدالعالي المحقق الثاني لما قدم أصفهان وقزوين، في عصر السلطان العادل!! مكنه من الملك والسلطان، وقال له: أنت أحق بالملك لأنك النائب عن الإمام، وإنما أكون من عمالك أقوم بأوامرك ونواهيك). وعن [حدائق المقربين]، أنه كان يدعى بمُرَوِّج المذهب، وكان شيخَ الإسلام في زمن الشاه طهماسب الكبير، وبالغ في ترويج مذهب الإمامية، بحيث لقبه بعضهم بمخترع مذهب الشيعة!!![1]

برر نور الدين الكركي كل أفعال الصفويين السيئة، وألف لهم كتباً تؤيد ما استحدثوه، فألف كتاباً في التربة الحسينية، وجواز السجود للإنسان، وألف كتاباً يؤيد السب والشتم للصحابة رضي الله عنهم بعنوان: [نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت]، أي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان يفضل لعن الصحابة على التسبيح لله، وألّف رسالة في تغيير القبلة، لذا سماه خصومه الشيعة بأنه [مخترع الشيعة] لأنه ابتدع وبرر أفعال الصفويين كلها.

---

(١) من أهم المصادر التي اعتمدت عليها كتاب [التشيع بين جبل عامل وإيران]. مؤلفه: علي مروة، الناشر: مؤسسة رياض الريِّس، ومما يجدر ذكره أن المؤلف شيعي وكذلك المصادر التي اعتمد عليها.

وأخطر من ذلك كله أنه جعل صاحب الدولة الصفوية [نائب الإمام الغائب] بالوكالة، فكان ذلك أول تمهيد لنظرية [ولاية الفقيه].. مع أن عقيدة الشيعة تقول بالتقية وعدم الجهاد إلى ظهور المهدي، والحالة الجديدة في إيران تخالف المعتقد فلا بد من نظرية جديدة فاخترع [نيابة عامة للفقهاء] عن الإمام المهدي، ولكنها للشاه، ورأى طهماسب أن يجلب الكركي لتكون السلطة للفقهاء التابعين له، ويبعد القزلباشية الذين تحكموا به صغيراً، لذلك سلم طهماسب الحكم للكركي، والكركي أجاز شكلياً لطهماسب بالحكم، ولكن القزلباشية سمَّت الكركي فمات مسموماً سنة ٩٤٠هـ).[١]

وغير الكركي كان هناك علماء آخرون من جبل عامل خدموا الدولة الصفوية، وأفتوا بشرعية ما ابتدعوه ونذكر فيما يلي أبرز أسمائهم:

- حسين عبدالصمد العاملي الجبعي [٩١٨ -٩٨٤هـ] أقام في أصفهان في عهد الشاه طهماسب، وقيل إن الشاه فوض إليه منصب مشيخة الإسلام، ثم انتقل لنشر الدعوة في البحرين.
- بهاء الدين العاملي الجبعي [٩٥٣ -١٠٣١ هـ الموافق ١٥٤٦-١٦٢٢م]، والده حسين عبد الصمد، عهد إليه الشاه عباس الصفوي بمشيخة الإسلام، ومن أهم مؤلفاته: الكشكول وهو في ثلاثة أجزاء، رسالة تحقيق جهة القبلة، الرسالة الاعتقادية بيَّن فيها عقائد الإمامية.

---

(١) كتاب [تطور الفكر السياسي الشيعي] أحمد الكاتب، وكتاب [التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي] الكاتب محمد البداري، عن البحث الذي أعده عبدالعزيز بن صالح المحمود وعنوانه [عودة الصفويين].

- حسين بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي(١) المتوفى [١٠٦٩]، سافر إلى خراسان، وسكن فيها وتولى مشيختها، ثم أصبح قاضي القضاة بالمشهد المقدس.
- علي بن مكي العاملي الملقب بنجيب الدين [توفي في ١٠٥٠ هـ -١٦٤٠ م] أقام في إيران، وتنقل ما بين الحجاز والهند وإيران والعراق ثم عاد إلى بلده في جبل عامل. يقول في شعره:

ضاعت الأوقات في أرض العجم   فتدارك بعضها قبـل النـدم.

- محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي [١٠٣٣-١١٠٤هـ الموافق ١٦٢١-١٦٩٢ م] أقام في إيران، واتصل بالشاه سليمان الصفوي الذي جعله قاضي القضاة وشيخ الإسلام. وأهم مؤلفاته: وسائل الشيعة، وأمل الآمل وهو من قواميس التراجم، ويعتبر من أوسع كتب التراجم الشيعية انتشاراً.
- حسين بن حيدر العاملي الكركي الحكيم. سكن أصفهان مدة طويلة ثم انتقل إلى حيدر آباد في آخر سِنِيِّ حياته ومات بها سنة ١٠٧٦هـ.
- ميرزا علي رضا الموسوي العاملي الكركي. تولى منصب شيخ الإسلام في أصفهان. توفي سنة ١٠٩١هـ.

ويقول مؤلف كتاب [تاريخ جبل عامل]:

(إن مؤلفات علماء جبل عامل تدرَّس في كليات الشيعة في الهند وإيران والنجف.. وإليها يرجع تسعون مليوناً من المسلمين الشيعيين المنتشرين في أنحاء المعمورة. وبعضهم

---

(١) نسبة إلى قرية جباع في جبل عامل.

تولى مشيخة الإسلام ورياسة العلماء وجاب الأقطار والأمصار كما نوَّهنا. وبعضهم وصل إلى درجة نواب في الهند وصاهر الملوك كالشيخ علي الزين صاحب شحور. وبعضهم تولى رئاسة الوزراء ومنصب الصدارة العظمى ونيابة السلطان في الهند كالشيخ محمد بن علي بن خاتون العاملي أحد أفراد الأسرة المعروفة في جويا، وهو ابن أخت العلامة الشيخ البهائي، هاجر إلى الهند ودخل في خدمة السلطان محمد قطب شاه سلطان مملكة حيدر آباد الدكن.

وتولى الوزارة فيها ثم السفارة بين السلطان والشاه عباس الصفوي شاه إيران. وارتقى إلى منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان عبدالله قطب شاه، ثم أسند إليه إمارة المملكة بأسرها وأجاز له الجلوس على سرير الملك في سنة [١٠٣٨هـ].(١)

نتائج وعبر

١- دين من لا عقل له:

الشيعة دين من لا عقل له، وإلا فكيف يأتي إلى التشيع من كان بالأمس سنياً وزعيم طريقة صوفية فيها الكثير من التطرف والغلو.. نعم وكيف يقوم هذا الوافد الجديد بتغيير معالم الشيعة فيأمر بسجود الإنسان للإنسان، ويبتدع الشهادة الثالثة في الأذان ويصرف الناس عن الحج لبيت الله الحرام؟!!

ثم يأتي بشيخ شيعي من بلاد نائية فيشرِّع له كل ما سبق ذكره، ويؤلف الكتب بذلك مثل كتاب [نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت]، وكتاب آخر في التربة الحسينية، ثم

---

(١) انظر كتاب [التشيع بين جبل عامل وإيران] مصدر سابق، وكتاب [تاريخ جبل عامل] مؤلفه: محمد جابر آل صفا، دار النهار للنشر.

يخترع بدعة نائب الإمام الغائب بالوكالة، وهو الشاه الصفوي، وكانت هذه البدعة تمهيداً لنظرية [ولاية الفقيه]، التي طبقها ثوار الخميني عام [١٩٧٩م] وهذا ما يخالف عقيدة الشيعة منذ بداية نشوء هذه الفرقة وحتى العهد الصفوي.

الشيعة أنفسهم سموا شيخهم الكركي: [مخترع مذهب الشيعة] ولم يكن هذا [المتوالي] هو المخترع الأول ولا الأخير لهذا المذهب.

٢- فتاوى وتعليمات شيوخ جبل عامل هي التي دفعت جيوش الصفويين إلى ارتكاب الفظائع التالية:

-قتل الآلاف المؤلفة من السنيين في إيران أو إجبارهم على تغيير دينهم.

-هدم مدينة بغداد، ونبش قبور السنيين وفي طليعة هذه القبور قبر الإمام أبي حنيفة وقبر الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وإحراق عظام معظم أصحاب هذه القبور.

-التمثيل بعلماء أهل السنة، فتقطع آذانهم وأنوفهم، وتعطى هذه الأعضاء لعوام الناس لأكلها.

-التحالف مع الإنكليز والبرتغاليين ضد السنيين من العثمانيين والأوزبك والعرب، ومن قبل تحالفوا مع المغول والصليبيين ومن بعد [أعني في عصرنا هذا] تحالفوا مع الأمريكان واليهود، وإن سموا الأمور بغير أسمائها. وكان أهل السنة هم عدوهم اللدود في جميع الحالات.

هذا هو المذهب الجديد إن لم نقل هذا الدين الجديد الذي تولى كبره علماء شيعة لبنان، ونشروه في: إيران والهند والعراق والبحرين وفي كل أرض وطئتها أقدامهم، كان -كما رأينا- عموده التربص بأهل السنة، والتنكيل بهم، ونبش قبور موتاهم، وحرق عظامهم،

والتعاون مع الشيطان ضدهم، والشيطان هنا قد يكون المغول، أو الصليبيين من البرتغاليين والإنكليز، والأمريكان والصهاينة، والمهم أن يكون هذا الشيطان عدواً لأهل السنة والجماعة.

وينعكس حالهم إذا دالت دولتهم، وسقطت رايتهم ووجدوا أنفسهم أقلية ضئيلة تبحر في محيط سني متلاطم، فتراهم يقبعون في جحورهم، ويستخدمون تقيتهم، ويرفعون شعار التقارب بين السنة والشيعة، ويتباكون على واقع الأمة الإسلامية، ويجدون من أهل السنة من يقتنعون بمقالتهم.

٣- في العهد الصفوي [٩٠٧-١١٤٨هـ] هاجر كثير من شيعة لبنان إلى إيران، واستوطنوا فيها ومع مرور السنين التي دامت أكثر من خمسة قرون، ينسى أحفاد المهاجرين لغتهم العربية، ويتربون على عادات وتقاليد الفرس، وبل وكثير منهم يزوج بناته للفرس ويتزوج منهم. وماذا يبقى للعربي إذا تكلم بلغة الأعاجم ونسي لغته، واقترن بزوجة تنشئ أبناءها على تعظيم بني ساسان، واحتقار العرب؟!.

وبين الحين والحين الآخر يستوطن بلادنا أعجمي مُعمَّم، وبعد السؤال عن سر احتفال الشيعة بهذا الضيف الوافد، ولماذا يحيطونه بهالة من التعظيم والتبجيل، وهل وراء هذه العمَّة علم يستفاد منه أم أن وراء الأكمة ما وراءها؟ يأتينا الجواب:

هذا فلان ابن فلان استوطن جده الكبير إيران أيام الصفويين، وهو عربي من البلدة الفلانية من جبل عامل، ثم تترسخ مكانة هذا الأعجمي فيصبح مرجعاً لأبناء هذه الطائفة.

لا ندري الصحيح من الكذب في قولهم، غير أن الذي نعرفه أنهم من أكذب خلق

الله!! وسواء كان صاحبهم أعجمياً ابن أعجمي أو أعجمياً من أصول عربية، لماذا ارتضى الشيعة أن تكون مراجعهم العليا أعجمية؟!

تتبعت هذه الظاهرة أكثر من ثلاثين عاماً وخلال ذلك وقفت عند محطات كثيرة:

منها: [النجف] التي تعد من أكبر مراكزهم العلمية لا بد أن يكون آية الله العظمى فيها فارسياً، وكذلك [قم] في إيران، ومن يتخرج من هذه الحوزات يقلد شيوخه في لباسهم وعاداتهم وتقاليدهم بل في لكنتهم الأعجمية أحياناً، وفضلاً عن ذلك فقد يعرف عن تاريخ إيران أكثر مما يعرف عن تاريخ العرب.

ومنها: الشيعي مبتوت الصلة بتاريخنا العربي بعد النبوة لأنه تعلم من مراجعه لعْنَ أصحاب رسول الله ﷺ، وتعلم لعْنَ التابعين وتابعي التابعين وقادة الفتوحات الإسلامية. وتعلم من مراجعه أيضاً الإشادة: بالطوسي وابن العلقمي ومحمد بن كمونة وعلي بن يقطين وإسماعيل الصفوي والخميني والخامنئي.

ومنها: عندما نشبت الحرب بين العراق وإيران [١٩٨٠-١٩٨٨م] قاتل الشيعة العرب إلى جانب الفرس، قاتلوا أهليهم وبني عمومتهم العرب، وما اكتفى نظام الآيات بذلك، وإنما شكل منهم عصابات منظمة وسرية، وظيفتهم ضرب المصالح العربية. وتولى قيادة هذه العصابات حزب الله اللبناني، وحزب الدعوة العراقي، ونفذوا عمليات عديدة في عدد من البلدان العربية، وكان أخطرها جرائمهم في بيت الله الحرام أثناء الحج.

هذه الأحداث المعاصرة الأليمة لها شواهد في جميع مراحل التاريخ ذكرناها فيما مضى من هذا البحث. وانطلاقاً من هذه الشواهد نقول:

إنهم [طابور خامس] يعيشون بين ظهرانينا ويعلنون لنا خلاف ما يبطنون، ويترقبون

أيام الضعف والهوان التي تمر بها أمتنا لينقضوا علينا هم وحلفاؤهم من -حزب إبليس- وما مثال حلفهم مع الأمريكان في حرب أفغانستان عام [٢٠٠١م] وحلفهم مع الأمريكان في حرب العراق [٢٠٠٣ م] عنا ببعيد.

انتهيت من تتبعي لهذه الظاهرة، ومن تأمل محطاتها خلال ثلاثة عقود ونيف يخرج إلى إقرار النتيجة التالية:

(إن التشيع يجعل من العرب فُرساً)، أي يفتقد العربي الشيعي صفات وطبائع وعادات العرب، ويستبدلها بطبائع وعادات وتقاليد العجم. إلا أن هذه النتيجة لا تنسحب على جميع العرب الشيعة، ومن الأمثلة على ذلك القبائل العربية الشيعية في الأحواز التي رضخت للاحتلال الفارسي منذ عام [١٩٢٥م] وذاقت ألواناً شتى من التنكيل والاضطهاد، أدركت هذه القبائل بعد طول معاناة بأن الفرس ركبوا موجة التشيع ليعيدوا مجد فارس أيام الأكاسرة الأول. وفي العراق اليوم بداية نهضة شبيهة بنهضة الأحواز، نأمل أن يعم هذا الوعي جميع الشيعة العرب.

٤- البعض من أبناء جلدتنا يضطرون أحيانا إلى التنديد بموقف من مواقف الشيعة في بلد من البلاد، ولكنهم لا يريدون ذكر كلمة شيعة، وإن كان الجناة المجرمون شيعة والتعصب الطائفي هو الذي دفعهم إلى هذا الاعتداء.

ولا يريدون أيضاً أن يقولوا شيعة، وإن كان المعنيون عملاء خونة ساروا في ركاب الصهاينة والأمريكان والشيطان الذين دمروا بلدهم.. وليس لهم وصف إلا الشيعة.. وفي النهاية وخوفاً من أن يتهمهم أحد بالطائفية يخرجون على الناس ببيان يستنكرون فيه ما فعله الصفويون في البلد المعني.

والصفويون أسرة أتيح لها أن تحكم إيران حيناً من الزمن وليسوا طائفة أو ديناً. هذا من جهة، ومن جهة ثانية لم يكن التشيع برداً وسلاماً على قلوبنا قبل العهد الصفوي، ومن جهة ثالثة فهذا المصطلح اخترعه المفكر الشيعي [علي شريعتي]. وأصحابنا يقلدون علي شريعتي ويقرؤون كتبه وكتب غيره التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ويزهدون بقراءة وتدبر كتب العقيدة السلفية عقيدة الأئمة الأربعة وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم من علماء سلف هذه الأمة.

والبعض الآخر من أبناء جلدتنا إذا ندد بالصفوية لابد وأن يندد بالوهابية، ولسان حاله يقول: أيها الشيعة أنتم إخواننا وأحباؤنا ولا خلاف بيننا وبينكم، وإذا كان بيننا -أهل السنة- غلاة منحرفون فلا ضير عليكم إن كان بينكم مثل هذه النوعية.

وهذا منهم إمعان في المداهنة والتزلف للشيعة، لأن الصفوية التي ينددون بها هي دين الشيعة اليوم، وخاصة بعد ثورة الآيات في إيران عام ١٩٧٩م. أما الوهابية -إذا سلمنا جدلاً بحقيقة هذه التسمية- فهي من حيث الاعتقاد تتبع ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ومن تبعهم من رجال خير القرون، وهي اعتقاد الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، أما من ناحية الفقه فالوهابيون حنابلة.

ولو خرج هؤلاء الذين يتزلفون للشيعة من جلودهم، فهم نواصب كفار في نظر الشيعة الإمامية، وإذا كان لعْنُ أبي بكر وعمر عبادة فما بالكم بلعْنِ هؤلاء، وإني مما أخشاه أن يخسر هؤلاء المداهنون دينهم ودنياهم، فليحذروا وليستدركوا ما فاتهم قبل الغرغرة.

٥- ومما مر معنا في هذا البحث نعلم أن الرافضة تعاونوا مع كل عدو للإسلام احتل

بلادنا، واستباح بيضتنا.

والرافضة هنا تعني: الشيعة الإمامية، والنصيرية، والإسماعيلية بأنواعها: كالعبيدية [الفاطمية] في مصر وشمال إفريقيا، والحشيشية [كما يقول ابن أبي شامة] في بلاد الشام، والدرزية إلا أن الدروز كانوا من أقل هذه الطوائف تعاوناً مع المحتل وذلك لأسباب:

منها: الحذر الشديد الذي يمتازون به.

ومنها: قلة عددهم، والخوف من تعرُّضِهم للإبادة.

ومنها: من أخطر أعدائهم الشيعة الإمامية، والنصيرية الذين يجاورنهم في كسروان وجبل عامل وجبل لبنان، ولا تنقطع الحروب بينهم، فكيف يطمئنون للتحالف معهم ضد المغول أو الصليبيين والعثمانيين والفرنسيين.

ومنها: سرية عقائدهم وتكيفهم مع من يكون له الحكم، فما كان يرد الحديث عندهم عن دولة مستقلة، ولا كانوا يسبون أصحاب النبي ﷺ.(١)

الروافض يعترفون بتعاونهم مع المغول والصليبيين وحجتهم في ذلك بأن الحكومات السنية كانت تضطهدهم وتنكل بهم، وفي ظل الحكومة المحتلة يرتفع القيد ويمارسون حرية العبادة والدعوة دون ضغط أو إكراه، ثم يمضون في فلسفة هذه الخيانة بقولهم: من

---

(١) قلت: إن الدروز كانوا من أقل طوائف الرافضة تعاوناً مع المحتل ثم ذكرت الأسباب التي توصلت إليها ولربما كان هناك أسباب أخرى خفيت علي. وإذن فقد كانوا يتعاونون مع المحتل ولكن بنسبة أقل. أما في العصر الحديث فقد استخدمهم اليهود في فلسطين في حروبهم مع العرب وكان أبناؤهم من أشرس المقاتلين. واستخدمهم كذلك الانجليز، وكان معروفاً لدى= =الخاصة والعامة في لبنان بأن الفرنسيين مع الموارنة والانجليز مع الدروز.

عادة الضعيف الذي لا يأمن على نفسه وماله وعرضه أن يلجأ لمن يحميه مهما كان شأنه.

وهذا منهم افتراء وظلم، ويكفي دليلاً على ذلك العلقمي والخليفة العباسي، ومثال ابن يقطين مع هارون الرشيد، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى. وهذا يعني أنهم كانوا يتبوَّؤون أعلى المراتب ولا يتعرضون لقهر واستبداد ولكن الخيانة تسري بدمائهم.

النظام النصيري في سورية أنموذجاً

كنت أتحدث في مجالسي عن هذه الظاهرة [التحالف بين مختلف فئات الرافضة ضد أهل السنة] فوجدت من يستغرب قولي، ويسألني:

كيف يتحالفون وكل منهم يكفر الآخر، وبين كل حين وآخر تنشب بينهم حروب تأكل الأخضر واليابس؟ قلت: إذا كان المثال يوضح المقال، فدعوني أضرب لكم المثال التالي من واقعنا المعاصر:

شهدت سورية في [٨/ ٣/ ١٩٦٣م] انقلاباً عسكرياً أطاح بها أسموه حكومة الانفصال، وتبين للناس بعد إعلان أسماء أعضاء مجلس الثورة أن المجلس يتألف من طرفين:

الأول: حزب البعث العربي الاشتراكي.

والثاني: الناصريون.

وحزب البعث يتألف من طرفين:

الأول: قادة حزب البعث التاريخية، ومعهم بضع مئات من الأعضاء، وهؤلاء أعجز من أن يقودوا انقلاباً على قرية من القرى.

والطرف الثاني يشمل ثلاث طوائف هي: النصيريون[١]، والدروز، والإسماعيليون. وهؤلاء لا يؤمنون بحزب البعث ولا بمبادئه وشعاراته، ولكن اتخذوه مطية لهم.

أما الناصريون[٢] فيشملون مجموعات شبه منظمة وعدداً كبيراً من المستقلين، وهم في مجموعهم غوغائيون، تسيِّرهم العواطف والأحلام ولا يحسنون استخدام عقولهم.

بعد أشهر قليلة بطش البعثيون بالناصريين وأقاموا لهم محكمة ميدانية، لا تتجاوز مدة المحاكمة فيها بضع دقائق، ثم ينفذ بالمتهم حكم الإعدام فوراً.

ولم تشهد سورية من قبل مثل هذه المجزرة الرهيبة، ثم رافقها تسريح الدفعة الثانية من ضباط الجيش.

أما الدفعة الأولى فكانت بعد الانقلاب [٨/ ٣/ ١٩٦٣ م] وهم من أكفأ الضباط وأعلاهم رتباً، وإبعادهم عن الجيش يعني تجميده وشل قدراته، وهذا من أهم أسباب هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ م، وتسليم الجولان لإسرائيل.

المسرَّحون من الجيش كانوا من السنيين وعددهم يناهز الألف، وَعيَّنوا بدلاً عنهم مدنيين طائفيين كانوا قد أمضوا الخدمة الإجبارية في الجيش ومنحوهم ما شاءوا من الرُّتب، فحافظ الأسد كان نقيباً فمنحوه رتبة لواء.

وقد رأيت بعض هؤلاء النصيريين الذين تركوا وظائفهم في اليوم الثاني من الانقلاب يتوجهون إلى الأركان ثم يعودون منها بلباس عسكري وعلى أكتافهم يتلألأ

(١) لم نذكر الشيعة الإمامية لأن عددهم عام ١٩٦٣م لا يشكل نسبة تستحق الذكر.

(٢) ناصريون نسبة إلى الرئيس المصري جمال عبدالناصر.

عدد من النجوم.

بعد تصفية الجيش من معظم الضباط السنيين في نهاية عام ١٩٦٦م، نشب صراع داخل حزب البعث بين العسكريين [النصيريين والدروز] وقيادة الحزب التاريخية [القيادة القومية]، ثم اشتدت حدة الصراع، ولم يعد للحوار أية جدوى.

وعندما همت القيادة القومية بفصل الخارجين على دستور الحزب ونظامه الداخلي، عاجلتهم القيادة العسكرية بانقلاب دموي [١٩٦٦م] أطاح بمؤسسي الحزب مثل: ميشيل عفلق، وصلاح البيطار، ومنيف الرزاز، وعشرات غيرهم، وصار الحزب كله في ذمة التاريخ، ثم انفرد الروافض بحكم سورية فكانت كل أعمالهم تخالف مبادئ حزب البعث، ورغم ذلك استمروا يحكمون باسم حزب البعث.

كان من أهم إنجازات الروافض هزيمة الخامس من حزيران عام [١٩٦٧م] وتسليم الجولان لإسرائيل، وتكريس الانفصال بل عزل سورية عن الدول العربية كلها.

ولا غرابة في ذلك فهذه الطوائف لا تعادي شيئاً كما تعادي الوحدة العربية لأنها تذوب ولا يبقى لها شأن إذا توحدت البلدان العربية.

عندما خلا حكم سوريا للروافض دبَّ الصراع بينهم أيهم ينفرد بالحكم، وكان الصدام الأول والأهم بين النصيريين والدروز، ومع أن للدروز وجوداً قوياً داخل الجيش، لكن المعركة لم تكن متكافئة لأن النصيريين كانوا أقوى كماً وكيفاً، وأسفرت المعركة عن طرد الضباط الدروز من الجيش واعتقال بعضهم، مع تعرض هذا البعض لأشد أنواع التعذيب والتنكيل. أما زميل حافظ الأسد الدرزي سليم حاطوم فلقد قتلوه

ومثلوا بجثته بعد إعطائه الأمان.

أما الإسماعيليون فعددهم قليل، ولا يحتاج إبعادهم إلى معارك، وعندما هَمَّ كبيرهم -رئيس المخابرات- بالتمرد حاصرته قوات يقودها رفعت شقيق حافظ فانتحر الجنرال عبد الكريم الجندي وآثر الموت دون أن يقبضوا عليه ويسقوه من الكأس الذي كان يسقي المعتقلين منه.

وفي عام [١٩٧٠م] قاد الجنرال حافظ الأسد انقلاباً عسكرياً -وكان آخر الانقلابات- مكَّنَه من الانفراد في الحكم والتخلص من جميع شركائه، ثم انتهج سياسة جديدة مناقضة لما كان عليه الوضع من عام ١٩٦٣م وحتى عام ١٩٧٠م. وعمود هذه السياسة تمكين طائفته من الحكم، ثم تنظيم التعاون بينها وبين الشيعة الإمامية في كل مكان وخاصة في إيران ولبنان، وتغطية فعلته هذه بحفنة من المنسوبين لأهل السنة تفتقد الضمير والكرامة والنخوة.

وخلاصة القول من هذا المثال الذي شهده شعب سورية كما شهده العرب والعجم:

- **وحدة موقف الروافض تحت شعار [عدو عدوك صديقك] وعدوهم في جميع العصور والأمصار الذي لا يتقدم عليه عدوٌّ هم أهل السنة.**
- **يظهرون خلاف ما يبطنون، ويرفعون الشعارات التي تستقطب الجمهور: كالوحدة العربية وتحرير فلسطين وغير ذلك، وهم من أعدى أعداء هذه الشعارات.**

وأقرب مثال على ذلك الزعيم الدرزي وليد جنبلاط الذي ينقلب من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ولا يبالي بمن يتحالف معه من غير أبناء طائفته.. وعندما يحشره

السائل في زاوية ضيقة يقول: هكذا يريد أبناء الطائفة الدرزية، ومصلحتهم عندي مقدمة على كل مصلحة.

هناك مصالح متبادلة بين هذه الطوائف وبين الأمم الأجنبية التي لها أطماع في بلادنا، ويدرك كل طرف حاجته للطرف الآخر، والوثائق الأجنبية المفرج عنها حافلة بالشواهد التي تؤكد تعاون النصارى والروافض الشعوبيين مع كل عدو يغزو بلادنا.

من تجارب علمائنا مع شيوخ المتاولة

- يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله عن خلاصة تجربته مع الشيعة:

(كان من قواعد الإصلاح التي وضعها حكيم الإسلام في هذا العصر وموقظ الشرق السيد جمال الدين الأفغاني(١) رحمه الله تعالى وجوب السعي لجمع كلمة المسلمين والتأليف بين فرقهم التي يجمعها الإيمان بالقرآن المجيد المعصوم، ورسالة محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والاستعانة على ذلك بالسياسة التي كانت السبب لهذا التفرق الذي ألبس بعد ذلك لباس الدين، ولكن كما يلبس الفرو مقلوباً(٢) فكانت سبب ضعف جميع الفرق، ومن أهم أسباب ضعفهم وسلب الأجانب لملكهم.

---

(١) توفي رحمه الله عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٢ م معجم المؤلفين: (٣/ ١٥٤، ١٠/ ٩٢). انظر الأعلام للزركلي مع تصرف يسير. هذا ونخالف رشيد رضا في إضفائه صفات على جمال الدين الأفغاني لا يستحقها، فهو شيعي وداعية فتنة، وليراجع من شاء كتابي [دراسات في السيرة النبوية].

(٢) هذا التشبيه مروي عن أمير المؤمنين علي ﷺ [عن كتاب الخلاف بين السنة والشيعة].

ولا أعرف أحداً عُنيَ بعد السيد المصلح رحمه الله بهذا السعي كما عُنيَ به هذا العاجز [منشئ المنار] في أسفاره ومقامه في هذه البلاد الحرة أدام الله عمرانها، وأتم لها استقلالها، وفي المنار كثير من الدلائل والشواهد على هذا..)

ثم ذكر رشيد رضا عدداً من تقاريظ علماء الشيعة له، والثناء على جهده وسعيه من أجل التقارب ما بين السنة والشيعة.

ومن أجل هذا التقارب قامت علاقات طيبة بينه وبين عدد من أعلام الشيعة منهم صاحب مجلة [العرفان] أحمد عارف الزين، والمدعو هبة الدين الشهرستاني النجفي، والمدعو عبدالحسين العاملي -صاحب المراجعات- والمدعو محي الدين عسيران. وظن رشيد رضا أن أصحابه هؤلاء من المعتدلين، لكنه فوجئ بكتاب للمدعو محسن الأمين العاملي اسمه [الرد على الوهابية] ثم ظهر له كتاب آخر اسمه [الحصون المنيعة في الرد على ما أورده صاحب المنار في حق الشيعة]. فعلم صاحب المنار أن الاعتدال الذي كان يتظاهر به أصحابه الشيعة ليس إلا تقية ونفاقاً، وتأكد له ذلك عندما راح صديقه صاحب مجلة العرفان يشيد بكتب محسن العاملي.

ووجد رشيد رضا نفسه مضطراً للرد على أباطيلهم، وبيان الحق الذي حاولوا طمسه، فكتب رسالته الأولى التي أسماها: [السنة والشيعة]، وبيَّن فيها مذهب الشيعة الذين يزعمون أن الصحابة قد حذفوا آيات من القرآن، أما السنة عندهم فهي قول إمامهم المعصوم أو فعله، أو تقريره، وأخيراً كشَف تطاولهم على أصحاب رسول الله ﷺ ولعْنَهم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وزعْمَهم أن معظم الصحابة قد ارتدوا.

وأجمل ما في كتاب رشيد رضا رسالتان تبادلها علامة العراق محمود شكري

الألـوسي [١] وعلامـة الشـام جمـال الـدين القاسـمي في الـرد عـلى محسـن العـاملي، ويبـدو أن القاسـمي كـان قـد كتـب للألـوسي في أمـر الكتـابين الصـادرين عـن العـاملي، فأجابـه الألـوسي مؤكـداً أن الرافضـة يقولـون بتحريـف القـرآن الكـريم وإنكار السنة وكان مما قاله:

(وأما العترة أي زعمهم بأخذ أصولهم عن العترة فاعلم أن الروافض زعموا أن أصح كتبهم أربعة: الكافي، وفقه من لا يحضره الفقيه، والتهذيب، والاستبصار. وقالوا إن العمل بما في هذه الكتب من الأخبار واجب.)

ويبدأ الألـوسي بنقـد رواة هـذه الكتـب وهـم بـين فاسـد المذهب كـابن مهـران وابـن بكـير، ووضّـاع كجعفـر القـزاز وابـن عيـاش، وكـذاب كمحمـد بـن عيسـى، ومجاهيـل كـابن عـمار وابـن سـكرة، ومجسّـمة كالهشـامين وشـيطان الطـاق المعبّر عنـه لديهم بمؤمنه.

ثم تتبع شركيات الرافضة في العقيدة والعبادة ولا عجب أن ينالوا من أعلامنا لأنهم قالوا بكفر أصحاب رسول الله ﷺ وردتهم، واستدل بقول الشاعر:

إن الروافض قوم لا خلاق لهم ... من أجهل الناس في علم وأكذبه.

---

(١) محمود شكري الألوسي، ولد في [١٩/ ٩/ ١٢٧٣ هـ الموافق ١٢/ ٥/ ١٨٥٦م] فسماه والده باسم أبيه [أي جد المولود] محمود شكري المفسر.. نفاه السلطان عبدالحميد الثاني، ونفى بعض كبار أصحابه وتلاميذه معه إلى الأناضول، لكن أهل الموصل استقبلوه واستضافوه وكاتبوا السلطان فألغى قراره، وأعادوه لبغداد. من أهم كتبه: [بلوغ الأرب في أحوال العرب] كانت وفاته في [٤/ ١٠/ ١٣٤٢ هـ الموافق ٨/ ٤/ ١٩٥٤م].

وقال صاحب المنار: إنه حذف عبارات من رسالة الألوسي لأنها جاءت قاسية.

تعليق:

قلت أهم ما جاء في رسالة رشيد رضا الأولى: الرسالتان المتبادلتان بين علامة الشام جمال الدين القاسمي، وعلامة العراق محمود شكري الألوسي، فالقاسمي عالم علامة،[(١)] ومحقق مشهور، وسُمْعتُه كانت قد تجاوزت بلاد الشام كلها لتعم البلدان العربية مشرقها ومغربها، وهو خير من يرد على الشيخ الشيعي محسن الأمين العاملي لو شاء، ولكنه أبى إلا أن يرد الأمر لعالم يراه أكثر قدرة وكفاءة منه في هذه المسألة، وهذا درس لطلاب العلم عامة، وللمتفيهقين منهم خاصة، هؤلاء الذين لا يرون في الدنيا غير أنفسهم.

والألوسي في رده يشيد بعلم وفضائل القاسمي وغيره من العلماء السلفيين الذين تدفعهم غيرتهم إلى عدم القبول بالبدع والمنكرات، انظر إلى قوله في رسالته:

---

(١) جمال الدين القاسمي [١٢٨٣ - ١٣٣٢ هـ الموافق ١٨٦٦ - ١٩١٤ م] محدث، فقيه، أصولي، مفسر، مربي، مصلح، نقل عن الشيخ رشيد رضا قوله: (لا يمكن أن تصلح الدولة العثمانية إلا بأن يؤلف لها كتاب ديني عصري يقدم إلى مجلس الأمة، ثم بعد التصديق عليه ينشر للعمل، ولا يستطيع أن يؤلفه إلا جمال الدين القاسمي). كان -رحمه الله- داعية للعلم والحرية ونبذ التقليد الأعمى وإرجاع مجد الإسلام ورفع شأنه، فاتهم بتأسيس مذهب جديد في الدين سمّي المذهب الجمالي فقبضت عليه الحكومة العثمانية سنة ١٣١٣ هـ وحققت معه، ورد التهمة فأخلي سبيله. تتلمذ عليه كثيرون كانوا فيما بعد أركان العلم والعمل بدمشق وغيرها، منهم الشيخ محمد جميل الشطي، والشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ عز الدين علم الدين، والشيخ حامد الفقي، وتوفيق البزرة،= =وجودت المارديني وآخرون . عن [تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري].

(... وأظن أن المقالة التي في [المنار] حررها الشيخ كامل أفندي الرافعي، فقد مَرَّ عند ذلك التاريخ على العراق، واجتمعنا به وسررنا بملاقاته حيث كان سلفي العقيدة، منور الفكر، فكتب عما رأى من أحوال رافضة العراق).

ثم يرد الألوسي على ادعاء محسن الأمين بأنهم -الشيعة- مواطنون صالحون لا يرون الخروج على ولاة أمورهم العثمانيين، فيقول:

(ومن العجب أن الرافضي ادّعى أن فرقته أطوع الناس للحكومة مع أن سيفها لم يزل على رقابهم، ولم يمض يوم من الأيام إلا والحرب معهم قائمة على ساقها، فكم ألجؤوا الحكومة إلى خسائر أموال ونفوس، وجميع القبائل الذين تَرَفَّضوا هم أعدى الناس لدولة الإسلام.

وفي هذا الأسبوع ورد تلغراف يخبر عن هجوم جمع منهم على شطرة المنتفق، وقتلهم جمعاً من الضباط وعدداً كبيراً من الأفراد. وحروبهم في العمارة شهيرة، وكذلك قبائل الديوانية، والنجف، والسماوة، وكربلاء لم يزالوا قائمين على ساق الحرب مع الحكومة.

واختلال العراق دائماً إنما هو من الأرفاض، فقد تهرى أديمهم من سم ضلالهم، ولم يزالوا يفرحون بنكبات المسلمين حتى أنهم اتخذوا يوم انتصار الروس على المسلمين عيداً سعيداً، وأهل إيران زينوا بلادهم يومئذ فرحاً وسروراً.

ولو بسطنا القول في هذا الباب، وذكرنا حروبهم ومخازيهم لاستوجب إفراد مجلد كبير، والمنكِر لذلك كالمنكِر للشمس رأد الضحى) أ.هـ.

كأن الألوسي -رحمه الله- في قوله هذا يتحدث عن شيعة العراق اليوم واستخدام الأمريكان لهم كوسائل لتحقيق أهدافهم الخبيثة الخطيرة. ومحسن الأمين [ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م] هذا الذي رد عليه كل من الألوسي والقاسمي والرافعي ورشيد

رضا، يعتقد كثير من جهلة السنة أنه من معتدلي الشيعة، ولكنهم جهلة ولا يتعبون أنفسهم في القراءة والبحث، ويرددون أقوالاً سمعوها عن جهلة من أمثالهم، والأمر لله من قبل ومن بعد.

الفصل الثاني

موسى الصدر

مؤسس حركة أمل وإمام شيعة لبنان

المبحث الأول: نبذة عن حياة الصدر وما قيل عنه.

المبحث الثاني: أهم إنجازات الصدر.

المبحث الثالث: علاقات الصدر العربية.

المبحث الرابع: اختفاء الصدر.

تمهيد

يتحدث هذا الكتاب عن اعتداء حركة أمل الشيعية على المخيمات الفلسطينية، وعن الفظائع التي وصفتها أم فلسطينية ثكلى بقولها:

(كانت هذه هي الأقسى، حتى الإسرائيليين لم يفعلوا ذلك بنا، حتى الكتائب).

مؤسس هذه الحركة التي فعلت بأهلنا في لبنان الأفاعيل هو موسى الصدر، وهو أيضاً مؤسس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى.

موسى الصدر هو الذي أرسله شاه إيران إلى لبنان ليربط شيعتها بإيران، وينتزعهم عن العرب ووحدتهم ومشاعرهم، فنجح في مهمته أيما نجاح، وتبوأ مكانة في لبنان لم يبلغها أحد من زعماء وعلماء الطائفة الشيعية في العصر الحديث.

وهو الذي انتزع سورية [قلب العروبة النابض] من محيطها العربي، ومن تاريخها النابض، وربطها بإيران الشاه ثم بإيران الخميني وآياته، ولا يزال هذا الحلف الدنس قائماً رغم مرور أكثر من أربعين عاماً، بل هو اليوم أقوى مما مضى، وأشد انقياداً للأكاسرة الجدد، وأكثر وقاحة في بيان أهدافهم وغاياتهم.

وموسى الصدر خرج عن طاعة الشاه، وأصبح من كبار المعارضين، ونجح في تقديم مثلها، فبفضل من الصدر أصبح كل من لبنان وسورية وليبيا ومنظمة التحرير ميداناً تصول وتجول فيه المعارضة، وتنال ما تشاء من الخدمات.

وقصارى القول: لقد كان موسى الصدر واسع الحيلة، قوي الشخصية، شديد الذكاء، يعرف متى يقدم ومتى يحجم وكيف تؤكل الكتف، وفضلاً عن هذا وذاك فهو

من أخطر شخصيات الشيعة في العصر الحديث. ولا يجوز لنا أن نتحدث عن القتلة المجرمين من حركة أمل الشيعية دون أن نتحدث عن أستاذهم وإمامهم. ولهذا فقد خصصنا له هذا الفصل، وهو من أوسع فصول هذا الكتاب.

المبحث الأول
نبذة عن حياة الصدر وما قيل عنه

(في الرابع من حزيران سنة ١٩٢٨م، وفي مدينة [قم] أبصرت عينا الإمام موسى الصدر النور، وسمّاه والده المرحوم آية الله العظمى السيد صدر الدين صدر باسم: [موسى] تيمّناً باسم جده الأعلى الإمام موسى الكاظم، والذي تنحدر منه هذه الأسرة العريقة. وتعتبر أسرة الصدر امتدادا لسلسة عريقة، تتصل عبر القرون متمادية بسلسلتين من الأسر المعروفة: أسرة [الصدر]، وأسرة [شرف الدين]، فأنجبت للمجتمع شخصيات كبيرة خدمت الدين والمجتمع بمواقفها العلمية والسياسية في إيران والعراق ولبنان.

أما والده صدر الدين فقد ولد سنة ١٢٩٩ هـ في الكاظمية ببغداد، ثم هاجر إلى كربلاء..، ثم هاجر مرة أخرى إلى النجف.. ثم هاجر إلى إيران، وسكن مدينة مشهد بجوار مرقد إمامهم الرضا، وتزوج من السيدة [صفية] كريمة المرجع الكبير آية الله العظمى الحاج حسين القمي... ثم استقر صدر الدين في مدينة قم، فكان معاونا للشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي مؤسس الحوزة العلمية في قم).

وعن دراسته يقول المترجم:

(أنهى الإمام موسى الصدر دراسته الإبتدائية في مدينة قم.. في إبتدائية [الحياة]، والثانوية في مدرسة [سناي].

وفي عام ١٩٤١م انتسب إلى الحوزة العلمية -كعادة أبناء أسرته- ثم قرر اللحاق بركب العلوم الأكاديمية، حيث التحق بكلية الحقوق في جامعة طهران عام ١٩٥٠م، بعد أن نجح في اختبار الامتحان التمهيدي، فكانت عمامته أول

عمامة تدخل الحرم الجامعي، فنال شهادة الليسانس [البكالوريوس أو الإجازة] في الحقوق الاقتصادية عام ١٩٥٣م، على أطروحته: الترجمة [شروطها وصحتها].. وتعلم اللغتين: الإنكليزية والفرنسية إضافة إلى العربية والفارسية التي تعتبر لغته الأصلية.(١)

وعن أهم أقربائه:

١) شقيقه: رضا الصدر، وهو من آيات قم ومراجعها.

٢) ابن عمه محمد باقر بن حيدر الصدر وزوج أخته، قتله نظام البعث الحاكم يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الأولى من عام ١٤٠٠هـ، كما قتل أخته بنت الهدى، وسلّم جثتيهما بسرية تامة إلى ابن عمه محمد صادق الصدر.

٣) محمد بن محمد صادق الصدر ابن عم موسى الصدر كذلك، وأحد مراجع الشيعة في العراق [ووالد مقتدى الصدر الذي برز اسمه بعد احتلال الأمريكان وحلفائهم للعراق]، قتل سنة ١٤١٩هـ، ولا يعرف قاتله، فنظام البعث يتهم إيران، وإيران ترد التهمة لنظام البعث العراقي.

٤) عبد الحسين شرف الدين -صاحب كتاب المراجعات-، ومن أشهر مراجع الشيعة في هذا العصر، أمه زهراء بنت السيد هادي الصدر، ومن ثم فالصدر وشرف الدين أبناء عمومة.

٥) أحمد بن الخميني زوج ابنة أخت موسى الصدر، وابن أخت موسى الصدر مرتضى

---

(١) نقلت ما قالوه عن موسى الصدر، وهذا لا يعني موافقتي على الألفاظ التي استخدموها.

طبطبائي متزوج من حفيدة الخميني.

وموسى الصدر بعد ذلك درس على كبار علماء الشيعة في كل من إيران والعراق، ومن أشهرهم مع الاحتفاظ بلقب آية الله: البروجردي، كاظم شريعتمداري، صدر الدين الصدر [والده]، محسن الحكيم، أبو القاسم الموسوي الخوئي، عبد الهادي الشيرازي. ومن الطلبة الذين درسهم الصدر: هاشم رفسنجاني، حسن البهجتي، محمد رضا التوسلي، علي أصغر المسلمي الكاشاني [(١)].

لماذا اختار الصدر لبنان ؟!

يسبق هذا السؤال سؤال آخر:

هل موسى الصدر هو الذي اختار لبنان موطنا له، أم هناك جهة أخرى اختارتها له ليؤدي دوراً ما فيها ؟!.

للجواب على هذين السؤالين لابد لنا أولاً من الحديث عن مكانة لبنان في مرحلة الخمسينيات من القرن الماضي: كانت لبنان في المنطقة العربية وما يجاورها من دول تشبه سويسرا بالنسبة إلى العالم كله.. فمن يهرب من بلده يلجأ إلى لبنان، ومن يريد حبك مؤامرة ضد بلد من البلدان يتخذ من لبنان ميداناً لما يدبره... وطوائف لبنان وأحزابها مرتبطة أشد الارتباط بجهات خارجية: ففرنسا أم الموارنة الحنون، وإيران أم الشيعة، والدول العربية هي العمق الاستراتيجي للسنة ولأصحاب الاتجاهات القومية مهما كانت ديانتهم، وكان لعبد الناصر الحظ الأوفر بين هؤلاء.

---

(١) عن كتاب: الإمام موسى الصدر، سلسلة رواد التقريب، المؤلف: عبد الرحيم أباذري. مع تصرف يسير.

ففي النصف الثاني من الخمسينيات في القرن الماضي، انحاز شيعة لبنان إلى الخندق العروبي الناصري، وخاصة بعد حرب السويس عام ١٩٥٦م، وبعد وحدة سورية مع مصر التي أسفرت عن قيام الجمهورية العربية المتحدة.. وهذه الأجواء كانت فرصة ذهبية لعبد الناصر، فكان يوزع الأموال، ويشتري الذمم، ويستفيد من كل شاردة وواردة.

كانت العداوة في هذه المرحلة على أشدها بين شاه إيران محمد رضا بهلوي، والرئيس المصري جمال عبد الناصر، فالأول كان يتعاون مع إسرائيل، اعترف بها علناً، وتبادل معها السفراء، وكان خبراؤها العسكريون يدربون جيشه، كما كان عضواً فعّالاً في حلف بغداد... ولهذا فقد كان الصراع بين الزعيمين: ناصر والشاه يجري على الساحة اللبنانية. يقول السياسي الإيراني الدكتور موسى الموسوي:

(قال الشاه مرة لأحد السياسيين: إني أخشى من جمال عبد الناصر أكثر مما أخشاه من الجارة الشمالية. وعندما سئل عن السبب قال: إن جزءاً كبيراً من شعبي يتجاوب مع فكرة الوحدة العربية أكثر مما يتجاوب مع الشيوعية ومبادئها بكثير.

(وفي سنة ١٩٥٨م وضع الشاه كل ثقله بجانب الرئيس اللبناني كميل شمعون عندما ثار الوطنيون ضده وأرادوا الإطاحة به. بعث له مساعدة مالية بمبلغ نصف مليون باون في خمس مرات، في كل مرة مائة ألف باون، كما ساعده بكميات كبيرة من السلاح، وكانت الأسلحة تشحن في صناديق كبيرة كتب عليها [الرخام إلى قصر الرئاسة]. وكانت الطائرات العسكرية الإيرانية تقوم بإيصال صناديق الأسلحة إلى بيروت، وكان الشاه سخياً وفي غاية الكرم مع شمعون إلا أن شمعون كان أسخى وأكرم منه، فلقد جاد الشاه عليه بالمال، وهو جاد عليه بالشرف والكرامة. الشاه أعطى شمعون من أموال الشعب الإيراني وأسلحته ما قد يغنيه،

وشمعون أعطى الشاه من الشعب الإيراني أربعة ضباط أحرار لجئوا إلى بلاده... وقتل الشاه الضباط الأربعة بعد أن عبث بجثثهم وأخفى قبورهم في سبيل سلامة عرشه).

وإذن خاض الشاه معركة ضارية ضد عبد الناصر في لبنان، وخاض معركة أخرى ضده في اليمن، يقول الدكتور موسى الموسوي:

(وفي الثورة اليمنية وقفت حكومة الشاه بجانب الملكيين، وأيدتهم بالمال والسلاح، وكانت ترسل إليهم البواخر، كما أرسلت إليهم خبراء عسكريين.. وعندما غرقت باخرة عدنية في البحر الأحمر عرف العالم أنه كان على متنها سبعون ضابطاً إيرانياً لاقوا حتفهم، وهؤلاء الضباط كانوا في طريقهم إلى اليمن ليشتركوا ضد الشعب في ثورته الباسلة) (١).

فضلاً عن مواجهة الشاه لخصومه داخل إيران وخارجها، فقد كان يرى نفسه مسؤولاً عن الطائفة الشيعية في البلاد العربية وفي كل مكان، وكان ذلك يتم بالتنسيق مع مراجع الشيعة في إيران. فقد تدخل في لبنان وهو يعلم أهمية الدور الشيعي فيها، ويعمل من أجل استرداد هذا الدور، وتدخل إلى جانب الإمام الزيدي في اليمن ضد الانقلاب العسكري وضد عبد الناصر الذي يدعمه.

أما العراق فكانت أمور الشيعة فيها حسب ما يريده الشاه ويتمناه، فمرجعيتهم في النجف تقف إلى جانبه وتؤازره، ونظامها يسير وإياه باتجاه واحد.. وبلغ الود بين الدولتين إلى أن الشاه رغب في تزويج ابنته للملك فيصل بن غازي، ولكن هذا الزواج لم يتم، لأن ابنته نفرت من الملك عندما التقيا في جنوب فرنسا، والملك فيصل

---

(١) إيران في ربع قرن، مؤلفه الدكتور موسى الموسوي نائب في عهد الشاه ومعارض لسياسته. فر من إيران عندما اكتشف بأن أجهزة أمن الشاه تريد اغتياله، وبعد ثورة الخميني عارض استبداد الآيات.

كان نفوره أشدّ [١].

نعود إلى الحديث عن لبنان، وعن وضع الطائفة فيها، قال النائب والوزير محمد فنيش في [٣١/ ٨/ ٢٠٠١م] في حديث له عن وضع الطائفة الشيعية في المرحلة التي سبقت مجيء موسى الصدر إلى لبنان:

(.. ويكتفي معظم علماء الدين بدور تقليدي بعيداً عن قضايا المجتمع وهموم الناس، وبعيداً عن وعي التطورات الجارية وأبعادها ونتائجها واستهدافاتها، لا عن تقصير في التحرك والمطالبة في الحقوق فحسب، بل عن جمود في الفكر، وتخلف في الوعي والمفاهيم، الأمر الذي أوجد فجوة عميقة بين جيل الشباب وعلماء الدين والثقافة الدينية، انعكست ابتعاداً وغربة، وأحياناً عداءً لأحكام الدين وقيمه وتصوراته عند الشباب. أما أهل السياسة ممن يحسبون ممثلين للطوائف والمناطق المحرومة فقد كانوا بعيدين في أبراج عاجية معزولة، لا يشعرون فيها مدى المعاناة، ولا يبدون تحركاً فاعلاً وجهداً مفيداً يخفف من المأساة، ويدفع مؤسسات الدولة إلى تغيير السياسات) [٢].

حقاً كان وصف الكاتب -فنيش- لوضع الطائفة الشيعية في تلك المرحلة دقيقاً، وهذا ما كنا نبصره عن كثب، فأعضاء الأحزاب العلمانية: [كالحزب الشيوعي، والحزب القومي الاجتماعي السوري، وحزب البعث العربي الاشتراكي والحركات الناصرية،

(١) هذه الرواية ذكرها الموسوي في كتابه [إيران في ربع قرن].

(٢) الإمام موسى الصدر، عبد الرحمن أباذري، مصدر سابق. ومحمد فنيش نائب ووزير وعضو قيادي في حزب الله.

وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية] جلهم من أبناء الشيعة، وتكاد صلتهم تنعدم مع مراجع الطائفة لأنهم يعيشون في عالم غير عالم لبنان.. يعيشون في عالم النجف وكربلاء وقم ومشهد، وهذا العالم لا يقدم خبزاً ولا عملاً للمسحوقين الكادحين، ولا يقدم حلولاً لقضية فلسطين ولمشكلات الحكم في لبنان، أما الزعماء السياسيون فهم إقطاعيون ورثوا الحكم كابراً عن كابر ولا يهتمون إلا بمصالحهم، فمصالح بعضهم مع الموارنة ومصالح بعضهم الآخر مع زعماء الطائفة السنية الذين لا يختلفون عنهم كثيراً.

إذا قارنا هذا الوضع المتدني الذي كانت تعيشه الطائفة قبل أربعة عقود بما هي عليه الآن، حق لنا أن نتساءل كيف قفزت هذه القفزة وأصبحت تهيمن على شؤون الحكم سواء كان أكثرية النواب إلى جانبها أو ضدها؟!.

وكيف نظمت نفسها وأصبحت صفاً واحداً [إلا ما شذ وندر]، وكان ذلك بالأمس أقرب إلى الخيال؟!.

هذه القوة الخارقة الجديدة كيف سحبت من الطائفة قيادتها السياسية والدينية، وألقت بها في مزابل التاريخ، ثم جاءت بقيادة شابة جديدة، لا تمت للقديمة بأية صلة؟!.

لنتابع الحديث، ففي ذلك درس لأهل السنة الذين أضناهم التشتت والهوان، وسلّط الله عليهم بسوء أفعالهم قيادات علمانية لا تؤمن بسنة ولا جماعة، ولا تعرف غير المتاجرة بالطائفة، ولو كان ذلك في سوق النخاسة.

يقول المطلعون: تدارست مراجع الشيعة في إيران شؤون أبناء طائفتهم في لبنان مع حكومة الشاه ورجال أمنها، ولا نعرف من القرارات السرية التي اتخذوها إلا (إيفاد ستة من

رجال الدين المرموقين إلى مواطن الشيعة في بلدان إفريقيا والمشرق مع تعليمات بوجوب إيقاظ المشاعر الدينية واستغلالها. ويرز اسم الصدر في اللائحة التي أعدها آية الله أكبر محمد حسين طبطبائي بردجردي بصفته الأول بين أقرانه، وكان لنشأة الصدر وتضلعه التام من اللغة العربية ورحابة فكره، إذ لا ينفر من شرب كأس عرق [وهو المشروب الوطني اللبناني المصنوع من عصير العنب المعطر باليانسون] أن جعلت منه الرجل المطلوب للبنان)[١].

وقال موسى الموسوي:

(.. وقد لا يكتفي الأمن بكل هذا، ويرسل ممثلين في ألبسة مختلفة إلى البلاد التي له فيها مأرب هام، ففي عام ١٩٥٨م أرسل الجنرال بختيار مدير الأمن العام حينذاك موسى الصدر إلى لبنان، وزوّده بالأموال اللازمة وجعل له راتباً شهرياً قدره خمسة آلاف تومان، ودعمه بكل ما لدى الحكومة الإيرانية من حول وطول. وبعد عشر سنوات من ذلك التاريخ أصبح هذا الشخص رئيساً للمجلس الشيعي الأعلى، وقد صرفت الحكومة الإيرانية لتوليته هذا المنصب أكثر من مليون ليرة لبنانية)[٢].

الجنرال شابور بختيار الذي كان ملء السمع والبصر في إيران، غضب عليه سيده

---

(١) الحروب السرية، مصدر سابق، والمؤلف ينقل روايته عن:

[Karim Pakradouni, op,cit, P:107]، ويستغرب القارىء قول المؤلف عن شيخ: إذ لا ينفر من شرب كأس عرق، ولكن من يعرف شيوخ الطائفة الشيعية حق المعرفة لا يستغرب عن كثير منهم شرب الحشيشة، والدخان من باب أولى، أو اللواطة وغير ذلك.

(٢) إيران في ربع قرن. مصدر سابق.

الشاه، وقبل أن يشرب من الكأس الذي كان يسقي المظلومين منه، التجأ إلى لبنان، فحاول الشاه استرداده، ولكن لبنان رفض بعد أن حماه موسى الصدر.. وجاء يوم عاد فيه إلى إيران، وشكّل آخر وزارة في عهد الشاه، ثم سقطت وزارته والتجأ إلى فرنسا معلناً معارضته لنظام الآيات، وقبل اغتياله على أيدي الجناة من عصابات الآيات نشر مذكراته بعنوان [إخلاص]، وجاء فيها عن موسى الصدر: (ثمة حلقة ما زالت شبه مجهولة حول العلاقات التي كانت قائمة بين الشاه والإمام الصدر الذي اختفى بين روما وطرابلس قبل أشهر قليلة من وصول الخميني إلى طهران. قيل يومها إن المختفي [آية الله لبناني] لكن الصدر كان إيرانياً مثلي تماماً، لقد أرسل إلى لبنان في مهمة سرية، وقد حصل على جنسية البلد الذي آواه لكي يتسنى له العمل براحة واطمئنان.. وقد كلف الشاه الإمام الصدر بالاتصال بالشيعة في لبنان لكي ينمي لديهم الشعور والاعتقاد بأنهم مدعومون من قبل دولة كبرى من طائفتهم بالذات. يومها سويت تفاصيل مهمة الصدر عن طريق السافاك [المخابرات الإيرانية]، وبالفعل تمكن المبعوث الخاص للشاه من اكتساب نفوذ كبير وأكيد في لبنان، وأصبح يعيش فيه حياة شهرة ورخاء. وفجأة تعكر كل شيء بين الشاه والصدر بسبب شيك ٥٠٠ ألف دولار على ما أعتقد كان يجب أن يحوله الشاه للصدر، بعدها قطع الصدر علاقاته مع الشاه وراح ينتقده بشكل علني). (١)

(١) مذكرات بختيار عن الوطن العربي. العدد تاريخ [٨-١٤/ ١٠/ ١٩٨٢]. وهذا الذي شاء الجنرال بختيار أن يقوله، وكأنه سمعه في مقهى أو ندوة. وتناسى أنه كان رئيس السافاك والمسؤول الأول عن موسى الصدر وعن مهمته في لبنان، وهو الذي كان يتلقى التقارير التي يرسلها الصدر ثم يعرضها مع ملحوظاته على الشاه. أما قصة الشيك، فقد ورد الحديث عنه في موضع آخر من هذا الكتاب.

وإذن: فإيران هي التي اختارت موسى الصدر لزعامة الطائفة الشيعية في لبنان، ولتأدية دور معين على مستوى البلدان العربية، وبالتأكيد فقد عرفت من تختار، فمهما قال محبوه من أبناء طائفته عن غزارة علمه الشرعي، وعن تضلعه في الفقه، فهو سياسي يحمل عقلية تختلف عن العقلية التي يفكر بها ما يسمى بآيات الله، ولهذا فقد تخصص في الحقوق الاقتصادية، وتعلم اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

شخصية الصدر

كيف يفكّر الصدر.. وكيف يتعامل مع الناس على مختلف اتجاهاتهم ومناصبهم وطوائفهم؟!.

وهل هو واضح صريح يستطيع مخاطبه معرفة مواقفه من خلال النظر إلى وجهه وتفاعله مع ما يسمع ويقول.. أم هو رجل غامض مناور ؟!.

هذه أمور مهمة لا بد لنا من معرفتها في هذه الدراسة، ومن شخصيات كثيرة تعاملت مع الصدر، اخترت شهادتين: الشهادة الأولى لكريم بقرادوني نقل فيها رأيه ورأي رئيس الجمهورية إلياس سركيس ورأي آخرين، والثانية لرئيس المجلس النيابي الأسبق وأحد أهم الشخصيات الشيعية في لبنان كامل الأسعد.

شهادة كريم بقرادوني [1]:

(وسيم الطلعة يعنى بقيافته، وهندامه، ومظهره، وصورته، وكلامه. لمّا وصل

---

(١) السلام المفقود، كريم بقرادوني، والمؤلف عضو المكتب السياسي في حزب الكتائب، ومستشار رئيس الجمهورية اللبنانية إلياس سركيس [١٩٧٦ – ١٩٨٢]، ومندوبه الشخصي.. وهذا يعني أنه يتعامل مع أعلى جهة نصرانية.

لبنان، كان يتكلم اللغة العربية بصعوبة، ولمّا عرفته عام ١٩٧٥م كان واحداً من أفصح الخطباء وأبلغهم في اللغة العربية، إلا أن لهجته ظلت تنطوي على لكنة فارسية.

عنيد، طموح، شجاع، وشعبي. يتقن استعمال الدين في السياسة، ولغة اللاهوت في الأيدلوجيا. بعث في الطائفة الشيعية شعوراً بتفوقها العددي، وتراثها التاريخي، ودورها الأكثري، وانتمائها اللبناني، وكثيرا ما كان يردد: [لبنان، بالنسبة إلينا، هو وطن نهائي].

أطلق [حركة المحرومين]، هذا التيار الشيعي ذا الطابع الاجتماعي السياسي، وأنشأ سراً، عام ١٩٧٤م، منظمة عسكرية سمّاها [أمل]. ويقول أحمد القبيسي، أحد مستشاريه المقربين: (إن الإمام حدّد لهذه المنظمة هدفاً أساسياً وهو مقاومة العدوان الإسرائيلي [وكل عدوان آخر من أي جهة أتى]).

أدرك الإمام أن الفعالية السياسية في عقيدة ما تقوم على قدرتها في تحويل الحواس والعصبية، أكثر مما تقوم على منطقها اللاهوتي. فلا يترك فرصة تفوته من غير أن يشير إلى آيات من التراث الشيعي الغني بالشهداء، والمثير للعواطف والحماسة، وهو يجيد توظيف المؤشرات والروحانيات. وقد أجابني يوماً رداً على سؤال طرحته عليه لما زار البطريرك الماروني في بكركي: (إني ألعب لعبة الرموز) .

خصم الشيوعية، وعلى الأخص خصم الجنبلاطية، لدرجة أصبح فيها أبغض الناس إلى اليسار اللبناني. اتهم الحركة الوطنية بأنها تستغل الجماهير الشيعية وتضعها في فوهة المدفع في صراعها مع المسيحيين، وقد قال لي، في هذا الصدد: (تريد الحركة الوطنية مقاتلة المسيحيين إلى آخر شيعي). وحمّل كمال جنبلاط، عام ١٩٧٦م، مسؤولية إطالة

حالة الحرب، فلاحظ أمامي: (لولا كمال جنبلاط لانتهت الحرب في شهرين، وبسببه ها هي تستمر منذ عامين، والله أعلم إلى متى ستدوم !).

وينفر الإمام في المقابل من غطرسة الجبهة اللبنانية [(١)].

قال لي في حزيران ١٩٧٧م: (لا يجوز أن تكون الجبهة متكبرة إلى هذا الحد على المسلمين، ولا يحق لها أن تعاملهم كأنهم خونة. فاليمين الحاكم مسؤول لأنه أهمل الجنوب والشيعيين اللبنانيين منذ فجر الاستقلال، فأصبحوا محرومين وتحولوا إلى بروليتاريا لبنان، لا يخدعنّ أحد نفسه، فكل ظلم ينتهي إلى انفجار !).

هذا الثائر والمتمرد يدين [جشع اليمين الحاكم]، بقدر ما يدين [فوضوية الفلسطينين والتقدميين]. وقد طوّر مشروعاً سياسياً يستبعد فيه هؤلاء وأولئك، وتعمّد توجيه ضربة إلى اليمين، وضربة إلى اليسار، إنه خميني لبنان، ولكنه خميني مستنير.

أما علاقاته بدمشق فغير ثابتة، صديق حافظ الأسد وبيت سره، ولكنه يحذر السياسة

---

(١) الجبهة اللبنانية: تضم الأحزاب والميليشيات النصرانية التي قاتلت الفلسطينيين وميليشيات الدروز والحركة الوطنية، وأبرز أعضائها: الكتائب، والوطنيون الأحرار أو نمور الأحرار، والمردة، وحراس الأرز، والرهبانية المارونية، والرابطة المارونية. ومن أهم زعمائها: كميل شمعون، وبيار جيل، وسليمان فرنجية، والأب بولس نعمان، والأب قزي، والآباتشي شربل القسيس، وسمّاهم خصومهم [الانعزاليون].

السورية، ولم يكتم تخوفه من رؤيته سوريا تقسّم لبنان. وقد قال لي في حزيران ١٩٧٧م: (من حسن الحظ أن سوريا لا تستطيع أن تهضم لبنان، فابتلاعه يصيبه بعسر الهضم).

وقد فرغ صبره من اعتداءات الفلسطينيين، فاتخذ موقفاً صارماً من منظمة التحرير الفلسطينية، وقبل اختفائه بقليل قال لي جازماً: (ليست المقاومة الفلسطينية ثورة، لأنها لا تتصرف تصرف الساعي إلى الاستشهاد. إنها آلة عسكرية ترهب العالم العربي، بفضل الأسلحة يستطيع عرفات انتزاع الأموال، وبفضل الأموال يغذي الصحافة، وبفضل الصحافة يحدث تأثيراً في الرأي العام العالمي). ويضيف مهدداً: (منظمة التحرير سلطة فوضوية في الجنوب. لقد تغلب الشيعيون على عقدة الدونية حيال المنظمات الفلسطينية. لقد طفح الكيل).

شخصيته تربك الجميع، قال لي حافظ الأسد متحدثاً عن الإمام: (إنه فيلسوف كبير وصاحب رؤيا). وقد تردد فؤاد شهاب قبل منحه الجنسية اللبنانية، لأنه كان يعتبره [رجلاً ليس كالآخرين وهو خطر]، ورأى إلياس سركيس فيه [رجل غموض وألغاز]، يتصرف سراً، ويحيط نفسه بالأحاجي، وقد قال لي: (الإمام يوحي أكثر مما يوضح، ويقلق أكثر مما يريح).

شهادة كامل الأسعد:

قال كامل الأسعد في حديث نشرته مجلة الحوادث اللبنانية في [٣/ ١/ ١٩٧٥]: (لقد أبدى أقطاب النهج الذين كانوا وراء مطلب إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، تحبيذهم تعيين السيد موسى الصدر رئيساً للمجلس. وأضاف الأسعد: (والجميع يذكر كيف كان السيد موسى الصدر خلال تلك الفترة التي امتدت عدة سنوات تابعا للعهد ولزعمائه.

إن هناك أكثر من علامة استفهام تدور حول الخطة التي ينفذها السيد موسى الصدر والأشخاص الذين يؤيدونه هنا وفي الخارج، وأبعاد هذه الخطة في لبنان والخارج) (١).

وهناك جهات عديدة قالت بمثل ما قاله القطب الشيعي كامل الأسعد، وكريم بقرادوني، منها على سبيل المثال: مجلة الدستور التي كانت تصدر في فرنسا في عددها بتاريخ [٢٦/ ٦/ ١٩٧٨]، وجريدة القبس الكويتية في عددها بتاريخ [١٩/ ٩/ ١٩٧٨]، وجريدة الأنباء الكويتية في عددها بتاريخ [٢٦/ ٩/ ١٩٧٨].

أما أقطاب النهج الذي كان موسى الصدر محسوباً عليهم [حسب رواية كامل الأسعد] فهم أنصار الرئيس اللبناني الأسبق فؤاد شهاب. وكان حكمه قائماً على رجال المخابرات [المكتب الثاني]، ومن أشهرهم: إميل البستاني، غابي لحود، سامي الخطيب. واستمر حكم النهج طيلة عهد شهاب، وعهد خلفه شارل الحلو [وهو من أنصاره].. وانتهى نفوذهم في عهد الرئيس سليمان فرنجية، غير أن الرئيس إلياس سركيس [وهو أحدهم ولكن من غير رجال

(١) كامل أحمد الأسعد الذي صدر عنه هذا التصريح، هو سياسي لبناني ولد عام ١٩٣١ في لبنان الجنوبي، ونال إجازة الحقوق والعلوم السياسية من جامعة السوربون عام ١٩٥٢، ومارس المحاماة، وانتخب عضواً في مجلس النواب اللبناني عام ١٩٥٣، وشغل منصب وزير التربية والفنون الجميلة، والموارد المائية والكهربائية، والصحة العامة، وانتخب عام ١٩٦٤ رئيساً لمجلس النواب، وأسس عام ١٩٦٩ الحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي تولى رئاسته.. ولعب دوراً أساسياً في تأمين انتخاب بشير الجميل رئيساً للبنان عام ١٩٨٢، كما لعب دوراً مماثلاً عند انتخاب أمين الجميل. [عن كتاب الإمام موسى الصدر، مصدر سابق]. وفضلاً عن ذلك كله فهو أحد أعلام الشيعة في لبنان وكذلك آباؤه وأجداده.

المكتب الثاني] استعان بهم طيلة عهده [١٩٧٦-١٩٨٢]. ا. هـ. ولنا عودة إلى ما قاله الأسعد وغيره في موضع آخر من هذا البحث.

وإذن: إذا استثنينا أهل السنة والجماعة [١]، فإن الذين عرفوا موسى الصدر، وتعاملوا معه يؤكدون بأن شاه إيران ومن لف لفه من رجال الأمن والطائفة أرسلوه إلى لبنان ليؤدي دوراً ما فيها!!.

ويتكلمون بلغة الجزم بأنه كان خصماً للشيوعية، ولأهل اليسار، ولمنظمة التحرير، ولكمال جنبلاط، ولهذا فقد كان كما وصفه إلياس سركيس: [رجل غموض وألغاز]، ويوحي أكثر مما يوضح، ويقلق أكثر مما يريح.

---

(١) سيأتي الحديث عن موقفهم المؤسف من موسى الصدر.

المبحث الثاني

أهم انجازات الصدر

علمنا مما مضى أن الصدر استوطن لبنان عام ١٩٥٨ كما يقول موسى الموسوي، وفي نهاية عام ١٩٥٩ كما يقول غيره. ونزل ضيفاً في بيت قريبه عبد الحسين شرف الدين [صاحب كتاب المراجعات، وأحد كبار علماء الشيعة داخل لبنان وخارجها] في صور، وكان في أذهان الناس مجرد عالم موفد من النجف للقيام بنشاط ديني في أوساط الطائفة الشيعية. ولم يكن يجهل الوضع العام في لبنان، فهو رجل مغامر، وسبق أن زارها في عام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٧، وأقام علاقات وثيقة مع أبناء طائفته، ومن جهة أخرى فالجهة التي أرسلته زوّدته بمعلومات دقيقة عن كل ما يحتاجه.

لم يفاجأ الصدر بجمود شيوخ الطائفة، ومقاومتهم للتجديد، وبعدهم عن آمال وآلام الشباب، وسيرهم في ركاب الإقطاعيين أي زعماء الطائفة من نواب ووزراء ووجهاء.

كانت المهمة الأولى التي يسعى موسى الصدر لتحقيقها هي الحصول على الجنسية اللبنانية لأنه لا يستطيع النهوض بالدور المطلوب منه طالما بقي أجنبياً.. والحصول على الجنسية في لبنان ليس بالأمر اليسير، فهناك عشرات الآلاف من المواطنين اللبنانيين الذين عاشوا في لبنان منذ إنشاء هذا الكيان ومع ذلك لم يحصلوا على الجنسية لأنهم من أهل السنة، والشيعة ليسوا أحسن حالاً، أما النصارى فعلى نقيض ذلك لأن منح الجنسية حق من حقوق رئيس الجمهورية يمنحها لمن يشاء في أي وقت يشاء.

في هـذه الفـترة كـان الصـدر يشـيع الطمأنينـة بـين كافـة الأطيـاف السياسـية، وكسـب بدهائـه عطـف ومسـاندة مـن أصـبحوا أعـداءً لـه فـيها بعـد، فقـد كـان يـزورهم، ويظهـر لهـم خـلاف مـا يبطن، وكـان يخاطـب كـل قـوم بلغتهم، ومـاذا يريـد النـاس مـن رجـل إنسـاني النزعـة يكـره العنـف ويـدعو إلى السـلام والتـآخي والتقارب بين مختلف الأديان والطوائف.

منح الرئيس الأسبق فؤاد شهاب الجنسية لموسى الصدر عام ١٩٦٣م وظل بعد منحه الجنسية على حذر منه لأنه كان يراه رجلاً خطراً !!. وإذن كيف منحه الجنسية؟!. لا بد لنا للإجابة على هذا السؤال من التذكير بشهادتي: موسى الموسوي، وكامل الأسعد.

ورافق سعي الصدر للحصول على الجنسية إقامة مشاريع اجتماعية خيرية لم تشهدها الطائفة الشيعية من قبل، وكان إقامة هذه المشاريع بالتدرج فلا تثير حفيظة المتنفذين داخل الطائفة، ونشير فيما يلي لأهمها:

- جمعية البر والإحسان في مدينة صور، ومن خلالها استطاع القضاء على ظاهرة التسول في هذه المدينة.
- مؤسسة عامة تضم داراً للأيتام، وداراً أخرى للفقراء، وثالثةً للعجزة.
- مدارس ذات طابع مهني: ميكانيك، كهرباء عامة، كهرباء سيارات، تجارة، حدادة.
- مدارس محو أمية في مناطق مختلفة من لبنان.
- جمعية شؤون المرأة، وبيت الفتاة المتفرع عنها.
- أنشأ الصدر [مبرة الإمام الخوئي] عام ١٩٧٧ لتكون المنطلق لتربية جيل إسلامي. وقد

ضمّ مجلس إدارة هذه المبرة إلى جانب رئيسها موسى الصدر: الشيخ محمد مهدي شمس الدين، والشيخ محمد حسين فضل الله.. وكانت تضم فروعاً في بيروت، والهرمل، وصور.

- مدارس لتخريج الممرضات والممرضين عام ١٩٦٩، ثم تمّ فتح مستشفى ميداني في بئر حسن بالتعاون مع مؤسسة الصليب الأحمر الدولي.

- وأقيم مركز للإسعاف الطبي بمحلة النبعة -برج حمود بالتعاون مع بعثة طبية فرنسية.

اكتفينا بذكر أهم هذه المشاريع. فمن أين جاء الصدر بهذه الميزانية الضخمة التي تنوء بحملها إمكانات الطائفة الشيعية الفقيرة [في تلك المرحلة]؟!.

أنصار الصدر يقولون: مصدر هذه الأموال من الخُمس [(١)] وتبرعات الأغنياء من أبناء الطائفة، وبالأخص المغتربين منهم. وهذا القول مرفوض لسببين:

الأول: هذه المصادر كانت قبل الصدر، وكان يشرف على جمعها وإنفاقها علماء أكفأ من الصدر من الناحية الشرعية وليس من الناحية السياسية والتنظيمية، وهيهات كانت تكفي للإنفاق على شؤون التعليم عندهم.

الثاني: هذه الميزانية أضخم من ميزانية بعض الدول، وكما قلنا: لم نذكر إلا أهم هذه المشاريع، فكيف هبطت هذه الأموال في زمن الصدر وحده؟!، ومع ذلك فإننا لا ننكر أنه ضبط جمع الأموال داخل الطائفة بشكل لم يسبق إليه.

---

(١) الخمس: أي خمس الغنائم يؤخذ من الكفار المحاربين، ولا يؤخذ من أموال المسلمين أو من أموال الكفار المسالمين، وما يفعله الشيعة اليوم بدعة لا أصل لها في دين الله، بل لم يكن هذا معروفاً أيام قدماء الشيعة كالشيخ المفيد، والشيخ الطوسي.

وإذا كان ما قاله أنصار الصدر غير مقبول ولا معقول، فلنلتمس ما قاله غيرهم من المهتمين بالشأن الإيراني: موسى الموسوي، قال: (... وقد صرفت الحكومة الإيرانية لتوليه منصب رئاسة المجلس الشيعي الأعلى أكثر من مليون ليرة لبنانية).

وجاء في كتاب الحروب السرية: (غير أن المصدر الأساسي لأملاك الإمام نابع من المراجع الدينية في إيران إضافة إلى مصادر أخرى بقيت سراً دفيناً في قلب الصدر، وأضاف: لا شك أن المصدر السري لهذه الأموال هو السافاك الإيراني [المخابرات] التي تتولى إنفاق الأموال المخصصة للعمليات السرية و... القرآنية. إذاً، يتلقى الإمام مخصصات مالية مهمة من أجل إنفاقها في سبيل أعماله الاجتماعية، ماعدا تعويضاته الشخصية الني تبلغ خمسة ملايين ليرة لبنانية في السنة، ودونها احتساب لما تدفعه له الدولة اللبنانية أيضاً)[1].

كان الصدر الرائد الأول لإيران في لبنان، وهي التي ابتعثته وأحسنت اختياره، فقدّم لها خدمات لا تنسى، فلماذا لا تدفع له هذه المبالغ الزهيدة جداً إلى جانب ما تدفعه اليوم لحزب الله، وحركة أمل، وحماس، وحركة الجهاد الفلسطينية، والنظام السوري، وجهات أخرى يبتاعها حزب الله بالمال؟!.

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى:

كان للمسلمين في لبنان مرجعية واحدة تتمثل بدار الفتوى، وضمن هذه المرجعية

(١) الحركات الإسلامية في لبنان، منشورات مجلة الشراع، بيروت ١٩٨٥، ص: ٧٤ عن [الحروب السرية في لبنان، ص: ٢٦٠. مصدر سابق] أما ما نقلته عن موسى الموسوي، ففي كتابه: إيران في ربع قرن، مصدر سابق.

كانت كل طائفة تطبق قانون الأحوال الشخصية الخاص بها، والمناهج التعليمية التي يرتضيها علماء كل طائفة. ووحدة المرجعية كانت تزعج جهات كثيرة ؛ أهمها موسى الصدر والجهة التي تقف وراءه، فهو وهم يحملون الأحقاد التاريخية ضد أهل السنة، وما جاء لبنان واستوطن به إلا لهذا الغرض.

بدأ الصدر يسعى لتشكيل هذا المجلس ميدانياً وبشكل علني منذ حصوله على الجنسية.

يقول الأباذري:

(وعلى الرغم من المخالفة الشديدة التي واجهها هذا المشروع من داخل الطائفة وخارجها، ولكن ذلك لم يمنعه من متابعة دعوته، فعقد مؤتمراً صحفياً بتاريخ١٥/ ٨/ ١٩٦٦، عرض فيه آلام الطائفة ومظاهر حرمانها بشكل علمي مدروس معتمداً على الإحصاءات وبيّن الأسباب الموجبة لإنشاء المجلس، وأعلن أن المطلب أصبح جماهيرياً تتعلق به آمال الطائفة.

وهكذا أتت الدعوة ثمارها، وأقرّ مجلس النوّاب اللبناني هذا الاقتراح بتاريخ ١٦/ ٥/ ١٩٦٧، ولأجل إتمام المراحل القانونية باشر المجلس أول جلساته في صيف عام ١٩٦٩م لانتخاب الهيئة التشريعية المتكوّنة من تسعة أشخاص من كبار علماء الشيعة، وهيئة إجرائية تضم ١٢ عضواً. وبتاريخ ٢٣/ ٥/ ١٩٦٩ م عقد المجلس اجتماعه الثاني لانتخاب أول رئيس له، فتمّ التصويت وبرأي الأغلبية الساحقة على الإمام موسى

الصدر ليكون أول رئيسٍ منتخبٍ للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى) [١].

وكان للموارنة دور مهم في إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وكان هذا الدور واضحاً في تصويت نوابهم على هذا الاقتراح، كما كان واضحاً في علاقاتهم المشبوهة مع الصدر، وفضلاً عن ذلك كله فقد قدّم الصدر فرصةً لا تعوّض للنصارى من أجل إضعاف المسلمين وتعدد مرجعيتهم، وهذا هو سر ارتباطه بالنصارى منذ وطئت قدماه أرض لبنان.

فمن الوجهة الاجتماعية، وما يسمى بالتقارب الإسلامي المسيحي، فقد كان يتنقل محاضراً من كنيسة إلى كنيسة أخرى منادياً بالسلام ومندداً بالعنف والإرهاب. تقول الجهات النصرانية العليمة بأمره: (... فشعبيته واسعة لا سيما لدى الموارنة، حيث راح يغازلهم ملمحاً إلى الفائدة التي تنجم عن إقامة محورٍ بين الأقليتين المارونية والشيعية ضد الأكثرية السنية ذات النزعة العروبية. وقد اجتذبت محاضراته في الندوة اللبنانية جمهوراً واسعاً، والندوة رابطة ثقافية أسّسها الماروني ميشال اسمر عام ١٩٤٦م وهي منفتحة على جميع التيارات الفكرية. كذلك يهوى الرئيس حلو التحدث إليه في القضايا الفلسفية، ولم يتورّع الإمام عن اقتحام الأديرة -فقد كان يحلم بإنشاء رهبنة نسائية شيعية، على غرار الرهبنات المسيحية- وكانت صغار الراهبات البريئات ينبهرن بسحره الأخّاذ وبجمال وجهه [المسيحي].) [٢].

(١) الإمام موسى الصدر، عبد الرحيم أباذري، مصدر سابق.

(٢) الحروب السرية في لبنان، مصدر سابق. وشارل الحلو تولى رئاسة الجمهورية [١٩٦٤-١٩٧٠]، لو لم يكن سياسياً لكان قسيساً، ولهذا فقد أصبح مستشاراً في الفاتيكان بعد اعتزاله العمل السياسي.

وحسب رواية عبد الرحيم أباذري [في كتابه الإمام موسى الصدر ص: ٨١] فقد كان الرئيس اللبناني شارل الحلو يقوم بنفسه بفتح باب سيارته ليصعد إليها بهيبة ووقار.

وفي حديث صحفي له مع مجلة [موندي مورنينك] بتاريخ ٢٢/ ٨/ ١٩٧٧م وصف الصدر مقامه بين المسيحيين كالتالي:

(لا أظن أن أحداً في لبنان قد حفظ راية التعايش بين الأديان السماوية والوحدة الوطنية مثلما فعلتُ، حتى صرتُ رمزاً للوحدة في لبنان. ولهذا فأنا غير مرغوب فيه عند المتآمرين من أعداء هذا الوطن الذين يسعون إلى إزالتي من الوجود.

وإن من شدّة الثقة التي أولاها لي إخواني المسيحيين، أني قبيل ثلاث سنوات ألقيت موعظةً دينيةً على المؤمنين منهم في المراسيم الخاصة التي أقيمت في كنيسة [الكرشيّين].. ولتعرفوا أبعاد هذا العمل تصوروا أن زعيماً دينياً مسيحياً يلقي خطبة الجمعة على المصلّين المسلمين. فأنا رمز الوحدة الوطنية والأخوة الدينية، وحامل راية التعايش بين مختلف الطوائف اللبنانية. ولا عجب أن يقوم المتآمرون بتصفيتي معنوياً في حملاتهم الدعائية، مشكّكين بكل تحركاتي الوطنية السياسية)[1].

لقد بالغ الصدر في تعاونه وتنسيقه مع النصارى، وأضيف إلى ما ذكرته آنفاً أمرين:

الأول: انتسب الصدر إلى [الشورى المركزية لحركة النهضة الاجتماعية المسيحية] التي يرأسها المطران [كريكور حداد].

الثاني: كان من أوائل من ساهموا في إطلاق الحوار الإسلامي- المسيحي في لبنان عام

---

(١) الإمام موسى الصدر، عبد الرحمن أباذري، (ص: ١٣٢ ن) مصدر سابق.

١٩٦٥م وكان من رفاقه في هذا الحوار: المطران جورج خضر، والأب يواكيم مبارك، والشيخ صبحي صالح، وحسن صعب، والأب فرنسوا دوبره لانور، ويوسف أبي حلقة ونصري سلهب.. وفي البيان الذي وقّع عليه أعضاء هذه الهيئة كثير من الانحرافات التي لا يقرها الإسلام سواء كان سنياً أو شيعياً.

وقفـــات

١. هل صحيح أن موسى الصدر أعجب بالرهبنات المسيحية؟، وأنه كان يحلم بإنشاء رهبنة نسائية شيعية.. ولا أدري كيف كان سيجمع بين المتعة الشيعية والرهبنة المسيحية؟!.. لا أشك أنه فيما قاله كان يتزلف للنصارى.

٢. كل الدلائل الظاهرة والباطنة تشير إلى أن الصدر عمل على إنشاء تحالف بينه وبين النصارى، وكان الموارنة لا يقلّون عنه رغبةً في تكوين هذا التحالف الذي يستهدف العرب السنة داخل لبنان وخارجه، وكان الصدر كلما ازداد قرباً من النصارى ازداد بعداً عن أهل السنة.

٣. تحدّث الصدر عن مؤامرة كانت تستهدفه ولم يذكر شكل هذه المؤامرة، ومتى حدثت، ومن الذين حاولوا تنفيذها. وجاء عبد الرحمن أباذري في كتابه [الإمام موسى الصدر، ص: ٨٤] ليزيل الغموض عن هذه الرواية ويخبرنا بأن الجناة من الشيعة العاملين في صفوف الجبهة الشعبية. نصبوا كمينا للصدر بالأسلحة الرشاشة ومدافع الآر - بي - جي في الطريق الذي يسلكه، ولكن هذه المحاولة فشلت.

٤. يحيط نفسه بهالة من التعظيم والتبجيل، فهو رمز للوحدة الوطنية، وهو الذي أرسى معالم التعايش بين الأديان.. وهو الذي قال له البطريرك فلان كذا وكذا وقال له

القسيس فلان كذا وكذا، وقل بعد كذا ما شئت من الثناء الذي لا حدود له.

كلام مهم لكامل الأسعد: [(١)]

أجرت مجلة الحوادث اللبنانية مقابلة مع كامل الأسعد في عددها تاريخ [٣/ ١/ ١٩٧٥م] تحدث فيها عن خلافه مع موسى الصدر، وكان مما قاله:

(سأتحدث أولا عن علاقاتي بالسيد موسى الصدر، هذه العلاقات التي مرت بثلاث مراحل: مرحلة العهد السابق -عهد الرئيس حلو -، ومرحلة الفترة الأولى من العهد الحالي، والمرحلة الأخيرة.

ففي أثناء العهد السابق، الذي تلا العهد الشهابي، أبدى أقطاب النهج، الذين كانوا وراء مطلب إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، تحبيذهم لتعيين السيد موسى الصدر رئيساً للمجلس. والسيد موسى الصدر يعرف والنواب الشيعة، أنه لو كانت كتلة الأعضاء التسعة التي أنتمي إليها، لم تؤيد فكرة إنشاء هذا المجلس، لما كان أنشيء أصلاً، ولّما أصبح السيد موسى الصدر رئيسه. ولكني وافقت على إنشاء المجلس وتعيين السيد موسى الصدر رئيساً له، على الرّغم من التحذيرات التي تلقيتها من عدد من الأصدقاء وعدة مصادر، بأن وراء هذا التعيين خطةً لمحاربتي شخصياً على صعيد الجنوب وعلى مستوى الطائفة الشيعية أيضاً.

وقد قبلت تلك المخاطرة لأني كنت مقتنعاً بأن تلك الفرصة المواتية لإنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى لن تتكرر.

---

(١) نقلنا فيما ما مضى شيئاً يسيراً من هذه المقابلة.

والجميع يذكر كيف كان السيد موسى الصدر، خلال تلك الفترة التي امتدت عدة سنوات، تابعاً للعهد ولزعمائه.

والجميع يذكر موقف العهد بأزاء الشيعة بوجه عام، وجنوب لبنان بوجه خاص. كانت هناك مؤامرة على الجنوب كل يوم: تجميد مشروع الليطاني، محاولات للتفرقة بين الفلسطينيين واللبنانيين، وإرهاب فكري ونفساني للمواطنين في كل ما يفعلون. واقتصرت حركة موسى الصدر وقتئذٍ على الدعوة إلى الإضراب.

ووَجّه نداءً من بيروت داعياً أهالي الجنوب إلى احتلال القصور في العاصمة، ولا حاجة إلى إيضاح العواقب التي كانت تترتب على تلك الدعوة لو أن أهالي الجنوب هاجروا فعلاً إلى بيروت ليحتلوا القصور والشوارع، وتحوّلوا إلى لاجئين فعلاً في العاصمة.

والعجيب أنه في ذلك اليوم بالذات، أخذ التلفزيون -الذي هو مؤسسة حكومية رسمية - على عاتقه إذاعة نداء الإمام إلى التظاهر).

ويتسائل كامل الأسعد فيقول:

(والآن ماذا يريد السيد موسى الصدر؟!. لقد عرض لائحةً بالمطالب، وكان أهمّ مطلبين فيها:

١. تأمين العدالة للطائفة الشيعية بشأن الوظائف العامة.

٢. تنفيذ مشروع الليطاني.

المطلب الأول: تم تحقيقه خلال التعيينات الأخيرة، وأصبحت المناصب المعطاة لأبناء الطائفة الشيعية متناسبةً وعددهم، أما ما يتعلق بالمطلب الثاني [أي مشروع

الليطاني] فقد كنا نحن، وليس هو، من لاحق المشروع من أجل تنفيذه.

ولن نسمح أبداً بأن يؤخر تنفيذه أكثر مما أُخّر.

فالاعتمادات متوافرة، والمسح الجوي للأرض ستتولاه إحدى الشركات أو الجيش.

وقد طرحت دراسة النفق الرئيسي والقناة في مناطق عامة، وحدد حزيران سنة ١٩٧٥ م موعداً لبداية العمل فماذا يبقى من مطالب الإمام؟!.

التنقيب عن النفط؟ هل هناك نفط في الجنوب للتنقيب عنه؟).

وسئل الأسعد عن مدى قوة التيار الذي يمثله الصدر في لبنان، فأجاب بقوله:

(إن قوته ليست مستمدة من مركزه كرجل دين، فلا يهم أن يعتمر العِمّة أم لا. إن قوته مصدرها المال الذي يبعث به المهاجرون إلى المجلس الشيعي الأعلى والمعونة المالية التي تقدمها الدولة إلى المجلس، فهو ينفق هذا المال في شراء الرجال واستقطابهم، وقوته تأتي أيضا من قدرته على تجميع المعارضة في الجنوب وحشدها في عمل موحد ضدي كما فعلت عائلتا عسيران والزين عندما اتحدتا ضدي أثناء انتخابات النبطية.

إن هناك أكثر من علامة استفهام تدور حول الخطة التي ينفّذها السيد موسى الصدر والأشخاص الذين يؤيّدونه هنا وفي الخارج، وأبعاد هذه الخطة في لبنان والخارج). انتهى كلام الأسعد.

أهم انجازات الصدر التنظيمية

حركة المحرومين:

هذا الإيراني الذي حصل على الجنسية اللبنانية عام ١٩٦٣م، أنشأ عام ١٩٦٩م المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، واختاره المتنفذون رئيساً له، وهذا يعني أنه أصبح ممثلاً للطائفة الشيعية أي له ٢٥٪ من الشعب اللبناني على الأقل، وأضيف إلى اسمه لقب [الإمام].

وإذا كانت حدود مفتي السنّة لا تتجاوز المساجد والمدارس الشرعية وغير ذلك مما لا يشكل تحدياً لأحد.. وحدود البطاركة أكثر بقليل من مفتي السنّة.. فهذا الوافد الجديد لا يقبل من طائفته إلا سلخها من انتمائها العربي وربطها بإيران الفارسية، وأن يكون هو صاحب القول الأول والأخير فيها.

وإذا كان الأمر كذلك فمهمته لن تتوقف عند هذا الحد، وذلك لسببين:

الأول: لا يزال بعض زعماء الطائفة يخالفونه الرأي وينظرون إليه بعين الشك والريبة، ويرون أن الرجل تجاوز حدوده، وغير منتظر منه في هذه الحالة إلا أن يرد على النار بأشدّ منها، وقد علمنا فيما مضى بأنه رجل عنيد لا يستكين، وإن تظاهر بغير ذلك.

الثاني: طموح الصدر لا يتوقف عند حدود الطائفة. إنه يريد أن يتحكم بسياسة لبنان الداخلية والخارجية، ومن هنا نعلم لماذا ألزمه الذين ابتعثوه بالتحالف مع النصارى ضد السنة، ولماذا فوجيء من كان يحسن الظن به بانحيازه إلى القوات السورية عند اجتياحها لبنان عام ١٩٧٦م.

ومن أجل قهر خصومه داخل الطائفة، وإسكات صوتهم إلى الأبد أنشأ تنظيماً

خطيراً سمّاه [حركة المحرومين]، ففي عام ١٩٧٣م طالب الصدر السلطة اللبنانية القيام بواجبها نحو الجنوبيين المحرومين، وكلما حققت السلطة مطلباً طالب بآخر، وأصبح موقف خصومه في غاية الحرج، فهو صاحب المبادرات التي لا تتوقف عند حدّ، وليس أمام خصمه كامل الأسعد [رئيس المجلس النيابي اللبناني] وكتلته في المجلس إلا تبني مطالب من صار يلقّب بالإمام، وكان من قبل يقرع أبوابهم صباح مساء مناشداً إياهم تأييده في الحصول على الجنسية. لقد انتزع المبادرة منهم ونافسهم في عملهم السياسي فغلبهم وهزمهم.

ودعا الصدر إلى مهرجانات شعبية عارمة، (كان أضخمها مهرجان بعلبك، بتاريخ [١٧/ ٤/ ١٩٧٤م]، ثم مهرجان صور بتاريخ: [٥/ ٥/ ١٩٧٤م]، وضمّ كل منهما أكثر من مائة ألف مواطن، أقسموا مع الإمام على متابعة جهادهم، وأن لا يهدؤوا حتى لا يبقى في لبنان محروم واحد أو منطقة محرومة، وهكذا ولدت [حركة المحرومين] التي رسم الإمام الصدر مبادئها بقوله: (إن حركة المحرومين تنطلق من الإيمان الحقيقي بالله وبالإنسان وحريته الكاملة وكرامته، وهي ترفض الظلم الاجتماعي، ونظام الطائفة السياسية، وتحارب بلا هوادة الاستبداد والإقطاع والتسلط وتصنيف المواطنين، وهي حركة وطنية تتمسك بالسيادة الوطنية وبسلامة أرض الوطن، وتحارب الاستعمار والاعتداءات والمطامع التي يتعرض لها لبنان)[1].

حقاً إن الصدر داهية، وكما قال عنه كريم بقرادوني [فيما مضى من هذا البحث]: يتقن استعمال الدين في السياسة، ولغة اللاهوت في الأيدلوجيا. فهو في حركته الجديدة دعا إلى الإصلاح، ومحاربة الفساد والظلم والاستبداد، وهذه وغيرها من الشعارات

(١) الإمام موسى الصدر، المؤلف عبد الرحيم أباذري، (ص: ٤٩). مصدر سابق.

المماثلة لها لا تخص طائفةً دون طائفةٍ أخرى، ولا يتنكر لها مصلح اجتماعي مهما كان دينه، ولهذا فقد أجرى حواراً مع نخبة من المفكرين اللبنانيين من مختلف الطوائف، وقّع ١٩٠ منهم على لائحة تضم المطالب العشرين التي أعلنها [١].

ومن جهة أخرى فحركة المحرومين شعار شيعي صرف، يعني فيما يعنيه أنهم مضطهدون مقهورون، سلبهم أهل السنة كافة حقوقهم، واستبدّوا بهم.

وليس أمامهم إلا تنظيم أنفسهم والعمل من أجل التخلص من الحرمان، وانتزاع حقوقهم من الذين اغتصبوها، وإذن فلا مكان في هذه الحركة الجديدة لأي من أبناء الطوائف الأخرى، وإذا أخطأ وانتسب إليها، فسيجد نفسه غريباً ولابدّ له من تصحيح الخطأ.

ومن جهة ثالثة، فقد استهوت التنظيمات الاشتراكية أبناء الطائفة الشيعية، وفي مبادىء حركة المحرومين ما يغري هؤلاء في العودة إلى كنف الطائفة، وتأييد زعيمها الذي يقدّم لهم ما عجزت عن تقديمه الأحزاب اليسارية.

ومن جهة رابعة فمن مبادىء حركة المحرومين تحرير فلسطين، وتحرير فلسطين يعني عند الشيعة والنصارى التخلص من الفلسطينيين الذين جعلوا أهل السنّة في لبنان قرابة نصف السكان. ومع ذلك فهذا الشعار وغيره لم يكن أكثر من كلمات إنشائية فارغة المضمون، لكنها تستهوي الفلسطينيين، وتطرِب منظمة التحرير ورئيسها، وعرف الصدر كيف يستغل هذا الجانب، فمع حديثه عن تحرير فلسطين، فقد كان ينسق مع قيادة المنظمة، وكانت هذه القيادة تشعر أن حركة المحرومين تكاد تكون رديفاً لها.

---

(١) المصدر السابق.

ومن جهة خامسة فإن إنشاء هذه الحركة يستهدف ابتداءً خصومه داخل الطائفة، وهذا الذي أشرنا إليه فيما مضى، فبمجرد قوله عن الحركة: (وتحارب بلا هوادة الاستبداد والإقطاع والتسلط وتصنيف المواطنين)، يفهم أبناء الطائفة أن المقصود بذلك كامل الأسعد وكتلته ومعظمها من الشيعة لأنهم إقطاعيون.. وصارت الخلافات بينهم وبين الصدر تعرض على رئيس الجمهورية، وقادة الشعبة الثانية [المخابرات].

قال سامي الخطيب: (وفي العام ١٩٧٧م، كان الإمام في زيارة للرئيس سركيس، شكا فيها من تعاطي بعض الوزراء معه، وخاصّة في قضايا الخدمات العامة وبعض التعيينات، وأن هؤلاء الوزراء يحصرون مرجعية الجنوب بالرئيس كامل الأسعد، تفهّم الرئيس سركيس منطق الإمام، وكان يتمنّى بالوقت نفسه أن يتفهم الإمام بالمقابل وضعه تجاه رئيس مجلس النوّاب، وعلى ذلك كلفني فخامة الرئيس أن أبقى على اتصال دائم مع سماحة الإمام، وأن أزوره بين الحين والآخر، أو بناءً على طلبه، وأن أسمعه وأنقل لفخامته كل كلمة يقولها سماحته، وهكذا أمضيت عاماً وبعض العام على اتصال دائم بسماحته، حتى حصل تغييبه في ليبيا وما زال) [(١)].

كاتب هذه المذكرات اللواء سامي الخطيب هو الرجل الثاني في الشعبة الثانية [المخابرات]، وهو من رجال النهج، وإذا كان في هذه المرة على صلة بالصدر لمدة عام وبعض العام بناءً على تكليف الرئيس سركيس، فلقاؤه الأول به كان عام ١٩٦٨م، وهذا يعني أن تعاوناً وثيقاً بين الصدر ولواء المخابرات سامي الخطيب استمرّ لمدة عشر سنين، وفضلاً عن ذلك فـ [أرشيف] المخابرات بين يدي الخطيب، ورغم ذلك لم يذكر لنا لواء

---

(١) كتاب: في عين الحدث، اللواء سامي الخطيب، الجزء الأول، (ص: ٤٩٥).

المخابرات إلا أقلّ من القليل، وهذا هو دأب أكثر السياسيين السنيين يمسكون في مذكراتهم عن ذكر ما يعرفون من حقائق وفضائح مجاملة أو خشية المسائلة. وهذا القليل الذي ذكره يدفعنا إلى إثارة التساؤلات التالية:

١) هل يليق برئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وإمام لطائفة الدخول في منافسة سياسية حادّة مع كامل الأسعد الذي اختارته الطائفة ممثلاً لها ورئيساً للمجلس النيابي، ثمّ يتردد الصدر على رئيس الجمهورية شاكياً ومطالباً إيّاه التدخل في قضايا لا تليق بمقام رئيس الدولة؟!.

٢) ولماذا يعرض الإمام أموره على رئيس الجمهورية الماروني، وليس على رئيس الوزراء السني، مع أنه في هذه القضية يشتكي من عدم تعاون الوزراء معه وهو من اختصاص رئيس الوزراء؟!.

حركة أمل:

كان الصدر يتنقل من كنيسة إلى كنيسة داعياً إلى نبذ العنف ومندداً بالإرهاب والإرهابيين، ومحتجاً بقوة على إنشاء ميليشيات مسلحة، ومتسائلاً: كيف يوجّه المواطن السلاح إلى صدر أخيه.. وتوّج جهوده هذه بالاعتصام والإضراب عن الطعام في مسجد العاملية في بيروت الذي بدأه بتاريخ ٢٧/ ٥/ ١٩٧٥م، وقام بإصدار بيان ضمّنه شروطه لإيقاف الإضراب عن الطعام هو ومن اعتصم معه، ومن أهم هذه الشروط: إنهاء نزيف الدم، والقبول بإيقاف الحرب من قبل جميع الأطراف.

وذات يوم من شهر تموز ١٩٧٥م، انفجر لغم مضاد للدروع وسط قاعدة في البقاع تخص منظمة فتح الفلسطينية، فأوقع ٤٠ قتيلاً ومائة جريح في صفوف المجندين الشيعة

والمدربين الفلسطينيين فانكشف أمر حركة أمل التي شاء الصدر إبقاء وجودها سراً.. وكلمة أمل تتكون من الأحرف الأولى لعبارة [أفواج المقاومة اللبنانية]. وقد اضطر الصدر لتسويغ وجود هذه الميليشيات إلى القول إن عناصرها هم بصدد التدريب على القتال بغية التوجه نحو الجنوب لمحاربة إسرائيل ومساعدة الجيش اللبناني (١).

فوجئ اللبنانيون بهذا الحدث الذي يكذّب ما يقوله الصدر في العلن، وهو من جهته حاول تسويغ فضيحته، لاسيما وأن حركة فتح – وهي عماد الجبهة الوطنية – هي التي تتبنّى هذا المولود الجديد، وتقوم بتدريب أعضائه، ونالها من الخسارة مثل ما نال حركة أمل. أما النصارى فعندهم من المعلومات ما يجعلهم يعتقدون بأن حركة أمل لن تحارب مع الفلسطينيين واليساريين، ولكنهم –رغم ذلك– غير مطمئنين من الصدر، ومن مواقفه المتناقضة.

وفي هذه الأجواء المضطربة أعلن الصدر عن حركة أمل، وكدأبه في مثل هذه المواقف زعم أنها ليست لطائفة دون طائفة أخرى، فأبوابها مشرّعة أمام جميع اللبنانيين، ثم راح يستخدم لهجةً أخرى في خطبه ومحاضراته ما كان يستخدمها من قبل، ومن ذلك قوله:

(اسمنا ليس متاولة، نحن ندعى رجال الرفض، رجال الثأر والثورة ضد كل أنواع الظلم، حتى ولو كلّفنا ذلك دماءنا وحياتنا).

وقوله:

(الثورة لم تمت في رمال كربلاء، بل تدفقت في مجرى حياة العالم الإسلامي، وابتداءً من اليوم لن نشكو ولن نبكي... لقد واجه الحسين العدوّ ومعه سبعون

---

(١) الحروب السرية في لبنان، (ص: ٢٦٤)، مصدر سابق.

رجلاً، وكان العدوّ كثير العدد، أما اليوم فنحن نعدّ أكثر من سبعين، ولا يعدّ عدونا ربع سكان العالم)[١].

فمن هم أعداء الحسين ﷺ، ونعوذ بالله من كلّ مَن يعادي الحسين وأهل بيت رسول الله ﷺ. ومن هم أعداء الحسين اليوم الذين يقصدهم الصدر ويقول: إنهم أقل من ربع سكان العالم؟!.

هذه الخطبة المهيجة كان الصدر يرتجلها أمام جمهور شيعي مسلّح لأنه علّمهم بأن السلاح زينة الرجال... فهل كان الفلسطينيون مدركين لأبعاد ومدلولات أقوال الصدر؟! هذا ما ستتحدث عنه في فصل آخر من هذا الكتاب إن شاء الله.

الصدر وثوّار الخميني:

(بدءاً من عام ١٩٦٩م أخذ الصدر يتصرف بحرية في لبنان، فقد رفضت الحكومة اللبنانية تسليم الجنرال تيمور بختيار -مؤسس السافاك الذي لوحق بتهمة التآمر ضد الشاه- ولجأ إلى بيروت. عند ذاك قطعت إيران علاقاتها الدبلوماسية مع لبنان. فاستغلّ الصدر بعينيه الثاقبتين، هذا الفراغ للقيام بانجازاته الكبرى) [٢].

لم يقطع الصدر صلاته مع السلطات الإيرانية، لكنه أقام روابط تعاون وثيقة مع المعارضة التي تستهدف الشاه، وتساءل الذين يتابعون الأحداث: هل الصدر عميل مزدوج، أم هو أصبح من أنصار أستاذه وصهره الخميني؟!.

---

(١) المصادر السابقة، وجاء دور المجوس، الطبعة التي سبقت العاشرة، والصحف اللبنانية الصادرة بعد عام ١٩٧٥م.

(٢) الحروب السرية في لبنان، (ص: ٢٦٩).

ففي عام ١٩٧٢م، أدخل الصدر بعض معارضي النظام الإيراني إلى لبنان بصورة غير مشروعة، وتحت ستار إدارة مدرسة مهنية في صور، تولّى الإيرانيان عبّاس زاني الملقّب بأبي شريف ومصطفى جمران تدريب الشباب الشيعة على القتال في بعض معسكرات منظمة فتح الفلسطينية.. ثم تضاعف تعاونه مع المعارضة، فقام بتأمين أوضاعهم وتنقلاتهم في كل من سورية ولبنان، وكانوا ساعده الأيمن في تنظيم حركة المحرومين وجناحها العسكري [أمل].. واستمرت الأمور على هذه الحال إلى أن وصل السفير الإيراني منصور كادار إلى بيروت، وهو من ضباط السافاك السابقين، ويعرف الصدر معرفة دقيقة.. وأخذ كل منهما يضايق الآخر على الساحة اللبنانية الضيقة.. وكان أول ما فعله السفير تجميد الحوالات المالية الموجّهة للصدر، وانتهت بتجريده من الجنسية الإيرانية في عام ١٩٧٧م [1]، مع أن الجنسية الإيرانية لا تنتزع من صاحبها مهما كانت الأسباب.

كل الإجراءات الزاجرة التي اتخذتها إيران الشاه ضده لم تفتّ من عضده لأنه أصبح شخصيةً مرموقةً على مستوى العالم العربي، والمعارضة اشتدّ عودها، ونهاية الشاه باتت قريبة، لاسيما وأن الصدر شديد الذكاء يحسن قراءة السطور وما وراءها، وصار المال يأتيه من كل حدب وصوب عربي.

---

(١) الحروب السرية في لبنان، (ص: ٢٦٧)، مصدر سابق.

المبحث الثالث

علاقات الصدر العربية

مدّ الصدر جسوره مع السفراء العرب في بيروت منذ وقت مبكر، وكان كعادته يخاطب كل سفير باللغة التي تستهويه، فهو تقدمي ثوري مع التقدميين الثوريين، ورجعي محافظ مع الرجعيين المحافظين.. وأهم ما كان يحدثهم به ويدعوهم إليه: نبذ التعصب الطائفي والدعوة إلى التقارب بين السنة والشيعة، وبين المسلمين والنصارى.. وتأييد حق الفلسطينيين في المقاومة من أجل العودة إلى وطنهم وديارهم.. مناشدة اللبنانيين والعرب بالتدخل لنشر السلام في لبنان، ونشر روح الأخوة بين أبناء الوطن الواحد.

ومن أخص مهام السفراء إقامة علاقات متينة بين بلدانهم والدول التي يقيمون فيها، وأن تكون علاقاتهم طيبةً مع جميع الطوائف، وها هو رئيس المجلس الشيعي الأعلى يقرع أبوابهم، ويطلب التعاون معهم، ويخاطبهم بلغة جديدة لم يخاطبهم بها من قبل أي مرجع شيعي في لبنان.. ولهذا فقد كانوا يردون على تحيته بأحسن منها، ويرحبون به أجمل ترحيب ويرسلون التقارير إلى دولهم عن أهمية هذا الرجل ويقترحون دعوته إلى زيارة بلدانهم.

قام الصدر بزيارة أكثر البلدان العربية، وكان الملوك والرؤساء الذين استقبلوه مبهورين بحلاوة لسانه، وحسن خطابه، وعدالة المطالب التي يرفع لواءها.. وكان بعد زيارة المسؤولين في كل بلد يزور علماءها ومعاهدها ومراكزها الإسلامية ثم يتواصل معها بعد عودته إلى لبنان. ويقول عنه من خدع به من أبناء ملتنا: من لا يعرفه وهو يحاضر في مسألة من المسائل لا يعرف هل هو سني أم شيعي!!.

ففي عام ١٩٦٣م قام برحلة إلى شمال إفريقيا استمرت شهرين وتنقل خلالها بين

الجزائر والمغرب ومصر، وفي عام ١٩٧٠م شارك في مؤتمر سنوي لمجلس البحوث الإسلامية. وفي تاريخ ١٩/ ٤/ ١٩٧١م زار قناة السويس وألقى خطبة بالقوات المسلحة المصرية أكد فيها على أهمية الجهاد ضدّ إسرائيل الغاصبة، وفي عام ١٩٧٣م شارك في المؤتمر السنوي السابع لملتقى الفكر الإسلامي المنعقد في الجزائر[1]. أما السعودية ودول الخليج فزياراته لها كثيرة، وكان في كل زيارة يجري لقاءً صحفياً مع أشهر صحف البلد، ثم يوعز إلى مؤيديه نشر هذه المقابلة في صحف أخرى.

---

(١) الإمام موسى الصدر، أباذري، مصدر سابق.

حوارهم المزعوم مع النصيريين

في [٣/ ٧/ ١٣٩٢ هـ] جرت اتصالات بين شيوخ الطائفتين: النصيرية والإمامية الإثني عشرية، وبعد عدة جلسات اكتشفوا أنهم أبناء طائفة واحدة، وجاء هذا الاكتشاف الغريب بعد أكثر من ألف عام من العداوة، وتكفير الثانية للأولى. ثم أصدروا بياناً نشرته [دار الصادق] ببيروت تحت عنوان [العلويون شيعة أهل البيت] وتحت هذا العنوان، عنوان آخر بخط أصغر، [بيان عن عقيدة العلويين أصدره الأفاضل من رجال الدين من المسلمين [العلويين] في الجمهوريتين السورية واللبنانية].

وعن الجانب الشيعي لم يذكر إلا اسم الشيخ حسن مهدي الشيرازي، مع أنه لا دور له يذكر في هذه المسألة التي كانت من إعداد وتخطيط وإخراج موسى الصدر الذي كانت تربطه صلة وثيقةٌ مع الجنرال حافظ الأسد قبل أن يقوم بانقلابه العسكري عام ١٩٧٠م. وهذه الصلة لم تكن بعيدةً عن أطماع الشاه في المنطقة العربية، هذا من جهة.. ومن جهة ثانية فحافظ الأسد كان أول رئيس جمهوريه لسورية من غير المسلمين، ومن غير أهل السنة، ويصعب جداً على السوريين أن يهضموا رئيساً من أبناء الطائفة النصيرية. واجه الجنرال الأسد هذه المعضلة بحلٍ ذي دعامتين:

الأولى: هو قومي عربي، وزعيم من زعماء حزب البعث العربي الاشتراكي. وهذه الطوائف - كما يرددون دائماً - تفرّق الأمة وتفتّ من عزيمتها، ومن ثم فإن الإنقلاب العسكري الذي يتزعمه يشمل كل الطوائف، ويجب أن لا يغيب عن أذهان المواطنين بأن الأسد يقود انقلاباً عسكرياً، والهيمنة في ظل هذا الانقلاب لقانون الطوارىء، الذي لا يحكمه قانون ولا ضوابط.

الثانية: الطائفة النصيرية الذي هو أحد أبنائها اسمها اليوم [الطائفة العلويّة]، وهو الاسم الذي أطلقته فرنسا عليهم منذ استعمارها لسورية عام ١٩٢٠ م. والجديد في الأمر هو هذا البيان الذي يستخفّون فيه بعقول الناس عندما يقولون لهم: إن العلويين هم من الشيعة الإمامية الإثني عشرية. يقول صديق حافظ أسد وكاتب سيرته: [أجرأ ملامح سياسة الأسد الخارجية -التي أعيد تشكيلها لمواجهة عالم كامب ديفيد- كانت بلا شك وقوفه مع إيران الثورة، مما خلق شيئاً جديداً تماماً في المنطقة، أي: محوراً شيعياً يمتد من طهران عبر دمشق إلى جنوب لبنان].

وقال أيضاً:

(وبالنسبة للرأي العام العربي، وحتى المحلي، كان قرار الأسد بدعم إيران محيّراً ومثيراً للجدل والخصومة. وقد خلق له هذا الخيار نزاعاتٍ مع العالم العربي، وأدخل[1] إلى تقييم القادة الآخرين له عنصراً من القلق والمخاوف).

والأكثر دقةً وموضوعيةً قول مؤلفيّ كتاب الحروب السرية في لبنان:

(والأسد مدين بذلك لصديقه الصدر الذي أنقذه عام ١٩٧٣ م من ورطة وقع فيها. ففي ذلك الحين، اتهم علماء دمشق السنيّون الرئيس -ومعلوم أنه علوي [أي مارق]- أنه أغفل ذكر الإسلام لدين رئيس الدولة في الدستور الجديد، فسارع الإمام الصدر إلى توقيع فتوى تُقر بأن العلويين هم من المسلمين الشيعة. وهذا النص لا قيمة قانونية

---

(١) عن كتاب الأسد، الصراع على الشرق الأوسط، لمؤلفه: باتريك سيل. والمؤلف لم يكن أميناً ولا صادقاً، لأن تعاون أسد مع إيران وشيعتها كان منذ انقلابه العسكري عام ١٩٧٠، وفي عهدي الشاه والخميني، وقبل كامب ديفيد التي زعم المؤلف أنه بسببها كان هذا التحالف.

حقيقية له باعتبار أن واضعه لا يحمل صفة آية الله المطلوبة لمثل هذه الأعمال)[(١)].

مَنْ حسن الشيرازي؟: إيراني قلباً وقالباً قدم إلى لبنان عام ١٩٧٠ م ليؤدي دوراً يخدم الطائفة في لبنان -كما يقول- ويخدم إيران ومرجعتيه كما نقول.

ولم يكن مرحباً به من قبل موسى الصدر، لأنه منافس له في بلد لا يتحمل مثل هذه المنافسة. وعندما أدرك الشيرازي أن أبواب المجلس الشيعي الأعلى مغلقة أمامه أسس [جماعة علماء الشيعة]، وهذا منه تكريس لصراعه مع الصدر، لكنهما لم يجدا بداً من الاتفاق والتعاون في بعض القضايا، ومنها ما سمّي حوار الشيعة مع النصيرية.

كانت علاقات الشيرازي مع خصم الصدر اللدود كامل الأسعد قويةً، وازدادت قوتها بعد اختفاء الصدر. ففي تاريخ ٢٥/ ٤/ ١٩٨٠ م عقدا -الأسعد والشيرازي- اجتماعاً ضم عدداً كبيراً من علماء الشيعة، وملأت الإشاعات أجواء الطائفة عن أن الغرض من هذا الاجتماع الاتفاق على وحدة علماء الطائفة ثم على خلافة الصدر. وفي: ٢/ ٥/ ١٩٨٠م أي بعد الاجتماع بأسبوعٍ واحدٍ غادر الشيرازي فندق [انترناشيونال] بعد زيارته لصديق له فأطلق أحد المسلّحين النار عليه فقتله دون أن يصاب سائقه بأذى، وكان على بعد أقل من[٥٠٠ متراً] عن الفندق، وبسبب الفوضى التي تسود لبنان لم تعرف السلطات الجهة التي تقف وراء هذا القاتل، وراجت إشاعات كثيرة، فمن قائل: إنها المخابرات العراقية لأن المغدور كان مقيماً بالعراق ومعارضاً لنظامه، وقائل آخر: إنها

---

(١) الحروب السرية في لبنان، (ص: ٢٦٥)، مصدر سابق. ولعل المؤلّفين يتحدثان عن موقف آخر من المواقف التي وقف الصدر فيها إلى جانب حافظ الأسد، أما الفتوى الأولى فكانت قبل هذا التاريخ.

المخابرات الأمريكية لأنها هي التي جنّدته وأرسلته إلى لبنان، فخانها وعمل ضدها. والذي أراه أن المستفيد الأول من اغتياله حركة أمل وغيرها من أتباع موسى الصدر.

نقلت جثة الشيرازي إلى إيران، ودفن في مدينة قم، ولم يكن غيابه كغياب الصدر، فكأنه بعد حينٍ من الزمن لا حلَّ في لبنان ولا رحل منها.(١)

نعود إلى الحديث عن البيان الذي صدر عن طائفتي: النصيرية والشيعة الإثني عشرية. كنت قد سمعت به قبل صدوره عن [دار الصادق]، واحتفظت فيما بعد بنسخة منه، فقدتها داخل مكتبتي أكثر من مرة بسبب صغر حجمها، ثم وجدتها بعد البحث الشاق، ورأيت نشرها بعد حذف المقدمة التاريخية التي تحدثوا فيها عن مواقفهم الوطنية المشرّفة [على حدّ قولهم]، والوثائق الفرنسية والبريطانية تكذّب ادّعاءهم، وكذلك المذكرات العربية المنشورة، وفي كتبي الأخرى تحدثت طويلاً عن تاريخهم الأسود الكالح، والشاهد في هذا البيان: هل عقيدتهم هي عقيدة الشيعة الإثني عشرية، وهل العلوية [النصيرية] والشيعة الإثني عشرية اسمان لمسمّى واحد؟!، **فإليكم البيان ثم مناقشتنا لأهم ما ورد فيه:**

مقـدّمـة

بقلم سماحة العلاّمة السيد حسن مهدي الشيرازي

بســم الله الرّحمن الرّحيم

---

(١) الصحف ووكالات الأنباء الصادرة بعد اغتياله، ومنها القدس برس:[٦/ ٥/ ١٩٧٨م، وصحيفة الأنباء الكويتية: ٢٩/ ٩/ ١٩٧٨م].

الحمد لوليه، والصلاة والسلام على نبيه، والأطهار من عترته.

وبعد:

لقد وفقني الله تعالى لزيارة إخواننا المسلمين [العلويين] في الجمهورية العربية السورية من ٣ - ٧ شعبان ١٣٩٢ هـ، ثم زرت إخواننا المسلمين [العلويين] في طرابلس - لبنان، وذلك على رأس وفد من العلماء بأمر من سماحة الإمام المجدد المرجع الديني أخي: السيد محمد الشيرازي دام ظله، فالتقيت بجماعة من أفاضل علمائهم ومثقفيهم، وبجموع من أبناء المدن والقرى في جوامعهم ومجامعهم، وتبادلنا معهم الخطب والأحاديث، فوجدتهم -كما كان ظني بهم- من شيعة أهل البيت الذين يتمتعون بصفاء الإخلاص، وبراءة الالتزام بالحق.

وهذا البيان الذي أجمع عليه الأفاضل من علمائهم خبرٌ يصدق الخبَر، فمن خلاله يرفع إخواننا المسلمون [العلويون] رؤوسهم فوق ما تبقى من ضباب الطائفية ليقولوا كلمتهم عالية مدوّية: إننا كما نقول، لا كما يقول المتقوّلون.

هذا البيان الذي يقدمه إلى الرأي العام أصحاب الفضيلة من شيوخهم هو واضح وصريح لأداء دلالتين: الأولى: أن العلوين هم شيعة ينتمون إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالولاية، وبعضهم ينتمي إليه بالولاية والنسب، كسائر الشيعة الذين يرتفع انتماؤهم العقيدي إلى الإمام علي (ع) وبعضهم يرتفع إليه انتماؤه النسبي أيضاً.

الثانية: أن [العلويين] و[الشيعة] كلمتان مترادفتان مثل كلمتي [الإمامية] و[الجعفرية]، فكل شيعي هو علوي العقيدة، وكل علوي هو شيعي المذهب.

وأود هنا – كأي مسلم له حق الحسبة – أن ألفت أنظار الذين يهملون قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [النساء: ٩٤] ألفت أنظارهم، إلى أنه قد انتهى عصر التقاطع الذي كان يسمح بالتراشق بالتهم، وجاء عصر التواصل الذي لا يسمح بمرور الكلمة إلا عبر الأضواء الكاشفة.

وأسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين كافة على ما فيه خيرهم ورضاه تعالى، إنه ولي التوفيق..

حسن مهدي الشيرازي

لبنان – بيروت

١١ ذي القعدة الحرام – ١٣٩٢ هـ

عقيدتنا

الدين:

نعتقد أنه ما شرعه الله سبحانه لعباده على لسان رسول من رسله. وآخر الأديان وأكملها هو الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩]. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران]

الإسلام:

هو الإقرار بالشهادتين: [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله] والالتزام بما جاء به النبي ﷺ من عند الله.

الإيمان:

هو الاعتقاد الصادق بوجود الله سبحانه وملائكته وكتبه ورسله مع الإقرار بالشهادتين.

أصول الدين:

نعتقد أن أصول الدين خمسة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد. ويجب معرفتها بالبرهان والدليل الموجب للعلم لا بالظن أو التقليد.

التوحيد:

نعتقد بوجوب وجود إله واحد لا شريك له، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، خالق للكائنات كلّيها وجزئيها، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]

وهو كما أخبر عن نفسه بقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

العدل:

نعتقد بأن الله تعالى عدل منزه عن الظلم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، ولا يحب الظالمين، وأنه تعالى، إثباتاً لعدله ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولا يأمر الناس إلا بما فيه صلاحهم، ولا ينهاهم إلا عما فيه فسادهم (﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]

النبـوة:

نعتقد بأن الله سبحانه، لطفاً منه بعباده، اصطفى منهم رسلاً وأمدّهم بالمعاجز الخارقة وميّزهم بالأخلاق العالية، وأرسلهم إلى الناس ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، لتبليغ رسالاته، حتى يرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم، ويحذّروهم عما فيه فسادهم في الدنيا والآخرة (﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨].

والأنبياء كثيرون وقد ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، أولهم أبونا آدم وخاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وهو نبي ورسول أرسله الله للعالمين كافة بشيراً ونذيراً، وشريعته السمحة آخر الشرائع الإلهية وأكملها، وهي صالحة لكل زمان ومكان.

ونعتقد أن الله عصم الأنبياء من السهو والنسيان وارتكاب الذنوب عمداً وخطأً قبل النبوة وبعدها، وجعلهم أفضل أهل عصورهم وأجمعهم للصفات الحميدة.

الإمامة:

نعتقد أنها منصب إلهي اقتضته حكمة الله سبحانه لمصلحة الناس في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة والمحافظة بعدهم على تطبيق شرائعهم وصونها من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة.

ونعتقد أن اللطف الإلهي اقتضى أن يكون تعيين الإمام بالنص القاطع والصريح ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨]، وأن يكون الإمام معصوماً مثل النبي عن السهو والذنب والخطأ لكي يطمئن المؤمنون بالدين إلى

الاقتداء به في جميع أقواله وأفعاله، والأئمة عندنا اثنا عشر، نصّ عليهم النبي وأكّد السابق منهم النص على إمامة اللاحق.

ونعتقد أن الإمام الذي نصّ عليه الله تعالى وبلّغ عنه رسوله الأمين في أحاديث متواترة هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عبد الله وأخو رسوله وسيد الخلق بعده. وجاء النص بعده لابنيه سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام وبعدهما للتسعة من ولد الحسين: الإمام زين العابدين علي بن الحسين، فابنه الإمام الباقر محمد بن علي، فابنه الإمام الصادق جعفر بن محمد، فابنه الإمام الكاظم موسى بن جعفر، فابنه الإمام الرضا علي بن موسى، فابنه الإمام الجواد محمد بن علي، فابنه الإمام الهادي علي بن محمد، فابنه الإمام الحسن بن علي الملقّب بالعسكري، فابنه الإمام الثاني عشر صاحب الزمان الحجة المهدي، عجّل الله به فرج المؤمنين، وسيظهره الله في آخر الزمان فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

المعاد:

نعتقد أن الله سبحانه وتعالى يبعث الناس أحياء بعد الموت للحساب ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج]، فيجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [النجم]. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة].

وكما نؤمن بالمعاد فإننا نؤمن بجميع ما ورد في القرآن الكريم والحديث الصحيح من

أخبار البعث والنشور والحشر، والجنة والنار، والعذاب والنعيم، والصراط والميزان، وما إلى ذلك ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران].

أدلة التشريع عندنا أربعة:

١ . القرآن الكريم:

نعتقد أن المصحف الشريف المتداول بين أيدي المسلمين هو كلام الله تعالى لا تحريف فيه ولا تبديل ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

٢ . السنة النبوية:

وهي عندنا ما ثبت عن النبي من قول وفعل وتقرير، وهي المصدر الثاني للتشريع. ونعتقد أن من أنكر حكماً من أحكامها الثابتة فهو كافر مثل من أنكر حكماً من أحكام القرآن، لأن السنة النبوية لا تتعارض مع الكتاب الكريم اطلاقاً، ويلحق بها ما ثبت عن الأئمة الطاهرين قولاً وفعلاً وتقريراً.

٣. الإجماع:

نعتقد أن ما أجمع عليه المسلمون من أحكام الدين، وفيهم الإمام المعصوم، فهو دليل قطعي، ولو خفي علينا مستنده من الكتاب والسنة، والإجماع بهذا التعريف لا يتعارض مع نصوصها.

٤. العقل:

الدليل العقلي حجة إذا وقع في سلسلة العلل أو كان من المستقلات العقلية. ويقتصر استعمال الدليل العقلي في الفقه عندنا على المجتهد، وهو من حصلت عنده ملكة تساعده على استنباط الأحكام الفرعية من أدلتها التفصيلية. والمرجع المقلَّد عندنا هو: (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظا لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه) كما ورد عن صاحب الزمان عجّل الله فرجه.

فروع الدين:

نعتقد أنها كثيرة، وكنا نؤثر أن نكتفي بذكر بعضها رغبة في الإيجاز، محيلين المتطلع إلى المعرفة، والمرجف، والجاهل، والمتعنّت، إلى كتب علمائنا المبثوثة في المكاتب فهي تفصل عقائدنا بوضوح. ولكننا، انسياقاً مع خطتنا التي رسمناها في هذا البيان، رأينا أن نتعرض لذكر بعضها بكثير من الإيجاز، وخصوصاً العبادات منها:

الصلاة:

نعتقد أنها ﴿ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء]، وأنها عمود الدين، وأهم العبادات التي فرضها الله تعالى على عباده، وأحب الأعمال إليه (إن قبلت قبل ما سواها، وإن ردت ردت ما سواها).

ونعتقد أن الصلوات المفروضة يومياً خمس: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ومجموع ركعاتها سبع عشرة ركعة، تقصر الرباعية منها إلى النصف في حالات السفر والخوف.

ونعتقد أن من الصلوات الواجبة: صلاة الجمعة والعيدين مع استكمال شروطها، وصلاة الطواف الواجب، وصلاة الميت ووو... الخ.

كما نعتقد أن من الصلوات المستحبة النوافل أو السنن، ومجموع ركعاتها أربع وثلاثون ركعة في الأوقات الخمسة، وتعرف عندنا بالرواتب اليومية، ويجوز الاقتصار على بعضها كما يجوز تركها جميعاً.

ونعتقد بحصول الثواب على فعل المستحبات، وبعدم العقوبة على ترك فعلها.

الأذان والإقامة:

نعتقد باستحبابهما قبل الدخول في الصلاة، وفصول الأذان عندنا ثمانية عشر فصلاً، وفصول الإقامة سبعة عشر.

أما الشهادة لعلي عليه السلام بالولاية فنعتقد استحباب ذكرها فيهما بعد الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة، كما نعتقد أن عدم ذكرها لا يؤثر في صحة إقامتهما.

الصوم:

نعتقد أنه من أركان الدين الإسلامي، ويجب على كل مكلف مستطيع امتثالاً لقوله سبحانه (﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] وهو شرعاً الإمساك عن المفطّرات من أول الفجر الصادق إلى المغرب الشرعي مع نية القربة، ويجب في شهر رمضان وفي موارد أخرى مذكورة في كتب الفقه.

الزكاة:

نعتقد أنها من الأركان التي بني عليها الإسلام، ولها شرائط عديدة مذكورة في

كتب الفقه، وتجب في النقدين: الذهب والفضة والأنعام الثلاثة: الإبل والبقر والغنم، والغلات الأربع: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، وتستحب في موارد أخرى.

الخُمُس:

نعتقد أنه حق واجب فرضه الله بقوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

الحج:

نعتقد بأنه واجب لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧] ويجب على كل مسلم بالغ عاقل، ذكراً كان أم أنثى، مرة واحدة في العمر، بشرط الاستطاعة وتخلية السرب: (أي الأمن على النفس والمال والعرض).

الجهاد:

نعتقد بأنه من أركان ديننا، ويجب من أجل الدعوة إلى الإسلام، ووجوبه كفائي. ويجب أيضاً من أجل الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين وعن النفس والعرض والمال، ووجوبه عيني على كل من يستطيع أن يقدّم نفعاً.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

نعتقد أنها من فروع الدين. ونعتقد أن الله أمر بكل خير وسمّاه معروفاً، أمر إيجاب أو ندب، ونهى عن كل شر وسمّاه منكراً، نهي تحريم أو كراهة ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

الولاء والبراء:

ومعناهما المحبة لله ولأنبيائه وللأئمة الطاهرين، والبراءة من أعداء الله.

أما بقية فروع الدين، ومنها الزواج والطلاق، والخلع والظهار والإيلاء، ومنها أحكام كالدّيات والقصاص والكفّارات، ومنها معاملات كالبيع والشراء والضمان والمزارعة والمساقاة وسواها. فإننا نعمل بها وفق نصوص مذهبنا الجعفري، دون خلاف، مستندين إلى مراجعه الكثيرة وأهمها للفقهاء المجتهدين: الكتب الأربعة: الكافي للكليني، والتهذيب والاستبصار للطوسي، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، وللمقلدين [بكسر اللام] الرسائل العلمية وهي فتاوى الفقهاء المراجع.

الخاتمة

هذه هي معتقداتنا نحن المسلمين [العلويين] ومذهبنا هو المذهب الجعفري الذي هو مذهب من عرفوا بالعلويين والشيعة معاً، وإن التسمية: [الشيعي والعلوي] تشير إلى مدلول واحد وإلى فئة واحدة هي الفئة الجعفرية الإمامية الإثني عشرية.

وإننا لنسأل الله أن يكون في بياننا هذا من الحقائق ما يكفي لإزاحة الضباب عن عيون الجاهلين والمغرضين، وأن يجد فيه القريب والبعيد، والمنصف والمتحامل، منهلاً عذباً ومرجعاً مقنعاً.

وإننا لنعتبر كل من ينسب إلينا أو يتقوّل علينا بما يغاير ما ورد في هذا البيان مفترياً أو مدفوعاً بقوى غير منظورة يهمها أن تتفرق كلمة المسلمين فتضعف شوكتهم، أو جاهلاً ظالماً لنفسه وللحقيقة، ولا قيمة لقول أحدهما عند العقلاء المتقين.

هذا بياننا ينطق علينا بالحق، وللمطلع عليه أن يحكم بها يشاء، وعليه التبعة أمام الله والدين والوطن. ومن الله وحده نستمد العون ونسأله التوفيق إلى ما فيه وحدة أمة نبينا محمد ﷺ وصلاحها في دينها ودنياها بتعارفها وتآلفها وتسامحها وتعاونها على البر والتقوى وعلى جهاد أعدائها المتربصين الشر بنا جميعاً دون استثناء.

والحمد لله أولاً وآخراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أسماء وعناوين أصحاب الفضيلة رجال الدين موقعي هذا البيان من المسلمين [العلويين] في الجمهوريتين: العربية السورية واللبنانية:

الأستاذ إبراهيم جمال – اللاذقية.

الأستاذ إبراهيم سعود – حلبكو – جبلة.

الأستاذ إبراهيم صالح معروف – حمص.

الأستاذ إبراهيم حرفوش – المقرمدة بانياس، مقيم باللاذقية.

الشيخ إبراهيم حسن النجار – الشبطلية – مقيم باللاذقية.

الشيخ إبراهيم الكامل، خطيب في مسجد الإمام علي (ع) طرابلس – لبنان.

الشيخ أحمد علي حلوم – الشبطلية – مدرس ديني في منطقة اللاذقية.

الشيخ أحمد محمد رمضان، إمام مسجد كرم غيزل – صافيتا.

الأستاذ الحاج أحمد عيد الخير – قرداحة، مقيم باللاذقية.

الشيخ اسماعيل شحّود – اللاذقية.

الشيخ حسين سعود – حلبكو – جبلة.

الشيخ حسن عباس آل عباس بيصين – المشرفة – مصياف.

الشيخ حبيب صالح معروف – حمص.

الحاج الشيخ حامد عامودي الطرابلسي – حمص.

الأستاذ الشيخ حمدان الخير، خطيب جامع بالقرداحة.

الشيخ حسن محمد علي – الدالة – جبلة.

الشيخ حيدر محمد حيدر، إمام مسجد الحصنان.

الشيخ سلمان خليل الوقاف، إمام مسجد دريكيش.

الشيخ رجب سعيد خليل – اللاذقية، مفتي منطقة بانياس.

الشيخ سلمان أحمد سلمان – حمين – صافيتا.

الشيخ سليمان حسن – اللاذقية.

الشيخ سلمان أحمد خضر – جبلة.

الحاج الشيخ سليمان عيسى مصطفى – خطيب جامع الإمام الصادق (ع) في حريصون.

الأستاذ صالح علي صالح – عين التينة – الحفة – مقيم في دمشق.

الحاج الشيخ عبد الرحمن الخير – القرداحة، مدرس ديني، مقيم في دمشق.

الشيخ عبد اللطيف إبراهيم مرهج – الدبدابة – صافيتا.

الحاج الشيخ عبد الكريم علي حسن – حمين – خطيب جامع الإمام علي (ع) في طرطوس.

الحاج الشيخ عبد اللطيف الخير – إمام جامع بالقرداحة.

الشيخ عبد الكريم الخطيب.

الشيخ عباس ميهوب حرفوش – المقرمدة – بانياس.

الشيخ عبد اللطيف شعبان كفرفو – صافيتا.

الشيخ عبد الله عابدين – مفتي منطقة الحفة.

الشيخ عبد الهادي حيدر – أبو قبيس – مصياف.

الشيخ علي عبد الله، خطيب مسجد الصفصافة – صافيتا.

الحاج الشيخ علي عبد الرحمن كنكارو – جبلة، المفتي والمدرس الديني في صافيتا.

الشيخ علي أحمد محمد كتوب – الدريكيش.

الشيخ علي حسن علي – برمانة المشايخ – طرطوس.

الشيخ علي محمود منصور – طرابلس – لبنان.

الشيخ علي معروف إبراهيم – الرستين – اللاذقية.

الشيخ علي عيسى حسن – جبلة.

الشيخ علي عزيز إبراهيم – طرابلس – لبنان، متخرج من كلية الفقه في النجف الأشرف.

الشيخ علي إبراهيم حسن.

الدكتور علي سليمان الأحمد – اللاذقية.

الشيخ غانم ياسين – اللاذقية.

الشيخ فضل فضّة – بكسا – اللاذقية.

الشيخ فضل غزال – تلاّ – الحفة، مجاز من كلية الفقه في النجف الأشرف.

الشيخ كامل حاتم: خطيب مسجد الإمام زين العابدين (ع) في مشتقيتا – اللاذقية.

الشيخ كامل الخطيب، إمام مسجد في جيبول – جبلة.

الشيخ كامل صالح معروف – بيت الشيخ ديب – صافيتا، خطيب مسجد الإمام الصادق (ع) في حمص.

الشيخ محمد حامد، قاضي شرعي متقاعد – مقيم بطرطوس.

الشيخ محمود صالح يوسف، مدرس ديني وخطيب جامع الإمام الحسين (ع) في بانياس.

الشيخ محمد حمدان الخير – القرداحة.

الشيخ محمود سليمان الخطيب – جيبول – جبلة، مقيم باللاذقية.

الأستاذ محمد علي أحمد، قرداحة، خطيب جامع الإمام الرضا (ع) في جبلة.

الشيخ محمد محرز – الشبطلية – اللاذقية، قاضي شرعي متقاعد.

الشيخ محمد يوسف حمدان عمران – ضهر بشير – صافيتا، مقيم في حمص.

الحاج الشيخ محمود مرهج – بحنين – طرطوس، مدرس في دريكيش ومجاز من النجف الأشرف وكلية الشريعة بدمشق.

الشيخ محمد علي رمضان.

الشيخ محمود أحمد عمران – ضهر بشير – صافيتا، مقيم بطرطوس.

الشيخ محمود محمد سلمان – الجبيلية جبلة.

الشيخ محمود علي الشريف – بشرائيل – صافيتا، مقيم في طرابلس – لبنان.

الشيخ محمود سعيد – اللاذقية.

الشيخ محمود علي سلمى – طرابلس – لبنان.

الأستاذ محمد بدر – الشامية – اللاذقية.

الشيخ مسعود صالح حلّوم – الرستن – اللاذقية.

الأستاذ مصطفى السيد – بعمرة – صافيتا، مدرس ديني في سمت قبلة – جبلة، ومجاز من جامعة الأزهر.

الشيخ معلّى محمد عبد الرحمن.

الشيخ منصور صالح عمران، خطيب مسجد الإمام الصادق (ع) في الطليعي – صافيتا.

الشيخ معروف بدر – الشامية – اللاذقية.

الحاج الشيخ نصر الدين زيفا – لواء الاسكندرون – مقيم في دمشق.

الشيخ ياسين محمد اليونس – بيت الشيخ يونس – صافيتا، قاضي شرعي متقاعد، مقيم في طرطوس.

الشيخ ياسين عبد الكريم محمد – المصطبة – صافيتا.

الشيخ يوسف حسن يوسف – طرابلس – لبنان.

الشيخ يوسف حلّوم – شبطلية – مجاز من كلية الشريعة بدمشق.

الشيخ يوسف صارم، مدرس ديني في دريوس وخطيب جامع الإمام الصادق (ع) في اللاذقية.

الشيخ يوسف إبراهيم اليونس – بيت الشيخ يونس – صافيتا، قاضي شرعي متقاعد.

الشيخ يونس حسن خدّام.

الشيخ يونس محمد – بيت نافلة – دريكيش.

الشيخ يوسف غانم الخطيب – طرابلس – لبنان.

مناقشة ما ورد في البيان

- هل صحيح بأن النصيرية والشيعة الإثني عشرية اسمان لمسمى واحد؟!

- ليس صحيحاً هذا القول، وهو محض افتراء، وهذه هي أدلتنا:

أولاً: موقف أهل السنة وعقيدتهم في النصيرية :

قال الشهرستاني: (قالوا-أي النصيرية- ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل، أما في جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص، والتصور بصورة أعرابي، والتمثل بصورة البشر، وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه، فكذلك نقول: إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص.

ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي رضي الله عنه، وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم ، فمن هنا أطلقنا اسم الإلهية عليهم، وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي رضي الله عنه دون غيره لأنه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار).(١)

ويقول العلاّمة شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمود بن مري الشافعي في

---

(١) الملل والنحل، تأليف أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. دار المعرفة ببيروت: (١ / ١٨٨).

سؤاله لشيخ الإسلام ابن تيمية:

(ما تقول السادة العلماء أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين وأعانهم على إظهار الحق المبين، وإخماد شغب المبطلين في النصيرية القائلين باستحلال الخمر، وتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وإنكار البعث والنشور.. والجنة والنار في غير الحياة الدنيا، وبأن الصلوات عبارة عن خمسة أسماء وهي: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة.. فذكر هذه الأسماء الخمسة على رأيهم .. يجزئهم عن الغسل من الجنابة والوضوء وبقية شروط الصلوات وواجباتها، وبأن الصيام عندهم عبارة عن اسم ثلاثين رجلاً واسم ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم، ويضيق هذا الموضع عن إيرادهم، وبأن إلههم الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب ﷺ، فهو عندهم الإمام في الأرض والإله في السماء.. فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت [أي حلول الإله في الجسم الإنساني] على رأيهم؟).

وأضاف:

(فمن حقيقة الخطاب عندهم والدين.. أن نعلم أن علياً هو الرب وأن محمداً هو الحجاب وأن سلمان الفارسي هو الباب... وأن إبليس الأبالسة هو: عمر بن الخطاب [لعنهم الله وأخزاهم] ودونه في الإبليسية: أبو بكر ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين ونزههم وأعلى رتبهم عن أقوال الملحدين وانتحال الغالين المفسدين... ولا يزالون في كل وقت ملعونين حيثما ذكروا).[1]

---

(١) جواب شيخ الإسلام ابن تيمية على سؤال الإمام العلامة شهاب الدين بن مري الشافعي جاء في وثيقة تاريخية لا يستغني عنها أي باحث في موضوع الباطنية في جميع العصور التي تلت عصر ابن تيمية. فأكد -بعد أن شرح حالهم- بأنهم أكفر من اليهود=

ليس بين علماء وأئمة أهل السنة -الذين يعتد بقولهم- من يقول بقول مخالف لفتوى شيخ الإسلام ابن تيمية والشهرستاني وغيره من علماء الفرق.

ثانياً: موقف الشيعة الجعفرية:

قال الصدوق القمي [أستاذ الشيخ المفيد]:

(اعتقادنا في الغلاة والمفوّضة أنهم كفار بالله جلّ اسمه وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة، وأنهم ما صغر الله جلّ جلاله تصغيرهم بشيء كما قال الله: [ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس: كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون]).

والمفوّضة كما قال الرازي: (قوم يزعمون أن الباري خلق روح علي وأولاده وفوّض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسموات. قالوا: ومن هنا قلنا في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى لأن الإله الأعلى علي وأولاده، وأما الإله الأعظم فهو الذي فوّض إليهم العالم).

وروي عن أبي محمد الحسن العسكري (ع) أنه كتب ابتداء منه إلى أحد مواليه (إني

=والنصارى، وأكفر من كثير من المشركين، وأنه لا تجوز مناكحتهم، ولا استخدامهم في ثغور المسلمين وهو -من يستخدمهم- بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم. ولينظر من شاء الفتوى في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية المجلد [٣٥] (ص:١٤٥-١٦٠).

أبرأ إلى الله من ابن نصير الفهري، وابن بابا القمي، فابرأ منهما. وإني محذرك وجميع مواليّ، ومخبرك أني ألعنهما عليهما لعنة الله فتّانين مؤذيّين أذاهما الله. يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً وأنه باب، ويْله لعنه الله سخر منه الشيطان فأغواه. فلعن الله من قبِل منه ذلك، يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه فافعل. وابن الفهري هو محمد بن نصير قالت فرقة بنبوته، وذلك أنه ادّعى النبوة وأن علي بن محمد أرسله. وكان يقول بالتناسخ وبإباحة المحارم، وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده).

ويقول النوبختيّ :

(... وقد شذّت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدّعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري. وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنه أحد الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئاً من ذلك. وكان يقوي أسباب هذا النميري محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات).

والنوبختيّ من متكلمة الشيعة الإثني عشرية، ومن أعلم الناس بالنصيرية لأنه من رجال القرن الثالث الهجري وهذا يعني أنه حديث العهد بمؤسس هذه الفرقة وبرجالها).

وفي رواية سعد القمي: (أن يحي بن عبد الرحمن بن خاقان رأى ابن نصير وغلام له على ظهره -أي على ظهر ابن نصير-، قال ابن خاقان: فلقيت ابن نصير، فعاتبته بذلك، فقال: إن هذا من اللذات، وهو من التواضع لله وترك التجبر).

وإذا كان هذا صنيعهم مع الرجال، فلا بد أن يكون مع النساء أكثر لأن المرأة في نظرهم محتقرة، ويعتقدون أن نفس المرأة تموت بموت جسدها، ولهذا فلقد أباحوا المحارم، واستباحوا الزنا بنساء بعضهم بعضاً.

وقصارى القول: هذه هي عقيدة الإثني عشرية في الفرقة النصيرية، وليس بين مراجعهم في القديم والحديث من لا يرى كفرها، ويعلن براءة مذهبهم منها. أحد علمائهم المعاصرين [محمد حسن الزين] يؤكد هذه المعاني بشدة، ويعتبر خلط الشيعة الإثني عشرية بالفرق الغالية سياسة انتهجها الأمويون والعباسيون لتشويه صورة آل البيت في أعين الناس.

هذه هي فتاوى كل من أئمة أهل السنة والجماعة وأئمة ومراجع الإمامية الشيعية الإثني عشرية. إنها في نظر الجميع فرقة مارقة من الدين، وليس هناك مخالف في جميع العصور.. وإذا كان الأمر كذلك، فما هو الجديد الذي دفع موسى الصدر وحسن الشيرازي إلى إصدار هذا البيان؟! هل أعلن شيوخ النصيرية براءتهم من تأليه علي بن أبي طالب ﷺ، وهل تخلوا عن عقيدة التناسخ وإنكار اليوم الآخر و الجنة و النار؟!.

لا، لم يتخلوا عن هذا ولا ذاك ولا يزالون متمسكين بعقائدهم المعروفة، بل إن خطرهم اليوم أشد من خطرهم بالأمس، وهذه هي أدلتي:

*** - المستشرقون:**

اهتم المستشرقون أشد الاهتمام بالطوائف الغالية وخاصة بالطائفة النصيرية، فزاروا مناطقهم، وأقاموا علاقات مع أعيانهم وشيوخهم، وحصلوا على مخطوطات

ورسائل سرية، ومما يسّر لهم ذلك انفتاح أهل الحل و العقد من أبناء الطائفة على غير المسلمين والعرب.. وكان من أشهر هؤلاء المستشرقين:

لويس ماسينيون [١٨٨٣-١٩٦٢]: يقول عبد الرحمن بدوي: كتب ماسينيون في سنة ١٩٣٧ مجملاً عن كتب النصيرية، ثم ذكر البدوي أكثر من مائة وستين كتاباً ومخطوطة في جميع العصور، وأماكن حفظها في مكتبات أوروبا.

وإنه لجهد مدهش، لم يتهيأ لأحد من قبله، ولا أظن من بعده. ومما ساعده على ذلك أنه كان لهذه الطائفة دولة في ظل الاستعمار الفرنسي، وما كانوا يخشون من ضغط حكومة ولا قانون.

وكتب لويس ماسينيون مادة [النصيري] وقدمها للمسؤولين عن دائرة المعارف الإسلامية بتاريخ [٢٩/ ٣/ ١٩٣٣] ودائرة المعارف أهم مرجع لعدد كبير من المفهومات والأحداث الإسلامية التاريخية، وقد كتب موادها عدد كبير من المستشرقين المتخصصين.

وخلاصة ما كتبه ماسينيون في دائرة المعارف لا يختلف عما كتبه الباحثون المحققون من علماء أهل السنة، فهم فرقة شيعية متطرفة تؤمن بالحلول وتناسخ الأرواح، بل وينقل في بعض ما كتب عن المصادر الإسلامية التي مر ذكرها فيما مضى.

- الموقف النصيري:

١- منهم من فارق دينه الباطني، وكشف أسرار الطائفة [التي لم تتغير ولم تتبدل عما كانت عليه منذ بضعة قرون]، لأصدقاء له من أهل السنة، وقدم إليهم ما يعرفه من رسائل خطية، لكن هؤلاء آثروا السرية في مفارقتهم لدينهم كي لا يتعرضوا للهلاك الذي لحق ببعض من أعلن إسلامه.

٢- (ومنهم من هداه الله مع طائفة كبيرة من قومه في قضاء تلكلخ، ونشر بياناً في الصحف جاء فيه اعتراف بما كان عليه من زيغ، وما كان في عقيدتهم من أسرار مباينة لدين الله، ثم دعوة للمتخلفين أن يلحقوا بالركب المهتدي إلى النور)، وأظن أن ذلك كان في عام ١٩٣٦ كما قال الأستاذ محمد المجذوب في كتابه: [الإسلام في مواجهة الباطنية. ص:٨٣]. ويضيف المجذوب: (... وقد رد الله آلافاً من الحيارى المضلَّلين في منطقة شين وغيرها، وبينهم كثير من دعاة الباطنية والمرشدية.. ومعهم كثير من المخطوطات السرية التي لا سبيل أبداً إلى إنكارها).

٣- ومنهم من أصر على دينه، ولم يجد حرجاً في إعلان مبادئ عقيدته على الملأ. يقول الأستاذ المجذوب: (لقد وقف بالأمس [١٩٣٨] محام معروف من نصيرية اللاذقية يقول للمحكمة الشرعية: إن موكِّليّ النصيريين يرفعون دعوى [فلان] المسلم الذي يقتضيهم حق النفقة بوصفه أخاً لهم من أبيهم، يدفعونها بكونه مختلفاً عنهم في الدين، واختلاف الدين موجب لحرمانه حق النفقة والإرث!.

فلما رد عليه القاضي بألا خلاف في الدين، لأن النصيري ليس إلا أحد المسلمين،

أصر المحامي على دفعه، ثم أخذ يعلن على الملأ عقيدة القوم في صراحة عجيبة، وعلى صورة كانت مفاجئة للسامعين، لأنهم ما كانوا ليتصوروا مثل هذا التباعد بينها وبين الإسلام!.

ومضى المحامي في إيضاح هذه الألغاز إلى الحد الذي كان كافياً لإقناع القاضي بالحكم لمصلحة موكّليه.. وبذلك فقد المدَّعي المسلم حق الإرث والنفقة من تركة أبيه النصيري.

وكان لهذه الدعوى يومئذ دويّ هائل هزّ دوائر الدولة، فضلاً عن أوساط الشعب، ووجد فيه الفرنسيون فرصة طيبة للاستغلال الواسع.. على أن المهم في الأمر أن أحداً من شيوخ النصيرية لم يقل كلمة في الاحتجاج أو الاعتراض على الفكرة، واعتبر سكوت القوم على هذه المرافعة يومئذٍ إعلاناً صريحاً بتصديق ما ذهب إليه صاحبها)[١].

ولد محمد المجذوب عام ١٩٠٧م وتوفاه الله في نهاية القرن الماضي، وعاش شطراً من حياته في طرطوس والشطر الثاني [قبل أن ينتقل إلى المدينة المنورة] في اللاذقية، وخلال هذا العمر المديد كان على صلة مع النصيرية.. درّس أبناءهم، وصادق شيوخهم، وحصل على كثير من رسائلهم السرية. زرته عام ١٩٦٠ في اللاذقية، وسمعت منه الغرائب عن أخلاق القوم وديانتهم، وكنت في بداية اهتمامي

(١) كان المدعي في هذه القضية محمد سعيد أبو شريف من اللاذقية، وهو من أم مسلمة وأب نصيري، وكان محامي الدفاع الأديب المعروف الأستاذ إبراهيم عثمان صاحب مجلة [الأماني] المحتجبة. أما تاريخ الدعوى فهو عام ١٩٣٨. عن كتاب محمد المجذوب [الإسلام في مواجهة الباطنية].

بهذا الشأن، وأخبرني أنه سيصدر كتاباً جامعاً عن النصيرية. فهو إذن عاش معهم قبل احتلال الفرنسيين لسورية، وأثناء هذا الاحتلال، وبعد الاستقلال، وجلّ من قائل: (ولا ينبّئك مثل خبير)[فاطر].

٤- في سجلات وزارة الخارجية الفرنسية وثيقة محفوظة تحت رقم [٣٥٤٧ بتاريخ ١٥/ ٦/ ١٩٣٦م] رفعها زعماء الطائفة النصيرية في سورية، وهذا نصها:

دولة ليون بلوم، رئيس الحكومة الفرنسية.

بمناسبة المفاوضات الجارية بين فرنسا وسورية، نتشرف نحن زعماء ووجهاء الطائفة العلوية في سورية أن نلفت نظركم ونظر حزبكم إلى النقاط التالية:

أ- إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة، بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس، هو شعب يختلف بمعتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني، ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة مدن الداخل.

ب- إن الشعب العلوي يرفض أن يلحق بسورية المسلمة، لأن الدين الإسلامي يعتبر دين الدولة الرسمي، والشعب العلوي بالنسبة إلى الدين الإسلامي يعتبر كافراً، لذا نلفت نظركم إلى ما ينتظر العلويين من مصير مخيف وفظيع في حالة إرغامهم على الالتحاق بسوريا عندما تتخلص من مراقبة الانتداب، ويصبح بإمكانها أن تطبق القوانين المستمدة من دينها.

ج-إن منح سوريا استقلالها وإلغاء الانتداب، يؤلفان مثلاً طيباً للمبادئ الاشتراكية[١] مع سوريا، إلا أن الاستقلال المطلق يعني سيطرة بعض العائلات المسلمة على الشعب العلوي كليلكيا واسكندرون وجبال النصيرية.

أما وجود برلمان وحكومة دستورية فلا يظهر الحرية الفردية. إن هذا الحكم البرلماني عبارة عن مظاهر كاذبة ليس لها أية قيمة، بل يخفي في الحقيقة نظاماً يسوده التعصب الديني على الأقليات، فهل يريد القادة الفرنسيون أن يسلطوا المسلمين على الشعب العلوي ليلقوه في أحضان البؤس.

د- إن روح الحقد و التعصب التي غرزت جذورها في صدر المسلمين العرب نحو كل ما هو غير مسلم هي روح يغذيها الدين الإسلامي على الدوام، فليس هناك أمل في أن تتبدل الوضعية. لذلك فإن الأقليات في سورية تصبح في حالة إلغاء الانتداب معرضة لخطر الموت والفناء، بغض النظر عن كون هذا الإلغاء يقضي على حرية الفكر و المعتقد.

إننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق المسلمين يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على توقيع وثيقة يتعهدون بها بعدم إرسال المواد الغذائية إلى إخوانهم[٢]

---

(١) حكومة ليون بلوم كانت اشتراكية، فهم يتوددون إليها من جهة، ومن جهة أخرى فإن بين الاشتراكيين وغلاة الشيعة قواسم مشتركة.

(٢) يتحدثون في وثيقتهم عن الثورة التي فجرها الشيخ الجليل عز الدين القسام، فهل كان يهود فلسطين الذين تدعمهم الوكالة اليهودية العالمية، ويدعمهم الإنجليز المحتلون، وأوروبا وأمريكا من وراء بريطانيا هل كان هؤلاء بحاجة إلى دعم حفنة من يهود سوريا؟! وهل يتعظ المغفلون من أبناء جلدتنا الذين ينتظرون من نظام هذه الطائفة المارقة أن يحرر لهم فلسطين؟! هزلت.

المنكوبين في فلسطين، وحالة اليهود في فلسطين هي أقوى الأدلة الواضحة الملموسة على عنف القضية الدينية التي عند العرب المسلمين لكل من ينتمي إلى الإسلام، فإن أولئك اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام، ونشروا فوق أرض فلسطين الذهب والرفاه، ولم يوقعوا الأذى بأحد، ولم يأخذوا شيئاً بالقوة، ومع ذلك أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة، ولم يترددوا في أن يذبحوا أطفالهم ونساءهم بالرغم من وجود انكلترا في فلسطين وفرنسا في سوريا . لذلك فإن مصيراً أسود ينتظر اليهود والأقليات الأخرى في حالة إلغاء الانتداب وتوحيد سوريا المسلمة مع فلسطين المسلمة. هذا التوحيد هو الهدف الأعلى للعربي المسلم).

ويضيفون في وثيقتهم:

(أما طلب السوريين بضم الشعب العلوي إلى سوريا فمن المستحيل أن تقبلوا به أو توافقوا عليه، لأن مبادئكم النبيلة إذا كانت تؤيد فكرة الحرية فلا يمكنها أن تقبل أن يسعى شعب إلى خنق حرية شعب آخر لإرغامه إلى الانضمام إليه.

قد ترون أن من الممكن تأمين حقوق العلويين والأقليات بنصوص المعاهدة، أما نحن فنؤكد لكم أن ليس للمعاهدات أية قيمة إزاء العقلية الإسلامية في سوريا، وهكذا استطعنا أن نلمس قبلاً في المعاهدة التي عقدتها انكلترا مع العراق التي تمنع العراقيين من ذبح الآشوريين واليزيديين. فالشعب العلوي، الذي نمثله، نحن المجتمعون والموقعون على هذه المذكرة، يستصرخ الحكومة الفرنسية والحزب الاشتراكي الفرنسي ويسألهما ضماناً لحريته واستقلاله ضمن نطاق محيطه الصغير، ويضع بين

أيدي الزعماء الفرنسيين الاشتراكيين، وهو واثق من أنه واجد لديهم سنداً قوياً أميناً لشعب مخلص صديق، قدم لفرنسا خدمات عظيمة مهدد بالموت والفناء.

الموقعون:

عزيز آغا الهواش، محمد بك جنيد، سليمان المرشد [1]، محمود آغا جديد، سليمان أسد، محمد سليمان الأحمد.

أيها البلهاء من أبناء أمتنا، ما معنى قولهم: (إن روح الحقد والتعصب التي غرزت جذورها في صدر المسلمين العرب نحو كل ما هو غير مسلم هي روح يغذيها الدين الإسلامي على الدوام)!!.

هذا المقطع، بل هذا البيان واضح صريح لا يحتاج إلى شرح أو تعليق، فهم شيء والإسلام شيء آخر، وهم شيء والعرب شيء آخر، فلهم دينهم الخاص، وقوميتهم الطائفية الخاصة.. وهم بعد ذلك وقبله متعاطفون بشدة مع كل الأقليات التي لا تدين بالإسلام: متعاطفون مع اليهود المنكوبين الطيبين في فلسطين [على حد قولهم].. متعاطفون مع الآشوريين واليزيديين الذين تعرضوا لمذابح على يد الهمج من المسلمين العرب في العراق.. متعاطفون مع المستعمر الفرنسي الصليبي ومع النصارى في كل من لبنان وسوريا.. وأخيراً فهم متعاطفون مع كل عدو للعرب والمسلمين.. وهم أنفسهم الذين اقتحمت كتائبهم مدينة حماة وهم يهتفون [عام١٩٦٤]:

---

(١) رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي، من مؤلفاتي، وكتاب النصيرية، للدكتور مجاهد الأمين، وكتاب العلويين .. من هم حقاً، للباحث تمام البرازي مخطوط.

هات سلاح وخذ سلاح   دين محمد ولّى وراح .

- ومن أجلهم وقفت إسرائيل بوجه الأمريكان عندما أرادوا إسقاطهم بعد مقتل الحريري لأن البديل سيكون أصولياً!!.
- وهم الذين أوكلت إليهم أمريكا وإسرائيل والنصارى اجتياح لبنان عام ١٩٧٦، وتدمير المخيمات الفلسطينية بالتعاون مع حلفائهم من الشيعة والموارنة، فحققوا في هذا الاحتلال ما عجزت عنه إسرائيل.
- وهم الذين نالوا تأييد الإخوان المسلمين في البلاد العربية وفي طليعتهم حركة حماس التي أصبحت حليفاً للنظام النصيري مع وجود القانون [٤٩] القاضي بإعدام كل من ينتسب للإخوان المسلمين السوريين، وناهيكم عن نشر التشيع في ربوع الشام، ومنع النقاب والتضييق الذي لا يحتمل على الدعاة.

٭- المسلمون في سوريا:(١)

أ- تحيط بجبال النصيرية مناطق يبلغ عدد سكانها أكثر من نصف عدد سكان سورية، ومن أهم مدنها: حلب، وحماة، وحمص، وإدلب، واللاذقية، وطرطوس.. ثم جبلة، وبانياس، وتل كلخ، ومعرة النعمان.. ومعظم سكان هذه المناطق من المسلمين، وهؤلاء يعيش النصيريون بينهم ويتعاملون معهم يومياً.

ب- للنصيريين وجود قوي في الجيش منذ تأسيسه عام ١٩٢١، وهؤلاء يختلطون مع

---

(١) ليس في سورية حاجة لتحديد نوعية المسلمين: هل هم شيعة أم سنة، لأن نسبة الشيعة أقل من ١٪، وإذن فالمسلمون فيها كلهم سنة.

المسلمين في مهاجع النوم، وفي المكاتب والمدارس العسكرية.

جـ- ليس من قرية من قرى جبل النصيرية إلا ودرَّس فيها معلم سني، فهو يسكن القرية ويختلط بأهلها وطلابها.

د- كان النصيريون يتكسبون من وراء بناتهم، فقد يبيعونها، وقد يؤجرونها خادمة لعشرين عاماً أو لأقل من ذلك، فكيف ننتظر من هؤلاء النسوة إخفاء ما يعرفن من أسرار بعد أن انقطعت صلتهن بأهلهن، وصار لهن أهل جدد؟!!.

فمن المسلمين الذين خالطوا النصيريين من اكتفوا بنقل ما رأوه لأصدقائهم، وكان شعارهم الحذر.

ومنهم من سجلوا ما سمعوه منهم وما وصل إلى أيديهم من وثائق ونشروه في كتب، لكن لا أظن أنها صدرت بأسمائهم الصحيحة. وكان من هذه الكتب:

- طائفة النصيريين تاريخها وعقائدها. تأليف الدكتور سليمان الحلبي.

- النصيرية. العلويون: عقائدهم، تاريخهم، واقعهم. تأليف الدكتور مجاهد الأمين.

- الجذور التاريخية للنصيرية العلوية. إعداد وتعليق الحسيني عبد الله. الناشر: مركز الخليج للكتاب الإسلامي، ودار الاعتصام.

- وعدد من مؤلفاتي مثل: وجاء دور المجوس، مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان بجزئيه الأول والثاني، ورؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي.. ولي بعض التجارب مع القوم، فقد زرت مناطقهم، ومنها قرية القرداحة عام ١٩٦٠، واستمعت إليهم وإلى أهل الخبرة من جيرانها.

- ولعل من أهم هذه الكتب، [الإسلام في مواجهة الباطنية] للأستاذ المجذوب لخبرته الواسعة في شؤونهم، وقد أشرنا إلى ذلك فيما مضى من هذا البحث، وسمعت أن له كتاباً آخر تحت عنوان [أخوتنا في الجبل] إلا إنني لم أتمكن من الحصول عليه.

- [الجيل التالي] كتاب لصديق شاء أن لا يذكر اسمه، تحدث فيه عن: التناسخ، والحلول، وعن صلاتهم المشبوهة محتفظاً ببعض الوثائق، ولا يخلو كتابه من متعة، لأنه كان يعرض معلوماته بطريقة فكاهية.

- العلويون .. من هم حقاً؟ مؤلفه تمام البرازي مخطوط، وغير ذلك من الكتب.

وهذه المؤلفات تؤكد أن عقيدة القوم لم تتغير ولم تتبدل، وإن تظاهروا بغير ذلك، وإن عضوا على تقيتهم بنواجذهم.. ومما يقتضي التنويه أن جميع هؤلاء المؤلفين رأوا وسمعوا.

*- هل أصبحوا طائفة واحدة؟!

لم يغير البيان أو يبدل شيئاً في عالم الواقع، وبشكل أكثر صراحة، فالبيان ليس أكثر من تحالف سياسي بين طرفين ضد المسلمين السنة، وإليكم الدليل:

في سنة [١٩٨٩] نشر كاتبان من أعيان النصيرية في طرابلس، ومن أهل الرأي فيهم كتاباً تحت عنوان: [المسلمون العلويون في لبنان] يدافعان به عن طائفتهم، ويردان على ما لحق بها من ظلم -على حد زعمهم- وفي نهاية الكتاب تحدثا بشكل أو بآخر، عن محاولات طائفتهم التي بذلوها من أجل تطبيق مضمون الاتفاق بينهم وبين الشيعة، وكيف انتهت إلى الفشل.

وهذا هو النص:

(.. وبدافع من هذا الوعي الاجتماعي تشكلت منهم [أي من النصيريين] طبقة واعية من الرجال المخلصين، أخذت تتابع اتصالاتها برجال الشيعة في لبنان على أساس التلاقي في منعطف الولاية، وكانوا يعودون بآمال مخيبة، وآخر لقاء بينهم كان في عهد الإمام موسى الصدر عطر الله ذكره، وكان يريد أن يفعل شيئاً ووعد بإدخال عضوٍ من العلويين في المجلس الشيعي الأعلى. ويبدو أنه اصطدم ببعض المتزمتين الذين يعيشون على تزمت التاريخ، فاعتذر عن عدم استطاعته تنفيذ هذا الوعد.

وهنا أيقن العلويون أن رغبتهم بالانضمام إلى إخوانهم الشيعة باءت بالفشل، فاستقر رأيهم على أن يطالبوا بحقوقهم كطائفة مستقلة فنظموا عريضةً وقّع عليها أهل الريف والمدينة من طرابلس وعكار، ضمت عشرة آلاف توقيع وذهب بها وفد من مثقفيهم ووجهائهم، وتقدموا بها إلى رئيس الجمهورية، وكان يومئذٍ سليمان فرنجية، وهو من مدينة زغرتا المجاورة لطرابلس، ولكن رئيس الجمهورية أحالها إلى وزارة الداخلية صاحبة الصلاحية المباشرة، وبعد الدراسة المقتضية على ضوء الأنظمة والقوانين سمح لهذه الطائفة أن تمارس حقوقها أسوة بغيرها، فتشكلت هيئة إدارية قوامها فريق من الشباب الطرابلسيين من أبناء هذه الطائفة، فأجمعوا أمرهم واتفقوا على تشكيل حركة تنظيمية سموها [حركة الشباب العلوي].

ووصل خبر تشكيل هذه الحركة إلى الإمام الصدر فتحرك من جهته لتلافي الأمر، وبدأ اتصالاته برجالات العلويين، وقدم لهم حلولاً أولية لاسترضائهم، كان من بينها تعيين مفتٍ جعفري لهم من بينهم، وقاضٍ على المذهب الجعفري، وفعلاً عيّن مفتياً

جعفرياً من العلويين، وعيّن قاضياً جعفرياً من الشيعة، لكن هذا الأخير مع الأسف لم يكن على المستوى المطلوب، فقد كان أداة تنفيذ أكثر منه أداة تقريب وتشجيع، وبدلاً من أن يساهم هذا القاضي في رأب الصدع، ساهم في بعد الشّقة وتنفير أبناء الطائفة عن فكرة الانضمام)[1] ا.هـ.

تبين لنا من خلال الأدلة التي عرضناها أن أساس هذا البيان قائم على الكذب والتضليل والمراوغة، ونتائجه سياسية شيطانية مجردة عن كل دين وأخلاق، واللذان وقّعاه عن الجانب الشيعي الإمامي رجلان معمّمان لكنهما متهمان بارتباطهما بأجهزة مخابرات، وليسا من مراجع الشيعة التي يُعتد برأيها.

---

(١) المصادر التي اعتمدت عليها في مناقشة ما ورد في البيان:

- الملل والنحل، الشهرستاني: (١/ ١٨٨).
- الشيعة في التاريخ، محمد حسن الزين: (ص:٢٢٥).
- الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، الحسيني عبد الله: (ص٩١).
- فرق الشيعة، النوبختي، دار الضياء، بيروت، منشورات عام ١٩٨٤: (ص٦٧).
- مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين: (ص١١٦٧-١٢٥٠).
- الإسلام في مواجهة الباطنية، محمد المجذوب: (ص:٨٥).
- المقالات و الفرق، سعد القمي: (ص:١٠٠).
- المسلمون العلويون في لبنان، تأليف: أحمد علي حسن، حامد حسن: (ص١٨٦ و ١٨٧).
- الصلة بين التصوف والتشيع، الدكتور كامل مصطفى الشيبي، دار المعارف بمصر: (ص١٤٥).
- العلويون.. من هم حقاً، تمام البرازي: (ص:٨٢) مخطوط.

وأحسب أن رجلاً طيباً بسيطاً، لا يعرف أساليب كل من الشيعة والنصيرية سيوجه إلينا السؤال الآتي:

كيف يتنكر القوم لأصول دينهم وفتاوى مراجعهم جيلاً بعد جيل.. وكيف يستخفّون بعقول الناس من شتى الديانات والملل.. وكيف تكون مواقف مراجعهم بين السكوت و التصديق؟!

وجوابنا: هؤلاء من أكذب الطوائف والملل، وأكثرها تضليلاً وخداعاً، وليس هذا هو الموقف الأول لهم في التاريخ... ومنذ ظهور التشيع حتى يومنا هذا غيّروا وبدّلوا في دينهم، وأضافوا إليه ما ليس منه مرات ومرات، وتحدثنا فيما مضى عما فعلوه في عهد الصفويين، وكانوا [الشيعة الإمامية، والنصيرية، والإسماعيلية] يتعاونون مع كل عدو يحتل أرضنا، ويستبيح بيضتنا، فهم جميعاً يعظمون: نصير الدين الطوسي، والعلقمي، وتيمورلنك، وكل منهم يدّعي أن هؤلاء الطواغيت المجرمين من طائفته.. وإذا رحل العدو الذي يدعمهم في بلادنا، وقويت شوكة الإسلام وأهله، عادوا إلى تغيير أسلوبهم مع المسلمين الحاكمين، كما عادوا إلى القتال فيما بينهم، وتكفير بعضهم البعض.

بل ليست هذه المرة الأولى التي تتلاعب فيها النصيرية بدين الطائفة، فمرة يزعمون أنهم سنّة، ومرة يزعمون أنهم شيعة إمامية، وفي غير هذه وتلك يزعمون أنهم نصارى .

فعند دحر صلاح الدين الأيوبي للصليبيين حاول إصلاح الطائفة فبنى لهم المساجد فأطاعوه، وأقاموا الصلاة وصاموا رمضان.. ولكنهم بعد وفاته رحمه الله عادوا إلى ما كانوا عليه من معتقدات، وخربوا المساجد وجعلوها زرائب للحيوانات. وكرر المحاولة الظاهر بيبرس بعد هزيمته للتتار، فألزمهم ببناء المساجد بقراهم، فبنوا بكل قرية مسجداً،

ولكن ابن بطوطة مرّ بالساحل السوري بعد هذه الفترة في القرن التاسع الهجري فروى ما رآه بقوله: (وأكثر أهل هذه السواحل هم الطائفة النصيرية، الذين يعتقدون أن علياً بن أبي طالب إله، وهم لا يصلون ولا يتطهرون ولا يصومون، وكان الملك الظاهر ألزمهم ببناء المساجد بقراهم، فبنوا بكل قرية مسجداً بعيداً عن العمارة، ولا يدخلونه ولا يعمرونه، وربما آوت إليه مواشيهم ودوابهم، وربما وصل الغريب إليهم فينزل بالمسجد ويؤذن للصلاة فيقولون له: لا تنهق علفك يأتيك بعد قليل).

وللسلطان العثماني سليم تجربة أخرى، فقد قاتلهم ودحرهم إلى جبالهم بعد أن أفتى علماء الإسلام بكفرهم ووجوب قتالهم .. ثم حاول إصلاحهم ببناء المساجد وغيرها، ولكنهم بعد مدة رجعوا إلى ما كانوا عليه.

وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني لاحظ متصرف اللاذقية ضياء بك أن يداً تلعب بعواطف النصيرية، وأن وجود مدارس الأمريكان في بعض أنحاء الجبال مضر بسياسة الدولة.. فماذا يفعل؟ أحضر إليه أكثر رؤساء النصيرية، وكتب بحضورهم مضبطة في مجلس إدارة اللواء بأن جميع طوائف النصيرية دخلت عن رضا وطيبة خاطر في الدين الإسلامي الحنيف.. ووقع هؤلاء على المضبطة وانصرفوا.. وبعد ذلك أقفلت الدولة مدارس الأمريكان.. ثم بنت لهم نحو أربعين مدرسة، وكذلك أعادت إصلاح المساجد التي بنيت من قبل.

وعندما أقام رئيس الجمهورية السورية الجنرال أديب الشيشكلي لجاناً لامتحان المدرسين والخطباء والأئمة، وحظر على أي كان اتخاذ المظهر الخاص بهم إلا إذا كان يحمل إجازة من إحدى هذه اللجان .. صار شيوخ الطائفة النصيرية جعفريين إماميين،

وانتشرت بينهم نشرات صغيرة في المذهب الجعفري لتزويد شيوخهم بما لابد من معرفته من المبادئ الأولية لهذا المذهب الذي ما كان لمعظمهم علم به أو خبر عنه من قبل، ونجحوا جميعاً، ثم عادوا بعد الشيشكلي إلى ما كانوا عليه.

وذهب المستشرق [ريسو] وغيره على أن لفظ نصيري له صلة بلفظ نصراني أو نصارى، وليس ذلك بمستبعد خاصة إذا لاحظنا أن النصيريين لا يزالون يحتفظون ببعض التقاليد والطقوس الدينية قريبة الشبه بالمسيحية، بالإضافة إلى مشاركتهم للنصارى في كثير من أعيادهم: كعيد الغطاس، وعيد السعف، وعيد العنصرة، وعيد القديسة بربارة، وعيد الميلاد، وعيد الصليب[1]، ومشاركتهم معهم في الحلول.

وكل الذي عنيته فيما نقلت أن القوم يغيّرون ويبدّلون في العلن أما في السر فهم محافظون على عقائدهم الموروثة.

و السؤال الأخير الذي يفرض نفسه بعد فراغنا من مناقشة مضمون البيان:

في هذا العصر: عصر التكنولوجيا والذرة و الكمبيوتر.. هل ما زال ناس من أهله يؤمنون: بالتناسخ، والحلول وتأليه علي بن أبي طالب، ويزعمون بأن

---

(١) المصادر:

١- الحركات الباطنية في الإسلام ، د.محمد أحمد الخطيب.

٢- مذاهب الإسلاميين، د. عبد الرحمن بدوي.

٣- الحروب السرية في لبنان، أني لوران، أنطوان بصبوص.

٤- طائفة النصيرية، د. سليمان الحلبي.

٥- الإسلام في مواجهة الباطنية، محمد المجذوب.

القمـر وجهـه ولا يمكـن الصـعود إليـه، والرعـد صـوته، ومـا إلى ذلـك مـن أباطيـل وترهات؟!.

الجواب:

نعم، لا تزال الطائفة النصيرية تعتقد ذلك، وإن أعلنت خلاف ما تبطن ولشيوخها سلطان قوي فوق سلطان العشيرة بل فوق سلطة رئيس الجمهورية والوزراء وقادة الجيش والأمن إن كانوا من أبناء هذه الطائفة. وكما قلنا فيما مضى:

هناك من أبنائهم من تشيع، كما نسمع اليوم.. وناس منهم تسننوا في هذا العصر وما سبقه، ولقد رأيت في مدينة أنطاكية بعض هؤلاء الذين منّ الله عليهم بنعمة الهداية.. رأيتهم في مساجدها وعلمت أنهم تسنّنوا خلال إقامتهم في ديار الحرمين [مكة والمدينة].

ومن أبنائهم من لا يدين بدين، لكنه يخفي ذلك خوفاً من أن يحلّ به مكروه على أيدي شيوخ الطائفة.

ومنهم من يحُارَب ويُضطهد من جهتين:

من جهة أبناء عمومتهم الذين سيطروا على مقاليد الحكم في شامنا منذ أكثر من أربعين عاماً.

ومن جهة عموم أهل الشام الذين يشكوّن بهم لأنهم من أتباع النظام، ولا يعرفون اضطهاد النظام لهم.

وإذا استثنينا الذين تسنّنوا منهم وهم قلة قليلة، فجميعهم يتعصبون للطائفة. لأنهم ورثوا الحقد عن آبائهم وأجدادهم، وكل من ليس من طائفتهم عدو لهم، وألد هؤلاء الأعداء أهل السنة والجماعة.

صفحة جديدة من العلاقات السورية الإيرانية

يظن معظم الناس في بلادنا أن العلاقات السورية الإيرانية بدأت بعد سقوط الشاه محمد رضا بهلوي عام ١٩٧٩م. وهذا الظن خطأ محض، وغياب مؤسف عن أحداث التاريخ، ومن كان هذا شأنه، فذاكرته مثقوبة، وهو ابن يومه يتأثر بما يسمع من أخبار، فيأخذها على ظاهرها دون أن يدقق بالجهة التي روجت الخبر ومدى مصداقيتها، وما هي أهدافها.. وهو -إن سلم من الهوى- يغيّر قناعاته بين يوم وآخر.

مما لا جدال فيه، أن العلاقات السورية الإيرانية بدأت بعد صدور البيان الآنف الذكر[1]، والذي قال موقّعوه: إن الشيعة الجعفرية و العلوية [النصيرية] وجهان لعملة واحدة، أو كل واحدة منهما تعني الأخرى، أو نحو ذلك، وفيما يلي ننقل عن وكالات الأنباء وسائر الصحف ووسائل الإعلام، ما يؤكد وجود هذه الروابط بين البلدين:

- بعد العاشر من رمضان [١٣٩٣هـ]، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها استقبلت إيران كثيراً من المصابين السوريين، وعولجوا في مستشفى [شفا يحيى ثيان].

وفي العام نفسه [١٣٩٣هـ] نشطت الاتصالات بين البلدين، وأجرت صحيفة [الإخاء الإيرانية] مقابلات: مع أحمد اسكندر رئيس تحرير جريدة الثورة السورية ثم وزير الإعلام، ومع عطية جودة مدير المكتب الثقافي وعضو مركز الإعلام الحزبي، ثم مع محمد حيدر نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية .. وكان كل من هؤلاء يشيد بإيران، ويشيد بتعاونها:

---

(١) كان صدوره بتاريخ: ٣/ ٧/ ١٣٩٢هـ.

الاقتصادي والثقافي والإعلامي مع سورية، ويدعو إلى مزيد من التعاون والتنسيق.

- في [٩/ ٥/ ١٣٩٤] زار محمد العمادي وزير الاقتصاد و التجارة السوري طهران، وأجرى محادثات مع نظيره الإيراني، وتوج هذا اللقاء وما سبقه من زيارات إلى تشكيل لجنة مشتركة تعقد اجتماعاً سنوياً لها في كل من طهران ودمشق من أجل الإشراف على المشاريع الاقتصادية والسياحية في كل من البلدين، وقال الوزير السوري بعد توقيع الاتفاق:

(إن الاتفاق يعكس وجهات النظر في سوريا ولبنان، وإن الروابط التي تربط بين الشعبين روابط عريقة).

وبعد عدة شهور قام هوشيك أنصاري وزير المالية والاقتصاد الإيراني بزيارة لدمشق، وعقد اجتماعاً مع نظيره السوري، قوّما فيه مسيرة تعاونهما الاقتصادي، واقترحا دراسة مشاريع اقتصادية جديدة.

- وفي [٧/ ١٠/ ١٩٧٥] قام محمد العمادي وزير الاقتصاد والتجارة السوري بزيارة لإيران أسفرت عن قرض قدمته إيران لسورية قيمته [١٥٠ مليون دولار]، وعن اتفاقيات أخرى: الأولى مشروع مشترك لإنتاج اللحوم في منطقة سد الفرات على أن يتم تصدير القسم الأعظم من هذه اللحوم إلى إيران، والثانية بناء معمل كبير لإنتاج الأسمدة الكيماوية في سورية، والثالثة إنشاء خط حديدي يمتد من القامشلي إلى طهران، وهذا من أغرب ما اتفقوا عليه، فالخطوط الحديدية على الأغلب تقام لأغراض سياسية، ومن جهة أخرى، فإن معظم مشاريعهم التي اتفقوا عليها كان المطلوب تنفيذها في أرض الجزيرة السورية على حدود العراق، فهل هي خطة البلدين لخنق عراق صدام حسين؟!.

- وعلى الصعيد السياسي قام عباس علي خلعتبري وزير خارجية إيران بزيارة سورية

[١٦/ ٨/ ١٩٧٥] تلبية لدعوة تلقاها من نظيره السوري عبد الحليم خدام الذي زار طهران مرات متعددة حاملاً معه رسائل من الرئيس السوري إلى شاه إيران، وقابل خلعتبري حافظ الأسد وسلمه رسالة من الشاه.

- توجت هذه الأنشطة والاتصالات بين البلدين بزيارة حافظ الأسد لطهران في أوائل كانون الثاني من عام ١٩٧٦م فاستقبله الشاه، ورحّب به ترحيباً حاراً، وكان من فقرات هذه الزيارة: اجتماع مغلق بين الزعيمين غاب عنه الوفدان السوري والإيراني، وخرج عن المألوف في مثل هذه الزيارات، مما أثار حفيظة الإعلاميين والدبلوماسيين، وحاولت صحيفة السياسة الكويتية كشف شيء من أسرار اجتماع الزعيمين المغلق في لقاء لها مع الشاه في [٢٠/ ١/ ١٩٧٦]، وكان أهم ما ورد في المقابلة هذا السؤال:

جلالة الشاه، علمت هنا أنك عقدت اجتماعاً مطولاً ومغلقاً مع الرئيس السوري الأسد، وإن هذا الاجتماع لم يحضره سوى مترجم، فهل بالإمكان معرفة ما دار؟!.

الشاه: لا أخفي عليك بأننا تحدثنا عن أشياء كثيرة وإن اللقاء كان شخصياً، ولم يحضره الوفد السوري، ولا الوفد الإيراني، لقد تحدثنا عن قضايا عدة سواء فيما يتعلق بقضايا منطقة الخليج أو الشرق الأوسط، إنه اجتماع مفيد ومهم. وأضاف أنه تدارس مع الأسد الحرب الدائرة في لبنان، وأن الأسد عرض عليه خطة لحل الأزمة، ووافق عليها الشاه.

وزار رئيس الجمهورية اللبنانية سليمان فرنجية دمشق بعد عودة أسد من طهران، وعقد الرئيسان اجتماعاً مغلقاً لم يحضره رئيسا الحكومتين: السورية واللبنانية، فلماذا تحاط هذه الاجتماعات بالسرية الباطنية، وهل لبنان ملك لأسد وبهلوي؟!.

وفي [١٩/ ١/ ١٩٧٦] أعلن موسى الصدر وقف القتال في لبنان، وهو السر الذي بحثه

الأسد مع الشاه، وطلب من فرنجية تنفيذه .. هذا السر تنقله وكالات الأنباء عن موسى الصدر، وليس عن مسؤول لبناني!.

ولا بدّ لي هنا من الإشارة إلى أمر خطير سبق زيارة أسد إلى طهران بقليل:

تداعت الدول العربية إلى عقد اجتماع على مستوى وزراء خارجية هذه الدول لبحث الحرب الدائرة في لبنان، غير أن سورية الأسد اعتذرت عن حضور هذا الاجتماع الذي عقد في القاهرة، لأنه لا يجوز تعريب قضية لبنان، وتعريب القضية سيكون على حساب الوجود الفلسطيني في لبنان.

ووجد الثعلب النصيري من يصدق كلامه، ويردد مثل الببغاء: نعم، ليس من مصلحة الفلسطينيين تعريب قضيتهم.. وإذ بهذا الذي رفض دراسة قضية لبنان مع وزراء الخارجية العرب يصطحب القضية كلها في رحلته إلى طهران ويبسطها بين يدي شاه الفرس في اجتماع مغلق، يعرف أسد أن شاه الفرس صار له نفوذ واسع في لبنان، فهو صديق خاص لكميل شمعون وللموارنة، وموسى الصدر رئيس المجلس الشيعي الأعلى يوافيه بتقارير دورية يطمئنه على أن أمر الشيعة صار بيده، ومنه يتلقون التعليمات، كما ويوافيه بانجازاته التي تفوق كل وصف، ومن أهمها تحالف الشيعة مع النصيرية. قال الشاه في لقاء له مع صحيفة السياسة الكويتية [٢٠/ ١/ ١٩٧٦] (ونحن آسفون لما يحدث للإخوة الشيعة في لبنان، ونريد أن نساعدهم بالطعام والأدوية، لكن السؤال: كيف يتم ذلك؟).

وإذاً: لا فرق بين الشاه وخامنئي وأحمدي نجاد، كل منهم يشعر بأنه مسؤول عن الشيعة في العالم، و المراجع التي كانت تنسق مع الشاه أهم من الخميني وخامنئي.

نعود قليلاً إلى زيارة أسد التاريخية لشاه الفرس. قال أسد في كلمة رداً على ترحيب محمد

رضا بهلوي به:

(لقد كنا نتابع من بعيد وبإعجاب شديد التقدم الكبير الذي حققته إيران تحت القيادة الحكيمة للشاهنشاه آريا مهر..) ثم وصف زيارته بأنها نقطة تحول إيجابية في تاريخ العلاقات بين البلدين.

- في [١١/ ١/ ١٩٧٦] استقبل المهندس صبحي كحّالة وزير الفرات عباس علي حجاريان مدير الإشراف والاتفاقات بوزارة الطاقة الإيرانية والوفد الفني المرافق له، وأبدى رئيس وأعضاء الوفد إعجابهم الشديد بما شاهدوه من الأعمال الفنية التي تنفذ حالياً من مشروع سد الفرات، وأكد أن الخبرة الفنية السورية ستكون مجال استفادة كبيرة للفنيين الإيرانيين أثناء تنفيذ قنوات الري في أراضي أصفهان بإيران.

- أشارت تقارير دبلوماسية من دمشق إلى نوع متقدم من التعاون الإيراني-السوري المجهول الأهداف، وأضافت التقارير أن عناصر من خبراء البوليس السياسي الإيراني [السافاك] وصلت دمشق في مهمة خاصة من أهم أهدافها تبادل المعلومات و الخبرات. وذكرت صحيفة القبس الكويتية في عددها [٦/ ٧/ ١٩٧٨] أن الرئيس المساعد للسافاك علي موتازيد عُيّن سفيراً لإيران في سورية، وسبق تعيين رئيس البوليس السياسي نعمة الله نصيري سفيراً لإيران في باكستان.

تعقيب:

في مرحلة الخمسينيات من القرن الماضي كانت تحتدم المناقشات بيننا وبين البعثيين [وأشباه البعثيين: كالناصريين، والقوميين العرب واليساريين]، وكنا إذا تحدثنا عن الوحدة الإسلامية، والأمة الإسلامية، يتشنجون، ويردون علينا بضجيج وإسهاب: هل

تريدون الوحدة مع شاه إيران!!.

- هذا الذي اعترف بالكيان الصهيوني، وتبادل مع إسرائيل التمثيل الدبلوماسي، واستعان بخبراتها في مختلف شؤون الحكم في بلده.

- وهذا الذي ابتلع الأحواز العربية وجزر عربية أخرى، ومنع اللغة العربية في مدارسها.

- وهذا الذي حوَّل بلاده إلى ترسانة أسلحة، ثم جاء الخبراء العسكريون ليقولوا لنا: إن معظم هذه الأسلحة مصممة للحروب الصحراوية أي ليحقق أطماعه التوسعية في السعودية، وجنوب العراق، وفي الخليج وشط العرب.. ثم يسترسلون في ذكر هذا وهذا.

حافظ أسد من هذا الجيل، ومن شبابه المتشددين كما يتحدث عنه كاتب سيرته باترك سيل، وكما أخبرنا بعض أصحابنا الذين زاملوه في ثانوية اللاذقية، وعلى هذا الخط المتشدد كان رفاقه الذين قاد انقلاباً عسكرياً ضدهم عام ١٩٧٠م.

فما الذي تغير حتى قال مخاطباً الشاه:

(لقد كنا نتابع من بعيد وبإعجاب شديد التقدم الكبير الذي حققته إيران تحت القيادة الحكيمة للشاهنشاه آريا مهر.).

أظنه كان صادقاً في كلمته هذه، وكاذباً في تلك، أي في هجومه على شاه إيران، وهذه هي الباطنية!!.

المبحث الرابع

اختفــاء الصدر

الصدر منذ ١٩٧٦ وحتى ١٩٧٨:

رجل السافاك الإيراني الذي أرسله الشاه محمد رضا بهلوي إلى لبنان عام ١٩٥٩م لتوحيد الشيعة، وليقودهم في مواجهة: الناصرية، والقومية العربية، والسنية، وليجعل منهم طابوراً خامساً تقوده الكسروية الحديثة سواء كانت [شاهنشاهية أو إمامية مهدوية].. هذا الرجل الوافد الغريب تربع على قمة المجد والسؤدد عام ١٩٧٦م بعد رحلة بدأت عام ١٩٥٩م بالبحث عن الجنسية، وانتهت إلى حال من الشهرة، لا أدري هل كان يتوقعها أم لا ؟.

لكن صعود الصدر نحو القمة كان سريعاً ومحاطاً بألغام قابلة للانفجار في أية لحظة، ومن جهة أخرى فقد غرّر وخدع جهات كثيرة ساعدته في صعوده ثم أدركت أن الإمام!! يقول شيئاً في العلن ويفعل في السر خلافه.. يحدثهم عن السلام و الأمن ثم يفاجئهم بأفواج المقاومة اللبنانية [أمل] وبشعاره الهادر: (السلاح زينة الرجال).. يشبعهم خطباً عن المحرومين وسوء توزيع الثروة ثم يعلن حربه الشعواء على من يرفعون هذا الشعار..

وبعد احتلال القوات السورية لبنان في مطلع عام ١٩٧٦م أصدر الإمام تعليماته السرية لشيعته بتقديم كافة أنواع الخدمات للقوات السورية، ولم تكن هذه التعليمات علنية مكتوبة في بيان أو مقال، وإنما رأى الناس تبدلاً في المواقف، وانقلاباً من النقيض إلى ضده على من وثقوا بهم في: جيش لبنان العربي، القوات الوطنية، وقوات منظمة التحرير،

بل وفي كل مدينة أو حي أو مخيم. ففي بعلبك والهرمل كانت الهزيمة التي لحقت بهذه القوات بسبب موقف واضح وقفه المفتي الجعفري في بعلبك ومجموعة من طائفته، وفي حي النبعة الذي يضم أغلبية شيعية وعد حزب الكتائب الإمام بعدم المساس بأبناء طائفته، فوثق بوعدهم وطلب من أهل الحي عدم الاشتراك بالقتال، لكن الكتائب نكثوا بوعدهم، ومسحوا الحي من جذوره، وطردوا سكانه، واكتفى الإمام بتعويضات مجزية قدمتها رئاسة الجمهورية [سليمان فرنجية].

وفي [٥/ ٨/ ١٩٧٦م] أوردت وكالة الأنباء الفرنسية الخبر التالي:

(دعا الإمام موسى الصدر إلى اجتماع في قاعدة رياق الجوية من أجل تشكيل حكومة محلية في المنطقة التي سيطرت عليها القوات السورية، وضم الاجتماع: أساقفة الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والموارنة الكاثوليك، وعدداً من أعيان البقاع ونوابها.).

كان هذا الإمام بقامته الفارعة، ولباسه الطائفي المميز الذي يوحي لمن يراه بأنه قادم إلى أرضنا من قرون خلت، بمثابة ظل لوزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام يؤازره، وينفذ التعليمات الموكلة إليه، ومنها اجتماع رياق، ومنها أيضاً: الدعوة إلى ميثاق وطني تكرس فيه رئاسة الجمهورية للموارنة، وكان مصيره إجماع المسلمين على مختلف مذاهبهم على رفضه، وما شذّ عنهم إلا الصدر وطغمته.

قطع الإمام خط الرجعة مع منظمة التحرير الفلسطينية وقلب لها ظهر المجن، وتنكر لكل ما قدمه له ياسر عرفات وإخوانه من خدمات ومساعدات، وراح يقدِّم لهم المطلب بعد الآخر، ويحرض الدول العربية ضدهم.

نقلت وكالة الأنباء الفرنسية [١٢/ ٨/ ١٩٧٦م] عن الإمام موسى الصدر اتهامه

لمنظمة التحرير الفلسطينية بالعمل على قلب النظم العربية الحاكمة وعلى رأسها النظام اللبناني، ودعا الأنظمة العربية إلى مواجهة هذا الخطر. ونقلت الصحف اللبنانية وبعض الصحف العربية هذا التصريح الذي يشهد على أن معركة مكشوفة قرر الإمام أن يخوضها ضد منظمة التحرير، ثم ضد الوجود الفلسطيني في جنوب لبنان ثم في لبنان كله وهذا الذي ثبت فيما بعد.

كانت ضربة الصدر مؤلمة ولم تتوقعها قيادة فتح التي قدمت له كل شيء، وفي طليعة هذا الشيء إنشاء وتدريب وتسليح حركة أمل، ثم تدريب المعارضة الإيرانية التي كان يرعاها الإمام، وتقديم مساعدات مالية سخية له ولمنظماته، والأشد إيلاماً توقيت هذه الضربة. لقد جاءت في وقت عصيب تخوض فيه قوات المقاومة الفلسطينية وأنصارها اللبنانيين معركة ضد إسرائيل في الجنوب، وتحتدم في قتال مع الاحتلال السوري في الشرق والشمال، ومع القوات المارونية وحلفائها من النصارى في كل مكان.

الموقف الفلسطيني لم يكن بدرجة واحدة :

فمنظمة التحرير أصدرت على لسان ممثلها في القاهرة تصريحاً ندد فيه بمؤامرة موسى الصدر على الشعب الفلسطيني، وتآمره مع الموارنة والنظام الطائفي السوري، وصدر عن بعض قادتها في لبنان بيانات مماثلة.. ومع ذلك كانوا يحرصون على كظم غيظهم كي لا يقع الصدام المسلح بينهم وبين أبناء الطائفة الشيعية.

أما الفصائل اليسارية فعداوتها مع الصدر قديمة، وقد ذكرنا فيما مضى أنه نجا من محاولة اغتيال اتهمت فيها الجبهة الشعبية.. وبعد هذا الذي فعله تضاعفت نقمتهم عليه

وأصبح رأسه مطلوباً.

وعلى المستوى الشعبي نظم الشيعة مظاهرة صاخبة في صيدا يطالبون فيها بخروج المنظمات الفلسطينية المسلحة من جنوب لبنان، وهو الهدف نفسه الذي يريده الموارنة والصهاينة والأمريكان، ومن أجل تحقيقه اجتاحت القوات الطائفية السورية لبنان، وقد فصلنا الحديث عن هذه المسألة في الجزء الأول من كتابنا [مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان] .

وقابل الفلسطينيون وأنصارهم هذه المظاهرة بمظاهرات عمّت لبنان نددوا فيها بالصدر وبقوات الغزو الباطني السوري.

الإمام [(١)] بارع الذكاء، واسع الحيلة، يعرف الموضع الذي يضع عليه قدمه، فهل فكر وهو متربّع على قمة مجده بالأسئلة التالية:

- لماذا عدّد معاركه داخل الطائفة وخارجها، وهل هو قادر على خوضها في وقت واحد؟!.

- وهل نسي الإمام أو تناسى بأن لبنان غابة، ولا يأمن فيه أحد على نفسه مهما قويت حمايته؟!.

- وهلّا سأل نفسه بأن هذه الجهات المتعددة الاتجاهات التي يضللها ويعدها بشيء ثم يعمل خلافه، ستكتشف فعلته، وتنتقم منه، وهي قادرة على ذلك، وباعُها في لبنان

---

(١) موسى الصدر ليس إماماً ولا مرجعاً من مراجع الطائفة، ولكني أختار أحياناً اللقب الذي اشتهر به.

طويل؟!.

فهل فكر الإمام بهذا وذاك؟!، لست أدري، ولكن المثل الشعبي يقول: (غلطة الشاطر قنطار). وكما قلت فيما مضى: لقد أقام الإمام في مدينة بعلبك التي احتلتها القوات السورية، وظن أنه سيكون آمناً على نفسه وتحركاته، لكن الذين يطالبون برأسه نسفوا منزله، ونجا منه بأعجوبة، فأين يذهب بعد بعلبك؟ لقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت!. وبعد التنسيق مع حلفائه بدمشق اختاروا له منزلاً آمناً في حي الروضة بدمشق يبعد عشرات الأمتار عن منزل رئيس الجمهورية وكبار المسؤولين، وهذا لا يعني أنه انقطع عن بيروت وإدارة مؤسسات الطائفة فيها.

وجاء القدر المحتوم:

(يوم الخامس و العشرين من شهر آب عام ١٩٧٨م وصل الإمام موسى الصدر إلى مطار طرابلس الغرب يرافقه الشيخ محمد شحادة يعقوب والصحفي عباس بدر الدين صاحب [وكالة أخبار لبنان]، وحلُّوا ضيوفاً في الطابق الثاني من فندق [الشاطئ] بعدما استقبلوا -حسب البيان الرسمي الليبي- استقبالاً حاراً يليق بما للرجل من مقام.

(والزيارة صادفت في أسبوع الاحتفالات بثورة الفاتح من سبتمبر، وليست هناك ضرورة للتأكيد أنها كانت لهذه المناسبة. ومن هنا فإن إبداء سماحة الإمام لرغبته في السفر [أي العودة إلى لبنان] مساء الخميس ٣١/ ٨/ ١٩٧٨م قبل العيد، ليس بالضرورة أن يكون دليل ضيق، وغير رضا، وقد يكون كذلك في الوقت نفسه، لأن المسؤول الليبي الوحيد الذي قابله خلال أيامه في طرابلس الغرب هو أحمد الشحاني رئيس مكتب الاتصالات الخارجية، وقد أكرم وفادته، واهتم بشؤونه كل الاهتمام، ولم يرد ذكر لاجتماع

بين الإمام وبين مسؤول آخر.

إنها المعلومات التي أذيعت بعد فقد الاتصال، ولكن كيف اكتشف أصدقاء الإمام أن في جو رحلته غيماً وأن صمته يدعو إلى الريبة و الظنون؟)[١] ا.هـ.

لاشك أن هذه الزيارة جاءت بعد توتر في العلاقات بين الزعيم الليبي والإمام الصدر، وبعد تدخل وسطاء، كان من بينهم مسؤولون جزائريون. وفي حسابات الإمام أن الأمور ستمر في أمن واطمئنان لأن الزيارة رسمية ومعلنة، والوساطة نجحت، ومن غير المعقول ابتلاع وفد رسمي بهذه الطريقة التي حدثت.

ويبقى السؤال المطروح: كيف بدأت العلاقات بين القذافي و الصدر، ثم كيف توترت؟، وهذا ما نوجزه فيما يلي:

في إطار نشاطات الصدر العربية كانت ليبيا المحطة الثانية له بعد سورية، ولكل من الزعيمين أهدافه التي لابد في يوم من الأيام أن تتعارض، لاسيما وأن القيادة الليبية تُقْبِل على غيرها بسرعة، ثم تُدْبِرْ عنه بسرعة. كان اللقاء الأول بين القذافي والصدر بعد انقلاب الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩م، ولم يكن من المستغرب أن ينبهر شاب لم يبلغ الثلاثين من عمره بشخصية الصدر. لقد وجد فيه صفات كانت تشده: كالثورية والانفتاح وسعة الثقافة، والخط المتوازن بين العروبة والإسلام.

وبالتأكيد فقد أعطى الصدر للقذافي كل ما يريده ويطربه ويدغدغ طموحاته الخيالية،

---

(١) هذه رواية مجلة الحوادث اللبنانية في في تحقيق كتبه الصحفي وليد عوض في عددها الصادر أعقاب هذه الزيارة.

ثم جاءت المعارضة الإيرانية لنظام الشاه، وكان الصدر من قدمها للزعيم الذي بات يحلم بأنه سيحقق ما يصبو إليه في كل من لبنان وإيران والطائفة الشيعية، ومفتاح ذلك كله صديقه الإمام موسى الصدر!!.

كان الصدر يتلقى مساعدات سخية من الزعيم الليبي، أشار رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود إليها باستحياء، كما أشار إلى تعدد أوجه التشابه بين الثورتين: الليبية والإيرانية، جاء ذلك في اجتماع مغلق عقده جلود ومعه خمسة وخمسون مسؤولاً ليبياً مع قادة الحزب الجمهوري الإسلامي [وهم أركان نظام خميني] في طهران، وكان مما قاله جلود:

(لقد جئنا لنضع الثورتين في تحالف استراتيجي حقيقي لاستئناف الإسلام لدوره). ثم لمز من قناة دعاة العروبة بقوله: (عندما قامت ثورتنا قلنا: إنها إسلامية، وقد لامنا العرب وقالوا: يجب أن تقولوا إنها قومية!! ولكننا قلنا: لا، لأن ثورتنا إسلامية)، ثم أشار إلى حسن علاقة النظام الليبي بشيعة لبنان:

(قلنا: إن المسلمين سنة وشيعة يجب أن يكونوا قوة واحدة ضد بعض المسيحيين في لبنان، لأن الصهيونية والسادات وأمريكا والمسيحيين يريدون إنهاء الثورة الفلسطينية وتجريدها من بندقيتها). وأضاف:

(لقد كنا نشتري التبغ والزيتون في جنوب لبنان لمساعدة السكان على الصمود) والمقام بسبب تغييب الصدر لا يسمح بحديث أكثر عما كانوا يقدمون له من مساعدات، وختم حديثه الذي استمر أكثر من ساعة بقوله:

(لقد انتصرتم لأنكم ورثتم الشهادة عن علي والحسين، وهذا سر قوتكم، ونحن هناك في الجماهيرية متأثرون بالدولة الفاطمية، وإن لم نكن شيعة، فإننا أقرب الناس إليهم،

والمذهب الشيعي أكثر تقدمية من المذاهب الأخرى)[١].

وإذن : فإن الإمام وهو يتلقى المساعدات من النظام الليبي كان يعلم جيداً ما يلي:

- أهداف ليبيا في لبنان تتعارض مع أهداف سورية وليس هناك تنسيق وقواسم مشتركة بين البلدين.

- الأطراف التي يساعدها النظام الليبي هي: منظمة التحرير الفلسطينية، وفصائل اليساريين والناصريين [بغض النظر عن طوائفهم] سواء كانوا دروزاً أو سنة أو شيعة أو نصارى ... وهؤلاء هم من أعلن الصدر حربه الشعواء ضدهم.

- القذافي [كما كان يعلن] ضد التدخل السوري في لبنان، وضد الموارنة ومخططاتهم.

-وأخيراً يعلم الإمام بأن لا شيء بدون ثمن، وأنه لن يتساهل أبداً مع من يخدعه ويخونه.

وهذا فقد كانت هذه الزيارة فرصة لا تعوض لمحاسبة الصدر ومعاقبته.. فكيف كان العقاب؟! كل الذي حدث اختفاء الإمام وصاحبيه الشيخ محمد شحادة يعقوب والصحفي عباس بدر الدين.

وإلى يومنا هذا لم يظهر لهم أثر، فالرواية الليبية الشاذة المضطربة قالت: غادر الإمام وصاحباه مطار طرابلس في ٣١/ ٨/ ١٩٧٨ متوجهين إلى روما، والبحث عنه يجب أن يكون في إيطاليا، وليس في ليبيا. ورواية جميع الجهات المهتمة بهذه المسألة من عرب وعجم: إن الإمام وصاحبيه أكلهم الذئب، والليبيون عنهم غافلون!!.

---

(١) صحيفة الوطن الكويتية [الصادرة في اليوم الأول من يونية ١٩٧٩م وأظنها الصحيفة العربية الوحيدة التي حضرت هذا الاجتماع المغلق، ونقلت أهم ما ورد فيه].

ثم جاءت فيما بعد شهادات مسؤولين ليبيين سابقين انضموا إلى المعارضة لتؤكد بأن الإمام وصاحبيه جرت تصفيتهم داخل ليبيا.

الموقف الشيعي:

ملأ شيعة لبنان الدنيا صراخاً وضجيجاً في مظاهراتهم وندواتهم، ووسائل إعلامهم، وكأن ليس من مشكلات في لبنان إلا اختفاء الصدر، وبعد مضي اثنين وثلاثين عاماً، لا يزال هذا الصراخ يتجدد في ذكرى اختفاء الصدر، ففيه تقام المهرجانات، ويتبارى الخطباء منددين بالنظام الليبي، ولا غرابة في صنيعهم فالقوم يتقنون فن شق الجيوب، ولطم الخدود، وذرف الدموع.

الخميني أصدر من منفاه في باريس بياناً يستنكر فيه اختفاء الصدر، وكتب إلى صديقه رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات يناشده البحث ما استطاع لحل لغز اختفاء صديق الطرفين، وصدرت بيانات مماثلة عن سائر مراجع الشيعة في العالم.

ومن يأخذ الأمور على ظاهرها يظن أن حزن الشيعة في العالم على فقدان موسى الصدر قريب الشبه بفقدان الحسين سبط رسول الله ﷺ، ولكن الأمر ليس كذلك، ووراء الظاهر باطن خفي، وهذا ما سنحاول بيانه فيما يلي:

١- في [١/ ٤/ ١٩٨٠م] قام آية الله صادق خلخالي رئيس المحاكم الإسلامية الثورية في إيران بزيارة لطرابلس الغرب ونقلت وسائل الإعلام عنه التصريح التالي:

(إن اختفاء الإمام موسى الصدر مؤامرة صهيونية إمبريالية.. ثم أكد أن الجماهيرية الليبية ليست مسؤولة في شيء عن هذا الاختفاء). وأضاف:

(لو كان الليبيون يريدون أن يقتلوا الإمام الصدر لقتلوه في بيروت أو في جنوب لبنان أو في بيته).

لم يقل لنا كيف وصل إلى هذه النتيجة .. وكيف دبّرت الصهيونية والإمبريالية هذه الجريمة، وهل وقعت هذه المجزرة في تل أبيب أو واشنطن أو لندن أم في طرابلس أو في روما على الأقل؟!.

٢- أجرت مجلة الحوادث اللبنانية لقاءً صحفياً مع الرجل الثاني في النظام الإيراني آية الله حسين علي منتظري في [١١ يناير ١٩٨٠م] وسألته المجلة عن تلميذه النجيب موسى الصدر ومسألة اختفائه، فقال ما خلاصته:

هو واحد منا وجزء لا يتجزأ من ثورتنا، واختفاؤه يعزّ علينا، ومن هنا لم ندّخر وسعاً على طريق استيضاح مصيره ومصير رفيقيه، وقد جاءني من يخبرني أن الإمام قد استشهد، ولكن ليس عندي على ذلك أي دليل حسي، ويضيف: لاشك أن اختفاءه متصل بموقفه السياسي في جنوب لبنان .. ثم ينهي الحديث عنه بالدعوة إلى توحيد جهود السنة والشيعة في لبنان.

لم يشر إلى المكان الذي اختفى الصدر فيه، ولم يذكر اسم ليبيا من قريب أو بعيد.. ولا بد لنا هنا من الإشارة إلى أن محمداً ابن آية الله حسين منتظري كان يرتبط بصلات وثيقة مع نظام معمر القذافي، وكان ينقل أخبار اتصالاته إلى والده، وينقل أحياناً رسائل بين الطرفين.

٣- أشرنا فيما مضى إلى زيارة رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود، وكان يترأس وفداً كبيراً يضم معظم قادة نظام بلده [١ يناير ١٩٧٩م] والتقى الوفد مع عدد مماثل من قادة نظام الآيات، واتفقوا على أمور كثيرة منها تبادل السفراء، ثم استمرت الاتصالات، ولم يكن في أجواء هذه اللقاءات منغصات اسمها اختفاء موسى الصدر، وعندما وقعت الحرب العراقية الإيرانية، كان نظام القذافي يقدم لإيران الأسلحة وقطع الغيار وغير ذلك.

٤- وزير الخارجية اللبناني حينذاك فؤاد بطرس من المتمرسين في العمل السياسي، وله رأيه المستقل الذي يجهر به ولا يخشى أحداً، ومن جراء ذلك فقد تعرض لمحاولة اغتيال أسفرت عن نسف منزله، ولم تكن هناك خسائر بشرية.

فؤاد بطرس كان المسؤول الرسمي على متابعة لغز اختفاء الصدر، وقال في مذكراته كلاماً مهماً عن الصدر، وموقف كل من لبنان وإيران وسورية، وسأنقل فيما يلي فقرات لأهميتها.
يقول عن الصدر واختفائه:

(قرابة العاشر من أيلول، انشغلت الأوساط السياسية اللبنانية بخبر اختفاء رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى موسى الصدر لدى زيارته إلى ليبيا في ختام شهر آب السابق. ومع تأخر عودته، تعددت الأخبار والشائعات عن خطفه أو قتله، وقمنا باتصالات في أكثر من اتجاه لمعرفة مصيره ولكن من غير جدوى. وتكوّن لدي انطباع في حينه بأن ليبيا قد تكون أمرت باغتياله لأن خلافات عديدة وقعت بينهما في الآونة الأخيرة. وكان الصدر شخصية مميزة على درجة كبيرة من الغموض).

هذا الذي تكوّن لديه انطباع بأن ليبيا قد تكون أمرت باغتياله: خبير في القانون، ومن كبار المحامين، وتربطه صلات مميزة مع كثير من أصحاب القرار في العالم، ومن هذا المنطلق

يؤكد بأن الصدر على درجة كبيرة من الغموض، وهذا موضع اتفاق كثير ممن عرفوا الصدر وتعاملوا معه.

وعن تنامي دور الشيعة في لبنان يقول وزير الخارجية ما خلاصته: (طلب الرئيس الليبي زيارة لبنان للاجتماع بالرئيس إلياس سركيس، وعندما تقررت الزيارة، وعلم الشيعة بأمرها، أيقظ نائب رئيس المجلس الشيعي محمد مهدي شمس الدين وزير الخارجية من نومه بعد منتصف الليل، وهدد، ولكن بأسلوب دبلوماسي بأن الزيارة إذا حصلت، سوف تؤدي إلى انفجار، وحياة الزائر في خطر، ولم تجد الدولة بداً من إلغاء الزيارة، ولكن بأسلوب اقتنع به القذافي). ويضيف بطرس:

(ومع ساعات الصباح الأولى، بدأت تظاهرات الاستنكار في الساحل الجنوبي لمدينة بيروت، والبقاع، والأوزاعي حيث قطعت الطرق، وحرقت الدواليب، وأطلقت العيارات النارية، كما أطلق صاروخ على السفارة الليبية تسبب بأضرار مادية بسيطة. في الواقع لابد من الاعتراف بأننا لم ندرك كفاية، ولم نتوقع ردود الفعل والنتائج على زيارة القذافي إلى لبنان، وبأننا أخطأنا كمسؤولين رسميين في الدولة اللبنانية، وفي نقاش مع سكرتيري في الخارجية في اليوم نفسه، قلت: سيكون للشيعة في المستقبل دور متنامي في لبنان، ولن يتقرر شيء بعد اليوم بمعزل عنهم).

ويجدد الحديث بشكل أكثر صراحة عن مواقف إيران وسورية من اختفاء الصدر، فيقول:

(في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد في الرباط بين العاشر والثالث عشر من أيار ١٩٧٩م أبلغني السفير إسماعيل [وكان يمثل لبنان في المؤتمر] في برقية إلى

وزارة الخارجية في الثاني عشر من أيار أن الوفود أظهرت لا مبالاة تامة تجاه هذه القضية، وبعضها استغرب إثارتها في المؤتمر، موضحاً أن أحداً لم يشر إليها في الخطب العامة، وأن وفد إيران أشار إليها في جملة واحدة واضحة عريضة جاءت في أثناء تنديده المسهب بالاعتداءات الإسرائيلية على جنوب لبنان، وقد أثار الموقف الإيراني استغرابي لأني كنت تلقيت من سفيرنا لدى طهران فؤاد الترك في اليوم السابق طلباً رسمياً إيرانياً بمعرفة موقف الحكومة اللبنانية من قضية الإمام موسى الصدر والاطلاع على أية معلومات أو مستندات تساعد في إجلاء هذا اللغز). وأضاف :

(ومما أثار استغرابي أكثر، المعلومات الأخرى الواردة في برقية السفير إسماعيل، فقد ذكر أن وزير الخارجية الليبية التريكي سأله عندما علم أن الوفد اللبناني سيثير موضوع اختفاء الصدر إذا كان من الممكن عدم إثارته بحجة أن ذلك سيفتح مجالاً لبعض الوفود للتعريض بليبيا لأسباب سياسية أخرى، وبعدما أجابه السفير اللبناني بأن عليه إثارة المسألة بناء على طلب الحكومة اللبنانية. قال التريكي: أن الرئيس عبد السلام جلود بقي في إيران حوالي الأسبوعين. وإنه خلافاً لتوقعاته لمس لدى الخميني عدم اهتمام بهذه القضية ولم يحدثه إلا بصورة عابرة، كما نقل سفير لبنان لدى المغرب رد الفعل الساخر لوزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام بعدما أتى الأول في خطابه على ذكر قضية الصدر: ماذا هل وجدت الإمام الصدر؟، فأجابه إسماعيل: ننتظر مساعدتكم للعثور عليه، عندها قال له خدام: أنتم اللبنانيون لا تريدون أن تروا الحقيقة وجهاً لوجه، مسألة الصدر واضحة.

وفي البرقية نفسها، نقل السفير عادل إسماعيل فحوى مكالمة هاتفية مع رئيس الوفد الإيراني على الشكل التالي:

اتصل بي رئيس الوفد الإيراني وسألني: ما هي التدابير التي يمكن أن نطلب من المؤتمر اتخاذها، أجبته بأني مستعد لطلب كل ما من شأنه توضيح قضية الإمام، إلا أنه يخشى قيام ليبيا ومن معها بالاعتراض على أي تدبير نطلبه لعدم صلاحية المؤتمر، لأن قضية الإمام خاصة، ولا علاقة لمؤتمر وزارة الخارجية بها، فأجابني: إذن لا لزوم لتقديم أي طلب، وشعرت أن سؤاله لي كان رفعاً للعتب) .[1] أ.هـ

موقفان متناقضان يثيران الدهشة والاستغراب:

الموقف اللبناني: المتمثل برئيس الجمهورية إلياس سركيس ووزير خارجيته فؤاد بطرس، وهما من الموارنة، ورئيس الوزراء السني سليم الحص وسائر أركان الدولة، هؤلاء جميعاً يعتبرون قضية الصدر قضية لبنان كله، ولهذا فهم يثيرونها في كل محفل، ويطرقون كل باب محاولين فك هذا اللغز.

الموقف الثاني: موقف كل من سورية وإيران، فالأولى على لسان وزير خارجيتها تسخر من لبنان لاهتمامها بهذه المسألة، ويزعم عبد الحليم خدام أن أمر اختفاء الصدر واضح، وهذا ما لم تذكره وسائل الإعلام السورية تلميحاً أو تصريحاً ولم يذكره خدام حتى بعد اختلافه مع النظام الذي خدمه طوال حياته السياسية.

والثانية: تعرف لغز اختفاء الصدر، وتعرف القاتل، ولكنها تتجاهل وتتغابى لحرصها على استمرار التعاون مع ليبيا، ولهذا تجرأ بعض الآيات وبرأ ليبيا من هذه التهمة، ومنهم رئيس المحاكم خلخالي وقريب من هذا موقف منتظري. وفي الوقت نفسه لا تريد إيران أن تنفرد لبنان بإثارة هذه المسألة في المحافل الدولية حتى لا يثير ذلك غضب الشيعة في لبنان.

---

(١) مذكرات فؤاد بطرس، الصفحات: (٣٣٠، ٣٨٠، ٣٨٣).

انتهت حياة الصدر -والله أعلم- وطويت صفحته، وصار أثراً بعد عين، ولم يشهد ثورة إيران وكان أهم من خدمها وقدّم لها أسباب النصر، والغريب أن هبوطه كان أسرع من صعوده، وجلّ من قائل:

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان].

الخلاصة

١) أنشأ موسى الصدر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وانتخب رئيساً له، وهذه المرة الأولى في تاريخ لبنان المعاصر التي تنفصل فيها المرجعية الشيعية عن دار الإفتاء.

٢) أسّس حركة المحرومين التي تحولت بعد حين إلى ما أسماه [أفواج المقاومة اللبنانية] أي حركة أمل، وهي تقود الشيعة جميعاً - اللهم إلا أقل من القليل منهم-، ثم جاء حزب الله لينافس الحركة بعد غياب الإمام، بعد أن كان قادته أعضاء ومسؤولين في حركة أمل.

٣) نقل قومه من مؤخرة الركب إلى الصدارة، ومن الهوان إلى العزة، ومن الفرقة والتشتت إلى الوحدة والتضامن، والتقط أبناء الطائفة من أحزاب اليسار واليمين، ونظّمهم في حزبه الطائفي. إنه إنجاز مدهش، وكان يبدو لكل من سبر غور هذه الطائفة أقرب إلى الاستحالة.

٤) بعد انقلاب الجنرال حافظ الأسد في سورية بعام أو يزيد قليلاً صدر بيان مزيّف عن شيوخ الطائفتين: النصيرية والشيعة الإثني عشرية زعموا فيه أنهم أبناء طائفة واحدة، وكان هذا البيان بداية لتحالف سوري إيراني مع شاه إيران، وقوي واشتدّ عوده في عهد نظام خميني، ومن آثار هذا الحلف: فوضى، وحروب، وإرهاب، واغتيالات، وشعارات جوفاء تفتقد أدنى المصداقية، والأهم من ذلك كله شق الصف العربي، وأن سورية التي اختطفها القرامطة الجدد أصبحت مطية لأحفاد كسرى وهرمز، ويعيث بها وبالعراق ولبنان غربان هؤلاء، وكان موسى الصدر مهندس هذا الحلف الدنس.

٥) قبل الصدر أن يكون رجلاً من رجال السافاك ومبعوث الشاه إلى لبنان خدمة لطائفته، وهذا لا يتعارض مع طموحاته التي لا حدود لها، وإذاً فالطائفة هي الأصل في جميع أنشطته وحيثما كان... وعندما جاء دور المعارضة الإيرانية برئاسة أستاذه خميني كان الصدر هو الركن الشديد فيها وهيّأ لها أجواء نادرة في كل من لبنان وسورية وليبيا:

- ففي لبنان قدّمت لهم [فتح] المأوى والمال، ودرّبت أكثر من ثلاثة آلاف من الإيرانيين الذين كان لهم دور فعّال في المعارضة، وعندما تولوا الحكم قلبوا ظهر المجن لياسر عرفات وأعوانه.
- وفي سورية تدرّب في معسكراتها كثير منهم، ومنحتهم اللجوء وجوازات السفر، ومن الأمثلة على ذلك الخبر التالي الذي نشرته مجلة الحوادث في عددها [٢١/ ١٢/ ١٩٧٩م]: (بواسطة من الإمام موسى الصدر، ردّ الله غربته: وافقت الحكومة السورية على تعيين صادق قطب زاده في أوائل السبعينيات مديراً ثانياً لمكتب وكالة الأنباء السورية [سانا] في باريس. ومن هنا سر المودة القائمة بينه وبين الوزير السوري عبد الحليم خدّام).
- أما ليبيا: فمن الاتفاقيات التي أبرمها موسى الصدر مع معمّر القذافي: تقديم كافة المساعدات الممكنة للمعارضة الإيرانية، وقدّم قطب زاده كمنسق بين ليبيا والمعارضة. نقلت مجلة الشهيد الإيرانية في عددها [٢٦ تاريخ ٤/ ١١/ ١٣٩٩هـ] عن وزير الخارجية الإيرانية إبراهيم يزدي تصريحاً قال فيه: كانت ليبيا تدرّب بعض ثوارنا. وفي [٥/ ٢/ ١٩٨٠م] نشرت وكالات الأنباء الخبر التالي: قال العقيد القذافي: إنه يتطلع إلى لقاء مطوّل مع الإمام الخميني الذي تربطه به علاقة روحية وعلاقة قرابة. وأضاف: إنه يعرف وزير الخارجية الإيراني السيّد صادق قطب زاده معرفة جيدة منذ أن كان حلقة وصل بينه وبين الإمام الخميني أثناء وجوده في باريس عندما كانت ليبيا تقدّم المساعدات المادية والمعنوية للثورة الإسلامية قبل سقوط الشاه في العام الماضي. كما أشار الشاه في نهاية حكمه إلى دور النظام الليبي في دعم المعارضة في أكثر من تصريح له.

لقد كان الصدر قطب المعارضة، فهو مرجع الجناح المدني الأمريكي [1]، فبعضهم عمل معه في تنظيم حركة أمل وفي إدارة المؤسسات والمدارس التي أنشأها في لبنان، والبعض الآخر كان يعود إليه يستشيره ويصغي إلى توجيهاته، ويعرب دائما عن إعجابه بمرونته وسعة ثقافته، ومثل هذا لا يجدونه عند الخميني الذي عاش في العراق ثلاثة عشر عاماً على هامش الأحداث، وزيادة على ذلك فقد كان متزمتاً، يعطي ويأمر ولا يأخذ أو يستشير.

أما الجناح الآخر فأساتذة وطلاب الحوزات العلمية، وهم بين أستاذ له مثل خميني، ومنتظري، أو زميل من زملائه مثل آية الله محمد بهشتي، وطالب من طلابه مثل رفسنجاني وخامنئي .. وهؤلاء هم الذين تحدث عنهم رئيس وزراء إيران والذي تولّى في يوم من الأيام رئاسة السافاك شاهبور بختيار في مقابلة له مع مجلة المستقبل [العدد ١٧٤ تاريخ ٢١/ ٦/ ١٩٨١م] فقال جواباً على سؤال المحرر عن رأيه في آية الله محمد بهشتي: (إنه ثعلب يا صديقي، إنه ثعلب، إنه راسبوتين الثورة، إنه يعرف كيف يتحرك، إنني أعرف الكثير عنه، لكن أعذرني لا أستطيع أن أقول شيئاً).

- المحرر: حسناً نقفل المسجلة ونتحدث.

- بختيار: ليس الموضوع هنا، لقد قلت لك أن الخميني إنسان شريف، ولكن أستطيع أن أؤكد لك أنّ تسعة من أصل عشرة من المحيطين بسيد خميني كانوا يتلقون معاشات شهرية وأحياناً أكثر من السافاك، وأتحدّى أي فرد أن يقدّم وثيقة ضدي تدينني.

---

(١) أمثال: أمير عباس انتظام، وحسن حبيبي، وإبراهيم يزدي، وصادق قطب زاده، وابن أخته صادق الطبطبائي وهو الذي أوفده إلى ألمانيا لدراسة الكيمياء، ومصطفى جمران... وهؤلاء كانوا أركان الحكم بعد نجاح الثورة .. أما ارتباطهم بالإدارة الأمريكية وتعاونهم معها قبل الثورة وبعدها فقد تحدثنا عنه في كتابنا [وجاء دور المجوس].

ونقلنا فيما مضى من هذا البحث عن بختيار وغيره أنّ موسى الصدر من هذا الصنف الذي كان يتعاون مع السافاك.

هؤلاء الذين يطبّلون ويزمّرون من أجل حل لغز اختفاء الصدر، وبعضهم لا يزال ينتظر عودته، هل هم صادقون ومستعدّون لإعطائه مكانته التي انتقلت إليهم بعد غيابه ؟!.

أما إيران فقد نقلنا فيما مضى ما فيه الكفاية، وما زلت أذكر لقاءات لي [في نهاية عام ١٩٧٦] في الكويت مع شيعة عراقيين معارضين لنظام صدّام حسين أظنهم اليوم من رجال الحكم في العراق، لقد هاجموا موسى الصدر وآية الله محمد الشيرازي وأخاه حسن واتهموهم بشتى الاتهامات، وأكّدوا لي بأن هذا هو موقف مرجعهم وإمامهم آية الله العظمى روح الله خميني، وأهدوني بعض كتبه، وما كنت يومذاك أعرف مكانة الخميني وأنه سيكون له دور مهم.

رجل إيران القوي المستبد علي خامنئي يقول عن نفسه اليوم: إنه نائب الإمام المعصوم. ولو كان الصدر بين أظهرهم لغيبوه فكيف إذا كان غائباً وأراحهم الله منه.

أمّا لبنان وما أدراك ما لبنان؟ فحاكمها الفعلي حسن نصر الله الذي كان فتى يافعاً من فتيان حركة أمل في بداية غيبة الصدر، وقد أبرزه خامنئي وطغمته وقدموا له من المال والجاه الذي لم ترتفع لمستواه أحلام الصدر، فهل يرضيه أن يعود الصدر؟. لقد أبعد من هم أقل من الصدر من علماء الطائفة مثل: حسين فضل الله، وشمس الدين، والأمين، وجعل من نبيه بري ألعوبة بين يديه، فمالهم جميعاً والصدر ولكل زمان دولة ورجال.

كلمتي لأهل السنة:

إخواني أهل السنة في لبنان: أنتم أهلي وعشيرتي، أفرح لفرحكم، وأحزن لحزنكم، وأعيش بمشاعري وعواطفي معكم في آمالكم وآلامكم، فاسمعوا مني كلمة ناصح أمين إن شاء الله:

تعلمون جيداً كيف كان الشيعة، وكيف أصبحوا، وكيف استطاع موسى الصدر توحيد صفهم وجمع شتاتهم، وتسخير كل ما يقدر عليه من أجل النهوض بهم.

فادرسوا تجربته بإمعان ورويّة، وتعلموا منها كيف تنهضون بقومكم. وطالما سمعت دعاة من بينكم يردّون عليّ بقولهم: إيران كانت تدعم الصدر، وتقدم له المال وغير المال، وليس لنا من يدعمنا، أو يقولون: الصدر كان يتّبع وسائل نحن نعتقد حرمتها ولا نرضاها لأنفسنا.

هذا منطق من يسوّغ لنفسه هذا الواقع الأليم، فلو انتدبت إيران رجلاً إمّعة لا يملك إمكانات الصدر الفائقة، ومزاياه النادرة لعجز عن تحقيق أي شيء، وسيكون الفشل حليفه.

فالرجال هم الذين يصنعون عظائم الأمور، والضعاف المترددون لو ساندتهم جميع قوى الدنيا لا يصنعون إلا الهزائم والنكسات.

أنتم يا أهل السنة بحاجة إلى مصلح يمتلك صفات المصلحين، فهل بين هيئاتكم مثل هذا الرجل؟ لننظر:

- فالقيادات السياسية منذ نشوء لبنان، وحتى يومنا هذا علمانية، تستغل السنة والبدعة

لخدمة مصالحها الشخصية، وترهن نفسها لهذه الجهة أو لتلك بغية الحصول على وزارة أو نحو ذلك.

- أما مفتي الجمهورية، فيختاره المجلس الإسلامي المؤلف من كبار السياسيين وأصحاب النفوذ، ولهذا فلا بد أن يأتي ضعيفاً، يفتقد الاستقلالية في اتخاذ القرار، وهذا بخلاف بطريرك النصارى الذي يصدع بموقفه دون أن يخشى أحداً.
- أما الجماعات والأحزاب الإسلامية على مختلف انتماءاتها، فهي أضعف من ضعيفة، ومناهجها غير واضحة، ولا شيء يشجع الناس على الانضمام إليها، وبعضها، وهذا البعض ليس قليلاً باع نفسه للشعوبيين، ولا يتعفف في الحصول على المال من أية جهة كانت، وهذا نوع من أنواع الرق الحديث.

هذه الهيئات مضى عليها أكثر من ثمانين عاماً، ولو كان عندها شيء، أو تريد أن تقدّم شيئاً لقدّمته خلال هذه السنين العجاف، فلا تطلبوا منهم المستحيل، ولا تجروا وراء سراب خادع، وابحثوا عن دماء جديدة لم تغرق في أوحال السياسة، وتأبى المتاجرة بدين الله.

اللبناني -أيها الإخوة- يملك إمكانات فذّة، ولكنها اليوم معطلة أو مستخدمة في أمور الدنيا، فليقتحم أصحاب هذه الدماء الجديدة ميادين البناء والعطاء والتضحية، وليكن شعارهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

الفصل الثالث

أمل والمخيمات الفلسطينية

المبحث الأول: عدوان أمل على المخيمات الفلسطينية.

المبحث الثاني: صور من الفظائع التي ارتكبتها قوات أمل.

- شهادة الصحافي الفرنسي.
- شهادة الطبيب الفرنسي.

المبحث الأول

عدوان أمل على المخيمات الفلسطينية

وصف لسير المعارك

مدخل:

تسري اليوم نشوة غير عادية في المخيات الفلسطينية وأسباب هذه الفرحة الغامرة كثيرة، فإن غداً الاثنين ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥م سوف يكون الأول من رمضان الذي يعظمه المسلمون جميعاً ويبتهجون بقدومه، وفي اليوم نفسه سوف تتم عملية تبادل الأسرى، وسيتم إطلاق ما يزيد على [١٢٠٠] معتقل فلسطيني ولبناني مقابل ثلاثة من الأسرى اليهود، وزيادة على هذا وذاك فقد أخلت اليوم الأحد القوات الصهيونية موقعها في المحاور الجنوبية لقضاء البقاع الغربي، وهذه هي بداية المرحلة الثالثة و الأخيرة من الانسحاب النهائي من لبنان و التي يزعم مسؤولون يهود أنها ستكتمل أواخر شهر مايو-أيار- الجاري.

وهكذا تتكامل بواعث الغبطة و الحبور عند الفلسطينيين في مخيات بيروت، ولكن أيرضى بنو صهيون هذا.. وهل يقبلون الانسحاب دون مصائب وكوارث تلحق بالفقراء من أبناء فلسطين في مخياتهم؟!.

اسمعوا الجواب:

تقترب الآن الساعة من التاسعة من مساء يوم الأحد ١٩/ ٥/ ١٩٨٥م.. ودورية مسلحة شيعية تابعة لأمل تجوب مخيم صبرا الفلسطيني. توقفت الدورية قرب فتى يحمل

مسدساً حربياً -وهي ظاهرة غير غريبة في لبنان- ثم حاولت اعتقاله بحجة انه يحاول تهديدها، لكنهم فشلوا، وأفلت الفتى من أيديهم ثم انطلق يعدو هارباً، فتبادل معهم إطلاق النار.. وكانت هذه الحادثة بداية حرب دامية لم تنته إلا بعد شهر كأمل!!.

ترى أكانت حرباً عفوية، تسبب فيها غلام طائش، وهل نحن نعيش في عصر داحس والغبراء وأيام الجاهلية الأولى.. يوم كانت الحروب المدمرة تقوم لأتفه الأسباب؟!.

كلا.. كلا.. إن الأمر أكثر عمقاً من هذا التحليل المغرق في السذاجة.. إنه مشهد في عصر أضحت فيه السياسة مسرحية متقنة الإخراج، وسوف نبسط أدلتنا على هذا كله إن شاء الله.

مواقف وتصريحات سبقت الحرب:

كانت أمل قد رفضت قبل أسبوعين من اندلاع المعارك ورقة عمل عرضتها جبهة الإنقاذ الفلسطينية على نبيه بري، وتنص هذه الورقة على أن تتولى الجبهة أمن المخيمات، علماً بأن الجبهة موالية للنظام النصيري الذي تتلقى أمل منه الدعم والتأييد.

صرح نبيه بري يوم الأربعاء ٢٢/ ٥/ ١٩٨٥م أن إعادة السيطرة على المخيمات المحيطة ببيروت، أياً كان اللون الفلسطيني الغالب، يعني فصل الضاحية عن بيروت مرة أخرى، وبالتالي التمهيد لإعادة التوازنات في عاصمة لبنان لغير مصلحة أمل بالتأكيد.

تحدث إبراهيم... أحد قادة أمل عن سبب اندلاع الحرب في ٢١/ ٥/ ٨٥ فكان مما قاله:

إن الفلسطينيين يريدون أن يستعيدوا حرية العمل التي كانت لهم قبل الاجتياح

الإسرائيلي، ورأت أمل أنهم يجلبون الأسلحة.. وعندها بدأ القتال.

سبق الحرب حوادث بين الطرفين افتعلتها أمل، ومن أشهرها احتجاز ثلاثة من الفلسطينيين من مخيم عين الحلوة في صيدا يوم ١٨/ ٥/ ٨٥.

كما احتجزت أمل المدعو أبو محمد القائد العسكري لحركة [المرابطون] بعد إنزاله من الطائرة في مطار بيروت، وكان في طريقه إلى باريس، وقد رد فلسطينيو عين الحلوة باعتقال أحد مسؤولي أمل في الجنوب.

اشتد الوضع تدهوراً بين الطرفين عندما أقيم مهرجان في مخيم عين الحلوة حضره نائب صيدا نزيه البزري، ورئيس التنظيم الناصري المسيطر عسكرياً في صيدا مصطفى سعد، وجرى خلاله إلقاء كلمات أجمعت على التنديد بحركة أمل.

قبل شهر واحد من هذه المعارك، كانت أمل وبمساعدة الحزب الاشتراكي قد صفت الوجود الفلسطيني، ثم صفت بعد معارك دامية تنظيم [المرابطون] الأمر الذي ضمن لها سيطرة كاملة على أمن بيروت الغربية.

كان للأعداد الكبيرة التي أفرج عنها اليهود من المعتقلين الفلسطينيين أثر في إثارة مخاوف أمل من قوة مراكز المخيمات عسكرياً، كما أن المنظمات بدأت تسرب عدداً من عناصرها نحو المخيمات والجنوب الأمر الذي يعني استئناف النشاط الفدائي ضد العدو اليهودي، ولقد التزمت منظمة أمل بإيقاف مثل هذا النشاط.

وفوق هذا وذاك علينا أن لا ننسى تاريخ أمل مع المنظمات الفلسطينية.

كيف بدأت الحرب؟!

بعد البدايات الأولى لإطلاق النار ليلة الاثنين ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥م اقتحمت ميليشيات أمل مخيمي صبرا وشاتيلا، وقامت باعتقال جميع العاملين في مستشفى غزة، وساقوهم مرفوعي الأيدي إلى مكتب أمل في أرض جلول، كما منعت القوات الشيعية الهلال والصليب الأحمر وسيارات الأجهزة الطبية من دخول المخيمات، وقطعت إمدادات الماء والكهرباء عن المستشفيات الفلسطينية.. وأفاد شهود عيان أن الحرائق شبت في مستشفى غزة وهذه البداية تعني أن أمل تريد الهلاك والدمار، وليست القضية عندها قضية شاب رفض الانصياع لدورية من دورياتهم.

في الساعة الخامسة من فجر الاثنين ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥م بدأ مخيم صبرا يتعرض للقصف المركز لمدافع الهاون و الأسلحة المباشرة من عيار ١٠٦ ملم.

في الساعة السابعة من اليوم نفسه تعرض مخيم برج البراجنة لقصف عنيف بقذائف الهاون، وكانت السيطرة في البداية لقوات أمل.. ويظهر أن القيادة العسكرية للمخيمات لم تكن تشعر بالمؤامرة وأبعادها، ولذلك لم تتحرك جدياً إلا في التاسعة صباحاً.. ورغم هذا التأخر، فقد تمكنوا من صد الهجوم سريعاً بسبب خبرتهم القتالية الجيدة، والاحتياطات التي علمتهم المجازر السابقة أن يتخذوها تحسباً لمثل هذا الموقف.

لم تأت الساعة الثانية عشر ظهراً إلا وقوات أمل قد أجبرت على الخروج من مبنى المدينة الرياضية، بل ومن منطقة الفاكهاني عموماً ومن محيط الجامعة العربية، وتوصل المدافعون عن المخيمات إلى السيطرة على قصر العويني الكائن على طريق المطار، وربطوا مخيم صبرا بمخيم شاتيلا، ثم شقوا الطريق من هذين المخيمين إلى مخيم بئر الحسن كي

يربطوا هذه المخيمات بمخيم برج البراجنة إلى الشرق من طريق المطار.

لكن قوات أمل احتفظت بجيب استراتيجي على الزاوية الشرقية لمنطقة شاتيلا، ولم تسلم بقية المخيمات الفلسطينية من اشتباكات متقطعة مع أمل ومن معها كما حدث في مخيم الميّة ميّة في الجنوب، ولكن التركيز الكثيف كان على صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة.

موقف جبهة الإنقاذ:

كان تبرير إعلان نظام دمشق لهذه الهجمة أن أتباع عرفات الخونة يحاولون العودة والتسلل إلى المخيمات بعد طردهم منها.. ولكن الذي حصل أن جميع المقاتلين الفلسطينيين -بما فيهم جبهة الإنقاذ- شاركوا في الدفاع عن المخيمات، والسؤال المطروح: هل تمردت قيادة جبهة الإنقاذ هذه المرة على إرادة أسد ولماذا؟!.

وجواباً على هذا السؤال نقول:

١- إذا صفي الوجود الفلسطيني في هذه المخيمات، فتكون جبهة الإنقاذ قد فقدت ثقلها كله أو جُلّه على الأقل لأنها لا تملك وجوداً عسكرياً إلا في هذه المخيمات، ولها وجود ضئيل في مخيمات أخرى.
٢- واجهت الجبهة نقداً شديداً بسبب المعارك التي خاضتها في مخيمي البداوي ونهر البارود، إرضاءً لأسد ونظامه.. لقد سفكوا دماء الأبرياء وارتكبوا أبشع الجرائم وأحطها.. ولا يزال الشعب الفلسطيني يذكر لهم هذه المواقف الدنيئة، ولو استجابوا لأوامر أسد هذه المرة لفقدوا ما تبقى لهم من أعوان وأنصار.
٣- وقادة الجبهة أول من يعلم أنه لو طلبوا من قواعدهم مساندة أمل أو الوقوف على الحياد لما استجابت لهم هذه القواعد.. وكيف يستجيبون وهم يرون أبناءهم

وأخواتهم وأمهاتهم يذبحون كالنعاج.

لهذا ولغيره فإن جبهة الإنقاذ شاركت في المعارك ودافع رجالها عن أنفسهم وذويهم.. ورغم ذلك فكانت تصريحات القادة تتراوح بين الهجوم المقذع على ياسر عرفات ومن معه وبين النقد الهادئ لنظام أسد، غير أن القيادات التي غادرت دمشق كانت أكثر حرية.

عودة لسياق المعركة:

انطلقت حرب أمل المسعورة تحصد الرجال والنساء والأطفال، ولم تتوقف عند هذا الحد وإنما امتدت أيديهم القذرة لتطال المستشفيات ودار العجزة.. لقد أحرقوا بنيرانهم بعض غرف الطابقين الرابع و الخامس من مستشفى المقاصد الخيرية كما احرقوا جزءاً من دار العجزة!!.

كانت أمل في وضع متميز لأنها كانت قادرة على الكر والفر، وهي التي كانت تفرض المعركة متي أرادت، أما المقاتلون الفلسطينيون فكانوا يدافعون عن أنفسهم، ولا يملكون التراجع عن مواقعهم.. ورغم ذلك فقد عجزت أمل عن الصمود أمام المقاتلين الفلسطينيين فترة طويلة.

اللواء السادس يدخل المعركة:

أصدر نبيه بري أوامره لقادة اللواء السادس في الجيش اللبناني لخوض المعركة وليشارك قوات أمل في ذبح المسلمين السنة في لبنان ولم تمض ساعات إلا واللواء السادس يشارك بكامل طاقاته في المعركة وقد قام بقصف مخيم برج البراجنة من عدة جهات.

ومن الجدير بالذكر أن أفراد اللواء السادس كلهم من طائفة الشيعة، وقد خاض من

قبل معارك شرسة ضد المسلمين السنة في بيروت الغربية.

محاولات وقف إطلاق النار:

كان المسلمون السنة من اللبنانيين لا يتوقعون مثل هذه المؤامرة الدنيئة وكانوا يقولون: إنها معركة أفلت زمامها من عقلاء الطرفين.. ولهذا تحركوا لوقف الاقتتال، فأجرى المفتي ورئيس الوزراء سليم الحص وغيرهما اتصالات مكثفة مع نبيه بري من أجل وقف إطلاق النار، فوافق زعيم أمل دون أن يصدر أوامره لرجاله بوقف القصف، ولعله فعل ذلك كي يخفف المقاتلون الفلسطينيون الضغط على جنده.

كان هذا الاتفاق الأول قد تم في الساعة العاشرة من صباح الاثنين ٢٠/ ٥/ ١٩٨٥، ولمّا لم تُجْدِ هذه المحاولة تحرك السياسيون المتسبون لأهل السنة بفعالية أكثر وعقدوا اجتماعاً في منزل بري بعد إلحاح شديد، وشارك في هذا الاجتماع: الحزب التقدمي الاشتراكي-الدرزي- واتفق المؤتمرون على وقف فوري لإطلاق النار مع تسيير دوريات من الجيش اللبناني في مناطق الاشتباكات.

ولم يكن بري جاداً هذه المرة أيضاً، ودليلنا على ذلك أن مناطق الأوزاعي والغبيري كانت في هذه الأثناء تشهد حشوداً عسكرية ضخمة تابعة لقوات أمل الشيعية، وهذا يعني أنه كان يستعد لمعركة ضخمة يثأر فيها في شهر رمضان الفضيل لدماء الحسين ﷺ، كما زعم أتباعه وهم يقتحمون المخيمات [ليعد من شاء إلى ما رَوته وكالات الأنباء عنهم].

إن الحسين ﷺ بريء من هؤلاء المجرمين المحترفين، بريء من أعمالهم وأخلاقهم وعقائدهم وأساليبهم.

الوقف الثاني لإطلاق النار:

استمرت المعارك بقية اليوم وفي الليل، وتمكنت أمل من إحراز بعض التقدم لكن ما أن حل الليل حتى تراجعت تحت ضغط المقاتلين الذين استفادوا من حلول الظلام في الحركة بحرية.

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢١/ ٥/ ١٩٨٥م وجه اللواء السادس نداءات بواسطة مكبرات الصوت إلى سكان المخيمات تطالبهم بإخلائها تجنباً للقصف، وقد سارعت العائلات على الفور بالنزوح من منازلها واللجوء إلى المدارس والمساجد والأحياء الآمنة.. كما دخل الصليب الأحمر المخيمات لإخلاء المصابين، وتم دفن بعض القتلى.

لم تدم هذه الهدنة إلا وقتاً قصيراً، ففي الساعة السابعة و النصف عاد القصف مرة أخرى من طرف أمل وتوقف نقل الجرحى وظلوا ينزفون حتى الموت.. حتى إن بعض التقارير قالت: إن طفلاً من المصابين يموت كل خمس دقائق.

وعندما تبين لكل ذي عينين هدف أمل التآمري تحركت القوات العسكرية المحسوبة على أهل السنة في لبنان، ففي يوم الثلاثاء ٢١/ ٥/ ١٩٨٥م دخلت قوات [شاكر البرجاوي] و[المرابطون] في معارك مع أمل في منطقة الطريق الجديدة، وشارع حمد، ومحيط جامعة بيروت العربية، كما أقاموا نقاط تفتيش مشتركة مع الفلسطينيين في مخيم عين الحلوة خارج صيدا، وقد أربك هذا العمل خطوط أمل الخلفية، وكانت المعارك في قمة الضراوة في هذين اليومين: الاثنين والثلاثاء، ويقال أن عدد القتلى وصل في هذين اليومين إلى ١٠٠ و٥٠٠ جريح من سكان المخيمات وحدها.

وقف رابع:

بذلت مساع عديدة لوقف نزيف الدم شارك فيها مفتي الجمهورية حسن خالد ورشيد كرامي وسليم الحص وغيرهم من أهل السنة، كما شارك فيها محمد شمس الدين وحسين فضل الله وغيرهما من الرافضة، ونجحوا في ترتيب اجتماع عقد في منزل فضل الله منتصف ليلة الأربعاء ٢٢/ ٥/ ١٩٨٥م ومثّل منظمة أمل في هذا الاجتماع أحمد بعلبكي كما حضره ممثل عن جبهة الإنقاذ.. ويعد هذا أول لقاء مباشر بين الطرفين، ولم يتفقوا في نهاية الاجتماع على حل شامل لكنهم اتفقوا على بندين:

وقف فوري شامل وحاسم لإطلاق النار.

فتح الطرقات المؤدية على المخيمات والسماح للصليب الأحمر الدولي بإجلاء الجرحى والقتلى.

أما بقية المسائل، كمسألة أمن المخيمات وغيرها فسوف تعالج في أجواء أكثر هدوءاً، وصرح فضل الله للصحف ووكالات الأنباء أن وقف إطلاق النار سيكون هذه المرة ثابتاً وحاسماً ونهائياً.

ولكن الرافضة لا عهد عندهم ولا ضابط يضبطهم... فوقف إطلاق النار الرابع استمر لمدة ساعات فقط، زعمت أمل بعد هذه الساعات القليلة أن نقاط المراقبة التابعة لها رصدت جرافة تعمل على إقامة تحصينات في مخيم شاتيلا بناءً على طلب القيادة الفلسطينية في الجبل، فصدرت الأوامر بضرب الجرافة مما أدى لاندلاع شرارة القتال على حد قول قادة أمل!!

وفي أثناء وقف إطلاق النار الرابع سارع سكان المخيمات إلى الفرار بأطفالهم

ونسائهم إلى مناطق ليس فيها رافضة.

تطور جديد:

توترت العلاقات بعض الشيء بين منظمة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي ووقعت بعض الاشتباكات بين الطرفين، وليس لهذا التطور الجديد أي علاقة بالفلسطينيين، فالطرفان مجمعون على تصفية الوجود السني في بيروت الغربية و الجنوب و المخيمات، ويبدو أن الدروز باتوا يتوجسون خيفة من ازدياد نفوذ أمل ونمو قواتها العسكرية، ويعرف قوم جنبلاط قصة الثور الأسود الذي قال:

(أُكلت يوم أُكِل الثور الأبيض)

وفي ٢٢/ ٥/ ١٩٨٥م ذهب وليد جنبلاط إلى دمشق ليبحث مع المسؤولين هناك وقف القتال، وفي اليوم نفسه الساعة ١٢:١٠ انطلقت راجمات الصواريخ الفلسطينية من بحمدون وشملان وضهور العبادية لتدك موقع أمل في الشياح والغبيري وبئر عبد ومنطقة السمر لاند.

وكان لهذا التطور الجديد أثره الكبير على سير المعارك، فارتبكت قوات أمل وانتشر الرعب بين عناصرها.. ولجأ الكبار إلى إصلاح الخلل في الأدوار المتفق عليها، وبعد الاجتماعات و المشاورات نفى ناطق رسمي باسم الحزب الدرزي أن يكون القصف جاء من مناطقه، واتَّهم القوات اللبنانية -الكتائب- بقصف الضاحية الجنوبية.

وصدرت التعليمات من القيادة الاشتراكية الدرزية في بيروت إلى قواتهم في الجبل تطلب منها التحرك بسرعة، وممارسة لأقصى الضغط على الفلسطينيين لوقف القصف من مواقعهم في الجبل بأي طريقة ممكنة.

وفي مساء هذا اليوم التقى وفد من جبهة الإنقاذ الفلسطينية مع عبد الحليم خدام نائب الرئيس النصيري، وأكد المجتمعون على أهمية تعزيز العلاقات الاستراتيجية بين الجبهة وحركة أمل و الوطنين اللبنانيين!!

ولا ندري مع من يريد عبد الحليم خدام وزعماء الإنقاذ تعزيز العلاقات!!

أمع الهياكل العظمية المتبقية في المخيمات الفلسطينية الجريحة ، أم مع اليتامى والأرامل ومشوهي الحرب؟!

يوم الخميس:

في اليوم الرابع للبداية الفعلية للمعارك شنت قوات أحمد جبريل غارات على مواقع حركة أمل في بلدة الجية الساحلية وبلدة برجا.

ولجأت أمل إلى استخدام سلاح الحرب النفسية ، حيث أعلنت عن سقوط مخيمي صبرا وشاتيلا ،وراحت تكرر إذاعة الخبر في الأيام التالية: ٢٦/ ٥و٢٧/ ٥ و٣٠/ ٥و٣١/ ٥ وكانت كاذبة في كل ما زعمته عن سقوط صبرا وشتيلا ، وأخذ نبيه بري يصدر التصريحات العجيبة في هذا اليوم ومن ذلك أنه طلب من أتباعه القضاء على الفلسطينيين خلال ساعة!!

ومن الغرائب أن إذاعة مونت كارلو تذيع بيانات أمل ولا تردمنها شيئاً في حين كانت ترفض إذاعة البيانات الصادرة عن قيادة المنظمة..، ثم تزعم مثل هذه الإذاعة أنها مستقلة وليست طرفاً في مثل هذه الصراعات.

النظام اللبناني:

قصفت القوات الكتائبية المخيمات الفلسطينية بالقذائف المدفعية والصاروخية وذلك من مواقعها الشرقية ، وبادرت قيادة الجيش اللبناني ممثلة في ميشيل عون ولأول مرة منذ شهر شباط ١٩٨٤ م إلى إمداد اللواء السادس بالأسلحة والذخائر كاشفة بذلك عن تواطئها مع أمل.

أما رئيس الحكومة اللبنانية رشيد كرامي وأمثاله من المسؤولين السنة فكانوا يصدرون التصريحات الفارغة التي يعبرون بها عن نقمة الشارع السني لكنهم لا يقدمون شيئاً ولا يقفون مواقف فعالة ، وعلى العكس من ذلك فقد بقي كرامي والحص في الوزارة وكانا يطالبان بتدخل الجيش النصيري ، ويعلمان ما الذي فعله الجيش النصيري عندما تدخل عام ١٩٧٦م.

أما الأحزاب الوطنية واليسارية فهي تخشى أشد الخشية من نمو قوات أمل، وتؤيد سورية، ورغم ذلك فقد راحت تطالب بوقف الاقتتال في المخيمات.

يوم السبت:

رغم وقوف اللواء السادس مع أمل في خندق واحد ، ورغم تعاون القوات الكتائبية والجيش اللبناني مع أمل وتقديم كل عون ومساعدة لها.. رغم هذا وذاك فشلت أمل في حسم المعركة لصالحها ، وكان لا بد من موقف تظهر فيه الوجوه الكالحة على حقيقتها ، ويتلخص هذا الموقف فيما يلي:

- انضم اللواء الثامن في يوم السبت ٢٥/ ٥/ ١٩٨٥م إلى أمل في حربها ضد القوات الفلسطينية.

- قام سلاح الطيران اللبناني بالتحليق فوق مخيم برج البراجنة، وأطلق زخات من الرشاشات الثقيلة على المواقع الفلسطينية.

- طوق جيش النظام النصيري مخيم الجليل الفلسطيني في منطقة البقاع ، وقام باعتقال عدد من شباب المخيم.

- أقامت قوات أمل مواقع لها على التلال المطلة على المخيم.

وهكذا تتضح المؤامرة والأطراف المشتركة فيها.

يوم الأحد:

في يوم الأحد ٢٦/ ٥ تم تقديم أربعة مشاريع مختلفة للحل: مشروع من جبهة الإنقاذ، ومشروع من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، والثالث قدمته منظمة أمل، والرابع قدمته الجبهة الديمقراطية الوطنية اللبنانية.. وفشلت المشاريع كلها لأن المتآمرين لم يحققوا أهدافهم، أما المعارك فقد استمرت، كما استمرت قوات الرافضة في اختطاف وتصفية المدنيين الفلسطينيين داخل المخيمات وخارجها.

وبعد يوم الأحد استمرت المعارك تشتد حيناً وتخف أخرى، والمؤتمرات السياسية لا تختلف عن سير خط المعارك الحربية ، ومن الحوادث المهمة في هذه الأيام:

- أحبطت منظمة أمل محاولة لنسف منزل بري يوم الثلاثاء ٢٨/ ٥ حيث تم تفكيك صاروخين، كانا موجهين إلى منزله من سطح أحد المباني المقابلة للمنزل.

- في يوم الأربعاء ٢٩/ ٥ طوقت قوات سورية في الشمال مخيمي البارود والبداوي،

وذلك بعدما أخلت القوات الفلسطينية مواقعها فيها رضوخاً لتهديد سوري سابق بالإغارة على كافة المواقع إذا لم تنسحب منها القوات خلال ٢٤ ساعة.

- قامت منظمة أمل تحت ضغط الخسائر الكبيرة التي منيت بها في المعركة إلى فرض التجنيد الإجباري في الضاحية الجنوبية من بيروت -وسكان الضاحية شيعة-، كما قامت باعتقال العديد ممن رفضوا هذا التجنيد.

- غادر الرئيس اللبناني أمين الجميل قصر الرئاسة في بعبدا متوجهاً إلى دمشق لإجراء محادثات قمة -وهي التاسعة من نوعها- مع أسد ليبحث الأوضاع في لبنان وبخاصة في بيروت.

- وفي يوم الخميس ٣٠/ ٥ تدخل الطرف الذي تجري لمصلحته كل هذه المعارك.. إذ اخترقت أسراب من الطائرات اليهودية جدار الصوت فوق المخيمات محدثة دوياً هائلاً.. وواصلت تحليقها بارتفاع منخفض فوق بيروت والجبل كي تتمتع برؤية عمليات التصفية، وتصور العمليات ، وتدخل مزيداً من الرعب إلى قلوب الأطفال والشيوخ والنساء في المخيمات المنكوبة.

-وفي اليوم نفسه سقط صاروخ من طراز [غراد] من الجبل على البيت المجاور لمنزل بري أدى إلى تدميره ومقتل شخصين.

سقوط مخيم صبرا:

استمرت المعارك بين كر وفر، وفي ضحى يوم الجمعة ٣١/ ٥ أعلنت أمل ومن غير مقدمات وقف إطلاق النار من طرف واحد.. ثم أعلنت جبهة الإنقاذ -بعد ذلك- موافقتها على إطلاق النار.

فهل ارتوت أمل من دماء النساء والأطفال ؟! لا، لم يكن الأمر كذلك.. وها هي الأسباب المريبة:

١- سقوط مخيم صبرا بعد صراع طويل، وكان سقوطه صباح يوم الجمعة ٣١/ ٥، ولكن المقاتلين الفلسطينيين لم يتوقفوا، وإنما بقيت لهم جيوب داخل المخيم، وكان الهدف من وقف إطلاق النار إعطاء فرصة [لبلدوزرات] أمل واللواءين السادس والثامن، لتهديم ما تبقى على وجه الأرض من منازل ومرتفعات، ولكي تُسوَّى جميع المنازل بالأرض -على حد تعبير نايف حواتمة- فلا يبقى بعد ذلك حواجز يقف وراءها الفلسطينيون في الدفاع عن أنفسهم.

٢-عاد الرئيس الكتائبي أمين الجميل ٣١/ ٥ من دمشق بعد يومين من المباحثات المكثفة.. وفي مطار دمشق أدلى الرئيس اللبناني بتصريح قال فيه:

(إن القوات السورية ستساعد لبنان في وقف حربه الأهلية تمهيداً لإجراء إصلاحات سياسية ستزعج أكثر من طرف).

وقال أيضاً: (سيتم بالتعاون ما بين القوات السورية والجيش اللبناني نزع سلاح جميع المليشيات والمنظمات بما فيها الفلسطينيون، ووجود السلاح في المخيمات توطئة لحرب جديدة).

ومن الملاحظ أن الرئيس النظام اللبناني التقى نظيره النصيري في وقت كانت تسيل فيه دماء الفلسطينيين، وهو المسؤول الأول في لبنان ومع ذلك لم يعرب عن أسفه للمجزرة، وإنما زعم أن السلاح الفلسطيني توطئة لحرب جديدة فمتى انتهت حروب لبنان لتبدأ حرباً جديدة ، وكيف يكون السلاح الذي يدافع به الفلسطينيون عن أنفسهم توطئة لحرب

جديدة ؟!، وسلاح الكتائب وأمل والدروز إذن توطئة لماذا؟!.

أما قوله بأن الجيش السوري سيساعد لبنان وسيتم بالتعاون معه نزع سلاح جميع الميليشيات.. ففيه دلالة على أن الجيش النصيري سيقوم بالمهمة التي عجزت إسرائيل والكتائب وأمل والدروز عن القيام بها.

أما قول الجميل بأنه وجيش أسد سينزعون سلاح الميليشيات فهو ليس أكثر من استهلاك محلي، ويزيد الأمر وضوحاً ما ذكرته صحيفة [الحقيقة] اللبنانية:

إن الجميل والأسد اتفقا على عودة القوات السورية إلى بيروت.. وذُكر أن حشوداً سورية بدأت تتجمع في بحمدون، وعندما أعلن ناطق فلسطيني رفض اتفاق دمشق قامت أمل والجيش اللبناني بقصف مخيم شاتيلا بالصواريخ معلنة سقوط وقف النار بعد ساعات من إعلانه.

٣- بدأ في هذا اليوم مجلس الأمن الدولي بحث قضية حرب المخيمات بناء على طلب تقدمت به مصر، ولا بد أن تتخذ أمل موقفاً يقطع الطريق على طلب مصر.

٤-كان ممن ساعد على سقوط مخيم صبرا، رغم استبسال المقاتلين في الدفاع عنه مدة ١٢ يوماً، توقف الدعم العسكري القادم من القوات الفلسطينية في الجبل، وكان هذا التوقف قد بدأ منذ بضعة أيام، لذلك سهل على أمل توجيه قصف مدفعي شديد وبكل العيارات على المخيم مما أدى إلى تدميره تماماً.. حتى إن المقاتلين الفلسطينيين اضطروا إلى استخدام السلاح الأبيض، لفك طوق أمل حولهم والانسحاب من المخيم.

وهكذا لم تعلن عن وقف إطلاق النار إلا وهي تعلم أن هذا الوقف يخدمها.

وفي هذا اليوم تعرض مخيم عين الحلوة لقصف مدفعي من مناطق جبلية يسيطر عليها عملاء إسرائيل بقيادة لَحد.

وبعد هذا الإعلان عن وقف إطلاق النار، ورغم سقوطه بعد ساعات.. إلا أن المعركة خفت حدتها بعد ذلك، وإن لم تتوقف، ويظهر أن السبب ذلك محاولة نظام دمشق تطبيق اتفاق القمة، وقد صرح نبيه بري بذلك في مؤتمر صحفي يوم الأحد ٢/ ٦/ ١٩٨٥ قال فيه:

(إن الوقت حان لدور سوري أكبر في شؤون لبنان.. وإن أمل مستعدة عند تولي قوات ردع سورية الأمن في لبنان لتسليم سلاحها مثل الفلسطينيين).

وتصريحه هذا لا يختلف عن تصريح آخر له طالب فيه بتسليم أمن المخيمات إلى قوات اللواء السادس اللبناني، واللواء السادس لا يختلف عن أمل أو عن النظام النصيري فكلهم وجوه لعملة واحدة.

ومن جهة أخرى فإن المعارك انخفضت حدتها حتى نهاية يوم الاثنين ٣/ ٦ حيث تبين لنظام دمشق أن الفلسطينيين لم يذعنوا للأوامر الصادرة عن أسد ولا بد من سحقهم حتى لا تقوم لهم قائمة، ولهذا اشتدت المعارك بعد يوم الاثنين ورمت سورية بثقلها فأقدمت على قتل العشرات من الفلسطينيين الذين خرجوا بمظاهرات في دمشق يوم الثلاثاء ٤/ ٦ احتجاجاً على تواطؤ سورية مع أمل، كما تم اعتقال أكثر من ٧٠٠ شخص، واحتلت السلطة مكاتب جبهة الإنقاذ وصادرت ممتلكاتها مما دفع بعض قادة الجبهة إلى التقارب مع المنظمة، حيث التقى كل من عزمي الخواجة [ممثل الجبهة الشعبية] ووليد مصطفى [ممثل الحزب الشيوعي] مع خليل الوزير نائب ياسر عرفات، وأصدروا في عمان -وللمرة الأولى- بياناً مشتركاً يدعو إلى تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية ويندد بأمل

والجيش اللبناني ومن يساندهما!!

ولم تبلغ بهم الجرأة للحد الذي يمكنهم من التصريح بذكر اسم نظام دمشق.

وفي هذا اليوم عاد الفلسطينيون إلى قصف مواقع أمل من الجبل بعد توقف طويل.

محادثات دمشق الثانية:

اجتمع بري وجنبلاط وممثلين عن جبهة الإنقاذ في دمشق مع عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري لبحث موضوع حرب المخيمات.. وفي اليوم نفسه الثلاثاء ٤/ ٦ صعّدت أمل هجماتها على المخيمات، الأمر الذي دفع الجبهة إلى التهديد بالانسحاب من المفاوضات يوم الأربعاء ثم يوم الخميس، وكان نظام دمشق حريصاً على الوصول إلى حل قبل نهاية يوم الجمعة، موعد مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي يعقد في تونس بناء على طلب منظمة التحرير.. ورغم التهديد والوعيد فقد انفض الاجتماع دون الوصول إلى حل، وربما كانت جبهة الإنقاذ هي التي انسحبت من الاجتماع تنفيذاً لتهديدها، أما النظام النصيري فقد زعم رسمياً أن الاجتماع تأجل بسبب عطلة نهاية الأسبوع -أي يوم الجمعة- وفي هذه الفترة الزمنية جدت أمور جديدة نوجزها في ما يلي:

- خاضت المنظمات السنية اللبنانية معارك خاطفة مع أمل في بيروت الغربية وصيدا.

- اختطف الحزب الاشتراكي الدرزي عنصرين من عناصر أمل يوم الأربعاء، واشتبك الدروز مع ميليشيات أمل عندما حاولت اقتحام مخيم مار إلياس الذي لجأ إليه مُهجَّرو صبرا وشاتيلا.

- تلقى فلسطينيو المخيمات يومي الخميس والجمعة مساعدات عسكرية متعددة

منها صواريخ دفاعية، وذخائر وإمدادات فضلاً عن المياه والموارد التموينية، ومولدات الكهرباء.

- هدّدت جبهة الإنقاذ بنقل المعارك إلى خارج المخيمات وذلك بمساعدة جهات وطنية لبنانية -وهي سنية على الأغلب.

- نشبت اشتباكات في طرابلس بين الحزب الديمقراطي [وهو حزب نصيري] وحركة التوحيد الإسلامي، وهي حركة سنية، وجاءت هذه الاشتباكات بعد هدوء طويل.. واستمرت هذه المعارك إلى غاية يوم الاثنين حيث التقى ممثلون عن الحركتين بعد وساطة رشيد كرامي وتوصلوا إلى قرار بوقف إطلاق النار أصبح ساري المفعول يوم الأربعاء ١٢/ ٦.

عودة إلى المفاوضات:

كانت أمل تتبع أسلوباً معروفاً: اذبح وفاوض، وقد صعدت عملياتها يوم الاثنين ١٠/ ٦ وفي اليوم نفسه عادوا إلى اجتماع دمشق برعاية خدام حضره جنبلاط وممثل عن أمل ويبدو أن هذا الاجتماع كان لحل الخلافات التي نشبت بين الدروز والشيعة، وبشكل أخص معركة يوم الثلاثاء ١١/ ٦ التي استمرت عشر ساعات متواصلة.. وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يقوم الدروز بإجلاء الفلسطينيين من بيروت الغربية -الفاكهاني والمصطبة- إلى منطقة الانتشار العسكري الدرزي في الجبل شرقي العاصمة.. الأمر الذي يبعد خطر مشاركتهم في الدفاع عن أهلهم وذويهم في المخيمات.. وفي هذا اليوم صرح جنبلاط أن تحالفه مع أمل تحالف مصيري، وأعلن عن رفضه لعودة الفلسطينيين إلى الوضع الذي كان سائداً قبل الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م.

ولم يخجل جنبلاط من قوله -يصف تحالفه مع بري- وأمثاله: (إنه تحالف وطني،

وليس تحالفاً مذهبياً لأن كل تحالف طائفي في لبنان مهدد بالسقوط.. إنه تحالف وطني في مواجهة الكتائب وفي مواجهة النظام اللبناني والجيش اللبناني).

إن جنبلاط يكذب ويعلم أنه يكذب، بل ويعلم أن الناس لا يصدقون مثل هذه الادعاءات.. فهل كان احتلاله لبيروت الغربية عملاً وطنياً في مواجهة الكتائب والنظام اللبناني، وهل كان قراره بعدم مواجهة الاجتياح الإسرائيلي عملاً وطنياً!!؟.

وهل من المصادفة أن يكون جميع أعضاء الحزب التقدمي الاشتراكي من الدروز إلا أعداداً قليلةً من غيرهم والشاذ لا حكم له!!؟. إن تحالف جنبلاط مع بري تحالف طائفي استعماري، وهما وكلاء لإسرائيل في لبنان، ولهذا قاموا باحتلال بيروت الغربية، كما قاموا بشن حرب عدوانية ضد سكان المخيمات.

أما النظام اللبناني فوقف مع أمل في خندق واحد، وناب عنه اللواءان السادس والثامن، والصحفيون الذين يخاطبهم جنبلاط ليسوا جهلة أو مغفلين.. إنهم يتابعون الأمور ويعرفون العلاقات التي تربط دروز جنبلاط مع العدو الإسرائيلي.

عقد اجتماع دمشق للمرة الثالثة يوم السبت ١٥/ ٦، وفشلت المشاريع المطروحة للحل، ورافق فشل الاجتماع تصعيد عسكري من قبل أمل.. والذي زاد من غيظ بري وخدام أن خمسين مقاتلاً فلسطينياً تمكنوا من التسلل يوم الاثنين ١٠/ ٥ إلى مخيم شاتيلا، كما نجحت مجموعتان أخريان في نفس اليوم من احتلال مواقع في مخيم برج البراجنة.

وما اكتفى نظام أسد بما فعله في مخيمات لبنان وبأنصار عرفات، وإنما راح يبطش

بعملائه من جبهة الإنقاذ، ففرضت الإقامة الجبرية على المدعو [ياسر عبد ربه][1] الأمين العام للجبهة، وصودرت جوازات سفر قيادات الجبهة، كما صودرت سيارات المنظمات، ومنعت السلطة مجلتي: الحرية والهدف الناطقتين باسم الجبهة الديموقراطية والجبهة الشعبية، ولا ينتظر العقلاء من أسد إلا مثل هذا الموقف.

تم التوقيع على اتفاق بين منظمة أمل وجبهة الإنقاذ الفلسطيني يوم الاثنين ١٧/ ٦، وصار معروفاً هذا الاتفاق باتفاق دمشق.

وجاء التوقيع على الاتفاق بعد ممارسة ضغوط شديدة على ممثلي جبهة الإنقاذ وحققت أمل بعض أهدافها لكنها تعلمت دروساً لا تنسى، ومن ذلك:

- كانت تنتظر مساعدة الدروز، ولكن قوم جنبلاط لم يقدموا لهم أي مساعدة فعالة.

- استطاع الفلسطينيون رغم قلة عددهم وتعاون دول الطوائف ضدهم أن يهزموا أمل في كثير من المعارك.

- أصبحت أمل معزولة في لبنان بل أصبحت أهداف الرافضة واضحة لكل ذي بصيرة في العالم الإسلامي.

ولو طلب منا أن نلخص سير المعارك بكلمات قليلة لقلنا:

كان السنة اللبنانيون والفلسطينيون طرفاً، وكان الرافضة والموارنة واليهود والنصيريون طرفاً آخر.. وكانت المعارك طاحنة ليس فيها رحمة ولا شفقة. وشهد

---

(١) ياسر عبدربه لم يكن عميلاً لنظام أسد، لكن العميل هو نايف حواتمه الأمين العام للجبهة الديمقراطية.

المسلمون في المخيمات شمس يوم الثلاثاء ١٨/٦ بعد أن اعتادت عيونهم على ظلام الملاجئ التي لا يضيئها غير وميض الرصاص ولهيب الحرائق، واعتادت أنوفهم على استنشاق روائح الجثث العفنة.

خرج المسلمون الفلسطينيون من المخابئ بعد شهر كامل من الخوف والرعب والجوع دفعهم لأكل القطط والكلاب.

خرجوا من المخابئ ليشهدوا أطلال بيوتهم التي تهدّم ٩٠٪ منها كما تقول بعض الإحصائيات.

خرجوا من الملاجئ بالخسائر التالية [كما ذكر كثير من وكالات الأنباء]:

- ٣١٠٠ بين قتيل وجريح.
- ١٥ ألف من المهجرين أي ٤٠٪ من سكان المخيمات.

فهل يكون آخر درس يتعلمه الفلسطينيون من حلفائهم؟!

أما فظائع أمل فسوف نتحدث عنها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

المبحث الثاني

صور من الفظائع التي ارتكبتها قوات أمل

الفظائع التي ارتكبتها أمل الشيعية بحق الفلسطينيين الآمنين في مخيماتهم لم يرتكب أحد مثيلاً لها من قبل، هذا مع أن وسائل الإعلام لم تنقل لنا عنها إلا القليل لأن أمل هددت الصحفيين من الاقتراب والتقاط الصور، وهذا الذي قصده مراسل [صنداي تايمز] بقوله:

(إنه من الاستحالة نقل أخبار المجازر بدقة لأن حركة أمل تمنع المصورين من دخول المخيمات وبعضهم تلقى التهديد بالموت طعناً بالسكين. وقال الصحفي أيضاً: إنه في العادة يجري نشر أخبار المجازر بشكل واسع في الصحافة الدولية، ولكن الخوف والتهديدات وصلت إلى حد أن المصادر أصبحت تفتقر إلى أخبار المجازر وقد جرى سحب العديد من المراسلين خوفاً عليهم من الاختطاف والقتل، ومن تبقى منهم في لبنان كانوا يجدون صعوبة وخطورة في العمل) [(١)].

ولقد منعت حركة أمل واللواء السادس مراسلي الصحف حتى بعد سقوط مخيم صبرا من الدخول، وحطموا الكاميرات والأفلام التي استطاع بعض الصحفيين التقاطها لآثار الدماء فقط، فما بالك الجرائم الفظيعة التي صاحبت الأحداث [(٢)].

---

(١) خبر الصندي تايمز نشرته الصحف العربية في ٣/ ٦/ ١٩٨٥ م.

ومما يجدر ذكره أن خبر الصندي تايمز وغيره ورد مفصلاً في الصفحات القادمة من هذا المبحث.

(٢) الوطن الكويتية ٢٧/ ٥/ ١٩٨٥م.

وذكرت وكالة الأنباء الفرنسية أنه بعد سقوط مخيم صبرا انتشرت مجموعات من الشيعة -في الجيش وحركة أمل- في حالة عصبية عند كل عشرة أوعشرين متراً لمنع الصحفيين والمصورين من التقاط أية صور [١].

والعدد الحقيقي للقتلى يصعب معرفته كما قال مراسل جريدة [هيرالد تريبون][٢].. رغم ذلك استطاع بعض المراسلين نشر بعض الأخبار والصور الفظيعة التي تبين بشاعة الجريمة التي ارتكبتها الرافضة.

وقصارى القول: فإن ما سوف ننشره في هذا الفصل -على مرارته- بعض من كل، وغيض من فيض.

ومن المؤسف أن معظم هذه الأخبار علمنا بها من الصحف والمراسلين الغربيين، ومما يزيد الطين بلة أن الصحف العربية كانت تنقل عن الصحف الغربية.. وإذا كانت هذه النكبات والمصائب لا تحرك ضمائر أصحاب الصحف في بلادنا فلا أدري ماذا يحركها!!.

وسوف أراعي في الحديث عن هذه الجرائم التسلسل الزمني والإيجاز.

فظاعة:

ذكرت صحيفة [ريبو بليكا] الإيطالية أن فلسطينياً من المعاقين لم يكن يستطيع السير منذ سنوات رفع يديه مستغيثاً في شاتيلا أمام عناصر أمل طالباً الرحمة.. وكان الرد عليه قتله بالمسدسات.. وقالت الصحيفة في تعليقها على

---

(١) ٣/٦/ ١٩٨٥م.

(٢) ٢٦/٦/ ١٩٨٥م.

الحادث: إنها الفظاعة بعينها [١].

ذبح من الأعناق:

قال مراسل صحيفة صنداي تلغراف في بيروت أن عدداً من الفلسطينيين قتلوا في مستشفيات بيروت ، وأن مجموعة من الجثث الفلسطينية ذبح أصحابها من الأعناق [٢].

الصحف البريطانية تحذر:

حذرت الصحف البريطانية أمس من أن مئات الفلسطينيين تعرضوا للقتل على يد عناصر أمل في المخيمات الفلسطينية في بيروت.

وكشفت صحيفة الصنداي تايمز عن وجود أدلة تشير إلى وقوع عدد كبير من القتلى المدنيين في مخيمي صبرا وشاتيلا، وأشارت صحيفة صنداي تلغراف إلى المقاومة العنيفة للمقاتلين الفلسطينين في مخيم برج البراجنة، ونقلت محطة التلفزيون البريطانية [بي.بي.سي] الليلة قبل الماضية خبر اختفاء ١٥٠٠ فلسطيني في مراكز الاستجواب التابعة لأمل ، وأعربت عن اعتقادها بأن عدداً من الفلسطينيين ربما قتلوا في المستشفيات في منطقة بيروت الغربية.

وقالت: إنه عثر في أحد المستشفيات على مجموعة من الجثث الفلسطينية ذبح أصحابها من الأعناق [٣].

---

(١)٢٧/ ٥/ ١٩٨٥م.

(٢) ٢٧/ ٥/ ١٩٨٥م.

(٣) كونا - وكالة الأنباء الكويتية- ٢٧/ ٥/ ١٩٨٥م.

ونقلت [رويتر] عن مسؤولين في الصليب الأحمر الدولي أنهم مُنِعوا من الدخول إلى المخيمين وأنهم منزعجون لأنهم مُنِعوا كذلك من العناية بالجرحى [١].

ونعت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الطبيبة إنعام قيس ، التي قامت قوات أمل بتصفيتها وهي تقوم بواجبها الإنساني في إسعاف الجرحى والمصابين في مستشفى غزة [٢].

وكشف ناطق فلسطيني النقاب عن قيام قوات أمل بنسف أحد الملاجئ يوم ٢٦/ ٥ التي كان يتواجد فيها مئات الشيوخ والأطفال والنساء في عملية دنيئة تعبر عن البربرية الجديدة.[٣]

وذكرت شاهدة عيان أنها رأت أحد أفراد الميليشيا يذبح بحربة بندقيته ممرضة فلسطينية في مستشفى غزة لأنها احتجت على قتل جريح أمامها!!، وذكرت الشاهدة أنها رأت أفراد الميليشيا يقتلون فتاة صغيرة وقع شقيقها الجريح بعد أن طلبوا منها حمله خارج المستشفى فقالت: إنها لا تقوى على حمله فما كان منهم إلا أن أردوها قتيلة.[٤]

وذكرت وكالة [اسوشيتد برس] عن اثنين من الشهود أن ميليشيات أمل جمعت العشرات من الجرحى والمدنيين خلال ثمانية أيام من القتال في المخيمات الثلاثة وقتلتهم ، وقال الشاهدان إنهما رأيا أفراد أمل واللواء السادس يقتلون أكثر من ٤٥ فلسطينياً بينهم جرحى في مستشفى غزة وحوله ، ومضى أحدهما يقول:

---

(١) ٢٦/ ٥/ ١٩٨٥م.

(٢) الوطن الكويتية ٢٧/ ٥/ ١٩٨٥م.

(٣) الوطن ٢٧/ ٥/ ١٩٨٥م.

(٤) الشرق الأوسط ٢٨/ ٥/ ١٩٨٥م.

إنه رأى المقاتلين الفلسطينيين أنفسهم يقتلون رفاقهم الجرحى حتى لا يسقطوا في أيدي الميليشيات. وذكر شاهد عيان أن مجموعة من ١٥ رجلاً جريحاً نقلت من المستشفى إلى مكان قريب من مسجد الإمام علي ﷺ وهناك قتلهم سبعة أو ثمانية من المسلحين الشيعة، ووقفوا فوق أجسادهم، وأفرغوا فيه خزائن رشاشاتهم، وبعد ذلك كان دور المجموعة الثانية وكانت تضم ٢٥ شخصاً، وقد تم قتلهم خلف منزل قريب من المستشفى ثم قذفت جثثهم في خندق (١).

فتوى:

أصدرت القيادات الدينية -أي الإفتاء- فتوى بتجريم نهب أموال المسلمين بعد أن تردد أن مقاتلي أمل اللصوص يعتبرون أن ما يستولون عليه من ممتلكات الفلسطينيين هو غنائم الحروب (٢).

تعليق:

الصحفيون الذين نشروا هذا الخبر يظنون أن المقاتلين اللصوص من منظمة أمل تصرفوا مثل هذا التصرف بسبب حقدهم وانحرافهم.. ولكن الأمر أكثر عمقاً من ذلك.. إن الإمامية الذين كان يتزعمهم الخميني حينئذ يرون بأن أهل السنة من النواصب، والنواصب عندهم مارقون من الدين لأنهم يناصبون آل بيت رسول الله ﷺ العداء.

---

(١) ٢٨/ ٥/ ١٩٨٥م.

(٢) الوطن، ٣٠/ ٥/ ١٩٨٥م.

وقد كذبوا فأهل السنة يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى بحب آل البيت ويبرؤون من النواصب، ومن أراد مزيداً من الأدلة فليراجع أمهات كتبهم، وقد يفتي بعضهم بخلاف ذلك وهو يعلم أنه يخالف أصول دينهم لأن باب التقية عندهم واسع متعدد الأرجاء.. ولهذا فنحن نقرأ في الصحف قول عناصر أمل للفلسطينيين: يا زنادقة!!، بل وسمعت من شيعي خبيث رآني حزيناً على ما يجري في المخيمات فقال: هؤلاء زنادقة كفار، ثم استدرك قائلاً: إنهم عصاة، فرددت عليه بما يستحق.

بيان من جبهة الإنقاذ:

صدر عن جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني بيانات كثيرة خلال حرب المخيمات كان من أشهرها البيان الذي نشرته الصحف العربية في ٣٠/ ٥/ ١٩٨٥م وقد ناشدت جبهة الإنقاذ في هذا البيان كافة الجمعيات والمؤسسات اللبنانية والعربية والإسلامية والعالمية التدخل لوقف ما يجري حول المخيمات الفلسطينية من مجازر بحق الشعب الفلسطيني من سكان المخيمات.

وجاء في البيان: إن المنازل جرفت والمساجد خربت وخزانات المياه فجرت والكهرباء والمياه قطعت والمواد الغذائية نفذت ، والجرحى دون أطباء أو أدوية ، والشهداء في الشوارع بسبب حصار حركة أمل واللواء السادس والثامن ويساندهم في البرزة..

وأكد بيان الجبهة أن ما يجري في المخيمات حالياً لم يحدث له مثيل حتى أثناء الاجتياح الإسرائيلي لا لذنب ارتكبه الشعب الفلسطيني سوى الدفاع عن نفسه وعن حقه في الوجود.

وأهاب البيان بكافة المؤسسات الإنسانية في لبنان والعالم وكذلك المؤسسات الدينية والصليب الأحمر وكل الجمعيات الخيرية التدخل بإدخال المواد الغذائية والماء والدواء

وإخراج الجرحى ودفن الشهداء والعمل على وقف المجزرة الرهيبة قبل فوات الأوان.

تعليق:

ما جاء في البيان عن هدم المنازل والمساجد وقطع المواد الغذائية والأدوية.. ليس جديداً فلقد تحدثت عنه وكالات الأنباء العالمية، ويعلمه الصديق والعدو.. لكن الجديد في البيان قولهم: إن ما يجري في المخيمات حالياً لم يحدث له مثيل حتى أثناء الاجتياح الإسرائيلي، وقالوا في بيان سابق نشرته الصحف في ٢٧/ ٥/ ١٩٨٥م وقعه ناطق فلسطيني في دمشق:

(إن القتلة البرابرة في قيادة أمل واصلوا حملات الإبادة والذبح ضد الجماهير الفلسطينية في بيروت تنفيذاً للمخطط الصهيوني الذي يقضي بشطب الوجود الفلسطيني من بيروت الذي عجز عنه شارون وعملاؤه).

ونحن نوافقهم فيما قالوه عن أمل ولكن من حقنا أن نسألهم:

هل كان زعيم النظام النصيري في دمشق بعيداً عن هذا المخطط؟!.

قولوا لأمل تتركنا في حالنا يا بني:

شاهد مراسل كونا بعض النسوة اللواتي خرجن من مخيم صبرا وشاتيلا أمام مبنى مستشفى عكا على الطريق العام لمدخل صبرا الجنوبي، وقالت إحداهن: (أسفي على الشباب) متسائلة (هذه المعارك المفتعلة لصالح مَن؟؟).

وقالت ثانية: (نحن لسنا أعداء.. عدونا [١] المشترك واحد وهو إسرائيل.. وهدفنا تحرير أرضنا في فلسطين للعودة إلى ديارنا).

وقالت سيدة في حوالي الستين من عمرها: (يا بني.. قولوا لهم نحن لسنا ضدهم وابني متزوج من فتاة أخوها في حركة أمل، ونحن نحبه [٢].. لكن لا نحب أحداً أن يعتدي علينا داخل مخيماتنا وسنظل هنا ندافع)[٣]

اليهود لم يفعلوا هذا:

كان أزيز الرصاص ودوي انفجارات القنابل يتردد في وسط بيروت أمس، بينما كانت النسوة الفلسطينيات المنكوبات ينتحبن وهن يبحثن عن أحبابهن الذين سقطوا ضحايا لحركة أمل واللواء السادس، في صف طويل من الجثث ٨٤ جثة متعفنة.. منتفخة تنغلها الديدان صفت في نفس مقبرة شهداء شاتيلا.. كي تلحق بجثث أولئك الذين سقطوا شهداء بأيد تختلف في المسميات وتتفق مع أيدي أمل والسادس في الإثم و الجريمة.

تصيح سيدة فلسطينية وهي تتفحص صف الجثث الطويل: (اليهود أفضل منهم).. وأخرى تغطي بعضاً من وجهها وتبحث في قافلة الشهداء عن شقيقها.. تستدير فجأة وتصرخ:

(إنه هو، لكن الديدان تنغل في جسده).. وتسقط على الأرض مغشياً عليها.. أما

(١) لقد بالغت المسكينة في حسن الظن، وأنصفت لو قالت: إن الفلسطينيين عدو مشترك لكل من إسرائيل وأمل.

(٢) لكنهم لا يحبونكم، وأنتم من قطعان أهل السنة الضائعة.

(٣) وكالة الانباء الكويتية، ونسيت نقل تاريخ الخبر.

القتلة من جنود اللواء السادس وأفراد أمل فيراقبون ولا يتكلمون.. وبعضهم يشارك في الدفن، القاتل يدفن القتيل!.

جثث وجثث يرتع فيها الذباب من تحت الأغطية الشفافة الملفوفة بها، ٨٤ جثة الدفعة الأولى من ضحايا مخيم شاتيلا الذي نسفته أمل على من فيه أخرجها الصليب الأحمر الدولي أمس الأول وعرضت للتعرف عليها قبل دفنها في قبر واحد.

فتاة لم تتجاوز العشرين من عمرها تنتحب وتصيح مشيرة إلى جثة منتفخة ملفوفة في بطانية خشنة تلطخها الدماء (هذا أخي)، وتشير إلى جثة اخرى (وذلك أخي الثاني)، ثم تشير إلى واحد من مسلحي أمل وتقول: (هم فعلوها).

أصغر الضحايا.. طفل لم يمهله الموت سوى بضعة شهور من حياة الفلسطيني.. جثته الصغيرة الطاهرة تكاد لا ترى من القماش الأبيض المتسخ الذي لفت فيه.. وكم في صبرا مثله من جثث.. هكذا يقول الصليب الأحمر [١]

أبي.. قل لهم أوقفوا القصف:

شرع الباقون على قيد الحياة في مخيم شاتيلا -أحد المخيمات الفلسطينية الثلاثة في بيروت- يسردون معاناتهم بعد ٢٤ يوماً من الحصار الشرس المضروب حول المخيم.

لماذا لا تقل لهم أن يكفوا عن القصف يا أبي، قالها طفل في الرابعة من عمره لأبيه [أحد الطبيبين في مخيم شاتيلا].

(١) جريدة الأنباء عن بيروت -آب-.

يقول الأب الطبيب:

(كنا في مسجد المخيم وكما هي نظرة كل طفل لأبيه من حيث القدرة على تحقيق أي شيء، وجه إلي ولدي ذلك السؤال فأجبته بأن هذا ليس قصفاً وإنما نوع من اللهو، فضحك الطفل).

وفي ٢٤/ ٦ أقبل بلدوزر ليجتث المتاريس التي كانت مقامة على مداخل المخيم في رقعة طولها ١٠٠م وعرضها ٥٠ متراً قاوم فوقها ألف من الفلسطينيين، ووقف مقاتلون فلسطينيون وأفراد من مليشيات حركة أمل والبنادق الكلاشنكوف في أكتافهم يتبادلون الحديث في جوانب المخيم التي عمها الخراب و التي لم يعد بها بيت واحد سليم.

ويروي الطبيب أن عملية إخلاء الجرحى كانت حرباً لا رحمة فيها ولا هوادة، إذ أن هيئة الصليب الأحمر الدولي لم تتمكن من نقل الفوج الأول من المصابين ويبلغ عددهم ٥٧ شخصاً إلا في ١٩/ ٦ أي بعد يومين من توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار في دمشق بين حركة [أمل] والمنظمات الفلسطينية.

وأكد الطبيب أن المسجد الذي تحول إلى مستوصف تعرض للقصف صبيحة اليوم الذي أعلن فيه نبيه بري أن المسجد لن يقصف.

لقد أصيب مبنى المسجد من جميع الجهات وفتحت القذائف فتحات كبيرة في الجدران، واستسلمت النسوة للبكاء على القبور في الدور الأرضي حيث دفن ٤٧ فلسطينياً، بينما دفن آخرون في البيوت، وظل بعض القتلى من الفلسطينيين تحت الأنقاض واختفى عدد كبير منهم وقتلوا أو سجنوا.

وعندما أصبحت عمليات القصف تجري على فترات غير ثابتة أمكن نقل المصابين من المسجد إلى قاعة المناسبات وتم تفريقهم في المنازل حيث كان يختبئ الأطفال والنسوة.

وقال أحد مقاتلي منظمة [فتح]:

(كان لدينا مخزون من الطعام ومن الأرز والمعلبات، إلا أن الماء كان شحيحاً وكان الصنبور الوحيد الذي يعمل موجوداً في شارع معرض للقصف، فأصيب من جراء ذلك عدد كبير من النسوة في محاولاتهن جلب بعض الماء)

وقال أحد الجرحى في المستشفى العام ببيروت:

(كان كل كوب من الماء يتكلف كوباً من الدم).

وكان فتيان وفتيات من حركة [فتح] يرابطون في منزل ذي أبواب حديدية وقد علقوا فوق صدورهم سلاسل تحمل صورة ياسر عرفات.. قال هؤلاء:

إن كل ما يدافعون به عن أنفسهم من سلاح هي بنادق الكلاشنكوف والصواريخ المضادة للدبابات وزجاجات مولوتوف الحارقة[1].

ونقل عن مسلح من أمل قوله:

(إنكم مخطئون إذ ظننتم أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد، وأضاف أنه على استعداد للاستمرار في القتال مهما طال الزمن حتى يتم سحق الفلسطينيين في لبنان)[2].

---

(١) بيروت - أ.ف ٢٥/ ٦/ ١٩٨٥م.

(٢) وكالة الأنباء الفرنسية ٢٥/ ٦/ ١٩٨٥م.

شعار جديد:

(لا إله إلا الله والعرب أعداء الله).

شعار جديد رددته حركة أمل خلال مسيرات لمقاتليها في شوارع بيروت الغربية ٢/ ٦/ ١٩٨٥ احتفالاً بيوم [النصر] بعد سقوط مخيم صبرا وموت الكثيرين داخله من الجوع وانعدام العناية الصحية وانتشار الأمراض فيه [(١)].

الكوليرا:

نسبت صحيفة السفير اللبنانية إلى ناطق باسم جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني القول أن اثني عشر طفلاً وثلاث نساء فلسطينيات توفوا في مخيم شاتيلا بسبب وباء الكوليرا.

وقالت المصادر أن الصليب الأحمر لم يسمح له بنقل ٣٥ جثة فلسطينية في مستشفى غزة رغم النداءات المتكررة التي وجهتها منظمة الصليب الأحمر الدولي إلى المعنيين. وأضافت المصادر أن المنظمة في انتظار السماح لها بمواصلة إخلاء الجرحى من المدنيين في مخيم برج البراجنة.

اغتصاب:

تقارير الوكالات ذكرت في هذه الأثناء أن قوات أمل اقترفت أمس جريمة بشعة، حيث قامت باغتصاب ٢٥ فتاة فلسطينية من أهالي مخيم صبرا وعلى مرأى

---

(١) الوطن الكويتية ٣/ ٦/ ١٩٨٥م

من أهالي المخيم[١].

تقرير للصحفي البريطاني ديفيد بلاندي نشرته الصنداي تايمز:

قال [ديفيد بلاندي]: إن الخسائر البشرية جسيمة، وإن حركة أمل رغم تفوقها في العدد والعدة ورغم انضمام اللواء السادس في الجيش اللبناني.. فشلت في تحقيق انتصار حاسم، وهناك تقارير تفيد بأنها تكبدت خسائر جسيمة في الأرواح تقدر بحوالي ٤٠٠ قتيل وما يزيد عن الألف جريح، وأما بالنسبة لعدد الإصابات الفلسطينية فليس هناك أرقام دقيقة.

وقال شهود عيان في الأسبوع الماضي أن مخيمين من المخيمات الفلسطينية الثلاثة وهما صبرا وشاتيلا كانا عبارة عن أراضٍ قاحلة، إذ جرى تدمير المنازل بواسطة القصف المدفعي أو البلدوزرات وكذلك المواد المتفجرة. وهناك اعتقاد بأن المقاتلين الفلسطينيين يستخدمون شبكة واحدة من الأنفاق لإخفاء المقاتلين و الرجال.

ولقد كان مخيما صبرا وشاتيلا اللذان شهدا مقتل ٨٠٠ فلسطيني على أيدي الكتائبيين عام ١٩٨٢م، مسرحاً لمجازر جديدة جرى خلالها قتل الجرحى في المستشفيات وكذلك الأسرى والمدنيين.

وقد نقلت [صنداي تايمز] وكذلك هيئة الإذاعة البريطانية [بي.بي.سي] في الأسبوع الماضي أخبار المذابح في المخيمات، إذ قام القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية بإذاعة تقرير حول المجازر التي ارتكبها رجال أمل، وعلى هذا الأساس قامت بسحب مراسليها

---

(١) الوطن ٣/ ٦/ ١٩٨٥م ووكالة الأنباء الكويتية ذكرت بعض هذه الأخبار في ٤/ ٦.

الثلاثة خوفاً على حياتهم.

وفي أعقاب هذا التقرير وجهت المنظمة التي تطلق على نفسها [الجهاد الإسلامي][١]، والتي أعلنت مسؤوليتها في أكثر من مناسبة عن اختطاف أجانب في بيروت تهديداً للصحافة الأجنبية على تقاريرها [الزائفة]، وقد احتج نبيه بري زعيم حركة أمل لدى السفير البريطاني في بيروت على التحيز في نقل الأخبار في الصحف البريطانية.

ويقول [ديفيد بلاندي] أن [صنداي تايمز] تستطيع أن تؤكد حقيقة تقرير الأسبوع الماضي، وحقيقة أخرى هي أن العديد من عمليات القتل لم يشملها التقرير لأن شهود العيان كانوا خائفين على حياتهم، ووفق التقديرات المتوفرة لدى [صنداي تايمز] فإن عدد المصابين من الفلسطينيين الذين قتلوا يتراوح ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ شخص.

إن أخبار القتال داخل المخيمات من الصعب، بل من الاستحالة نقلها بدقة لأن حركة أمل تمنع الصحافة من دخول المخيمات. وقد تلقى أحد المراسلين الصحفيين الذي دخل المخيم تهديداً بالقتل من أحد رجال ميلشيات أمل الذي قال له: (إذا ما حضرت إلى هنا فإنك ستطعن بالسكين حتى الموت).

وقد نشرت تلميحات حول المجازر في الصحافة اللبنانية، على الرغم من أن معظم المراسلين الصحفيين و الآلاف من الناس علموا بأخبار هذه المجازر. وقال مراسل محلي:

(لو قمنا بنشرها فإننا سنتلقى القنابل عبر نوافذنا).

---

(١) ويزعمون بعد ذلك أن الأحزاب الشيعية الأخرى في لبنان ضد منظمة أمل!!

بشكل عام فإن الناس في بيروت يبدون عدم اكتراث، فالمجازر ارتكبها مقاتلو المجموعات المتصارعة في معظم الأزمات التي شهدتها لبنان خلال السنوات العشر الأخيرة من الحرب الأهلية، إذ أصبحت المجازر سمة الحرب في لبنان.

وقال زعيم مسيحي متسائلاً: (ما هو الجديد في ذلك؟)

وأضاف قائلاً:

(بالطبع حصلت مجازر فهناك الكثير من الدماء وحركة أمل).

ومضى [ديفيد] يقول في تقريره:

إنه في العادة يجري نشر أخبار المجازر بشكل واسع في الصحافة الدولية، ولكن الخوف والتهديدات وصلت الآن إلى حد أن المصادر أصبحت تفتقر إلى أخبار المجازر، فقد جرى سحب العديد من المراسلين خوفاً عليهم من الاختطاف والقتل، ومن تبقى منهم في لبنان يجدون صعوبة وخطورة في العمل.

لقد كان بالإمكان نقل أخبار المجازر وعمليات القتل التي كان يرتكبها الإسرائيليون والسبب هو أن زعماء أمل كانوا يرحبون بالمراسلين ويشجعونهم على مشاهدة ونقل أخبار الأعمال الإسرائيلية. والآن وبعد أن أصبحت حركة أمل نفسها التي تفرض الرقابة الشديدة نتيجة أعمالها في المخيمات، فهي تحاول الحد من نشر أخبار المجازر.

ووصل الحد لدى المراسلين الصحفيين الذين يتزاحمون ويتنافسون على الحصول على الأخبار، إلى الدخول في تحالف غريب ومشاطرة مصادر المعلومات.

واتفقوا على نشر التقارير و القصص الصحفية في آن واحد حتى لا تجد صحيفة أو

وكالة أنباء نفسها معزولة أو هدفاً للتهديدات والهجمات.

ولكن هذا التحالف انشق في الأسبوع الماضي حيث وجدت هيئة الإذاعة البريطانية و[صنداي تايمز] أن لديهما سبقاً صحفياً فقامت إحدى وكالات الأنباء بنقل قصص الأخبار وعزت هذه القصص ليس لمصادرها الخاصة بل إلى مصادر [صنداي تايمز] و[هيئة الإذاعة البريطانية].

وقامت وكالة أنباء أخرى بنقل هذه القصص إلى الغرب وحجبتها عن البث في الشرق الأوسط خوفاً على موظفيها في بيروت. أما بقية الصحف والوكالات فإما أنها تجاهلت هذه القصص كلياً أو أنها قللت من شأنها.

وقال مراسل صحفي في بيروت:

(يجب أن تكون واقعياً في بيروت أو ربما في دول أخرى في الشرق الأوسط، فعلى سبيل المثال لو ارتكب الرئيس ريغان خطأ في أحد خطاباته فإننا نقوم بنقله، أما لو ارتكب زعيم عربي الخطأ ذاته فإنني سأمتنع عن نقله، إذ أنني لو قمت بذلك لحرمت من دخول عاصمة ذلك الزعيم).

أن تكون واقعياً في بيروت يعني أن تواجه حقائق المجازر التي انكشفت ببسالة. ومن بين القصص التي تروى وهي مؤكدة، قصة الشاب الفلسطيني المجروح وشقيقته التي تبلغ من العمر ١٣ سنة، وكان الشاب وشقيقته موجودين في الدور الأرضي من مستشفى مخيم صبرا عندما دخل عليهما جندي من اللواء السادس اللبناني وطلب من الفتاة أن تخرج وشقيقها، وعندما رفضت قتلت هي وشقيقها.

وهناك أيضاً قصة الفلسطينيين الستة الذين أجبروا على الخروج من أحد أجنحة

المستشفى وطلب منهم خلع ثيابهم وبدأ جنود اللواء السادس ورجال المليشيات بالبحث عن آثار الحروق وعلامات على أكتافهم تثبت أنهم من المقاتلين، وبعدها نقل الرجال الستة إلى حفرة خارج المستشفى حيث قتلوا[١].

وهناك أيضاً حادثة الصبي المصاب بشظية الذي قتل لاعتقاد رجال المليشيات أنه أصيب أثناء القتال.

وقال شاهد عيان أن الجنود و رجال المليشيات قاموا بعد ارتكاب هذه الأعمال بإلقاء القنابل والمتفجرات في [بدروم][٢] المستشفى. وقام الجنود باقتحام الملجأ الذي يختبئ به العاملون في المستشفيات حيث سمعت أصوات الرصاص والمتفجرات ليسود بعدها الصمت.

وهذه قصص بعض ما ارتكب من عمليات قتل. ا.هـ [٣].

تقرير نشره [جون كيفنر] في صحيفة نيويورك تايمز:

يوم الأحد الموافق ٢٣/ ٦/ ١٩٨٥م كان مخيم برج البراجنة للاجئين الفلسطينيين هادئاً بعد أن صمدت خطة السلام التي توسطت فيها سوريا في أعقاب شهر من القتال الذي حاولت خلاله ميليشيات حركة أمل سحق أي وجود مسلح للفلسطينيين في بيروت، لقد صمد برج البراجنة بعناد أكثر حتى من مخيمي صبرا وشاتيلا المجاورين على الحافة الجنوبية للمدينة.

---

(١) معظم هذه الاخبار سبق ذكرها، لكن تقرير ديفيد يمتاز بالواقعية والشمولية.

(٢) أي القبو أو ملجأ المستشفى.

(٣) الصحف العربية نشرت تقرير ديفيد بلاندي بتاريخ ٣/ ٦/ ١٩٨٥م.

وبينما دخلت حفنة من الصحفيين الأجانب المخيم لأول مرة منذ اندلاع القتال في ١٩/ ٥/ ١٩٨٥م كانت مدينة الأكواخ خليطاً من المنازل المحطمة وقطع من الحطام مع السيارات و الجدران التي فتح الرصاص فيها ثقوباً.

وبدا المخيم تقريباً محطماً بصورة سيئة كما كان حوالي نهاية شهر أغسطس ١٩٨٢م، بعد أسابيع من القصف خلال الغزو الإسرائيلي. مات المئات من الناس، وهذه المرة على أيدي إخوة عرب، ولن يعرف أبداً الرقم بدقة، وكانت هناك قصص مثل قصة عائلة [لزيز] في المخيمات كلها.

وألقى خيط دقيق من الشمس من ثقب قذيفة ما يكفي من الضوء لإظهار البقعة الداكنة حيث كان دم مها لزيز [١٦ عاماً] قد انتشر على جدران ما كان بيتاً لها. ومن مكان ما من المنزل المبني من الطوب المشوي أخرجت صورة ملونة تظهر فتاة جميلة حواجبها سوداء في ثوب أبيض وهي تحمل أختاً اصغر منها في حضنها.

كانت مها لزيز تخبز الخبز المسطح المستدير الذي يعتبر من ضروريات الحياة مع أخواتها عندما ضربت صلية المورتر المنزل.. وبعد خمسة أيام قالت هيام -والدتها- إن إحدى يدي ابنتها وجدت فوق كومة من البسط على الجدار وضعت للحماية.

صرخت الأم فجأة: (كانت هي الأقسى، حتى الإسرائيليين لم يفعلوا ذلك بنا، حتى الكتائب).

كانت هناك مرارة في المخيمات، ليس فقط تجاه ميليشيات أمل، بل وربما أكثر تجاه سورية التي تعتبر على نطاق واسع قد خططت لحصار المخيم وساندته من أجل تحطيم نفوذ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ولكي تعزز

بالوكالة سيطرتها على لبنان [١].

قال شاب يتكلم الإنكليزية ساعد كدليل للصحفيين خلال الدمار:

(السبب الحقيقي لكل هذا هو أن سورية لا تريد أن يكون للفلسطينيين أي استقلال).

وتطال المرارة الفصائل الفلسطينية المعارضة لعرفات التي توجد مقراتها الآن في دمشق والتي زال الوهم عنها بصورة متزايدة بالقبضة الصارمة للنظام السوري.

وفي المقابلات التي جرت مؤخراً في دمشق تحدثت مصادر فلسطينية عن شعورها بالإحباط والغضب، واشتكت من قيام السوريين بإغلاق جميع صحفهم وغيرها من المطبوعات ومصادرة سياراتهم، وسحب جوازات سفرهم، ومنع تصاريح السفر عن عدد من الفلسطينيين البارزين.

حتى سعيد موسى [العقيد أبو موسى] زعيم منظمة فتح المعارضة لعرفات أعيد من المطار هذا الشهر عندما حاول الذهاب إلى ليبيا كما قالت مصادر فلسطينية. وقال مسؤول فلسطيني معارض لعرفات يلتزم بالخط الرسمي في العلن في جلسة خاصة: (مضيفونا ماذا أستطيع أن أقول، هذا زمن رديء جداً بالنسبة للفلسطينيين لن يسمحوا لنا بعمل أي شيء).

وعلى صعيد مباشر قامت الفصائل التي تساندها سورية في التلال التي يديرها الدروز والمطلة على بيروت، بما في ذلك قوات أبي موسى وقوات الجبهة الشعبية لتحرير

---

(١) المخطط يهدف إلى سحق مقاومة أهل السنة، وتشتيت شملهم، بغض النظر عن أن مقصدهم ياسر عرفات أو إبراهيم قليلات.

فلسطين -القيادة العامة- بقيادة أحمد جبريل وهو ضابط سابق في الجيش السوري يسير عادة في خط دمشق، قامت هذه القوات بقصف قوات أمل بالمدفعية والصواريخ، ومن الواضح أن هذا القصف وفر الهامش الذي مكن المقاتلين الفلسطينيين المسلحين بأسلحة خفيفة في المخيمات من الصمود.

قال مصدر فلسطيني في دمشق: (الخطأ الرئيسي كان الحط من قيمة المقاومة، لقد ظنوا أنهم سيطهِّرون المقاومة خلال ٢٤ ساعة أو نحو ذلك، وفي المقام الأول لم يدركوا المدى الذي ستلتقي فيه الفصائل معاً عندما تكون مهددة بصفتها فلسطينية).

وبينما استمر القتال لمدة شهر أصبح محرجاً بالنسبة لسورية، فهو لم يوتر علاقات سورية مع وكلائها الفلسطينيين فحسب، لكنه وتّرها أيضاً مع حلفائها الرئيسيين في المنطقة، إيران وليبيا[١] اللتين انتقدتا علناً الهجوم على المخيمات، وتركتا سورية معزولة في العالم العربي.

وتقول مصادر فلسطينية ولبنانية أن ضرورة إنقاذ ماء الوجه كانت إلى حد كبير السبب وراء اتفاق وقف إطلاق النار الذي تمَّ التوصل إليه قبل ستة أيام في دمشق ووضعه نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام الذي تصارع مع الشؤون اللبنانية طيلة عقد من الزمن تقريباً.

وتكمن خلق اللغة المعقدة للبيان المكون من ١٣ بنداً، في النتيجة، هزيمة لقوات أمل

---

(١) كثر الكلام في الآونة الأخيرة عن الخلاف السوري الإيراني، وليس للفلسطينيين والمخيمات أي علاقة بهذا الخلاف إن كان هناك خلاف حقاً.

الشيعية بقيادة نبيه بري[١].

أراد الشيعة تجريد جميع الفلسطينيين من السلاح للحيلولة دون ظهور أي دولة فلسطينية ضمن دولة في بيروت الغربية مرة أخرى كما كان الحال قبل غزو ١٩٨٢م والأسباب من شقين: فالشيعة الآن في حالة نهوض سياسي ويرغبون في السيطرة على بيروت الغربية، وهم ثانياً يخشون من أن عودة ظهور الفدائيين الفلسطينيين سوف تؤدي إلى انتقام سريع من إسرائيل وأنهم سوف يتحملون معظم المعاناة كما حدث قبل عام ١٩٨٢م.

إن البند الرئيسي المنقذ لماء الوجه في الاتفاق يدعو المقاتلين في المخيمات إلى تسليم أسلحتهم الثقيلة، غير أنه لا توجد أي أسلحة ثقيلة -قطع المدفعية، أو المورتر، أو منصات إطلاق الصواريخ أو الدبابات – في المخيمات.

وهكذا، وبصورة غير مباشرة، سوف يتمكن الفلسطينيون في المخيمات من الاحتفاظ ببنادقهم الهجومية وغيرها من الأسلحة الشخصية الخفيفة، وهذا يترك الوضع كما كان عليه قبل أن يبدأ الحصار.

إضافة على ذلك أعطى الاتفاق في النتيجة اعترافاً رسمياً بائتلاف الفصائل التي تدعمها سورية المعروفة باسم جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني بينما لم تكن [أمل] تريد أي دور سياسي للفلسطينيين في لبنان) ا.هـ[٢]

(١) البيان الآنف الذكر يعد هزيمة للفلسطينيين، ويبدو أن الكاتب تأثر بوجهة نظر الجبهة الفلسطينية العميلة لدمشق.

(٢) ٢٥/ ٦/ ١٩٨٥م نيويورك تايمز الأمريكية.

تعليق:

لم يبق للفلسطينيين أي دور في لبنان، وجبهة ما يسمى بالإنقاذ في وضع لا يحسدون عليه.

وحسبنا من مقال [جون كيفنر] ما ذكره عن حال المخيمات بعد انتهاء القتال.

وقصارى القول: فهذه الفظائع التي ارتكبها الشيعة في المخيمات تذكرنا بتاريخهم الأسود الملطخ بالدماء، وتعيد لنا ذكريات التتار والصليبيين واليهود في القديم والحديث، ومن كان يجهل تاريخ الرافضة وأحقادهم الدفينة فعليه أن يعود إلى أمهات كتب التاريخ.

شهادة صحافي فرنسي في بيروت

الصحافي الفرنسي بيار فرديه عاش معركة المخيمات الأخيرة مرابطاً على أطراف صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة محاولاً الدخول لمعرفة ما يجري فيها، لم يتمكن من الدخول ولكنه جمع من الشهادات ما يكفي للدلالة على مدى فظاعة ما جرى.

(لسنا في حاجة إلى أحد لإلحاق الهزيمة بالفلسطينيين، في خلال أربع وعشرين ساعة سينتهي كل شيء).

كان ذلك في اليوم الثاني من المعركة ضد المخيمات، و المقاتل المنتمي إلى [أمل] الذي أطلق هذه الجملة كان واثقاً من نفسه. فالفلسطينيون – وذلك ما كان يعتقده بشكل جازم– ليسوا في نهاية الأمر إلا [زعران]، غير أن الضجة التي كانت تحدثها المصفحة التي تتحرك إلى جانبنا في أحد شوارع [برج البراجنة] كانت تجعل من الصعب الاستمرار في هذا الحوار. فقد كانت هذه المصفحة لا تترك فجوة بين بيتين حتى تفرغ فيها نيران

أسلحتها، وهي بالدرجة الأولى مدافع مضادة للطيران، تستعمل في القصف الأراضي. من الناحية الأخرى، كانت المواقع الفلسطينية توجد على بعد ما يقل عن المائة متر، إلا أنه لم يكن من الممكن بلوغ هذه المواقع، فقد كان الحصار حول برج البراجنة قد ابتدأ.

على المدخل الجنوبي لبرج البراجنة، كانت تقف مصفحتان للجيش اللبناني لقطع الطريق. في البعيد كان يسمع قصف المواقع، ذلك أن اللواء السادس كان خارج المعارك، وتنحصر مهمته على الأقل في تلك اللحظة، في حماية مؤخرة مقاتلي [أمل] بمنع أي كان من الدخول.

أما في المقدمة، فإن [أمل] هي التي كانت تقصف المخيم، دون أن يكون لها أهداف محددة.

ما كان بإمكان [أمل] التوغل داخل المخيم والمعارك كانت تنحصر في تبادل القذائف.

(عدْ غداً، اليوم الوضع خطر، لم تبق إلا بناية واحدة بين الفلسطينيين، غداً سينتهي كل شيء).

بعد يومين تغيرت اللهجة، لم يعد من الممكن النقاش، وأصبح لا بد من أن نغادر فورًا.

ومع ذلك فإن حجة المعركة كانت تبدو بعيدة بالقياس إلى زيارتنا الماضية. ألححنا بعض الشيء، وتمكنا من التقدم بضعة أمتار داخل المخيم، كان الدخان يرتفع نحو السماء، غير أننا لم نتمكن من الاقتراب واكتفينا بالتخمين.

فجأة قصَدَنا أحد مقاتلي [أمل] راكضاً، أطلق لإرهابنا رصاصتين من سلاحه الأوتوماتيكي، مباشرة فوق رؤوسنا، لقد كان الهدف واضحاً. لا يجب أن نحاول الدخول إلى المخيمات، حيث يوجد ما لا يجب أن نراه.

منذ أربع وعشرين ساعة، تحولت بيروت إلى مدينة مفخخة بالنسبة للفلسطينيين: فعمليات خطف وقتل واعتداء بالضرب، أصبحت مخاطر تتهدد الفلسطينيين إذا ما اقتربوا من أحد حواجز [أمل] وهي حواجز انتشرت في العاصمة اللبنانية خلال بضع ساعات.

ذلك أن الفلسطينيين تحولوا من كبش المحرقة إلى طريدة بالنسبة لمقاتلي [أمل]، مثال ذلك قرب بيت أحد مسؤولي أمل، اقترب منا بعض المسلحين سائلين: فلسطينيون؟ كانوا يعلمون أن لا، غير أنها كانت مزحة... ذات دلالة... خلال بضعة أيام أعلن عن [اختفاء] مئات الفلسطينيين.

بالنسبة للمنظمات الإنسانية الدولية، لم تعد المستشفيات آمنة، فحركة [أمل] تسيطر على الطرق المؤدية إليها، ولا تتردد في الدخول إليها. وفي مستشفى الجامعة الأمريكية، لم يتردد المقاتلون في الانقضاض على الجرحى، وفي بعض المستشفيات الأخرى، حاول مقاتلو [أمل] منع الأطباء من معالجة [الجرحى الفلسطينيين] (اهتموا أولاً بجرحانا، وبعد ذلك، سنرى).

لذلك، فإن لاجئي مار إلياس، وهو مخيم صغير في جنوب شرقي بيروت، لم يعودوا يجرؤون على الخروج، فما أن تعلو أصوات المعركة حتى يهرع الأطفال إلى الملاجئ. أما الكبار فإنهم لا يخشون القصف كثيراً، وما يثير رعبهم هو أن تأتي إلى المخيم إحدى دوريات [أمل]. وقد حاول المقاتلون أن يدخلوا في الليلة الماضية، غير أن مقاتلي الحزب

التقدمي الاشتراكي منعوهم من ذلك...كما قال لنا شاب فلسطيني في العشرين من عمره: (ليس عندنا أسلحة في هذا المخيم، وحتى في هذه الحالة، فإنه يصعب علينا الدفاع عن المخيم، فهو صغير جداً، يكفي وجود مدفع واحد حتى يتم تدمير المخيم بكامله).

ولماذا لا تغادرون؟

- المشكلة أنه إذا ما خرجت من هنا، فإني لا أعلم من هو صديقي؟ ومن هو عدوي؟. أكاد أجزم أنني سأقتل على أول حاجز...!

محاولات جديدة للدخول إلى صبرا وشاتيلا وإخفاقات أخرى ، وهذه المرة لم يسمح لنا مقاتلو أمل حتى بالنزول من السيارة ، وكان لا بد من المغادرة فورًا، غير أننا رأينا الأطفال والنساء والشيوخ يحملون بعض الأكياس، يهرعون خارج المخيم الذي تحول إلى جحيم حقيقي. (إنهم يخفون الجثث تحت الأنقاض) المرأة التي قالت ذلك، خرجت لتوها من صبرا لاهثة باكية، لقد رأت الكثير من الجثث على طريقها.

- كم؟

ليس بإمكانها أن تقدم أي رقم، كانت تركض، إلا أنها رأت المقاتلين يخفون الجثث تحت أنقاض البيوت، أو يحرقونها!..

هذه المرأة العجوز عندما خرجت من المخيم، وضعت على صدرها غلاف صحيفة أمل وهي الآن ستلتحق بمئات اللاجئين الآخرين المكدسين في الملاجئ الأرضية تحت حماية الحزب التقدمي الاشتراكي.

عندما وصلوا جعلونا نركع ونضع أيدينا فوق رؤوسنا حيث كنت، كان بإمكاني أن

أرى قاعة الطوارئ في داخلها كان يوجد رجل جريح، بصحبة أخته البالغ عمرها ١٤ سنة، أحد جنود اللواء السادس طلب من البنت أن تخرج أخاها، ردت بأنه ليس بإمكانها أن تحمله، بادر الجندي إلى قتلهما معاً، هذه الشهادة أدلت بها ممرضة عاملة في مستشفى غزة داخل مخيم صبرا جاءت لتؤكد الشائعات التي انتشرت خلال الأيام الأخيرة دون أن يكون هناك مجال للتحقيق فيها، وهي أن مقاتلي أمل وجنود اللواء السادس كانوا بصدد تطهير المخيمات الفلسطينية.

امرأة أخرى كانت في بناية تقع إلى جانب المستشفى من فتحة في الجدار رأت ٢٥ فلسطينياً، يمرون الواحد وراء الثاني موثوقي الأيدي بأسلاك كهربائية ثم سمعت طلقات نارية.

امرأة ثالثة شاهدت الخندق الذي تحول إلى قبر جماعي لهؤلاء الفلسطينيين. حول الخندق خمس جثث ممددة أمام أرجل سبعة مقاتلين من أمل، وامرأة مصحوبة بطفليها تبكي وبيدها صورة شاب لقد كانت تردد كيف أن أخاها قد قتل إلى جانبها عندما كانوا يحاولون مغادرة المخيم.

هذه الشهادات ما كان يمكن لغير النساء الإدلاء بها، ذلك أن الأقلية من الرجال الذين هم في سن القتال، والموجودين في هذه الملاجئ تحت مسؤولية التقدمي الاشتراكي، غادروا المخيمات منذ الأيام الأولى للمعارك، أما أغلبية الأخوة والأزواج فقد بقوا في الداخل أو اختفوا.

في تلك الملاجئ الخانقة بالبؤس والحرارة والرطوبة مئات ينتظرون إلى جانب أغراضهم وداخل الصياح والبكاء والخوف من مقاتلي أمل.

ما يزال من المستحيل الدخول إلى صبرا وشاتيلا للتأكد مما يجري فيها، ولكننا على مقربة منها، كنا نسمع أصوات انفجارات مدوية: الهاربون أعلمونا أن مقاتلي أمل يتقدمون داخل المخيمات مدمرين البيوت.

تاجر يوجد على أطراف المخيم، أكد بأنه شاهد رجالاً مسلحين بالمدى يهرعون باتجاه صبرا قائلين: (سنذبح الفلسطينيين!).

(هذا المساء يمكننا أن نتبيّن هذه البديهية: أن دموع التماسيح التي تذرفها بعض وسائل الإعلام المحلية والعالمية على مصير فلسطينيي صبرا وشاتيلا، في نطاق حملة فلسطينية – صهيونية (كذا!)، تهدف إلى إظهار اللبنانيين، المسيحيين بالأمس والشيعة اليوم، بمظهر قتلة الفلسطينيين) بهذه الكلمات بدأت نشرة الأخبار المسائية في تلفزيون الكتائب. كلمات مفاجئة ولكنها تبين الطريقة التي عالجت بها وسائل الإعلام اللبنانية أحداث المخيمات: (لا مجازر، وحدة وطنية لبنانية تجاه الفلسطينيين)، بل أن كاتب افتتاحية صحيفة [لوريفاي] الصادرة في بيروت الشرقية ذهب إلى حد القول: (توجد نبرات مارونية، في صوت نبيه بري) ولقد اكتشف المسيحيون الأواصر التي تربطهم بالشيعة).

ذلك أن الفلسطينيين في بؤسهم حققوا إنجازاً فشل أكبر السياسيين في تحقيقه حتى الآن: (تجميع بعض القيادات اللبنانية !).

من جانب أمل، لا أحد يذهب إلى هذا الحد، ويتم الاكتفاء بنفي التهم الموجهة إلى المقاتلين. وقد قال عاكف حيدر، الرجل الثاني في الحركة الشيعية بأنه إذا لم يتم السماح بدخول الصحفيين فذلك حفاظاً على حياتهم. وهو كلام لا يمكن القبول به، طالما أن أمل قد عمدت إلى اصطحاب الصحفيين في أعتى معاركها ضد القوات اللبنانية في السابق.

عندما تمكن الصحفيون من دخول صبرا، لم يكـن المخيـم إلا أكداسـاً مـن الأنقـاض، ولكن بين هذه الأخيرة، مازال بعض الفلسطينيين يواصلون قتالهم. ذلك أن أمـل التـي لم تتمكن من احتلال المخيات عسكرياً عمدت إلى تدميرها بالكامـل، وهكـذا فـإن المعركـة التي كان مقرراً لها أن تستمر بضع ساعات مازالت جارية حتى هذه اللحظة.

الكاتب: (بيار فردييه)

المصدر: (اليوم السابع) العدد(٥٨) الصفحة(١٩)

اليـــوم: (الاثنين) التاريخ: (١٧ حزيران (يونيو)١٩٨٥م).

شهادة طبيب فرنسي

أحد الأطباء الفرنسيين من أعضاء الجمعية الطبية الفرنسية- الفلسطينية عاش معركة المخيات الأخيرة بكاملها، وكتب يومياته يروي فيها مشاهداته الفظاعات التي ارتكبت، والعجز الذي وضع فيه لمنعه من القيام بعمله.

يوم الأحد ١٩ أيار [مايو] ١٩٨٥م غادرت مخيم برج البراجنة الفلسطيني، الساعة العاشرة والنصف صباحاً، بعض الطلقات الأوتوماتيكية منعتني من أن أفعل ذلك قبل تلك الساعة، كما أن الصديق الذي استضافني بارحة ذلك اليوم ألح علي كثيراً كي أقضي نهاري في صحبته.

لقد سبق لي أن التزمت تجاه بعض الأصدقاء كي نـذهب معـاً في رحلـة للبريـة، كنـت أقاوم الرغبة في التحجج بالقصف حتى لا أذهب إلى تلـك الرحلـة، لـذلك فقـد غـادرت صديقي مكرهاً.

الرحلة لم تتم، فبعد ساعات من ذلك بدأ قصف برج البراجنة وبدأ حصاره، وكذلك الأمر بالنسبة لمخيمي صبرا وشاتيلا.

اليوم هو يوم الاثنين من أيار[مايو]، هذا الصباح، يبدو أن الهدوء قد عاد، لكن ما أن جاءت الظهيرة والمساء حتى عاد تبادل القصف من جديد.

ثمانية أيام من القصف من جانب حركة أمل تحت أعين جنود اللواء السادس.

ثمانية أيام من المقاومة الفلسطينية، رغم أن أمل قد أعلنت أكثر من مرة أنها سيطرت على صبرا وشاتيلا وأن برج البراجنة فقط ما زال يضع في وجهها بعض العراقيل.

ثمانية أيام دون أن يتم إخلاء أي من جرحى المخيمات المحاصرة.

ثمانية أيام منع خلالها رجال ونساء السلك الطبي من الدخول إلى المخيمات.

ثمانية أيام قضتها المنظمات الإنسانية تنتظر عاجزة.

مستشفى غزة تم احتلاله منذ البداية وهو مستشفى تابع للهلال الأحمر الفلسطيني، فظاعات مثيرة حدثت فيه كما قال لي مصابون كانت لي فرصة علاجهم في ملجأ تابع للحزب التقدمي الاشتراكي، ثم إن المستشفى أحرق جزئياً.

بعد القيام بعدد من الاتصالات، ذهبنا يوم الثلاثاء ٢١ أيار [مايو] إلى مستشفى عكا لننظم عملية استقبال بضعة عشرات من الجرحى، على أمل أن نتمكن من الخروج بعد ذلك، كلما تقدم الوقت كلما أحسسنا بمحدودية العدد القليل من الأسِرَّة الذي كنا نتصرف فيه.

ثمة هدوء عجيب في هذا المكان، ففي الخارج وعلى بعد عشرين متراً يقع مخيم شاتيلا الذي تحاصره الميليشيا واللواء السادس، مثله في ذلك مثل مستشفى عكا، قضيت

في هذا المستشفى، بصحبة الممرضة ٢٤ ساعة.

يوم ٢٢ أيار [مايو] عدنا إلى مستشفانا متعبين من الانتظار غير المجدي، كما أننا قد غرقنا تحت وطأة العمل.

من ٢٢ أيار [مايو] إلى ٢٧ منه، لم نتمكن من تحقيق شيء. حاولت كل المنظمات الإنسانية أن تصوغ خطة للتحرك المشترك لمساعدة الفلسطينيين الذين تمكنوا منذ الأيام الأولى من مغادرة صبرا وشاتيلا.

(في مستوصف مار إلياس، وفي الملاجئ الواقعة تحت الأرض، كان الجرحى الذين تمكنت من معافاتهم قد جاؤوا من صبرا وشاتيلا. تعود جراحهم إلى أيام ١٩و٢٠أيار [مايو] أي إلى بداية القصف، والموجودون هناك، لا يمكنهم أن يكونوا إلا من ذوي الجراح الخفيفة.

(من ٢٠ إلى ٢٥ ألف شخص تمكنوا من الخروج من المخيمين المذكورين، تمكنّا من رؤيتهم للمرة الأولى يوم الجمعة ٥ أيار [مايو]، حيث كانوا يتكدسون في الملاجئ في حالة تبعث على الدوار.

أنت أيتها العجوز التي تريني دموعها.

التي تشير بأصابعها الأربعة.

التي تحاكي صوت قنبلة.

التي تشير بأصابعها الأربعة من جديد.

دموعك تصل إلى أسفل وجهك.

لا حاجة لك بالكلام.

لا أعلم إن كنت تريدين تحذيري أم أن تحكي لي شيئاً.

(من برج البراجنة لم تتمكن إلا امرأة واحدة من الهرب، التقيناها في مستشفى [عكا] يوم ٢١ أيار [مايو] مساء، كانت تزعق ألماً، تزعق غضبها في وجوهنا نحن الأطباء، كانت تريد أن تأخذنا لدخول البرج). هناك الكثير من الموتى، الكثير الكثير من الجرحى، لا أدوية، لا علاج، كثيرون قضوا أو سيقضون... تعالوا، تعالوا، افعلوا أي شيء !!

الطبيب المسؤول في الصليب الأحمر الدولي كان هناك، جاء ليعاين قدرة المستشفى على استقبال المصابين.

أمام ذلك الغضب الأمومي والأخوي، لم يكن أمامنا سوى أن نحاول إفهامها مدى عجزنا و مرارتنا. كان من المستحيل بالنسبة لنا أن ندخل، ومن المستحيل إخراج الجرحى. لم يبق لنا إلا أن نأمل.

المستشفى الواقع في مدخل برج البراجنة يكاد أن يكون غير قابل للاستعمال تماماً.

(سيكون مصيره مصير مستشفى غزة، لذلك فإن الجرحى في ملاجئهم آمن منهم في هذا المستشفى.) في مساء يوم الثلاثاء ذاك، أمام مستشفى [عكا] شاهدنا فتاة تزرع الشارع الذي يفصلنا عن شاتيلا، وهي تحكم قبضتها على شيء ما، توجّه الكلام أحياناً إلى أحد المارة، ثم تواصل [تسكعها]. سألناها، فقالت إنها قبل ساعات من ذلك، حاولت أن تغادر مخيم صبرا مع أخيها في سيارة، اعترض سبيلها بعض المقاتلين، طلبوا منها أوراقها و هوياتها...لم يبق لهذه الفتاة الفلسطينية إلا صورة أخيها.

(مدخل البنايات الواقعة إلى جوار المستشفى، وجزء من ملجأ هذا الأخير، ملأى باللاجئين من شاتيلا، لا أحد منهم يتحرك، الأمهات يرضعن أبناءهن... احترمنا رغبتهن في الهدوء.

الغضب والمرارة، ذلك هو الشعور الذي نلمسه هنا، كما تناقشنا مع الناس. ولكن مع مرور الأيام، لاحظنا أن عددًا من اللبنانيين الذين كانوا يشاطروننا استياءنا أمام ذلك الجنون، قد بدؤوا باللائمة على الشعب الفلسطيني. كنا نستشعر ذلك رغم أننا لم نصل لبنان إلا يوم ٩ نيسان [إبريل]. كنا نتصور حدوثه ثم نتخوف منه كلما تواردت أنباء الانسحاب للإسرائيلي من الجنوب، حسُّنا أو صداقتنا تجاه هذا الشعب لم يخدعانا...

الإسرائيليون لم يعودوا هنا لاستقطاب النقمة، لذلك كان لا بد من وجود بديل. الفلسطينيون كانوا هناك للعب هذا الدور.

غضب ومرارة تجاه مجموعتنا من الأطباء [من الجمعية الطبية الفرنسية- الفلسطينية] لأننا رجال علاج عجزوا عن تأدية واجبهم ولأننا أصدقاء لهذا الشعب يرون أن مأساته قد طالت.

(منذ أيام في برج البراجنة كان الفلسطينيون يختبؤون ويصمتون ويخافون.)

حدثت المئات من عمليات اختطاف للفلسطينيين من قبل حركة [أمل]).

حدثت عمليات تصفية جسدية في الشارع، مراهق عمره ١٧ سنة، كان يسير إلى كلية الطب في الجامعة الأمريكية وهو يتأبط كتبه، استوقف. طلبت منه أوراقه، قتل فوراً. لقد كان من سكان الروشة، ذلك الحي الذي استقبل لاجئي تل الزعتر، ولاجئين من الجنوب وفدوا سنة ١٩٨٢م.

الكثير من الجرحى الذين عالجتهم كانوا يرفضون أن يقولوا من أين جاءوا إلا إذا كانوا مصطحبين بمقاتلي الحزب التقدمي الاشتراكي.

مثل ذلك الرجل الذي رفض منذ ثلاثة أيام البقاء في مستشفى الجامعة الأمريكية، كان يعاني من رصاصة في الكتف استقرت قرب العظم. رفض أن يتطبب هناك لأن عمليات تصفية واغتيال تمت في ذلك المستشفى...بقي ثلاثة أيام يحمل رصاصته في لحمه، حتى وجد مكاناً آمناً يتطبب فيه... أثناء علاجي له لم يكن مطمئناً لا هو ولا أصدقاؤه. لم أشأ أن أسأله، طلبت منه فقط إن كان يستطيع العودة غداً، بعد أن وضع الرصاصة في جيبه...

من الغد كان باسماً وغير متوتر:

(نحن هنا نعالج ولنشهد كذلك) (لم نعد نريد أن نفهم...) سئمنا الكلمات فقط نشاهد الفظاعة الناتجة عن عدم النضج كما يقول المحلل النفساني اللبناني البروفسور شحروري.

المصدر [اليوم السابع] العدد [٥٨] الصفحة [٢٠]

اليوم: [الاثنين] التاريخ: [١٧ حزيران [يونيو]١٩٨٥م].

أحوال المخيمات

(٢٤/٥/١٩٨٥م) قال مراسل جريدة الأنباء:

الظاهرة التي استوقفت الناس في بيروت هي في التزايد الملموس بحركة سيارات الإسعاف وسيارات دفن الموتى، فقوافل النعوش إلى مقابر بيروت ومقابر الجنوب لا تهدأ أبداً، أحد العاملين بجمعية دفن الموتى قال: إننا نستغل فرصة الهدوء في الصباح لنحفر القبور احتياطاً، أما عملية الدفن فنجيء خلسة في الليل وأحياناً في الصباح الباكر. سيارات الإسعاف ناقلة الجرحى تستدل عليها من طلقات الرصاص، فالرصاص هو الزامور العصري الذي اعتدنا على سماعه في شوارع بيروت وهو الوسيلة الأنسب لفتح الطرق أمام سيارات الإسعاف التي أحياناً ما تصدم إنساناً وتقتله فيما هي تبرر سيرها السريع بإنقاذ الإنسان الآخر.

أما سيارات دفن الموتى فإنها تعرِّف على نفسها بتلاوة القرآن الكريم عبر مكبرات خاصة، هذه التقليعة مستمرة رغم تحذيرات المفتي خالد الذي طلب الامتناع عن هذه البدعة.

صحيفة الوطن الكويتية ٢٤/٥/١٩٨٥م:

ياسر عبد ربه الأمين المساعد للجبهة الديمقراطية اتهم في حديث هاتفي لـ[الوطن] أمس جماعات أمل بارتكاب المجازر ضد المدنيين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا على غرار ما فعله شارون وعصابات الكتائب في هذين المخيمين في عام ١٩٨٢.

وقال إن عناصر أمل قتلت وحرقت عائلات فلسطينية بأكملها في جوار مستشفى

غزة دون مراعاة المسنين و الأطفال والنساء. وفي بيان وزعه مكتب فتح في الكويت أكد الناطق أمس وقوع مثل هذه المجازر البشعة.

وأضاف عبد ربه أنه تم تعذيب الجرحى بالمستشفى وقتل بعضهم إضافة إلى إحراق وتدمير مساكن ومحلات الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا، وقال إن هذه الأساليب العنصرية والفاشية بحق المخيمات الفلسطينية جريمة جديدة ضد الشعب الفلسطيني يتحمل مسؤوليتها بري ومخططو العدوان على مخيماتنا في بيروت.

الأنباء ١٢/٥/١٩٨٥م:

يضربون الجرحى!

أبلغ مسلح لبناني عند أطراف مخيم برج البراجنة [الأسوشيتد برس] أن مقاتلي أمل أوقفوا سيارات الإسعاف التابعة للصليب الأحمر التي أنقذت أمس الأول ١٤ جريحاً من المخيم، وضربوا الجرحى بقبضات الأيدي وأعقاب البنادق، وقال إنه كان من بين الجرحى امرأة تعاني من آلام الوضع.

بيروت –دمشق- الوكالات- جريدة الأنباء:

١/٦/١٩٨٥م

ذكرت وكالة أنباء الخليج أن قوات اللواء السادس التابع للجيش اللبناني بدأت أمس بنسف وإزالة المنازل الفلسطينية الواقعة في أطراف مخيمي صبرا وشاتيلا. وقالت: أصوات الانفجارات كانت تسمع في مختلف أنحاء العاصمة بيروت.

وأشارت الأنباء إلى أن هذه الإجراءات التي تتخذها قوات اللواء السادس تأتي

ضمن مخططات قديمة تهدف إلى إزالة المخيمات الفلسطينية في بيروت، والتي شرد منها أكثر من ٣٠ ألف فلسطيني.

بيروت-أ ف ب-٦/٦/١٩٨٥م:

قالت وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين: إن خمسة عشر ألف فلسطيني هربوا من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين الثلاثة في بيروت منذ بدء الاشتباكات بين حركة -أمل- الشيعية و المقاتلين الفلسطينيين في التاسع عشر من مايو الماضي. وأضافت أن نحو ١٦٠٧ عائلات أي ٨٢٧٨ شخصاً من سكان مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة لجأت إلى ٢٥ مركز إيواء في العاصمة حسبما أوضح هذا المصدر. ولاحظ المراقبون أن غالبية هذه المراكز تخضع لحماية الحزب التقدمي الاشتراكي الدرزي.

وأوضحت أن ٧٤٧ عائلة أخرى أي ٤٤٢٣ شخصاً نزحت نحو صيدا، ولجأت ٢٤٢ عائلة أي ١٢١٢ فرداً إلى مخيمات صور منها ١٤٦ عائلة أي ٦٩٩ فرداً كانوا أصلاً من سكان هذه البلدة، واضطروا إلى النزوح منها إلى بيروت نتيجة الغزو الإسرائيلي في صيف ١٩٨٢، بينما توجهت ١٨٤ عائلة أي ١٠٠١ لاجئ فلسطيني إلى طرابلس بشمال لبنان.

وبذلك يكون ١٤٩١٥ فلسطينياً قد فروا من المخيمات الثلاثة أي ما يمثل ٤٠ بالمئة من سكان هذه المخيمات البالغ عددهم نحو أربعين ألف لاجئ فلسطيني.

الفصل الرابع

الموقف العام

- المبحث الأول: استياء وتنديد الهيئات الشعبية.
- المبحث الثاني: موقف الحكومات العربية.
- المبحث الثالث: موقف المسؤولين الفلسطينيين.
- المبحث الرابع: موقف أهل السنة في لبنان.

مدخل

المجازر التي ارتكبتها حركة أمل الشيعية في المخيمات الفلسطينية بلبنان كانت موضع شجب واستنكار عام:

فالجامعة العربية تداعت إلى عقد اجتماعين طارئين على مستوى وزراء خارجية الدول العربية، ومؤتمر على مستوى القمة، عقده ملك المغرب الحسن الثاني بمن حضر، وحضرته سورية رغم معارضتها الشديدة لعقده فمثلها وزير خارجيتها عبد الحليم خدام. وعقد مجلس الأمن [الأمم المتحدة] اجتماعاً للغرض نفسه، وفي كل هذه الاجتماعات كان النظام السوري معزولاً ومتهماً، اللهم إلا من سورية، وإسرائيل، والموارنة في لبنان.

والإسلاميون على مختلف جماعاتهم وهيئاتهم وعلمائهم أصدروا بيانات صارخة قالوا فيها كلمة الحق التي يجب أن تقال بحق الطائفتين: النصيرية والجعفرية الإمامية، ومن هذه البيانات: فتوى مفتي القدس العام الشيخ سعد الدين العلمي التي نص فيها على إباحة دم حافظ الأسد، وجاءت هذه الفتوى بعد اجتماع لكبار علماء المسلمين الفلسطينيين في المسجد الأقصى، ثم تليت في جميع مساجد الأرض المحتلة، وتولت وسائل الإعلام بثها في الخارج.

أما علامة الأمة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فموقفه من النظام الطائفي في سورية واضح بيّن، وإن كنت لم أجد في [أرشيفي الخاص] إلا برقية أرسلها باسم المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية والذي يحضره علماء من مختلف بلدان المسلمين، للرئيس السوري يستنكر فيها الجرائم التي يرتكبها في سورية.

ومن بين المواقف الإسلامية التي تلفت النظر وتثير الاستغراب بيان صادر عن الرابطة الإسلامية الفلسطينية، ومن أهم سمات هذا البيان شدة لهجته، ومتانة أسلوبه، ووضوح دلالته، ولينظر من شاء إلى قولهم في هذا البيان:

(لقد سقطت كل الأقنعة وتلاقت الجذور الباطنية من وراء الكواليس لتصب جام غضبها على الشعب الفلسطيني واللبناني في المخيمات الثلاثة).

وقولهم:

(إن استمرارية الهجمة الشيعية ضد أبناء الشعب الفلسطيني في مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة يجعلنا نصنف منظمة أمل الشيعة مع العدو اليهودي في صف واحد ضد إرادة الشعب الفلسطيني المسلم والأمة العربية والإسلامية).

وقولهم:

(...فقد بدأت الجذور النصيرية والشيعية والدرزية المتلاقية والحاقدة تظهر على السطح ، وتصب جام غضبها على المسلمين من أهل السنة من أبناء الشعبين الفلسطيني واللبناني المسلمين لتكمل بذلك الحلقة المفقودة التي أعيت اليهود إبان احتلالهم للجنوب اللبناني، وأعيت ميليشيات النصارى المارون وغيرهم، وهي إسقاط الرقم المسلم السني من طرف المعادلة اللبنانية بالكلية ....فهل نجحوا في ذلك ؟).

سبحان الذي يغيّر ولا يتغير، فالرابطة الإسلامية الفلسطينية هي ما صارت تسمى فيما بعد [حماس]. فكيف سقطت أقنعة الباطنية عندها في عام ١٩٨٥م، وعادت هذه الأقنعة، وعاد التحالف معها بعد عقد ونصف العقد؟! وكيف تناسوا الدور الهدام لكل من النصيريين والشيعة والدروز الذي أشاروا إليه في بيانهم؟!.

خرجت مظاهرات صاخبة، وعُقِدت ندوات، وصدرت فتاوى وبيانات، ونشرت الصحف في صدر صفحاتها الأولى.. وكل من جهته كان يندد ويستنكر هذه المجازر، ويضاف إلى هذا أن الحدث كان موضوع خطب الجمعة في جميع البلاد العربية والإسلامية وفي معظم بلاد العالم.

وفي المقابل عرضنا بعض الأخبار التي تؤكد تواطؤ رئيس الجمهورية اللبنانية أمين الجميل، وقائد الجيش الجنرال ميشيل عون. هذا في لبنان، أما في سوريا فالنظام الطائفي كان متواطئاً ومحرضاً بشكل صريح ومن غير أقنعة.

ومما يجدر ذكره أنه كان قد تجمع لدي في هذا الفصل أضعاف ما وقع عليه اختياري، وكانت عملية الاختيار شاقة، فكل ما جمعته كان مهماً، ولكن حجم الكتاب لا يتسع لأكثر مما اخترته. هذا من جهة ومن جهة ثانية فمع أنني خصصت المبحث الأول لاستياء وتنديد الهيئات الشعبية، فقد وردت فيه بعض المواقف الرسمية.

المبحث الأول

استياء وتنديد الهيئات الشعبية

باريس – ي.ب-٢٣/٥/١٩٨٥م

قال وزير خارجية سوريا السيد فاروق الشرع إن القتال العنيف الدائر حالياً بين حركة [أمل] ومقاتلين فلسطينيين في مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة سببه ما أسماه [استفزاز] من جانب فلسطينيين موالين للسيد ياسر عرفات. وأعرب الشرع في مقابلة تلفزيونية في باريس حيث يقوم بزيارة رسمية عن اعتقاده بأن هؤلاء المقاتلين الموالين للسيد ياسر عرفات لا يمثلون الشعب الفلسطيني، وقال إن المعارك نجمت عن استفزاز من جانب جماعة عرفات.

وأضاف الشرع أن وفداً من جبهة الإنقاذ الفلسطيني كان قد زار المخيمات الفلسطينية في لبنان ولقي ترحيباً حاراً وقال إن هذا الاستفزاز ينسف جهود جبهة الإنقاذ.

باريس – ي.ب-٢٣/٥/١٩٨٥م

كرر نبيل عمرو مستشار السيد ياسر عرفات في بيان وزع في عمان اتهام سوريا بإثارة القتال وحمّل الرئيس السوري حافظ الأسد مسؤولية الأحداث الدامية. وقال نبيل عمرو: إن المقاتلين الفلسطينيين من جميع الفصائل يلتزمون بموقف موحد في الدفاع عن المخيمات وحذر من الانجرار وراء حملة التحريض السورية الهادفة إلى افتعال اقتتال داخلي فلسطيني

بهدف إنهاء صمود المخيمات وبسط السيطرة عليها.

وأضاف يقول: إن منظمة التحرير الفلسطينية تُحمِّل الرئيس السوري حافظ الأسد مسؤولية الأحداث الدامية التي تنفذها مجموعات من حركة أمل واللواء السادس التابع للجيش اللبناني ضد مخيمات بيروت.

وقال عمرو في بيانه: إن تعليق وكالة الأنباء السورية على الأحداث بعد صمت طويل لا يدع مجالاً للشك في أن الرئيس السوري أخذ جانب حركة أمل وأنه يبارك توجهاتها ضد المخيمات الفلسطينية تحت ستار من الشعارات الكبيرة.

وقال نبيل عمرو: إن منظمة التحرير الفلسطينية لا تخطط للعودة إلى لبنان وإنما تعتبر نفسها معنية بتوفير حماية كافية للمخيمات الفلسطينية تفادياً لوقوع مجازر على غرار مجازر صبرا وشاتيلا ومجازر بيروت الغربية و المجازر الجديدة التي تنفذ الآن. واختتم عمرو بيانه بالقول: إن تحركاً سياسياً واسع النطاق تقوم به قيادة المنظمة على الصعيد العربي و الدولي لمحاصرة الأحداث في المخيمات وقد لقي هذا التحرك حتى الآن استجابة معقولة. كما أشاد بموقف العديد من الشخصيات الوطنية والإسلامية في بيروت التي رفضت التوجهات العدوانية ضد المخيمات الفلسطينية واتخذت مواقف داعمة لصمودها وكرامة سكانها.

صحيفة الوطن الكويتية ٢٤/٥/١٩٨٥م:

في عمان اتهم ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في مؤتمر صحفي أمس سوريا بالسعي لسحق المخيمات الفلسطينية في لبنان وأكد أن هناك اتفاقاً بين أمل وإسرائيل لحماية جيش الاحتلال الإسرائيلي. ودعت صحيفة جروزالم بوست الإسرائيلية في هذه الأثناء إلى عدم تجاهل تلاقي مصالح حركة أمل وإسرائيل التي تقوم

على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل. وقالت الصحيفة: إن إسرائيل ترددت حتى الآن في تسليم حركة أمل مهمة الحفاظ على الأمن والقانون على الحدود بين فلسطين المحتلة ولبنان وإن الوقت حان لأن تعهد إسرائيل إلى أمل بهذه المهمة.

صحيفة الوطن الكويتية ٢٤/٥/١٩٨٥م:

وما زالت ردود الفعل تتواصل مستنكرة الاعتداءات الآثمة على المخيمات الفلسطينية، ففي لندن دعا معتصمون فلسطينيون يحتلون مكتب الجامعة العربية للتدخل العربي الفوري واتخاذ الإجراءات العاجلة لوقف مجزرة المخيمات.

وفي روما أصدرت المنظمات الطلابية العربية بمشاركة الاتحاد الفلسطيني بيانات سياسية في كافة المدن الإيطالية تستنكر هذه المجازر.

وفي مدريد نظمت الجالية الفلسطينية اعتصاماً للاحتجاج على الجرائم البشعة بحق الشعب الفلسطيني.

وفي نيويورك اندلعت موجة غضب عنيفة لدى العرب والفلسطينيين وشارك مئات الفلسطينيين والعرب وأعضاء جمعيات اجتماعية ومنظمات أمريكية في مظاهرات اعتصامية احتجاجاً على الهجمات البشعة على المخيمات الفلسطينية في بيروت.

ووزعت بيانات في نيويورك ونيوجرسي وميتشيجان وكاليفورنيا تندد بالمجازر الدامية والقذرة ضد المخيمات الآمنة. ودعت البيانات إلى وقف فوري لإطلاق النار ورفع الحصار المفروض على المخيمات وعلاج الجرحى وتأمين الإمدادات الغذائية والمياه

لسكان المخيمات.

وفي تونس اجتمع الشاذلي القليبي مع مندوب لبنان لدى الجامعة العربية وبحث معه الوضع المؤسف في المخيمات الفلسطينية ببيروت.

الوطن ٢٥/٥/١٩٨٥م:

عمليات خطف

قامت ميليشيات حركة أمل باقتحام عشرات المنازل في بيروت الغربية وخطفت ما يقارب ٥٠٠ فلسطيني من منازلهم بالقوة واقتادتهم إلى جهة غير معلومة.

أسلحة وذخائر من الكتائب لـ [أمل]

أكدت مصادر فلسطينية في دمشق لِ [الوطن] أن أسلحة وذخائر بدأت تتدفق من بيروت الشرقية ومن حزب الكتائب بالذات إلى حركة أمل دعماً لدورها في تدمير المخيمات الفلسطينية وفي نفس الوقت بدأ اللواء السادس يتلقى أسلحة وذخائر من قيادة الجيش اللبناني، وذلك لأول مرة منذ عام.. وذلك مكافأة على دوره في قصف المخيمات.

الوطن ٢٥/٥/١٩٨٥م:

جيش السلطة يدعم اللواء السادس

جاء في نبأ خاص لِ [الوطن] من بيروت أن قائد الجيش اللبناني ميشيل عون أرسل وحدات من الجيش قوامها دبابات وذخائر وآليات إلى اللواء السادس المشارك في محاولات اقتحام المخيمات الفلسطينية مع حركة أمل. وأضاف الخبر أن قائد جيش سراي بعبدا

أرسل هذا الدعم إلى اللواء السادس نتيجة للخسائر الكبيرة التي تكبدها نتيجة صمود الشعب الفلسطيني المقاتل عن وجوده. وأشار مصدر الخبر أن هذا دليل على التواطؤ بين السلطة اللبنانية والكتائب مع حركة أمل في هجومها على المخيمات الفلسطينية.

وكالات الأنباء ٢٧/٥/١٩٨٥م:

- في عمان، أعلن الليلة قبل الماضية أن العاهل الأردني الملك حسين أكد أن الأردن يبذل كل ما في وسعه من أجل بلورة موقف عربي سريع وفعال حيال الاعتداءات الوحشية التي تتعرض لها المخيمات الفلسطينية ببيروت على أيدي حركة أمل واللواءين السادس و الثامن في الجيش اللبناني منذ يوم الأحد الماضي.

وقال العاهل الأردني الذي يزور واشنطن حالياً في اتصال هاتفي أجراه الليلة قبل الماضية مع رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الموجود في عمان حالياً أنه لن يألو جهداً لدى مختلف المحافل العربية و الدولية من أجل وقف الاعتداءات على المدنيين الفلسطينيين من شيوخ ونساء وأطفال داخل المخيمات المحاصرة.

وقد شكر عرفات موقف العاهل الأردني الداعي إلى وقف الهجمات ضد الفلسطينيين في مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة.

- كذلك شهدت المخيمات الفلسطينية في شمال لبنان وجنوبه مظاهر الاحتجاج على ما تتعرض له المخيمات من هجمات.

فقد نظمت التظاهرات والمسيرات في مخيمي بداوي والبارد شمالاً ومخيم عين الحلوة جنوباً.

وردد آلاف اللاجئين خلال هذه التظاهرات شعارات مناهضة لحركة أمل.

- وفي دمشق وجه أسرى الثورة الفلسطينية المحررون من سجون العدو الإسرائيلي نداءً إلى كل القوى الوطنية والتقدمية والديمقراطية في الوطن العربي والعالم للتحرك الفوري من أجل وضع حد لسفك الدماء في المخيمات الفلسطينية في لبنان.
- في صنعاء أدانت الجمهورية العربية اليمنية بشدة الليلة قبل الماضية ما يجري الآن حول المخيمات الفلسطينية في بيروت ودعت إلى الوقف الفوري للاقتتال.

وصرح مصدر مسؤول لوكالة الأنباء اليمنية سبأ بقوله: إن هذا الاقتتال يساعد على تنفيذ مخطط العدو الصهيوني المتربص بالأمة العربية وأن المصلحة القومية العليا تفترض أن تكون الأرض اللبنانية ساحات للعمل القوي ضد الوجود الصهيوني في الأراضي العربية المحتلة.

ودعا المصدر جميع الدول العربية لتكثيف الجهود لوقف الاقتتال والحيلولة دون تكرار مثل هذه الأعمال وذلك لخدمة المصالح القومية العليا للأمة العربية.

- وفي مكتب حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في الرياض صدر البيان التالي:

لوحظ أن إحدى الإذاعات الأجنبية التي تذيع باللغة العربية دأبت في الآونة الأخيرة على محاولات التركيز على أخبار كاذبة تتلقاها من مصادر حركة أمل ومن مصادر الأجهزة اللبنانية محشوة بالمغالطات، وكما هو معروف أنه منذ أربعة أيام تدعي هذه الإذاعة [وهي مونت كارلو] التي أصبحت معروفة بارتباطاتها، ما يجري عن سقوط مخيم شاتيلا ومخيم صبرا في الوقت الذي تمتنع فيه عن إذاعة البيانات الفلسطينية الرسمية والإصرار فقط على إذاعة البيانات التي تصدر عن الجانب الآخر.

إن الثورة الفلسطينية انطلاقاً من مبدأ وضع النقاط فوق الحروف تؤكد أنه رغم المواجهات المتتالية على أكثر من محور من محاور شاتيلا فقد ظل هذا المخيم صامداً، أما بالنسبة إلى مخيم صبرا فإن الأجزاء الرئيسية ظلت صامدة رغم أنه كان بعد حركة ٦ فبراير [شباط] تحت إشراف وحماية حركة [أمل]، ثم قامت [أمل] وللأسف باحتلال مستشفى غزة ونهبت محتوياته ثم أحرقته وقتلت عدداً من العاملين فيه و الجرحى، علماً بأن هذا المستشفى كان يعالج أكثر من ٨٠٪ من مرضاه من اللبنانيين وإن الثورة الفلسطينية وكما هو معروف بدأت مستشفياتها بالمجان لكل أبناء الشعب اللبناني و الفلسطيني.

إننا نهيب بالجميع أن يتوخوا الدقة و الموضوعية وعدم الالتزام بوجهة نظر دون أخرى وندعو الصحفيين إلى زيارة المنطقة وإرسال التقارير من الداخل وليس من الخارج، وتجدر الإشارة بأن هذه الادعاءات مستمرة منذ أيام ولا أساس لها من الصحة.

- في لندن دعت وزارة الخارجية البريطانية أمس إلى السماح لرجال هيئة الصليب الأحمر الدولية العاملة في لبنان بالدخول إلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت الغربية لإنقاذ الجرحى و المصابين من جراء الحرب الدائرة حول هذه المخيمات منذ أسبوع مضى.

وكالات الأنباء ٢٨/٥/١٩٨٥م:

- صنعاء: أصدرت الاتحادات الشعبية و النقابية الفلسطينية بياناً طالبت فيه أحرار العالم و الأشقاء العرب، التدخل لوقف الهجمات ضد المخيمات الفلسطينية والوقوف بحزم إلى جانب الشعب الفلسطيني لوقف نزيف الدم.

- دمشق: ندد الكتَّاب والمثقفون الفلسطينيون بالهجمات التي تتعرض لها المخيمات الفلسطينية في بيروت من قبل ميليشيا حركة أمل ووحدات من الجيش اللبناني منذ عشرة أيام.

وطالب الكتاب والمثقفون في بيان وقعه أكثر من مئة منهم (وقف المجزرة التي يواجهها الشعب الفلسطيني في مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة والتي هدفها إنهاء الوجود الفلسطيني في لبنان وشطب دوره الوطني هناك).

- بيروت: أهاب نائب رئيس المجلس النيابي اللبناني، السيد منير أبو فاضل، بجميع الأطراف أن يتداركوا الأمر وأن يعملوا على وقف الاقتتال والعودة إلى التعامل بكل محبة وتآخٍ بين رفاق الصف الواحد والخندق الواحد والقضية الواحدة.

وكان أبو فاضل يتحدث إلى مجلة [مونداي مورنينج] التي تصدر بالإنجليزية في بيروت، وأعرب عن أسفه لوقوع المعارك الموجهة ضد المخيمات.

وطالب بتوجيه البنادق إلى العدو المشترك قائلاً (إن المعارك يجب أن تنتقل إلى الجنوب، ونحن مع الفلسطينيين في معركة المصير على أرض فلسطين ولا نكون إلا أمامهم أو بجانبهم، مشيراً إلى أن هذه هي المعركة الحقيقية التي نريدها وهي معركة تحرير الأرض، وما قام به أبطالنا في الجنوب وفي كل الأماكن حتى الآن هو المعركة الحقيقة لطرد العدو).

ورأى أنه إذا لم تتمكن الحكومة اللبنانية من حفظ الأمن وتثبيت الطمأنينة والعمل من أجل التآخي، ووقف التشريد والتهجير والتدمير والقتل، فلا بد أن يكون آخر المطاف هو الكي، أي استقدام إخواننا من قوات الردع العربية لوقف هذا الاقتتال ونزع السلاح من الجميع.

وأكد أبو فاضل تأييده لدعوة رئيس الجمهورية الأسبق، سليمان فرنجية، إلى عقد مؤتمر وطني يستبعد منه كل متعامل مع إسرائيل.

- اتحاد المحامين يستنكر: وجه اتحاد المحامين العرب نداءً إلى نبيه بري يناشده فيه وقف القتال. وقال البيان الذي وقعه فاروق أبو عيسى، الأمين العام للاتحاد (رأيت من واجبي أن أوجه إليكم هذه الرسالة المفتوحة بعد أن تعذرت وسائل الاتصال وأغلق مطار بيروت بسبب القصف الأخير.. وحال ذلك دون مجيئي إليكم برفقة وفد من المحامين العرب لنتحدث إليكم كرجال قانون وزميل عضو باتحادنا يعرف قيمة القانون ودوره في تنظيم العلاقات بين الجماعات و الأفراد ويدرك أن الاحتكام إلى العنف وأعمال السلاح لن يفيد منه إلا أعداء أمتنا المتربصون بنا جميعنا).
- وأضاف البيان أن ما تشهده المخيمات الفلسطينية في بيروت و الضاحية الجنوبية منها، أمر يستنكره العقل والمنطق ويصيبنا جميعاً في الأمانة العامة لاتحاد المحامين العرب بالدهشة والإحباط، إذ لا يتصور أن تتوجه طاقات منظمة أمل العسكرية و البشرية ضد المقاومة الفلسطينية التي لعبت دوراً معكم طوال السنوات الماضية في النضال المشترك ضد اعتداءات إسرائيل الوحشية ومخططاتها التآمرية بالتحالف مع الإمبريالية الأمريكية وخاصة إبان حصار بيروت.
- باريس: أدانت [الحركة من أجل الديمقراطية في الجزائر] التي يقودها الرئيس الجزائري السابق أحمد بن بيلا (القصف الذي تتعرض له المخيمات الفلسطينية في بيروت على يد حركة أمل وحملة الإبادة العلنية ضد الشعب الفلسطيني) مؤكدة أنها (لن تتوانى عن اللجوء إلى كل الوسائل المتاحة لوضع حد لهذه الحالة الشاذة).

وأكدت الحركة في بيان لها وقوفها (دون قيد أو شرط ودون حدود إلى جانب

الشعب الفلسطيني في الدفاع عن وجوده والحفاظ على بندقيته المقاتلة مهما كانت الظروف والتضحيات ودعت جميع الأطراف اللبنانية والعربية المخلصة إلى التدخل لوضع حد سريع للمجزرة القائمة).

- **القدس المحتلة**: وجد نائب من نواب العدو أن من الواجب القيام بتظاهرة إسرائيلية للتنديد بالمذابح ضد الفلسطينيين.

فقد دعا النائب الإسرائيلي اليعازر جرانوت السكرتير العام لحزب المابام [المعارضة اليسارية] أمس الإسرائيليين إلى القيام بمظاهرة جماهيرية في تل أبيب للتنديد [بالمذابح] ضد الفلسطينيين في مخيمي صبرا وشاتيلا في شهر سبتمبر [أيلول] ١٩٨٢ .

وأكد النائب الإسرائيلي (إن المذبحة تظل مذبحة أياً كان المجرمون أو الضحايا) وندد بتآمر الحكومات ووسائل الإعلام في صمتها تجاه المذبحة الحالية للفلسطينيين في بيروت الغربية.

واستنكرت شخصيات من عرب الأرض المحتلة من مختلف الاتجاهات أمس، هجوم مليشيات ضد مخيمات صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في بيروت.

وقال إبراهيم حسين، رئيس مجلس القرى العربية في إسرائيل، (إننا نطالب المجتمع الدولي بوضع حد للمذابح التي تحول المخيمات الفلسطينية في لبنان إلى مقابر).

ودعا النائب توفيق طوبي إلى وقف المذابح، كما ندد تنديداً قوياً بهجوم أمل الذي قال إنه يستهدف التصفية الجسدية للمشكلة الفلسطينية ويخدم أعداء الشعب الفلسطيني وفي طليعتهم إسرائيل.

وأدان عزيز شحادة، أحد زعماء القائمة التقدمية من أجل السلام، المذابح وأوضح

أن هـدف مليشـيا أمـل الـذين تسـاندهم سـوريا هـو القضـاء عـلى الاسـتقلال السـياسي الفلسطيني في العالم العربي.

وقال كرودوش منصور، وهو زعيم سابق لحركة (الأرض العربية)، إن هذه الجريمة الرهيبة دليل على تآمر بين إسرائيل وأمل لتصفية القضية الفلسطينية.

وكالات الأنباء ٢٨/٥/١٩٨٥

المؤتمر الإسلامي يطلب وقف المجزرة:

جدة- خاص بالشرق الأوسط

أصدر الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، شريف الـدين بـيرزاده، اليـوم بيانـاً جديـداً عن الأحداث الدامية التي تشهدها بيروت جاء فيه:

تتابع الأمة الإسلامية في كل أقطارها بقلق عميق وحزن شديد أنباء الهجمات المروعة التي تتعرض لها منذ مطلع شهر رمضان المبارك مخيمات الإخوة الفلسطينيين في بيروت.

وإن منظمة المؤتمر الإسلامي التي تعتبر القضية الفلسطينية قضيتها الأولى لتأسف أشـد الأسف لعدم استجابة الأطراف المعنيـة للنـداء الـذي وجهتـه المنظمـة في مطلـع هـذا الشـهر الكريم للتوقف عن مهاجمة مخيمات الإخوة الفلسطينيين في بيروت. ونتيجة لاستمرار أعمال القمع والترويع في المخيمات المذكورة فقد استشهد المئات من الأبرياء من النسـاء والأطفـال وأصيب الآلاف وبات معظم سكان المخيمات دون مأوى. ومما يزيد من الحزن والمرارة، أن هذه المأساة المروعة والدماء الزكية التي تسيل إنما تهدر بأيد مسلمة مما يتنافى مع تعـاليم ديننـا الحنيف الذي يدعونا إلى أن نكون صفاً واحداً أمام العدو الصهيوني المشترك.

ومنظمة المؤتمر الإسلامي إذ تدين بشدة الاعتداءات المستمرة على إخواننا الفلسطينيين في مخيماتهم، تناشد الحكومة اللبنانية والقيادات الإسلامية اللبنانية العمل على وقف القتال ووقف النزيف وأعمال التهجير والتدمير. وتناشد منظمة المؤتمر الإسلامي أيضاً الدول الإسلامية في الوقت نفسه كي تتحمل مسؤوليتها وتساعد على وضع حد لهذه المأساة على الفور وعلى تقديم المعونات الإسلامية اللازمة في أسرع وقت ممكن.

الوطن ٢٦/٥/١٩٨٥

حصلت [الوطن] من مصادرها المطلعة في دمشق على مضمون اجتماع ساخن بين نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام وبين السفير السوفيتي لدى دمشق حيث سأل الأخير المسؤول السوري متى سيتوقف القتال فأجابه خدام قائلاً (عندما تنتهي ذخيرة الفلسطينيين). ووصف خدام قادة جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطيني بالغباء (لأنهم انجروا وراء عرفات)!!. وأكد السفير السوفيتي لمحدثه بأن بلاده سوف لن تتخلى عن أصدقائها الفلسطينيين والحركة الوطنية اللبنانية.

الأنباء ٢٩/٥/١٩٨٥

السعودية تشجب اعتداءات أمل على المخيمات

أدان مجلس الوزراء السعودي في جلسته الليلة الماضية برئاسة الملك فهد بن عبد العزيز الاعتداءات التي تعرضت وتتعرض لها المخيمات الفلسطينية في لبنان واستعرض الأوضاع الأمنية الراهنة بالمنطقة وما تتعرض له بعض دولها من أعمال إرهابية وتهديدات تطلقها جهات معينة.

وقال وزير الإعلام السعودي السيد علي الشاعر في تصريح صحفي عقب الجلسة أن

المجلس استعرض ظروف الحالة الأمنية في المنطقة وما تتعرض له بعض دولها من أعمال إرهابية وتهديدات تطلقها جهات معينة تحت مسميات وشعارات عديدة.. وأضاف أن المجلس ناقش الأساليب والإجراءات التي يجب أن تتخذ في هذا الصدد.

وذكر أن مجلس الوزراء استعرض عدة تقارير عن الأوضاع في لبنان موضحاً أن المجلس شجب الاعتداءات التي تعرضت لها المخيمات الفلسطينية في لبنان.

وأشار السيد الشاعر إلى أن المجلس أعرب عن أمله في أن تستجيب القيادات اللبنانية إلى النداءات التي صدرت عن مختلف الزعامات العربية والإسلامية والتي تناشد المقاتلين بوقف إطلاق النار فوراً وحقن الدماء لمواجهة عدوهم المشترك وحمله على الانسحاب الكامل من جميع الأراضي اللبنانية.

الأنباء ٧/٦/١٩٨٥

عقدت جبهة الإنقاذ الوطني الفلسطينية مؤتمراً صحفياً في مخيم عين الحلوة بمناسبة الذكرى الثالثة للاجتياح الإسرائيلي للبنان، وأعلن أبو نزار الذي تحدث باسم الجبهة وبحضور ممثلين عن الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين أعلن أن جبهة الإنقاذ الفلسطينية كانت تتمنى لو أن الموقف السوري من أحداث المخيمات كان أوضح مما بدا، واعترف ممثل جبهة الإنقاذ بأن هناك خللاً بدأ يعتري العلاقات داخل مثلث الصمود اللبناني السوري الفلسطيني. وأكد رفض نزع سلاح المخيمات وعلى استمرار النضال المسلح المشترك مع اللبنانيين لدحر الاحتلال الإسرائيلي. ونوه أبو نزار بالمقاومة الوطنية الباسلة التي قادتها القوى الوطنية والديمقراطية التي يعود إليها الدور الرئيسي في

طـرد قـوات الاحـتلال ونـدد في ذات الوقـت بمـؤامرة [كامـب ديفيـد] وبـها وصـفه بالمشـاريع الأمريكيـة الناشـطة عـلى مسـتوى المنطقـة وبالتنـازلات التـي تقـدمها [القيادة اليمينية] لمنظمة التحرير.

حواجز

وقد ظهرت حواجز فلسطينية مسلحة على مداخل مخيم عين الحلوة أثناء انعقـاد المؤتمر راحت تدقق بهويات الداخلين والخارجين. وعـن حـرب المخيمات في بـيروت قـال البيان الذي تلاه أبو نزار أن حركة أمل تتحمل المسؤولية الأساسية في افتعالها وفي توسيعها لحرب المخيمات وفي استمرار هذه الحرب حتى الآن، وأضـاف يقـول (إن ذلـك يؤكـد بـأن العـدو الصهيوني لم يسلم بعد بهزيمته الكاملة في لبنان وأن المشروع السلطوي الانعزالي اللبنـاني لم يعترف بفشل مشروعه بعد). وتابع البيان يقول: (إن ما تعرضت له مخيمات بيروت يتجاوز كثيراً مخاطر اليمين الفلسطيني لأن مـا حـدث يـرتبط مبـاشرة بالخضـوع لقـرارات اتفـاق ١٧ أيـار الملغـي وتنفيـذاً لهـا بسـنوات جديـدة). وتـابع البيـان يقـول إن الإصرار عـلى عـدم استمرار الكفاح اللبناني الفلسطيني المشترك ضد العدو الإسرائيلي هو تنفيذ لعملية أهـداف سلامة الجليل وإضعاف لدور جبهة الإنقاذ الفلسطيني وتحويلها إلى مجرد يافطة غير فاعلة.

واستطرد البيان يقول إننا سنستميت بالتعاون مع حلفائنا لمنع انتقال أحداث مخيمات بيروت إلى الجنوب الصامد شعوراً منا بمسؤوليتنا حيال شعب الجنوب ولتوفير الأجـواء لإعادة توحيد الخندق.

بيروت - كونا ٢٢/٦/١٩٨٥

ويقـول مراسـل الأنبـاء في بـيروت الـذي دخـل المخيمـين أمـس ضـمن مجموعـة مـن

الصحفيين أنهم لم يشاهدوا فيهما أي سلاح ثقيل أو متوسط ، بل كل ما فيهما بنادق أوتوماتيكية وقذائف صاروخية صغيرة إضافة إلى منجنيقات قديمة وآلات عتيقة الطراز. وقامت جرافات أمس بإزالة المتاريس و الدشم في أزقة المخيمات، بينما كانت روائح الجثث المدفونة تنبعث منها وتزكم الأنوف. وأكد الصحفيون الذين دخلوا المخيمين أن جميع منازلهما قد أصيبت جراء قصف أمل واللواء السادس وأضافوا أن ممثلي أمل وجبهة الإنقاذ تعانقوا رغم ذلك داخل مخيم برج البراجنة. وبموجب اتفاق دمشق لن يسمح لميليشيات أمل واللواء السادس دخول المخيمين خلافاً لما كان عليه الوضع قبل اندلاع حرب المخيمات.

الأنباء ٢٧/٦/١٩٨٥

توقفت حرب المخيمات بعد اتفاق دمشق.. ودخلت قوى الأمن الداخلي إلى بقايا أحيائها بعد أن سحبت منها الأسلحة الثقيلة والمتوسطة.. وحظر حمل السلاح الخفيف داخلها على من تبقى من سكانها والمقاتلين منهم...

ومع هذه الإجراءات.. دخلت عدسات التصوير لتسجل نتائج المذبحة التي سقط فيها أكثر من ستمائة قتيل و٢٥٠٠ جريح، وتهدم أكثر من ٩٠ بالمائة من مساكن مخيم صبرا وسويت بالأرض، ودمرت معظم المساكن والمباني في مخيمي شاتيلا.. وبرج البراجنة..

إجماع على التنديد

الكويت – اليوم السابع

يسود غضب شعبي واسع كل الأوساط في الكويت بسبب الاعتداءات التي تقوم بها حركة أمل على اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات بيروت، وقد جرت سلسلة واسعة من التحركات الشعبية، فقد أصدر رؤساء الاتحادات الشعبية وممثلو فصائل المقاومة [فتح -التحالف الديمقراطي] وأعضاء المجلس الوطني بياناً مشتركاً استنكروا فيه ما تقوم به حركة أمل من أعمال تستهدف الحصول على حسن سلوك من إسرائيل لتصبح المسؤولة عن أمن الجنوب والقوة المهيمنة فيه بعد الانسحاب الإسرائيلي، وأشاروا في بيانهم إلى ما تلقاه هذه الميليشيات من مباركة سورية غير مباشرة.

وفي الوقت نفسه، أصدر عدد كبير من المحامين والأطباء والصحفيين والمهندسين، والفعاليات الوطنية الفلسطينية بياناً وقعوه بأسمائهم ونشرته الصحف الكويتية في صدر صفحاتها الأولى أدانوا فيه المذابح التي ترتكبها حركة أمل، وأبدوا استغرابهم لما نقلته صحيفة الثورة السورية من مباركة لما يسمونه بضرورة استئناف الحوار الفلسطيني الشامل ودون إبطاء على قاعدة اتفاق عدن -الجزائر. وأشادوا بوحدة المقاتلين في الدفاع عن مخيمات شعبهم.

وقد انعكس هذا التغير في المزاج الشعبي في افتتاحيات ومقالات الصحف الكويتية التي اختفت منها هذه الأيام نبرة التشكيك بالقيادة

الفلسطينية وركزت هجومها على فرض التمييز بين المقاتلين بسبب انتمائهم السياسي، وغمزت أغلب الصحف من قناة الموقف السوري القادر -حين يريد- على وقف الاقتتال.

العدد (٥٦): اليوم السابع.

بيان صادر عن الرابطة الإسلامية للشباب الفلسطيني:

" المخيمات الفلسطينية والمحنة الدائمة "

إن المؤامرات الماكرة التي أحكمت ضد الشعب الفلسطيني على وجه العموم وضد المخيمات الفلسطينية في جنوب بيروت (صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة) على وجه الخصوص لم تنته بعد، وها هي فصولها الحالكة تتوالى أمام أسماعنا وأبصارنا مما يدمى له القلب ويتفطر له الفؤاد وخاصة في شهر رمضان المبارك الذي له حرمته الخاصة عند المسلمين... فقد تولَّى كيد هذه المؤامرات من قديم الزمان أعداء الله من اليهود والنصارى وأكمل دورهم أذنابهم من الزعامات والقيادات العربية، واستكمالاً لذلك الدور وإمعاناً في تفجير الأزمة الطائفية، فقد بدأت الجذور النصيرية والشيعية والدرزية المتلاقية والحاقدة تظهر على السطح وتصبُّ جام غضبها على المسلمين من أهل السنة من أبناء الشعبين الفلسطيني واللبناني المسلمين لتكمل بذلك الحلقة المفقودة التي أعيت اليهود إبان احتلالهم للجنوب اللبناني وأعيت ميليشيات النصارى المارون وغيرهم، وهي إسقاط الرقم المسلم السني من طرف المعادلة اللبنانية بالكلية... فهل نجحوا في ذلك؟

لقد ضربت المقاومة الإسلامية في الجنوب اللبناني أروع الأمثلة في البطولة والفداء والتضحية ضد قوات الاحتلال اليهودي.. إلا أن الله سبحانه وتعالى شاء أن يكشف المتاجرين بالقضية الإسلامية من الشيعة وغيرهم والتي تلطخت أيديهم بدماء الأبرياء من أبناء الشعبين الفلسطيني واللبناني من أهل السنة... فها هي حرب المخيمات

المستعرة حيث تحاصر قوات [أمل الشيعية] المخيمات الفلسطينية الثلاثة في محاولة منها لاقتحامها وإفناء كل مسلم سني فيها ولاستئصال الإرادة الفلسطينية وسلب البندقية الفلسطينية التي رجعت لتحمي أبناء الشعب الفلسطيني الأعزل بعد أن أثبتت كل الفرق المخولة بالدفاع عنه عجزها الكامل بل تواطؤها للقضاء على أبناء هذا الشعب من فلسطينيين ولبنانيين بعد انسحاب الجيش اليهودي المحتل والذي كان يشكل وبالاً عظيماً على الجميع.

وها هي الأخبار تتوالى... المدفعية الشيعية [منظمة أمل] والموارنة [اللواء السادس والثامن من الجيش اللبناني] تقصف وبدون توقف المخيمات الثلاثة ولكنها تواجه بمقاومة شديدة فالقتلى بالمئات... والجرحى والمشردون بالآلاف... وأما الحكومة اللبنانية فكأن الأمر لا يعنيها والحكومة السورية مغتبطة لكل ما يحدث لأنه جزء من إرادتها... والحكومات العربية -كالعادة- لا تملك إلا الاتصالات الهاتفية الساخنة والبيانات الصاخبة التي ترجو الجزَّارين أنفسهم أن يوقفوا إطلاق النار حقناً للدماء المسلمة.. والشعب الفلسطيني واللبناني المسلمان وحدهما في الميدان... رجاله ونساؤه وشيوخه وأطفاله يقاتلون بشراسة، حتى أن نبيه بري اعترف قائلاً (إن الفتيات الصغيرات في المخيمات تقذفنا بالقنابل اليدوية) إنهم يقاتلون صوناً لأرواحهم ولكرامتهم... ومن قريب تربض المدفعية الدرزية المجتزرة لترقب بصمت خواتيم الأمور.

وأما العدو اليهودي فإنه يقف مختالاً فرحاً يقهقه على أشلاء الشعب الفلسطيني بعد أن أناب عنه من يقوم بدوره بأساليبه التفريقية وسلطته الواسعة هناك عند ريجن وأسد و...؟

فإذن هذه هي الطائفية المتننة التي تحكم الآن في لبنان لتجعل منه [كانتونات] طائفية مختومة بأختام درزية أو مارونية أو شيعية وربما سنية لتكون نهاية البداية للخطة اليهودية الأمريكية الباطنية في تقسيم لبنان تقسيماً يلغي من قاموس التاريخ والجغرافيا [لبنان الموحد العريق]، ويا لعار أمة كان لها المجد والفخار.

لقد سقطت كل الأقنعة وتلاقت الجذور الباطنية من وراء الكواليس لتصب جام غضبها على الشعب الفلسطيني واللبناني في المخيمات الثلاث.

ونحن في الرابطة الإسلامية للشباب الفلسطيني نعلن...

* رفضنا لكلّ أشكال الطائفية والتقسيم في لبنان.

* إن استمرارية الهجمة الشيعية ضد أبناء الشعب الفلسطيني في مخيمات صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة يجعلنا نصنف منظمة [أمل الشيعية] مع العدو اليهودي في صف واحد ضد إرادة الشعب الفلسطيني المسلم والأمة العربية والإسلامية.

* نحيي صمود شعبنا الفلسطيني واللبناني رجاله ونسائه، شيوخه وأطفاله في وجه هذه الهجمة الشيعية النصرانية الحاقدة.

* ندعو كل القوى اللبنانية والإسلامية المخلصة إلى توحيد الجهود ضد العدو اليهودي الغادر الذي يتفرج الآن على حصاده البغيض.

*ندعو [م.ت.ف] أن تحدد هويتها واضحة بلا غموض وأن تنبذ الحلول الاستسلامية لكل طروحاتها لتعود إلى البندقية من جديد متلاحمة معه الحركة الإسلامية المخلصة بعد أن سقطت الأقنعة وتحددت الولاءات.

❊ إن الحل الإسلامي هو الحل الوحيد للقضية الفلسطينية عبر طريقه الوحيد وهو الجهاد في سبيل الله مهما ادلهمت الخطوب وطال الطريق... والله أكبر والنصر للصابرين. ﴿...وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]

الرابطة الإسلامية للشباب الفلسطيني

في المملكة المتحدة وايرلندة

رمضان ١٤٠٥هـ/ مايو ١٩٨٥م

القبس / الاثنين ١٦ رمضان

٢٧حزيران / ١٩٨٣

العدد (٣٩٩٥)

فتوى لمفتي القدس:

"حلال قتل حافظ الأسد"

أحلّ الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس سفك دم الرئيس السوري حافظ الأسد .ونقلت عنه [وكالة الصحافة الفرنسية] قوله في تصريح للصحافيين في مدينة القدس أمس (أن من واجب كل مسلم أن يقتل حافظ الأسد الرئيس السوري، هذا القاتل الذي يغتال المسلمين والذي يطيع أسياده الأمريكيين).

وأضاف أنه أصدر [فتوى تبيح لكل مسلم أن يقتل الأسد مثلما قتل السادات] وقال موضحاً: (إن قتل الأسد حلال، لأنه أعطى إسرائيل الجولان وقتل آلاف المسلمين في

حماة في عام ١٩٨١ وذبح المسلمين في تل الزعتر ببيروت عام ١٩٧٥، وهو لذلك أسوأ عدو للمسلمين).

وكان الشيخ سعد الدين العلمي يتحدث بعد إجماع لكبار رجال الدين في المسجد الأقصى الذي اتخذ قراراً يدين الرئيس السوري ونظامه ويؤكد على مساعدة جميع الفلسطينيين لياسر عرفات ولقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، ويدعو القيادات العربية إلى إحباط المؤامرة السورية. وحضر التجمع المئات من المصلين وتحدث خلاله حسن طهبوب رئيس الأوقاف. وفي غزة دعا المجلس الإسلامي أمس إلى التمسك بالوحدة في (مواجهة جميع الخونة).

الشيخ سعد الدين العلمي كان قاضي القدس الشرعي، قبل أن يعيّن رئيساً للهيئة العلمية الإسلامية العليا، ويتسلم بعدها منصب المفتي العام أو مفتي القدس الأكبر، وعندما أصدر فتواه عام ١٩٨٣ كان قد بلغ الخامسة والثمانين من عمره.

مجلة الوطن العربي أجرت معه الحوار التالي بعد صدور فتواه:

سألناه: ما هي مبررات الفتوى التي أصدرتها ضد الرئيس السوري؟

أجاب: إن حافظ الأسد قتل الكثيرين من المسلمين منذ أن تولى الحكم، ولا يزال، ولهذا فإن دمه حلال وقتله مشروع لكل مسلم، ومن يغتاله يحتل مرتبة الشهيد.

وهل يمكن أن توضح كيف ينفذ الرئيس السوري الأوامر الأمريكية؟

إن الولايات المتحدة تريد القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية، وهي لا توفر وسيلة في ذلك. وعندما يشارك حافظ الأسد في قتل الفلسطينيين والمسلمين فإنه ينفذ هذه

المخططات. والدليل أن وزير الخارجية الأمريكية يبارك أعمال الأسد... أليس هذا دليلاً كافياً؟

كيف تنظر إلى طرد عرفات من دمشق؟

أنا لا أفاجأ، لكن يؤلمني أن يكون السوريون قد دخلوا لبنان في العام ١٩٧٥ لتنفيذ مؤامرة أمريكية، ثم دخلت القوات الإسرائيلية لتنفيذ الشق الثاني من المؤامرة... وما عجز عنه أريئيل شارون وجنوده ينفذه النظام السوري اليوم، إنها المرحلة الثالثة من المؤامرة.

وهل تقترح شيئاً للحفاظ على وحدة منظمة التحرير الفلسطينية؟

أنا تحت الاحتلال ولا أستطيع شيئاً... إلا أنني أدعو الفلسطينيين والعرب إلى الوحدة، خصوصاً في هذه المرحلة الصعبة التي يمر بها المسلمون. إنه ندائي إلى الجميع.

وهل يمكن اعتبار الفتوى التي أصدرتها نداء إلى [المتمردين]؟

إنه ندائي إلى الجميع.

هل إنها فتوى سياسية أم دينية ؟

إنها فتوى دينية صادرة عني شخصياً، ضد أي تنسيق مع أي مرجع علمي أو ديني آخر... وأنا لا أتعاطى السياسة إطلاقاً. اجتهادي هنا أعتبره اجتهاداً واقعياً ودينياً في آن.

هل أنت على اتصال بياسر عرفات؟

لا... أبداً، أنا لست على اتصال بالقيادات.

وهل تنصح الفلسطينيين بالبقاء في لبنان أم بالخروج منه؟

هم أدرى بأحوالهم وقضيتهم، وعليهم العودة إلى قياداتهم.

وهل تعتقد أن منظمة التحرير مهددة فعلاً في وحدتها وفي استمرارها؟

أعتقد أن حافظ الأسد يتصور أموراً ليس لها وجود.

وبماذا تنصح الفلسطينيين في الخارج؟

أنصحهم بأن يكونوا أقوياء، ويعملوا على وحدة الصف، فالمرحلة مصيرية.

وهل تنوي تعميم فتواك على المسلمين في العالم؟

أنا أصدرت فتواي... والإذاعات والوكالات تولت تعميمها دون أن أطلب ذلك.

الوطن العربي : ١/ ٧/ ١٩٨٣ - العدد:(٣٣٣)

النص الكامل للبرقية التي أرسلها الشيخ عبد العزيز بن باز إلى رئيس النظام السوري:

فخامة رئيس الجمهورية العربية السورية/ حافظ الأسد

لقد هال المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية المنعقد بالمدينة المنورة والذي يحضره ممثلون من علماء المسلمين وقادة الفكر في العالم الإسلامي، ما جرى ويجري في سورية المسلمة، من إعدام وتعذيب وتنكيل بالمسلمين الذين يطالبون بتحكيم شريعة الله في المجتمع، وذلك تحت ستار حادثة حلب، التي نقلت وكالات الأنباء والصحف العربية والعالمية أنها تمت بين أجنحة الحزب الداخلية، بسبب ما تشعر به أكثرية المواطنين من عنت وإرهاق وإهدار للقيم في كل الميادين على صعيد الممارسات اليومية، نتيجة الاختلاف في نوع الانتماء والولاء الطائفي.

والمفروض أن يُقضى على الأسباب الجذرية للفتنة لا أن يصار في تعميق تلك الأسباب، كما أن الواجب أن يشجع الشباب المخلصون لدينهم ولأمتهم، ويوقف ما يتخذ ضدهم وضد أسرهم من إجراءات منكرة تفويتاً لفرصة الكيد اليهودي، وضماناً لوحدة الصف، والإفادة من كل الطاقات الخيرة في معركة المصير مع العدو المتربص، وحرصاً على أن تؤدي سورية المسلمة المعروفة بأصالتها دورها كاملاً غير منقوص في جهاد أعداء الإسلام. وقد بات هذا الأمر آكد وأوكد بعد معاهدة الاستسلام المخزية بين مصر وإسرائيل، وما جرّت من ذيول، ليس آخرها ما ترتكبه اليهودية الحاقدة وأعوانها صباح مساء في جنوب لبنان، لأغراض معروفة.

إن المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية يأسف أشد الأسف لما يجري في هذا البلد

الغالي من سفك دماء الذين ينشدون ما هو واجب على كل حكومة تؤمن بالله ورسوله: من تحكيم شريعة الله والعودة إلى ما كانت به عزيزة قوية مرهوبة الجانب، حين قدمت للدنيا أسمى حضارة عرفها الإنسان، ويستغرب المجلس الأعلى أشد الاستغراب أن تكون هذه الدعوة في بلد إسلامي عريق جرماً يستوجب أهله الاعتقال والإيذاء والقتل، دون أن يسمح للمتهم بأدنى قدر من الحرية لجلاء الحقيقة.

وإننا لنهيب بكم وبكل المسؤولين في كل البلاد العربية والإسلامية أن يجمعوا الصفوف على كلمة الله وتطبيق شريعته ويعدّوا العدة ويوحدوا القوى في ظلال العقيدة الإسلامية وحب الجهاد والاستشهاد، فذلك هو طريق النصر والفلاح.

والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وفقنا الله جميعاً لطاعته ولما فيه خير البلاد والعباد .

رئيس المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الرقم٤/ ٩٥

التاريخ١٥/ ٨/ ١٣٩٩هجري

المبحث الثاني

موقف الحكومات العربية

عقد مجلس جامعة الدول العربية دورة طارئة بشأن الوضع في المخيمات بناء على دعوة من منظمة التحرير الفلسطينية يومي ٨ و٩ حزيران [يونيو] من عام ١٩٨٥م بحضور وزراء خارجية السعودية، الجزائر، العراق، المغرب، الإمارات، قطر، سوريا، اليمن الشمالي، تونس، ووزراء من الأردن والكويت وموريتانيا ومشاركة المندوبين الدائمين لبقية الدول العربية وغياب وفد لبنان، وفيما يلي تفصيل بما جرى مناقشته في هذه الجلسات العلنية منها والسرية:

محضر اجتماع الجلسة الافتتاحية

افتتحت الدورة الطارئة، وفق الأعراف بكلمة الرئاسة، وكانت هذه المرة لدولة الإمارات العربية المتحدة، وألقاها الشيخ راشد العبد الله النعيمي وزير العلاقات الخارجية، وتلتها كلمة الأمين العام لجامعة الدول العربية الشاذلي القليبي، وكان من المفترض أن تسير الأمور كما جرى التقليد أن تكون هذه الجلسة علنية وبحضور الصحافة على أن ترفع بعد ذلك لتبدأ جلسات العمل السرية المغلقة، إلا أن الرئاسة اتفقت مع الوفود على اعتبار كلمة الرئاسة والأمين العام للدورة الطارئة ابتداء بهذه الدورة، من ضمن أعمال جلسة العمل وبناء عليه تم إخراج الصحافيين من قاعة الاجتماعات. هذه الدورة لم تجرِ كما هو متعارف عليه في الدورات الطارئة التي يحضرها عادة وزراء الخارجية والمندوبون الدائمون لدى الجامعة العربية، فقد شكل حضور رئيس اللجنة

التنفيذية لمنظمة التحرير ياسر عرفات في أعمال الدورة في جلستها الأولى نوعاً من المفاجأة التي سرعان ما تبددت عندما دخل عرفات يرافقه الأمين العام المساعد للجامعة أسعد الأسعد الذي قاده ليجلسه إلى منصة الرئاسة كنوع من التكريم، كون الدورة خاصة بفلسطين ولإعطائه حق التحدث بكلمة من موقع الرئاسة، ولكن هذا الأمر لم يعجب فاروق الشرع وزير الخارجية السوري، الذي أثار عاصفة داخل الاجتماع اختتمها بالانسحاب من قاعة الاجتماعات في الجلسة الأولى وفيما يلي المداولات بشأن النقطة التي أثارها الشرع كما حصلت عليها [اليوم السابع]:

الشرع: نقطة نظام، إذا كنا بدأنا المناقشة العامة، أرجو التوضيح من الرئاسة.

الرئاسة: بدأنا جلسة العمل منذ أن أخرجنا الصحافيين من القاعة وبدأت جلسة عمل مغلقة.

الشرع: سيدي الرئيس أنا فهمت أن هناك جلسة قصيرة فقط تتلى فيها كلمة رئيس الدورة والأمين العام ثم نستأنف الجلسة بعد الإفطار للمناقشة العامة، هكذا فهمت وهكذا اتفقنا في الغرفة المجاورة، أرجو التوضيح من الرئاسة.

الرئاسة: الذي اتفقنا عليه في الغرفة المجاورة هو أن نبدأ جلسة العمل مباشرة وأن لا تكون هناك جلسة افتتاح وجلسة عامة وجلسة عمل، اتفقنا أن تكون الجلسة للعمل مباشرة، وأخذنا رأي المجلس في أن يكون هذا تقليداً لمجلس الجامعة، في أن تبدأ الدورة الطارئة مباشرة بجلسات العمل وأن لا يكون فيها جلسة عامة مفتوحة تتلى فيها كلمات وخطابات، ولذلك كانت كلمة الرئاسة والأمين العام في صلب جلسة العمل، وأعطي هنا الكلمة للأخ أبو عمار وآمل أيضاً أن تكون في صميم الموضوع الذي نحن بصدد مناقشته،

إذن انتهت نقطة النظام.

الشرع: سيدي الرئيس، اسمح لي فقط، وأنا لا أجامل أعتقد أن الحق معي في إثارة نقطة النظام هذه.

الرئاسة: تفضل، تفضل الحق معك دائماً، دائماً الحق معك.

الشرع: الكلمة الآن باسم من؟ هل هي باسم وفد فلسطين في النقاش العام أم أن هناك كلمة في سدة الرئاسة أرجو التوضيح.

الرئاسة: نحن معنا الآن، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، ونعتبره أحد رؤسائنا، ووجوده هنا نعتبره تكريماً لهذا الاجتماع وهذا المجلس كأخ عربي مناضل فلا أدري إن كان أحد من الأخوة لديه اعتراض على ذلك.

الشرع: سيدي الرئيس هناك مقعد لفلسطين ويستطيع أن يأخذ الكلمة مندوب فلسطين مثله مثل أي رئيس وفد في هذه الدورة الطارئة، ونحن في هذه الدورة على مستوى وزراء الخارجية.

الرئاسة: كلمة الأخ أبو عمار هي كلمة شكر لهذا الاجتماع ولن تتعدى هذا الموضوع، وأرجو أن تسمحوا لي بأن أعطي الأخ أبو عمار الفرصة، تفضل أخ أبو عمار.

الشرع: لا يا سيدي الرئيس الموضوع موضوع مبدئي فقط.

طارق عزيز: عندما تُناقش مسألة يقدم اقتراح عادة، وأنا أقدم هنا اقتراحاً بإقفال باب النقاش حول المسألة التي طرحها الأخ رئيس وفد سوريا، وإعطاء السيد ياسر عرفات الكلمة لأنه لا يوجد في النظام ما يمنع ذلك.

الرئاسة: ثنّى الأخ حازم نسيبة على الاقتراح فهو إذن مقبول، وأرجو من الأخ وزير خارجية سوريا أن يساعدنا قليلاً، وإن شاء الله ستتسهل الأمور، ولن يحصل إلا الخير في هذا الاجتماع، وأبو عمار لم يأت إلى هذا الاجتماع إلا بالشيء الذي نعتقد أنه مفيد، وكلمة خير وكلمة طيبة فلنستمع هذه الكلمة.

الشرع: سيدي الرئيس، الموضوع ليس موضوع الكلمة، الموضوع هو المبدأ هل يحق لأي مسؤول.

طارق عزيز: [مقاطعاً] رئيس رئيس وليس أي مسؤول.

الشرع [مكملاً] لأي مسؤول دون موافقتنا وإعلامنا مسبقاً، أن يأتي إلى سدة الرئاسة ويفرض نفسه عليها، أنا قلت إن هذا الاجتماع هو على مستوى وزراء الخارجية العرب، ومندوب فلسطين موجود في هذه القاعة، ويحتل مقعده وإذا كانت جلسة العمل بعد كلمتي الافتتاح – لا أقصد هنا الافتتاح التلفزيوني – وإنما أقصد جلسة العمل – فأرجو أن يتم توضيح النقطة حتى نبدأ فعلاً بالنقاش، وإذا كانت هذه الكلمة في كلمة النقاش لوفد فلسطين الذي بالأصل هو الذي دعا إلى هذه الدورة الطارئة، فهذا شيء، أما إذا كانت كلمة ترحيبية، فهذا شيء آخر لم يتم الاتفاق عليه.

حازم نسيبة: سيدي الرئيس إنني أرى أنه من غير المجدي مواصلة هذا النقاش البيزنطي، وأعتقد أنه من المتعارف عليه، حتى عندما تجتمع أي هيئة إقليمية أو دولية على مستوى وزراء الخارجية، ويأتي ممثل للدولة الداعية – وهنا هذه دولة فلسطين– فإن من واجب المندوبين أن يقدموا له الإكرام والاحترام الذي يستحقه، فما أحرانا بشخص كرئيس منظمة التحرير، ومن ثم تستمر المناقشات على مستوى وزراء الخارجية كالمعتاد، وهذه عادة

متبعة في جميع المحافل الدولية، لكن لها أصول خاصة في الاتصال والتأكيد، عندما يأتي رئيس دولة ويتحدث بنفسه، ويبقى مقعده خاصاً مميزاً كما يجري في الجمعية العمومية وفي غيرها من المحافل الدولية، ولذا فلا أرى غريباً أو عجيباً أن يكون الأخ المناضل أبو عمار في سدة الرئاسة، ليطلعنا على ما يريد أن يقوله بالنسبة إلى ما يجري من أحداث مأساوية خطيرة على الساحة العربية.

الرئاسة: في هذه النقطة طلب إقفال النقاش باقتراح وثني عليه، وأنا توجهت برجاء خاص للأخ الشرع لكي يعطينا قليلاً من الصمت، وإن شاء الله ستتيسر أعمالنا وجواباً على سؤاله: نحن في جلسة عمل، والكلمة للأخ المناضل أبو عمار.

الشرع: سيدي الرئيس، أنا قلت أنها نقطة نظام، وحتى الآن لم توضح لي نقطة النظام ما قاله الأخ رئيس الأردن صحيح، ولكن يجب أن يكون الإخوة الحضور في صورة ما سيحصل، بمعنى أن هذا المسؤول الكبير الذي يأتي ليلقي كلمة في سدة الرئاسة، يجب أن يكون أعضاء الوفود على معرفة مسبقة بذلك، وليس أن يفرض هذا الموضوع على الجميع بهذا الشكل، أنا أقترح أن نبدأ جلسة العمل إذا رأيتم، ويفتح باب النقاش لتسجيل أسماء.

القدومي: سيدي الرئيس، مع الأسف الشديد يمكن حسم هذه القضية بسرعة، أولاً: ليس هناك في النظام ما يمنع بل العكس، جرت العادة أن كثيراً من الرؤساء وحتى رئيس منظمة الوحدة الإفريقية جاء واجتمع في مؤتمر قمة عربي، وليس في اجتماع وزراء الخارجية، هذه قضية فلسطين يمثلها الأخ ياسر عرفات، ليست قضية من القضايا المهملة في سلال الأمم المتحدة هذه نقطة. ونقطة أخرى من المفروض بالفعل هنا، ومن حق الرئاسة وحق الإخوة أن يقرروا نهائياً إذا كانت نقطة النظام هذه صحيحة أم لا، وأنا

أذكر بالفعل أن مندوب فلسطين طلب مرة الكلمة في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، فاعترضت إسرائيل، وكان رئيس الجلسة هو عبد العزيز بوتفليقة، فقال الأمر للجمعية العمومية، وقررت الجمعية العمومية في حينها أن يلقي مندوب فلسطين الكلمة، أقول هنا اعرضوا هذا الأمر على التصويت، ومن أراد أن يوافق فليوافق، ومن أراد أن يعترض فليعترض فهنا من يمثل فلسطين ومن ناضل من أجل فلسطين.

الرئاسة: شكراً للأخ فاروق القدومي، الموضوع في الحقيقة أقفل باقتراح من الأخ طارق عزيز، وثنّى عليه الأخ حازم نسيبة، ولا مجال للمناقشة في هذا الموضوع، والكلمة الآن للأخ المناضل أبو عمار.

أبو عمار: أشكر أخي فاروق الشرع على أنه كان صبوراً، وأرجو أن يكون صبوراً بإيقاف الدم الفلسطيني والدم اللبناني الذي دعونا هذا الاجتماع في هذه الجلسة من أجل إيقافه.

وشكر عرفات كذلك جهود القادة العرب والجامعة العربية لعقد الاجتماع من ناحية، واتصالاتهم المكثفة خلال الأحداث من أجل وضع حد لحمام الدم الذي لا يستفيد منه إلا العدو الصهيوني على حد تعبيره، وقال: إنَّ عَقْدَ مجلسكم هذا لمساعدتنا كلبنانيين وفلسطينيين إنما يعني تحمل هذه المسؤولية في هذا الوقت الصعب والدقيق، إذاً يأتي هذا الاجتماع ليبحث سبل إيقاف هذا الدم السائل وهذه الكارثة، وأقترح عليكم بأن أعلن أن انعقاد مؤتمر قمة عربي طارئ أصبح ضرورة حتمية، ليس من أجل لبنان وفلسطين فحسب، وإنما من أجل التضامن العربي على أرض الجامعة العربية.

وذكّر عرفات في الختام بالدور الذي أنيط بقوات الردع العربية عندما دخلت إلى لبنان، والمهام التي أوكلت لها لحماية وحدة وسيادة لبنان أرضاً وشعباً وحماية الثورة الفلسطينية

ومنظمة التحرير الفلسطينية والوجود الوطني الفلسطيني والبشري.

وفي ختام أعمال هذه الجلسة، قال رداً على سؤال صحفي (أرجو أن يعود الإخوة السوريون ليشاركوا في المهمة القومية العربية، التي أُعطيت لهم من قبل الجامعة العربية عندما أعطي لهم الضوء الأخضر للمشاركة ضمن قوات الردع العربية، وتحمل مسؤولية تلك التعهدات). انتهى

محضر الجلسة السرية لمجلس الجامعة العربية

الدورة الطارئة لمجلس الجامعة العربية تناولت موضوعين، الأول: هو ما يجري في بيروت، ويصيب المخيمات الفلسطينية. والثاني ضرورة التوصل إلى قرار بعقد قمة عربية، تخصص للبحث في هذه المشكلة وإيجاد الحلول لها.

وفي الموضوعين برز تباين في الرأي في موقف سوريا ممثلة بوزير خارجيتها فاروق الشرع، والمواقف العربية الأخرى، وإذا كانت قرارات الدورة باتت معروفة، وبانتظار انعقاد الاجتماع اللاحق والبت بمصير القمة، تضع اليوم السابع بين أيدي القراء العرب نص المحضر السري للجلسة الذي حصل عليه مراسلها في تونس إثر انعقاد الدورة في [٨-٩] حزيران [يونيو] وهو يوضح أن المذكرة الفلسطينية كانت محور النقاشات خاصة البندين الثاني والثالث فيها، أي البندين المطالبين بالتحقيق في حرب المخيمات وتحديد المسؤوليات عنها.

فاروق الشرع:

بغياب وفد لبنان لا يجوز مناقشة قضايا تتعلق بهذا البلد، وأخشى أن يؤدي هذا إلى تصعيد الموقف في بيروت، واستئناف القتال هناك، وعدم تسهيل المساعي لوضع حد لهذه الأحداث التي نحن بصدد بحثها، هناك وقف لإطلاق النار من جانب واحد، حيث تلتزم به حركة أمل منذ عدة أيام، أما بقية البنود فتجري معالجتها بروح أخوية وفي إطار مهمة الصليب الأحمر الدولي، أما بخصوص تشكيل لجنة فهذا يتناقض مع سيادة الدولة اللبنانية على أراضيها، وليس من حقنا أن نفرض على لبنان لجاناً من هذا النوع، سواء كانت لجنة متابعة أو رقابة، فالإصرار عليها لا يزيد الأمر إلا تعقيداً، وبخصوص البند الثالث من

المذكرة، لدي كلام كثير أقوله، حول ما يجري في بيروت وفي المخيمات وحولها وخارجها ومَن سببها ولماذا تطورت وما هو الهدف من إشعال هذه الفتنة، في الوقت التي تُدحر إسرائيل بفضل المقاومة اللبنانية، حيث تشكل أمل طليعَتَها، وقدمت هذه الحركة مئات الشهداء وأرغمت إسرائيل على الانسحاب دون قيد أو شرط من لبنان، فلا يعقل أن يدين مجتمعنا أولئك الذين تصدوا للعدوان الصهيوني دفاعاً عن لبنان والأمة العربية، وخاصة عندما يشار إلى السلطات السورية، وكأن المقصود إدانة الذين قاوموا العدو الصهيوني، ومنح صك غفران للذين لم يتصدوا للعدو الصهيوني، إني أشعر باشمئزاز من هذه الفقرة وأرفضها، خاصة سوريا التي قدمت الكثير إلى لبنان، وإلى الذين دحروا العدو الصهيوني وقاوموه، وهذه الفقرة تدل على اختلال بالفعل واختلاط بالرؤيا سيوصلنا إلى مزالق خطيرة إذا ما قبلنا بهذا اللامنطق ويجعلنا نتساءل أين كان هؤلاء الناس الذين يدينوننا سنوات طويلة في جنوب لبنان ولم يتمكنوا من دحر إسرائيل، بل أعطوا الذريعة لإسرائيل كي تُنزل بلبنان أشد أنواع العذاب والتهجير والاحتلال، وإنها مأساة حقيقية أن تختلط هذه الأمور بهذا الشكل، ولا يستطيع العقل العربي أن يتحمل مثل هذا النوع من وسائل الإعلام التي بثت ذلك إلا بوصفها أنها مشبوهة أو مأجورة أو مضللة، وبالتالي فإن سوريا تدين هذه الفقرة بشدة وتدين الذين صاغوها وترجو من الأخوة أن يتفهموا حقيقة ما يجري، وأن ينظروا إليه إننا نبني بلادنا وجيشنا بهدف محاربة إسرائيل، ونفتح مراكز تدريب للأخوة الفلسطينيين، لا يوجد مثلها في أي بلد عربي، فالقضية الفلسطينية قضية مركزية بالنسبة لنا في السياسة الداخلية والخارجية، وما حصل في لبنان معروف للجميع، ولا أريد أن أتحدث عن الوجود الفلسطيني، كما يتحدث حزب الكتائب فقد قاتلنا الكتائب بسبب نظرتهم إلى الفلسطينيين في لبنان، وقد عبر رئيسنا أكثر من مرة عن أن الشعب الفلسطيني هو شعبنا الشقيق.

نحن بصراحة نتكلم عن بعض قيادات هذا الشعب، ولا نخجل في الحديث عن بعض هذه القيادات لأنها أساءت للشعب الفلسطيني، في لبنان كان هناك وجود فلسطيني في الجنوب أطلق على الأرض هناك اسم أرض فتح، والكارثة أن بعض قيادات الشعب الفلسطيني هي التي قادت الشعب اللبناني على أن يقتنع بأن لا عودة للوجود الفلسطيني إلى لبنان، وهناك إجماع وطني لبناني على أن بعض قيادات المنظمة تتحمل المسؤولية إزاء ما أصاب لبنان، والبعض يحمّلها كل المسؤولية، ولا يمكن أن أقلل من قدرة الشعب الفلسطيني وتضحيته وكفاحه، وإنني أتحدث عن بعض القيادات الفلسطينية التي تتنازل عن الدولة الفلسطينية وعن السيادة الفلسطينية وتريدها في لبنان، ولا تطالب أن يكون تواجدها في الأردن، ولا نريد أن نسمع المزيد من مغالطات أبو عمار يتحدث دائماً عن سوريا إذ بإمكانها إيقاف القتال في لبنان، فهل في يد سوريا أزرار السحر لإيقافه، يقول اللبنانيون: كم قتل من الإسرائيليين خلال عشر سنوات؟ نحن معنيون لماذا مُزقت منظمة التحرير الفلسطينية هذا التمزيق؟ ولماذا انحدر بعض قيادات فتح هذا الانحدار، لقد تعرض لبنان إلى نفس الشيء الذي تعرض له الشعب الفلسطيني، وإذا كانت القضية الفلسطينية قضية مقدسة فيجب أن تكون قضية لبنان بنفس المستوى، لماذا إذا ضرب الفلسطيني في لبنان تقوم الدنيا ولا تقعد، وعندما يُضرب اللبناني من قبل فلسطيني، كأنه حشرة لا أحد يسأل عنها؟

حدثت اشتباكات خلال الأيام الماضية لأن مجموعة من داخل المخيم تعرضت لدورية من أمل، وهربت المجموعة إلى داخل المخيم وعندما تطور القتال لم نسمع به في دمشق إلا فيما بعد، وطالبت حركة أمل باستلام المجموعة، وعندما رفض تسليم المقاتلين وبدأت عملية دفاع عنهم بإطلاق النار، سمعنا به في دمشق وأجرينا اتصالات كانت نتيجتها تهدئة

الموقف، ولم يمر أقل من ٢٤ ساعة حتى خرجت مجموعة مقاتلين من المخيمات واحتلت المدينة الرياضية واحتلت طريق المطار، وهاجمت مواقع حركة أمل، وتبين فيما بعد أنه مرتب ترتيباً مسبقاً، وكنا نسمع أن مجموعات تأتي من تونس والسودان وغيرها مع المال والسلاح، وارتفع نتيجة ذلك سعر الليرة اللبنانية دون أي سبب اقتصادي لتحسين الليرة اللبنانية، وقد صرفت أموال كثيرة، وجهزت فرق عديدة مسلحة وصلت إلى بيروت، ودبرت مؤامرة لتفجير الوضع في كل من لبنان واشتعال الحرائق في بيروت وصيدا وطرابلس والبقاع، وإني أعتقد أن أبا اللطف لم يساهم في هذه المؤامرة التي دبرت، وحركة أمل لم يكن أمامها إلا أن تستعيد المواقع التي احتلت منها، وتبين أن هناك أسلحة هائلة في المخيم، فلماذا عندما دخل شارون إلى المخيم لم يكن هناك سلاح فيه، وتوجد هذه الأسلحة الكثيرة في المخيم الآن؟ لماذا دبرت هذه الخطة بالتسليح والدعم المالي؟

إننا نعرف أسباباً كثيرة لهذه الفتنة التي هي بشكل مؤامرة، فالهدف الأول أن إسرائيل أخرجت مرغمة، ولن نتباهى فهذه حقائق، وألحقت بها أكبر هزيمة في تاريخ الصراع العربي- الإسرائيلي من المقاومة الشعبية اللبنانية بدعم من سوريا، فكان الهدف هو تحجيم هذا الانتصار. والهدف الثاني من المؤامرة هو أن خطوات كبيرة قد حصلت في مصير الصراع العربي الإسرائيلي باتجاه تصفية الحقوق الفلسطينية، وأنا واثق أن أبا اللطف وطني يعرف كل شيء، فقد حصل الاتفاق الفلسطيني-الأردني، والتصريحات الأمريكية التي تشير إلى أن هذه القيادة قد تخلت عن حق تقرير المصير، وعن حق العودة وعن الدولة الفلسطينية المستقلة.

فأين القرار الوطني الفلسطيني المستقل؟ ولماذا لا تبكي على هذه الحقوق الضائعة مثلما تبكي على المخيم؟ ولماذا لا نجتمع لنقول كيف يمكن أن نساوم على الحقوق الضائعة بهذا

الشكل؟ وكيف تضيّع القيادة الفلسطينية قضية الشعب الفلسطيني المقدسة؟

المخيف أن كل هذه الحوادث الدائرة لم يبقَ حديث معها عن استعادة الأرض والقدس في عرف هذه القيادات، وقد انتزع الرئيس الأسد [أبو عمار] من القاع ليقول إياك أن تقبل أقل من فاس، وبعدها بدأت مسيرة التنازلات وهنا الخلاف، وعندما لا يكون هناك خلاف سياسي فسوف تبحث عن أولئك الذين ترفضهم الآن.

المخيم في بيروت هو مجوعة أبنية وأحياء متلاصقة مع أبنية يعيش فيها لبنانيون فقيرو الحال، فلا يتصور أحد منكم أنه جزيرة ويتم الانقضاض عليها، والأمر لا يحتاج إلى لجنة تقصي حقائق.

هذه الضجة الكبيرة بأن هناك آلاف الجرحى والقتلى، وقتل من حركة أمل أكثر بكثير من الفلسطينين، وهذه مشكلة نبيه بري، كيف سيواجه زملاءه؟ وقد دفعت أرقام طائلة من أجل التركيز على ضخامة الإصابات الفلسطينية، والعدد في الحقيقة قليل جداً بالنسبة لما أذيع.

أبو عمار يصعب عليه أن يقول الحقيقة ولو مرة واحدة، وقد قال لإذاعة [مونتي كارلو] أن سوريا شاركت في القتال بكتيبة الأسد في المخيم، فهناك فعلاً كتيبة تابعة لحزب البعث السوري في لبنان وتصوروا أن هذه الكتيبة قاتلت ضد حركة أمل، فشيء غير معقول ما يحصل من تدجيل، لقد جرى قتال لسنا طرفاً فيه، وليس بإمكان سوريا أن توقف القتال رغم أنه من مصلحة سوريا إيقاف هذا القتال، ومن غير المعقول أن نُتهم بهذه المشاكل، فإذا كنتم تتحدثون عن حمل السلاح للفلسطينيين فيجب أن يعمم ذلك على كل الفلسطينيين في كل مكان، وأن يطلب لجنة لتقصي الحقائق، فيجب أن تحقق هذه

اللجنة عندما يفصل معلم في الكويت. منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وذلك فقط لاستعادة الحقوق الفلسطينية من العدو الصهيوني وليس لرعاية الشؤون الفلسطينية في الدول العربية.

هذه الدورة طارئة ومخصصة لموضوع محدد، وأعتقد أن إثارة مواضيع أخرى في هذا الاجتماع خاصة موضوع هام في مؤتمر قمة، يدعونا إلى التساؤل في مدى جدية هذا الاجتماع والموضوع الذي عقد من أجله، ثم إن مؤتمر القمة عندما ينعقد فمن أجل أهداف قومية كبيرة، وبالتالي فإن الإعداد إلى هذا المؤتمر هي دعوة نبيلة ولكن ليس عملاً سرياً، ثم نفاجأ بطرحه دون اتصالات مسبقة، وخارج إطار هذه الدورة، ولم أعرف أيهما الموضوع الذي انعقد من أجله الاجتماع، أما الموافقة على قمة طارئة، فهناك قمة عادية من المفروض أن تعقد في السعودية ويتم كل ذلك دون أن تجرى اتصالات مسبقة، والآن من حقي أن أشير لهذا الآن.

ونعتقد في سوريا أنه يمكننا اعتبار الدعوة إلى قمة عربية غير مهيأ لها وغير مدروسة وغير واضحة المعالم، وجدول الأعمال يسهم في تعقيد الوضع العربي، ومن حقنا أن نقول بأننا نخشى أن يستغل البعض هذا المؤتمر ليطرح أموراً تجري في تجاهها تحركات سياسية خطيرة، وفي الوقت الراهن يراد تغطيتها.

طارق عزيز:

أثار وفد سوريا نقطة هامة جديرة بالنقاش والتي تتعلق بغياب لبنان ومدى صلاحية التعامل مع هذه المسألة، إننا لا نناقش بهذا الاجتماع شأناً لبنانياً فهناك طرف عربي، وهو الفلسطينيون، يعيشون بالطبع في لبنان، أنشئت الجامعة العربية منذ عشرات السنين،

وهي تتعامل مع هذه القضية بخصوصيتها، ونعتبر أنفسنا مختصين بحماية الفلسطينيين دون المساس بسيادة لبنان، وطريقة عرض المنظمة لا تمس سيادة لبنان، فهي لا تطلب تحريك الجيوش إنما تطلب وقف إطلاق النار.

وما طرحته المنظمة ينسجم تماماً مع اختصاصها، وكنا نتمنى حضور الوفد اللبناني الذي تغيب عن الاجتماعات، والله أعلم إذا كان ذلك بإرادته، ولذلك نؤكد على اختصاص هذا الاجتماع، وأن نستبعد أي تشكيك بهذا الاختصاص وليس في نيتنا أن نتدخل في لبنان إلا لوقف الدم العربي.

إن الانقساميين هم الذين لا يعملون على وقف إطلاق النار، ونحن يجب ألا نكون انقساميين، وردُّ الوفد السوري نابع من الاجتهاد عمن يدعم حركة أمل وسوريا تعطي لنفسها أدواراً في الكفاح. ولكن هذا اجتهادهم، والأطراف الأخرى أيضاً لها اجتهادها، دعونا إلى اجتماع طارئ لمعالجة وضع الشعب الفلسطيني، ولم نأت لتقييم الكفاح وفق اجتهاد الوفد السوري.

أما القول بأن الفلسطينيين يتآمرون على قضيتهم، فهذا كلام غير منطقي وهذه اتهامات رخيصة وفق ما تعرضه سوريا، وليس من حقنا أن نتهم أصحاب الشأن بأنهم أقل إخلاصاً منا لقضيتهم، وعلى كل فإن سيرتهم النضالية يعرفها الجميع.

والوفد العراقي يدين ويستنكر ضرب المخيمات، فلا يجوز أن يُصَفَّوْا، على أيدي أمل حلال وعلى أيدي غيرهم حرام!. والذي يقتل أخاه لا يكون عربياً ولو ادّعى أنه عربي.

ولا يجوز لمن قاتل إسرائيل ستة أشهر أن يقاتل أشقاءه العرب ست سنوات، فإذا

عجز عن الجهاد عليه أن يلقي السلاح وليس عليه أن يقتل أشقاءه، المقاتلون الذين قاتلوا إسرائيل رحلوا، وبقي الأهالي الذين يذبحون على أيدي أمل لأنهم ذات يوم قاتلوا إسرائيل، فلا يجوز مكافأتهم على هذا بارتكاب هذه الجريمة.

الفلسطينيون الآن في لبنان لا يشكلون تهديداً لسيادة لبنان، لا في العدد ولا في الحالة التي هم عليها، فمن هنا.. من هو الذي لا يحمل السلاح في لبنان حتى يجرد الفلسطيني من سلاحه، حتى يذبح على أيدي الآخرين، فمن المنطق أن يملك الفلسطيني سلاحاً فردياً ليدافع عن نفسه أو عن أخيه أو عن شقيقه أو زوجته، فما هو الذي يمس السيادة اللبنانية؟ ومن هو الذي لم يخرق السيادة اللبنانية حتى يحمل الفلسطيني وزر خرق السيادة اللبنانية؟

الشعب الفلسطيني في لبنان هو أمانة في عنق الأمة العربية، ومنظمة التحرير تمثله أينما كان، وهذا هو التفسير لقرارات الرباط، إذا كانت هناك مشاكل لأحد في لبنان فليتحدث مع منظمة التحرير الفلسطينية صاحبة الشأن إذا كان هو عربياً مخلصاً.

إنني أؤيد وأدعو الأخوة في هذا الاجتماع لوقف القتال وفك الحصار، وإن كل عربي يخجل وهو في موقع المسؤولية حين يرى هذه المجازر، ويقول ليس بإمكان أحد منا أن يدافع ضد إسرائيل إذا هاجمت أي قرية عربية.

ولا يجوز أن يجتمع العرب هناك ليقولوا أن هذا ليس من اختصاصنا، وإنه لا يشرِّف هذه المؤسسة إذا لم توقف هذا العدوان، فلنعمل على تشكيل لجنة تحقيق لمعرفة أسباب اندلاع المشكلة، ولتقدم تقريرها إلى هذه المؤسسة، فالمهمة الأولى هي وقف نزيف الدم ثم أن ننظم، ولو بشكل مؤقت الوجود الفلسطيني في لبنان، ونجد ظروف أمن لهم ونشترط

عليهم أن لا يتدخلوا في شؤون لبنان، وكذلك أطالب بأن يتبنى المؤتمر ورقة العمل الفلسطينية، وطلب المنظمة لعودة المجلس إلى الاجتماع، وهذا طلب صحيح وعملي.

ففي معرض حديثه عن الوضع في لبنان، قال وزير خارجية سوريا: (إننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً) فهذه حقائق ذكرها مسؤول سوري كبير، وهذا يعزز طلبنا إذن، فليس من الطبيعي أن نترك الوجود الفلسطيني بدون حماية، خاصة وهذا يؤكد طلب منظمة التحرير لوقف إراقة الدماء كي نتوصل إلى ترتيبات لحماية الفلسطينيين، وإذا كانت سوريا لا تستطيع أن تقوم بدورها في لبنان كما قال وزير خارجية سوريا، فلنتفق إذن في إطار الجامعة العربية لمعالجة هذه المشكلة.

عندما كان أبو عمار في لبنان، كان يؤكد بأن الذين لا يريدون الفلسطينيين في لبنان قليلون، فدعونا نفكر بطريقة جديدة غير طريقة العرب عام ١٩٧٦ أي قوات الردع، لحفظ أمن لبنان وسكانه، وبعد عشر سنوات لم يتحقق ذلك، فدعونا اليوم نفكر من جديد لبحث الوضع في لبنان وتعفى سوريا من هذا الموضوع، وإذا كنا نريد أن نعرف رأي لبنان بالفلسطينيين، فهذا من خلال استفتاء، ولكن بخروج سوريا من لبنان، وبعد الاستفتاء نوافق على النتيجة، فإذا وافقت سوريا، فلنطبق ذلك على الفلسطينيين والسوريين، فالسوري إذا رُفض من لبنان يعود إلى سوريا، ولكن إذا رُفض الفلسطيني من لبنان أين نرسله؟ هل نوزعه حصصاً على الدول العربية؟ إذا كان ذلك يشرف العروبة ويشرف مقولة سوريا أن القضية الفلسطينية قضية مركزية بالنسبة لها.

شيء آخر هناك اجتهادات تطرح خارجة عن هذه الاجتماعات، فهناك قتال الآن وكل الدماء العربية عزيزة علينا، فلماذا نصدق قول وزير خارجية سوريا ولا نصدق قول أبو

اللطف فيما حصل في لبنان، التحقيق ليس خطأ وهو طلب موضوعي، أما الاجتهادات الأخرى بأن ذلك مؤامرة فلتعقد اجتماعات خاصة على كل القضايا القومية العربية، فمنذ ثلاث سنوات وسوريا تعطل عقد قمة عربية، وليس منظمة التحرير فإذا وجدنا أن منظمة التحرير تتآمر على القضية الفلسطينية فلا نقبل ذلك، فليس من حق وزير خارجية سوريا أن يتهم الأردن ومنظمة التحرير بتصفية القضية الفلسطينية، فهل الكونفدرالية عيب أو خيانة؟ وإلا فما حق كل منا أن يتدخل في شؤون الآخرين، وكذلك ليس من حق وزير خارجية سوريا أن يخوِّن الأخ أبو عمار، فليس من حق أي منا أن يخون أي رئيس أو أي ملك، ووزير خارجية سوريا يستخف بعدد الإصابات في صفوف الفلسطينيين، وأنه يستغرب هذا الاجتماع، فهل يقترح عدداً معيناً من القتلى لكي يعقد هذا الاجتماع؟

ليس لسوريا دخل حتى تعطي لنفسها كل الحق في لبنان، ولا تعطيه لمنظمة التحرير الفلسطينية، نعم لمنظمة التحرير الفلسطينية عندما تدافع عن فلسطين وفي حال تعرض الشعب الفلسطيني أو أي فرد منه لأية إهانة هل يجوز لوزير خارجية سوريا أن يتكلم عن عرفات وهو رئيس منظمة؟ وإذا كان كذلك فمن حق أي منا أن ينتهج نفس المنهج، وإنني أطلب حذف ما قيل عن السيد رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة على لسان وزير خارجية سوريا.

سعود الفيصل:

أشكر الرئاسة والرئيس على ما عبروا عنه من ألم لما يواجهه الفلسطينيون، وإذا كان الوضع في لبنان مؤلماً، فإن بعض ما سمعنا في هذا الاجتماع لا يقل ألماً، وإذا كانت الاتهامات صحيحة، فيجب أن نترحم على فلسطين وعلى العالم العربي.

كنت أستمع بألم وكنت أرغب في مغادرة القاعة، أريد لذلك أن أتمسك بعجلة المداولات، وأن لا أتدخل في المناقشات التي ربما لا توصلنا إلى نتيجة لوقف المعارك.

نحن أمام هذا الموقف يجب أن نعالج هذا الموضوع بدقة، خاصة في ما يتعلق بقمة، وكذلك فإن طلب التنسيق بين منظمة التحرير ولبنان لحل المشاكل هو طلب حق، أقترح تشكيل لجنة من الأمانة العامة والرئاسة واليمن والجزائر لصياغة ورقة عمل، المطالبة بعقد مؤتمر قمة ليس سراً، ولم تتم المطالبة به بطرق سرية، فالرئيس اليمني أجرى اتصالاً مع الدول وكذلك أعلن اليمن عن طلب القمة، والأخ ياسر عرفات في كلمته أمام المجلس، طلب أيضاً عقد مؤتمر قمة، ولذلك بادرنا بالموافقة على طلب المغرب، إن السعودية ليس لديها أية تحفظات على أي طلب للقمة في المغرب، وإن كان المؤتمر العادي في السعودية، وقد استوحيت من طلب المغرب أن القمة هناك امتداد لمؤتمر فاس، ونحن نحبذ هذه الرغبة.

عبد الله الحراري [المندوب الليبي الدائم في الجامعة العربية].

أريد أن أؤكد أن الملاحظات التي أدلى بها رؤساء الوفود في جملتها مفيدة، وإن خرجت عن الموضوع لكنها أعطت خلفية عن الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني في مخيماته، وهو جريمة قد فاقت كل الجرائم، بما في ذلك زيارة السادات إلى القدس، ولا غضاضة في أن نبقي على حركة أمل باعتبارها ارتكبت الجريمة وأن نشطب كلمة سوريا باعتبارها تحملت شرف الدفاع عن الأمة العربية، لقد ساهمت ليبيا في بعث حركة أمل، ولكن لا يمكن أن يكون ذلك مبرراً لهذه الحركة في أن تحاول تغطية بعض المواقف. ما قدمته سابقاً في جرائمها ضد الفلسطينيين، ولا بد من تزويد المخيمات الفلسطينية بالسلاح حتى تواجه ما يمكن أن

يتعرض له سواء من حركة أمل أو من غيرها، وأريد أن أسأل الأمانة العامة عن مدى صلاحية هذا المجلس لكي يشكل لجنة خاصة ولأن هذه اللجنة قد تمنع من دخول لبنان والقيام بمهامها وبمسؤولياتها، وكنا نتمنى أن يكون لبنان حاضراً للمساهمة في وقف النزيف.

فاروق قدومي:

يبدو أنه لا بد من إجلاء الحقائق، فيؤسفنا أن يغيب لبنان عن هذا المؤتمر في مهمة خطيرة وفي قضية تقع على أراضيه، يتعرض لها الشعب الفلسطيني، فنحن في لبنان ضيوف، وقيل أن هذا الاجتماع إن عقد فإنه يعطل المساعي فلا أدري أين هذه المساعي لوقف القتال التي يقصدون؟

وقمنا باتصالات مع أشقائنا ومع أصدقائنا وخاصة مع الاتحاد السوفييتي الذي وجه رسالتين إلى سوريا أن أمل هي التي تقوم بالهجوم، وأن هذا العمل يصب لصالح العدو المشترك، هل يعقل أن يقوم المخيم بمهاجمة أمل التي أمددنا، وأمل التي كنا نقاتل معها ضد إسرائيل حتى إيران أدانت هذا الجزء من أمل، كلكم يعرف من الذي قاتل في عام ١٩٨٢، لقد قال ميتران أن (هناك جيش فلسطيني بطل ونحن معنيون بإنقاذه) هناك قتال توقف في ١٠/ ٦/ ١٩٨٢ وسليمان فرنجية قال: اتركوا الفلسطينيين يدافعون عن بيروت، وأخذنا قراراً أن لا نعلن عن عملياتنا في الجنوب مع المقاومة اللبنانية. يقال أننا دمرنا الجنوب، فهل مقاومة إسرائيل هي مقاومة باطلة؟ أليس عجيباً أن نسمع أننا لم نقاتل، ولا يجوز أن ينكر علينا الحق أننا قاتلنا، وقد طردنا من البقاع وحوصرنا في طرابلس وطردنا، حتى جورج حبش قال: أن أمل هي التي قامت بالهجوم وبضوء أخضر من سوريا، إذاً خدعة الانشقاق كانت مؤامرة، فلنفتح الدفاتر على مصراعيها، لقد حاورت الرئيس الأسد خمس ساعات

ولقد طرح الرئيس الأسد في فاس على الفلسطينيين التشاور للاتفاق واتفقنا، قال البعض: إنهم يريدون طيّ يد عرفات، فطويت أعناقنا، بأي حق نتكلم وأطفالنا ونساؤنا يذبَّحون في المخيمات نحن نريد لبنان مستقلاً ذا سيادة، ولا نطالب أن تفتح لنا قواعد عسكرية، بل نطلب فتح مكتب المنظمة، نحن كنا في الجنوب وفي بيروت، فهل تعني المقاومة إعطاء ذرائع لإسرائيل لضرب لبنان، بينما كنا نقول دائماً نحن وسوريا أن من حق المقاومة أن تضرب إسرائيل من كل الحدود، إذا كان قد جاء دورنا للتصفية كما صفيت حركة [المرابطون] فنحن في لبنان نطالب بالحماية المدنية، سوريا أعطيت الحق في مؤتمر القمة بحماية الثورة الفلسطينية وحماية لبنان واستقلاله.

من واجبنا أن نسأل سوريا لتقدم هذا الواجب تجاه الثورة الفلسطينية، وإنا لنأسف لقلب الحقائق، ويجب أن يعلم هذا المجلس أن عليه مسؤولية عربية، ونحن لا نريد أن نمس سياسة لبنان، ولا نريد أن نتهم أحداً الآن، لأن هذا النهج هو الذي يؤدي إلى التقسيم الطائفي، ولا بد أن يكون مع الأمين العام أخوة آخرون حتى يشعر لبنان ويشعر سوريا أن هناك من يهتم بأوضاع الفلسطينيين، وليس هناك من يستطيع أن يقول للفلسطينيين ألقِ سلاحك، ولكن يمكن أن ينظم ذلك.

من يستطيع الآن أن يقنع فلسطينياً في المخيم بإلقاء السلاح في هذه الحالة التي سيذبح فيها؟ هناك مخطط لتهجير الفلسطينيين، وإن إسرائيل قالت أننا نقبل الضمانات التي تقدمها أمل، واتفاق ١٧ أيار [مايو] الذي ألغي نراه الآن يطبق على الأرض، إن المشكلة ستستمر والقول أن هناك وقف إطلاق نار من جانب واحد مرفوض، ودع الإنسان عندما يصوغ حجة فعلية أن يصوغها بطريقة تنطلي على المستمع، لسنا نريد الإدانة والاتهام، وإنما نريد حماية شعبنا، لن أدخل في زواريب المحادثات خاصة، إن الأخ طارق

عزيز قد أعفاني من الحديث، ولكن من مطالعة الأحداث التي انفجرت، بدا أن حركة أمل هي التي بدأت في تنفيذ المخطط، ويكفي أن نتذكر أن أمل قامت بدخول مستشفى غزة، وأحرقت ٧٠ طفلاً، كما أن الجرافات ترافق الدبابات التي تقصف...إلخ

فإذا كانت قضية فلسطين قضية مركزية، فلا يعني ذلك أن تحتوي سوريا القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير.

وكنا نقول دائماً لسوريا لا حاجة لدخول الجيش السوري، ورفض الاتحاد السوفييتي التوسط لدى أوروبا لدخول الجيش السوري إلى لبنان، والقيادة الفلسطينية ليست أفراداً بل مجموعة وتلتزم بكل قرار يتخذ، وإننا لن نتنازل عن القرار الفلسطيني.

والقول أن المنظمة ليست مسؤولة عن قيادتها مرفوض، والوصاية مرفوضة ولا يحق لدولة عربية أن تنفرد برأيها تجاه القضية الفلسطينية وتجاه المنظمة، ففي الحقيقة لم نتنازل عن حقنا في الانطلاق من أية أرض عربية، وقد دخلنا السجون في جزء من الشرق العربي، فكيف الآن والقوى الحليفة تسيطر على بيروت الغربية، ولا يسمح لها بالتحرك؟ وبالنسبة للمقاتلين لم يتسربوا إلى لبنان، ولكنهم موجودون هناك، وقد ثبتوا في لبنان لأنهم اللاجئون الذين صنعتهم المحنة للدفاع عن المخيمات.

لقد دخلت إسرائيل بهدف معين لتحطيم البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية ولم تتمكن، إذ قاتلت المقاومة الوطنية ومعها الفلسطينيون ضد إسرائيل، وكانت هناك مفاوضات في خلدة عسكرية وسياسية ولم يعترض أحد آنذاك.

فقط نحن الذين قلنا لا، ويقول وزير خارجية سوريا أن الرئيس الأسد انتزع عرفات من مكانه ليقول له [ارفض] فهذا ليس صحيحاً.

والسؤال من الذي عطل اللجنة السباعية، ودائماً نطلب ذلك ولكن سوريا هي التي عطلت، وحتى الآن لم نبرم اتفاقاً مع إسرائيل، وعندما تتحدث سوريا والأردن، حاولنا المشاركة ويجب أن تعلموا أنه لا يجب تيئيس الفلسطينيين من خلال المجازر والقتل، وهذا ما تحاول الأطراف التي تساهم في ارتكاب المجازر ضد الشعب الفلسطيني فعله، ليس فينا من أحد يتنازل عن وطنيته، ولكن ما يجري هو محاولة للتيئيس، لقد وقعنا اتفاق الجزائر وعدن، وفجأة توقف، فمن الذي يعبث بالوحدة الوطنية الفلسطينية.

إن حواراتنا الفلسطينية هي دليل ديمقراطيتنا، ولقد تعلمنا أننا لن نُقسَّم ولن نسمح لأحد أن يحتوينا أو أن يكون وصياً علينا، أما ضمن الإطار العربي فنحن جاهزون لنستمع، ولا ينطق أحد باسمنا، وسنقاتل من أجل ذلك، ونعلم أجيالنا ذلك، ويحز في أنفسنا أن تكال التهم لنا بغير موضوعية، وأنا لا أدعي أني أحرر فلسطين وحدي بل مع الأمة العربية، ولذلك أسعى إلى التضامن وحتى عندما نخطئ فلنجتمع ولنتناقش، فنحن لن نقبل القرار [٢٤٢] ولكن هناك هامش من المناورة، لنسلم من الضغوطات وسنستمر في أهدافنا التي رسمناها في المجلس الوطني، وهي جزء من قرارات القمة العربية.(١)

تعقيب:

يتضح للقارئ الكريم من خلال جلسات المؤتمر الطارىء لمجلس الجامعة العربية أن النظام السوري الطائفي يتبنى كل ما ارتكبته حركة أمل من مجازر، وإن

(١) منظمة التحرير الفلسطينية -وهي عضو في الجامعة العربية- كانت تنشر محاضر هذه الاجتماعات في مجلة [اليوم السابع] التي تعتبر مصدراً شبه رسمي من مصادر المنظمة.
ولينظر من شاء العدد [٥٩] من هذه المجلة، صفحات [٧و٨و٩]، تاريخ ٢٤/ ٦/ ١٩٨٥.

حاول أن يسمي الأمور بغير مسمياتها، ولهذا فقد كان معزولاً عربياً، وليس في صفه إلا لبنان المحتل والمحروم من السيادة، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، فمن دهاء هذا النظام، استخدامه لعناصر من المنسوبين لأهل السنة في كل عدوان غاشم على أهل السنة. وهذه العناصر التي يستخدمها مجردة من الضمير والوجدان.. لا تخشى الله تعالى، ولا تتوانى في تنفيذ كل ما يأمرها به طاغوت النظام الطائفي.

وإذا كانت هذه العناصر كثيرة، وقد لعبت دوراً خبيثاً في خدمة هذا النظام، فلقد كان من أبرزها: عبد الحليم خدام، ولولا فراره لكان مصيره القتل، وفاروق الشرع، ولا أدري والله هل هو أكثر وقاحة أم خدام؟!.

لقد حاول بكل السبل منع انعقاد المؤتمر الطارىء لمجلس الجامعة، ومؤتمر القمة الطارىء، وأكد بشكل أو بآخر أن لبنان من اختصاص سوريا وحدها، وألقى اللوم فيما حدث على الفلسطينيين، ودافع عن المعتدي دفاع المستميت، ولم تهتز جوارحه لعشرات الأطفال الذين قتلتهم حركة أمل داخل المستشفيات... وأخيراً وقف سداً مانعاً لصدور أي قرار عربي يهدف إلى إنقاذ المخيمات من وحوش مفترسة أحاطت بها من كل جانب، ويلَه من مشهد يوم عظيم.

خرج الشرع من هذا المؤتمر خائباً مهزوماً، بعد صدور القارات التالية:

١ - وقف فوري وشامل لإطلاق النار، وفك الحصار المضروب على المخيمات وانسحاب القوات المحاصرة، وإطلاق سراح جميع المعتقلين، وتسهيل مهمة الصليب الأحمر ، وإعادة المهجرين إلى بيوتهم، وأيد المجلس التزام الدول الأعضاء بتقديم

المعونات الغذائية التمويلية العاجلة إلى سكان المخيمات. وقد تحفظ وفد سوريا من حيث المبدأ على بحث مسائل داخلية في لبنان في غياب الوفد اللبناني، وسجل هذا التحفظ في طبيعة القرارات النهائية.

٢- قرر المجلس في ختام أعماله إيفاد الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد الشاذلي القليبي بمهمة لدى السلطات اللبنانية والاتصال بالأطراف المعنية لضمان وقف إطلاق النار وفصل المتنازعين والمساعدة على إقرار الأمن، على أن يقدم الأمين العام تقريره حول هذا القرار إلى مجلس الجامعة الذي سينعقد يوم ٢٤/ ٦/ ١٩٨٥ للاطلاع على ما تم اتخاذه من إجراءات ولضمان تنفيذ هذا القرار.

٣- وبعد أقل من ٢٤ ساعة من دعوة ياسر عرفات لوزراء الخارجية، بإدراج قضية عقد قمة عربية طارئة على جدول الأعمال، جاءت دعوة الملك الحسن الثاني رئيس مؤتمر القمة في برقية وجهها لاجتماع وزراء الخارجية، طالباً إدراج القمة الطارئة على جدول الأعمال، وقد وافقت على هذه الدعوة مباشرة كل من: السعودية، والعراق، وفلسطين، والأردن، واليمن الشمالي، والمغرب، والسودان، والصومال، وجيبوتي...، ولم تعارض هذه الدعوة سوى سوريا... وعقد المؤتمر فيما بعد، وكان الموقف السوري الشاذ هو نفسه.

المبحث الثالث

موقف المسؤولين الفلسطينيين

إذا كان المسؤولون الفلسطينيون هدفاً لعدوان غاشم يستهدف وجودهم ومستقبلهم، فهم اليوم يقولون بوضوح وصراحة ما كانوا يحجمون عن قوله، فضلاً عن الاعتراف به. وهذا ما ظهر واضحاً من خلال مقابلات وتصريحات كثيرة أدلى بها معظم قادة منظمة التحرير الفلسطينية، وإذا كان من المتعذر نشرها كلها، فقد اكتفينا فيما يلي بنشر مقابلتين مهمتين: الأولى لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات، والثانية للرجل الثاني في كل من منظمة التحرير وحركة فتح صلاح خلف.

كانت المنظمة حليفة لدروز جنبلاط، وشيعة موسى الصدر، وللنظام الطائفي السوري، وللحزب الشيوعي، والحزب القومي الاجتماعي السوري، ولحزب البعث، ولسائر الحركات اليسارية العلمانية التي كانت تسمى [بالقوى الوطنية التقدمية]، وخاضت المنظمة معارك ضارية، وأنفقت أموالاً طائلة، من أجل من لا يستحق مثل هذه التضحية.

تخلى هذا الحلف عن المنظمة، وعلى حد قول صلاح خلف في مقابلته، فقد قدموا للنظام السوري أكثر مما يريد منهم، ولم يبق إلى جانب المنظمة إلا أهل السنة، وكانوا من قبل يأنفون من ذكر هذا المصطلح [السنة] لأنهم ضد الطائفية، ويرفعون شعار العلمانية واليسارية، وهذه نهاية من لا يعرف عدوه من صديقه.

مقابلة مع أبو عمار

سؤال: الترابط الزمني بين صدامات بيروت وبين رحلة الملك حسين إلى واشنطن هل له دلالة معينة أم هو مجرد صدفة؟

جواب: لا، ليس هناك ترابط بين المعارك وبين الزيارة، هناك مؤامرة وأنا تكلمت عن هذه المؤامرة مراراً وسبق لي أن وجهت الدعوة لاجتماع الجامعة العربية قبل انسحاب إسرائيل من صيدا وتم عقد هذا الاجتماع بعد انسحاب إسرائيل وقلت أمام الجامعة بوضوح إننا ننتظر بناء على معلومات أكيدة مذابح ضد المخيمات الفلسطينية في صيدا وفي بيروت وفي صور وفي البقاع وفي الشمال اللبناني، وآنذاك لم يكن أحد قادراً على استيعاب حجم المؤامرة، ولكن ها نحن نشهد تنفيذ المؤامرة وبعدم مبالاة بردود الفعل العربية والدولية، حتى أن السوفييت اضطروا أن يرسلوا رسالتين إلى القيادة السورية يطالبون فيها بالتدخل لوقف إطلاق النار ضد المخيمات، وأن تبذل القيادة السورية المجهود اللازم من أجل ذلك، خاصة وأن هناك وحدات سورية تشارك في القتال، هناك كتيبة الأسد وهناك قوات خاصة، وكما هو معروف هناك ٥٠ جريحاً من هذه القوات في مستشفى تشرين في دمشق.

أخلص من كل هذا إلى القول بأنه ليس هناك ربط بين توقيت الصدامات وبين زيارة الملك حسين إلى واشنطن، فعلى سبيل المثال فإن أحداث صيدا بدأت يوم ٣/١٨ واستمرت ٤٢ يوماً، دون أي تدخل من أي طرف، وترك الفلسطينيون والصيداويون يقاتلون جنباً إلى جنب دفاعاً عن صيدا، ولم تصلهم طلقة واحدة من الجيش اللبناني لتدافع عنهم، ولم تحرك ساكناً لا أمل ولا غير أمل ولا سوريا لإنقاذ صيدا، وفجأة وبعد أن توضح الموقف في صيدا انتقلت المعركة بقدرة قادر يوم ١٦ نيسان الأسود إلى بيروت

الغربية ضد الناصريين [والمرابطون] والمسلمين، وعندما اشتعلت معركة بيروت توقعت أنها ستمتد إلى المخيمات، لقد حاولوا أولاً أن يُسكتوا الصوت السياسي الذي صدر من بعض القيادات الإسلامية السنية، سواء القيادات الروحية أو السياسية، وعندما تمكنوا من ذلك بدأت معركتهم ضد المخيمات، وهذه المعركة لن تتوقف حسب معلوماتنا لأن الهدف منها وما أعلن عنه بشير الجميل بضرورة إزالة المخيمات الفلسطينية من بيروت ومن جنوب لبنان، ودفع أهلها إما إلى الأردن أو فتح مجال الهجرة لهم إلى أمريكا وكندا وأستراليا واسكندنافيا وألمانيا الغربية، وهي خطة خبيثة لتفريغ هذه الشحنة الثورية، التي تولدت عن هذه الثورة.

أعود للتأكيد بأنه ليس هناك ترابط بين الحدثين لأن المؤامرة أقدم بكثير وهي موضوعة قبل الاتفاق الأردني -الفلسطيني.

سؤال: ننتقل للحديث عن موضوع المخيمات هناك من يقول إنكم أنتم الذين أصدرتم قرار القتال، هل هذا صحيح؟

جواب: هذا الادعاء ليس صَحيحاً وتكذبه أقوال عبد الحليم خدام للوفود التي زارته حيث قال لهم: إن مخيم تل الزعتر استمر يقاتل ٥٥ يوماً فلتستمر هذه المعركة أكثر من ٥٥ يوماً، وإن أمل تمارس دوراً وطنياً في عملها من أجل تطهير هذه المخيمات. والبيان الذي صدر في أول يوم للقتال عبر وكالة [سانا] السورية، يفضح المؤامرة ويفضح التورط السوري، واشتراك اللواء الثامن في القتال وقد جاء من منطقة بيروت الشرقية بعد أن مني اللواء السادس بخسائر كبيرة يشهد أن العملية مرتبة. واشتراك الوحدات الخاصة كتيبة الأسد يشهد أن العملية لم تجرِ بالصدفة وأن العملية مدروسة وهي جزء من

العملية التي جرت ضد الناصريين وضد [المرابطون]، وضد المسلمين في بيروت الغربية. لماذا؟ من أجل إقامة الكانتون الثالث وهو الكانتون الشيعي. وهؤلاء رموز أمل الآن يلهثون وراء كرسي الإمارة الذي يقدم لهم مغموساً بالدم الفلسطيني.

وهذا هو الثمن الذي أصرت عليه إسرائيل، ووافقت عليه سوريا، ونفذته رموز أمل ورموز السلطة اللبنانية المتمثلة باشتراك اللواء السادس واشتراك اللواء الثامن.

سؤال: هناك من يضع احتمالات حول الأهداف التي تريدها أمل وسوريا من وراء هذه المعركة، البعض يقول: سيطرة فريق جبهة الإنقاذ على المخيمات، والبعض يقول: إن الهدف سحب السلاح الفلسطيني، والطرف الثالث يقول: إن الهدف هو تهجير الفلسطينيين إلى مناطق خارج المخيمات؟

جواب: لا، هم لا يثقون في جبهة الإنقاذ رغم أن جبهة الإنقاذ عميلة لهم، لأن لديهم مقولة معروفة ملخصها أن المقاتل يكون منشقاً في دمشق وعندما يصل إلى بيروت يصبح موالياً لمنظمة التحرير الفلسطينية ولنضاله ولثورته، الخطة السورية هي سحب أسلحة الفلسطينيين، كخطوة أولى، والخطوة الثانية: تدمير هذه المخيمات، وتهجير الفلسطينيين من الجنوب ومن بيروت لإقامة الكانتونات المتفق عليها في المؤامرة الأمريكية-الإسرائيلية، التي وافقت عليها سوريا وبعض الأطراف اللبنانية.

وهنا لا بد أن نعرف لماذا يستخدمون البلدوزرات في منطقة الداعوق وصبرا بعد أن احتلوها؟ إنهم يكررون ما حدث في تل الزعتر، وأنا أقول احتلوا صبرا، ومعروف أن نصف صبرا في الأساس-وهي أرض جلول- كانت بأيديهم، واحتلوا الداعوق الذي هو جزء من صبرا، فليضعوا النياشين على صدورهم مثل نياشين تل الزعتر ونياشين مخيم

البارد ومخيم البداوي قرب طرابلس.

وبلا شك، وكما هو معروف لدي، أن السوريين بحاجة -ومنذ بدأت المؤامرة- إلى غطاء فلسطيني، بعض الأفراد في جبهة الإنقاذ لم يستطيعوا أن يتحملوا هذا الدم الذي سال بهذه البشاعة، ولكن لازال الإغراء والعرض قائماً من أجل أن تقوم جبهة الإنقاذ بدور الشرطي في الفترة القادمة داخل المخيمات. حسب معلوماتنا، أن الجيش السوري سيدخل إلى بيروت، وسيعطي سيطرة لأمل على مخيماتنا مع جبهة الإنقاذ. وفي الجنوب أيضاً سيكون هناك ترتيب جديد بين أمل وبين بعض القوى الأخرى لأن القرار إما السيطرة على هذه المخيمات سيطرة كاملة وإما ترحيل الفلسطينيين.

سؤال: أنت رفعت منذ اليوم الأول للقتال شعار وقف إطلاق النار، ووقف إطلاق النار في ظل معركة لابد أن يتلوه تصور لحل سياسي، لو أنك بدأت الآن في مفاوضات، فما هي الصيغة التي تقترحها لترتيب وضع المخيمات، ولترتيب وضع منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان؟

جواب: ينطبق علينا ما ينطبق على اللبنانيين. وينطبق علينا ما اتفقنا عليه مع الحكومة اللبنانية قبل مغادرتنا بيروت عام ١٩٨٢. لقد عقدنا اتفاقات قبل أن نغادر بيروت من مكتب منظمة التحرير الفلسطينية إلى الشؤون المعيشية، إلى حماية المخيمات إلى المدارس إلى الصحة إلى الهلال الأحمر إلى كل المنشآت الأخرى. ثانياً عندما يتكلمون عن البندقية الفلسطينية، فالبندقية الفلسطينية مثل البندقية اللبنانية ما ينطبق على البندقية اللبنانية ينطبق على البندقية الفلسطينية. أنا طرحت أنني أثق بالمراجع الدينية لذلك قلت للمفتي حسن خالد وشيخ العقل أبو شقرا والسيد فضل الله والشيخ محمد مهدي شمس الدين،

يتولون هم حماية المخيمات ونحن نثق بهم وما ينطبق على اللبنانيين ينطبق علينا.

سؤال: إذاً أنت لا تعتبر أن هناك معركة فلسطينية -شيعية؟

جواب: هناك محاولة لخلق معركة فلسطينية -شيعية. وهذا هو سبب سحب جعجع من الجنوب. ولكن لنكن صريحين، إذا استمرت أمل في تورطها بالدم الفلسطيني فهذا سينعكس-أردنا أم لم نرد- على كل الموقف الشيعي، فهي كربلاء جديدة ولكن بيد شيعية.

سؤال: هناك أصوات تقول أنه ما دامت عناصر من جبهة الإنقاذ قد قاتلت في المخيمات فليفتح حوار سياسي معهم؟

جواب: ولذلك نحن قلنا لهم أهلاً وسهلاً، وعندما يعودون إلى منظمة التحرير الفلسطينية يكونون قد عادوا إلى حضن ثورتهم، أما إذا استمروا في الحضن السوري فسيكونون في أحسن الحالات معاون شرطي لأن الشرطي هو حركة أمل.

سؤال: جورج حبش خرج من دمشق وأعلن في تصريحاته أن سوريا تقف وراء حركة أمل، ألا نجد أن هذا يشكل تطوراً في موقفه؟

جواب: إنه يعلن موقفاً جيداً نسبياً في الجزائر ثم يعتذر عنه في اليوم التالي في إذاعة [مونت كارلو] وذلك لتغفر له سوريا ما قاله في الجزائر.

سؤال: هل كان موقف الجبهة الديمقراطية مختلفاً أو متميزاً؟

جواب: بلا شك وقد قاتل أبطالها جنباً إلى جنب مع أبطال فتح ومنظمة التحرير الفلسطيني.

أجرى الحوار [بلال الحسن]

المصدر [اليوم السابع] العدد [٥٧] الصفحة [٤-٥-٦]

اليوم [الاثنين] التاريخ: [١٠ حزيران [يونيو] ١٩٨٥م].

مقابلة مع [أبو إياد]

قام صلاح خلف أبو إياد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح بزيارة عمل لفرنسا التقى خلالها وزير الداخلية بيير جوكس أكثر من ساعتين. وقد التقت به [اليوم السابع] ودار حديث حول أهداف ونتائج الزيارة وآخر تطورات الوضع في منطقة الشرق الأوسط، خاصة على الساحتين الفلسطينية واللبنانية حيث تتجمع دلائل قيام حرب مخيمات جديدة ، ولكن هذه المرة بمباركة جبهة الإنقاذ الفلسطينية وبتغطية من أطراف ممثلة لمعظم الطوائف اللبنانية.

السؤال: لقد ذكرت الحزب الشيوعي اللبناني والحزب القومي الاجتماعي ولم تذكر حركة أمل؟

الجواب: نحن نصنف حركة أمل في القوى الإسلامية، طبعاً في القوى الوطنية أيضاً، بالنسبة إلى حركة أمل قد يكون الجرح أكثر اتساعاً، لأن حركة أمل مثلها مثل القوميين السوريين -كان المرحوم كمال جنبلاط يرفض مجرد الاجتماع بالقوميين السوريين- ونحن سقنا حركة القوميين السوريين إلى الحركة الوطنية اللبنانية، وكنا نفرضها على الحركة الوطنية، وإذا كتب تاريخ الحقبة الأخيرة في لبنان فسيشهد بأن القوميين السوريين نحن الذين أدخلناهم في الحركة الوطنية، هذا ما يتعلق بالقوميين السوريين.

أما في ما يتعلق بحركة أمل، فقلت أن الجرح أكثر اتساعاً، لأن الإمام موسى الصدر عندما كان يتحدث عن المحرومين وتنظيم المحرومين، كنا نقول أن هذا الكلام جيد، والحديث جيد، ولكن لا بد من إيجاد إطار يستوعب هذه الحركة الشعبية التي بدأت تتحدث عن السلاح [والسلاح زينة الرجال]، وكانت فكرة حركة أمل قد انبثقت في رحم المقاومة فعلاً، وحركة فتح بالذات قدمت للإمام موسى الصدر ولحركة أمل التسليح والتدريب والعون، باعتبار أن إخواننا في الطائفة الشيعية الكريمة قد وقفوا معنا حقاً في كل مآزقنا وتحملوا معنا في الجنوب بالذات كلّ نتائج الكفاح المسلح والعدوان الإسرائيلي.

إذن كان لا بد لهذه الطائفة من أن يكون لها حركة تتميز بها، ويكون لهذه الحركة فعلاً وجود مسلح، لا يمكن أن ينكر أي موضوعي في حركة أمل هذه الحقيقة التاريخية. أكثر من هذا، معارك كثيرة دخلناها مع القوى الوطنية لأننا كنا على علاقة مع حركة أمل، وإذا عدنا إلى ما قبل عام ١٩٨٢، نجد أن العلاقة بين الأحزاب الوطنية وحركة أمل هي علاقة سلاح واشتباكات مسلحة، وقد صرفت فتح أكثر من ستة أشهر، في مرحلة ما قبل العدوان، لتعمل فقط على فض الاشتباكات ما بين حركة أمل والحزب الشيوعي، ومع ذلك، ويا للأسف، وكما قلنا إن النظام السوري بعد ١٠/ ٥/ ١٩٨٣ كان يشترط لأي حركة أن تكون علاقتها بدمشق من خلال شعار إسقاط عرفات ونهج عرفات، ورموز عرفات وزمرة عرفات، ودخلت حركة أمل البازار وبدأت على استحياء- أقول على استحياء لأن بعض رموزها في البداية كانوا أكثر كرامة وطنية من جورج حاوي، ولم ينزلوا في مستنقع المهاترات التي أرادها النظام السوري للعلاقة مع المقاومة الفلسطينية- ولكن بعد أن بدت ملامح الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان، أحست حركة أمل أن دورها بدأ يتسع وأن النظام

السوري يحضرها لكي تكون الممثل الشرعي للشعب اللبناني، من خلال نظرة طائفية في رأيي، تريد أن يتحكم في الوطن العربي حكم الأقليات، وبالتالي هناك صفقة ما بين النظام السوري ونبيه بري لتوريطه في حرب مع الفلسطينيين مقابل تنصيبه ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب اللبناني على حساب كل القوى الوطنية، وعلى حساب بعض هذه القوى التي لا يتجاوز تفكيرها أنفها، وفعلاً وقع نبيه بري في الفخ، ودخل حرب المخيمات على هذا الأساس.

وكان هذا يخدم بشكل مباشر أو غير مباشر الخطة الإسرائيلية التي تبحث عن جهة أمنية تحقق لها عدم عودة المقاتلين إلى جنوب لبنان وأيضاً حفظ الأمن على الحدود الإسرائيلية-اللبنانية، وفي رأيي أن حركة أمل كانت هي المرشحة لذلك من خلال ما قام به نبيه بري في حربه للمخيمات.

سؤال: هل تعتقدون أن الحركة الوطنية اللبنانية التي كانت رموزها تقيم علاقات وطنية واستراتيجية مع المقاومة الفلسطينية باتت اليوم بمجملها أسيرة القرار السوري؟

جواب: أعتقد أنها ليست فقط أسيرة النظام السوري، بل إنها تقدم للنظام السوري أكثر مما يريد، وهي الوحيدة -وأسجل ذلك للتاريخ- التي بعد ضرب المخيمات كان الدور عليها، حتى مع كل انتهازية بعض قياداتها، بقيت مرفوضة عند النظام السوري، يريد هذا النظام أن يعتمد أجهزته المباشرة، وهو من خلال حركة أمل أوجد أجهزة مباشرة له يريد أن يعتمدها هي فقط في لبنان، ولا يريد أي قوى وطنية أو ديمقراطية. البعض ينسى، مثلاً في سنة ١٩٧٦ ماذا كان الخلاف مع كمال جنبلاط؟ هم لا يريدون كمال جنبلاط الزعيم الوطني اللبناني، يريدون كمال جنبلاط جهازاً من أجهزتهم، وهم لا يتعاملون إلا

مع أجهزة، ويلاحظ في علاقتهم بالمقاومة الفلسطينية في دمشق الآن إنهم يتعاملون مع أجهزة ولا يتعاملون مع تنظيمات، في البدء كان للتنظيمات علاقة بالحزب، علاقة بالقيادة القومية والقطرية، الآن العلاقات هي مع الضابطة الفدائية، يعني مع جهاز صغير في المخابرات السورية، لأن هذه الضابطة هي جزء من تلك المخابرات، هذه العقلية لم تفهمها بعض القيادات التي رمت نفسها على المخطط بشكل أكثر مما يريد المخطط نفسه.

سؤال: الصحف السورية وكذلك بعض الأطراف اللبنانية تكثر من الحديث عن الوجود المكثف لمن تسميهم بالعرفاتيين في صيدا، وثمة سؤالين الأول: هل تتوقعون للمخيمات في جنوب لبنان حرباً جديدة، والثاني: في حال نشوب مثل هذه الحرب، أين سيكون موقع جبهة الإنقاذ الوطني؟

جواب: لنقل في البداية أن المخطط كان يستهدف ضرب مخيمات بيروت ونقلها إلى البقاع ثم استكمال الحلقات بضرب مخيم عين الحلوة، وبالنسبة إلى الرشيدية وباقي المخيمات فإنه من السهل ضربها وتحويل سكانها إلى البقاع، كان هذا المخطط في البداية، ولكن صمود مخيمات شاتيلا وصبرا وبرج البراجنة فرض على دمشق أن تعمل اتفاقاً مع نفسها وتوقف إطلاق النار، أقول مع نفسها لأنه كما يقال: الله أعطى والله أخذ، دمشق أطلقت النار ودمشق أوقفت النار، ليس هناك اتفاق مع أحد كي لا نكبر الأشياء ونكبر الأسماء، وفي رأيي الآن أن الأسطوانة نفسها التي كانت مقدمة لحرب المخيمات في بيروت تفتح من جديد، وللأسف هنا شيء خطير، ففي مخيمات بيروت حاولوا أن يقولوا أن المعركة بين الشيعة ككل وبين الفلسطينيين، الآن في صيدا يريدون أن يقولوا للعالم، أن المعركة ليست بين الشيعة والفلسطينيين، نزيه البزري سني وبقية الفعاليات الصيداوية سنية، وتالياً يريدون أن يقولوا أنه لا

المسيحيون ولا الشيعة ولا السنة في لبنان يريدون الفلسطينيين، لكي تكون المذبحة هذه المرة من غير شهود، وهنا أقول: أن المسؤولية التاريخية لنزيه البرزي وغيره هي أن لا يغطي هذه المذبحة، لأنه لن يسلم كل من شارك فيها، لا نبيه بري سيسلم ولا نزيه البزري إذا ساهم فيها، ولا كل من يساهم فيها، مهما طالت المدة أو قصرت، إن دم الشعب الفلسطيني مقدس، كل من يصيبه لا بد من أن يتلوث بهذا الدم، من هنا لكي يقول العالم أجمع، هذه مذبحة المخيمات من خلال مذبحة كبيرة في عين الحلوة مغطاة سنياً، وعندها يمكن أن يكملوا معركة بيروت، ولكن بأدوات سورية الآن لأن ذلك سيتم تحت ستار الخطة الأمنية وبوجود ضباط مراقبين سوريين، دخل ما يقرب من ألف شخص من المخابرات السورية إلى بيروت وهم يمتدون إلى صيدا، ولبقية المناطق، ومهمتهم الاعتقالات، قد اعتقلوا حتى الآن نحو ٤٠ فلسطينياً من الكوادر الأساسية التي ليس لها علاقة بفتح فقط وإنما لها علاقة بكل المقاومين في المخيم، ٤٠ معتقلاً حتى الآن أخذوا إلى الزنازين في دمشق حيث يعذبونهم ويعذبون غيرهم في شتورا، من هنا أقول: أن هذا المخطط القادم والذي علينا نحن أن نعرف أن أخطر ما فيه محاولة القول أن المسيحيين والشيعة والسنة هم ضد الفلسطينيين، فلتكن المذبحة الأخيرة لمقاولات حافظ الأسد ضد الشعب الفلسطيني.

وماذا عن جبهة الإنقاذ؟

أعتقد أن جبهة الإنقاذ انتهت منذ حرب المخيمات، هناك تجمعات فلسطينية في دمشق الآن، موقفها في حرب المخيمات كان مشرفاً، وأعتقد أن هذه التنظيمات لا تستطيع إلا أن تكون مع شعبها، بمن فيها الصاعقة، وأنا لا أستثني أحداً منهم، أين جبهة الإنقاذ بعد حرب المخيمات؟ وأي إنقاذ هذا؟ النظام السوري ضرب كل حلفائه لأنه لا يعترف أن

هناك حلفاء كما قلت.

سؤال: ولكن زعيماً فلسطينياً كجورج حبش مثلاً أخذ مواقف تتسم برفض ما يجري ضد المخيمات؟

جواب: ولكنه عاد إلى دمشق، وكان في حملته يساوي بين المؤامرة السياسية لياسر عرفات، وبين المؤامرة التي تستهدف وجود الشعب الفلسطيني أصلاً، أقول: أنه إذا كان يجوز لجورج حبش أن يهاجم -وهذا من حقه- سياسة عرفات أو سياسة غيره في مرحلة حرب المخيمات، كان يجب أن يصمت ولا يتكلم عن مذابح سياسية ولا يوازي بين المذابح التي تستهدف شعبنا وبين خطوات سياسية قد تكون محل اجتهاد مختلف.

سؤال: ولكنكم كنتم تقولون أن سوريا تهدف من وراء خلق جبهة الإنقاذ إلى امتلاك الورقة الفلسطينية، ولكن الجميع يعرف أنه من خلال المعارك وصمود المخيمات فإن الورقة الفلسطينية بدأت تخرج من يد سوريا، فما هو التكتيك السوري في النهاية؟ وماذا يريد السوريون؟

جواب: أنا أقول إن حرب المخيمات في بيروت هي حرب غلطة شاطر لحافظ الأسد، لأن حساباته أخطأت.

سؤال: وإذا كانت غلطة الشاطر فلماذا ستتكرر؟

جواب: لأنها أصبحت محسوبة عليه، أصبح رجلاً مدمى وتراجعه الآن هو تراجع تكتيكي، كل ما يمكن أن يحصده النظام السوري، من وراء حرب المخيمات حصل، عزلة عربية، جبهة الإنقاذ، والمشروع الفلسطيني في سوريا ضرب، إذاً لم يعُد يملك إلا ورقته الأساسية أي ورقة حركة أمل، فلا بد أن يكمل ولكن بأسلوب آخر، أنا أعتقد أن موقف

ليبيا وموقف الاتحاد السوفييتي والموقف الجزائري والموقف العربي بشكل عام هو الذي جعل حافظ الأسد يغير من أساليبه، لذلك هذه المرة ألاحظ أنه حرك أسطوانة نزيه البزري وجماعته، أنا أتحدى أن يكون نزيه البرزي في إقليم الخروب وصيدا يعبر عن رأي سني واحد أو في بيروت، هذه عبارة عن مزامير يطلقها من أجل وعود برئاسة الوزراء، والمؤسف أن ينحط نزيه البرزي إلى هذه الدرجة.

من هنا فالمخطط الجديد هو أن يظهر حافظ الأسد أن كل الطوائف ضد الفلسطينيين، وليس فقط الشيعة. إذاً من يبقى مع الفلسطينيين؟

أما بالنسبة إلى جبهة الإنقاذ، فالحقيقة أنهم في موقف حرج، وأنا أعتقد أنه هو الذي أوجدهم وهو الذي أنهاهم، لأنه بحرب المخيمات احتقر كل مشاعر الشعب الفلسطيني بكل اتجاهاته، وكأنه يقول للعالم أجمع، ليس هناك شعب اسمه الشعب الفلسطيني، وأنا رأيي منذ فترة طويلة أن النظام السوري بكل رموزه، من حافظ الأسد إلى خدام، يحتقرون الشعب الفلسطيني ويعتبرونه كماً مهملاً لا حقَّ له في الحياة أو الوجود، لديهم حقد على الشعب الفلسطيني لذلك لا أستغرب إطلاقاً أن يحتقروا جبهة الإنقاذ.

سؤال: مع أنك يا أخ أبو إياد كنت مع منظِّري العلاقات الطيبة الدائمة مع سوريا، وكنت المفاوض الأكبر في موضوع التحالف الاستراتيجي؟

جواب: لا تنس أننا الآن في عام ١٩٨٥، وذلك الكلام كان في عام ١٩٨١ كنا نريد لسوريا أن تدخل معنا معركة العدوان الصهيوني على لبنان، وكنا في سبيل تحالف لبناني- فلسطيني- سوري، مستعدين أن نعمل أي شيء، بالعكس، فهذا رصيد لنا أي

أننا لم نكن نتحامل على سوريا، بل كنا من رواد التحالف مع سوريا والتعامل معها، ولكن لماذا كنا نريد هذا التحالف؟ ومن أجل يوم كيوم العدوان، ولكن عندما جاء العدوان صمتت سوريا على مدى ثلاثة أشهر، ثم عقدت اتفاقية وقف إطلاق النار، في ١١ حزيران [يونيو] أي بعد العدوان بخمسة أيام، في الوقت الذي تركت فيه المقاومة الفلسطينية واللبنانية تواجهان وحدهما العدوان، وليس أسبوعاً أو أسبوعين أو شهراً أو شهرين، وظلت سوريا صامتة لا تتحرك، وكل أصدقائنا في العالم، كانوا يقولون: إن المساعدات لا تأتي إلا عبر البوابة السورية، وأنهم لا يستطيعون أن يساعدونا مباشرة في لبنان ومن هنا تحملت سوريا المسؤولية الكبيرة بعد هذا العدوان وبعد هذا التقصير، وحاولنا أيضاً إقامة تحالف مع سوريا باعتبارها سوريا الشعب سوريا الأرض سوريا الجغرافيا لكنها أصرت مرة أخرى على إكمال خطة شارون، وفي رأيي أن شارون لم يستطع تحقيق شيء من أهدافه، إنما كل ما عمله النظام السوري أضيف إلى مكرمات شارون، فمن الذي قام بالانشقاق؟ وها هو الآن قد تمزق وتمزقت صورة الإنسان الفلسطيني، وليس الإنسان الذي في الحركة، من المسؤول عنه؟ من المسؤول عن عدم تحقيق الوحدة الوطنية؟

هل تعرف أنني أحياناً أحس أن بعض رفاقنا في الشام يتمنون أن يعمل أبو عمار اتفاقاً مع عمان، اتفاقاً مع أمريكا حتى لا تحقق الوحدة الوطنية، لأن هذا هو مبرر وجودهم؟!

أما الذي يريد إقامة وحدة وطنية فيلغي كل الاتفاقات وكل التحالفات ويقيم تحالفات جديدة.

سؤال: الأخ أبو إياد قلتم أنكم تعتبرون سوريا مركزاً استراتيجياً بالنسبة إلى القضية الفلسطينية وقلتم أن موقفكم هو مع الأرض ومع الشعب وأنتم تعرفون جيداً أنه لا يمكن في العالم الثالث أن يتم الوقوف مع الشعب ومع الأرض من خلال النظام، لأن النظام هو الجهاز الوحيد المنظم والمهيمن دائماً على حياة الناس.

جواب: هذه الحقيقة هي جزء هام من أخطاء المقاومة، ولكن ليس كلها خطأ، يعني أنتِ كمنظمة تحرير عليك أن تفرقي بين نفسك كمنظمة وكثورة، كمنظمة لها تمثيل ولها كيانية، أردتِ أو لم تريدي، عليكِ أن تتعاوني مع هذه الأنظمة من أجل حلّ مشاكل الفلسطينيين، نحن في الحقيقة ضعنا ما بين الثورة والكيانيّة، أي أننا لم نكن ثورة كاملة، ولم نكن كيانية كاملة، هذا ما أعتقد أنه الخلل أو جزء من الخلل في مرحلة تقويم مرحلة ماضية، فلو كنا نحن اعتمدنا الثورة كان المفروض أن ندع المنظمة للتقليديين، وهذا سؤال علينا أن نطرحه: هل كان عملاً صحيحاً دخولنا إلى المنظمة أو غير صحيح؟ لأنك بمجرد دخولك المنظمة أصبحت عضواً في جامعة الدول العربية، عضواً في الأمم المتحدة، بصفة مراقب، عضواً في كل المؤتمرات العربية والدولية، أصبح عليك أن تقدم شيئاً سياسياً يعني أن تتعامل مع هذه الأنظمة كنظام، وهنا أقول لك أنك ضعت بين الثورة والنظام وحتى الآن أقول أنه من المفروض إيجاد حل لهذا، هل كان عملاً صحيحاً دخولنا إلى منظمة التحرير؟ هذا السؤال يجب أن نجيب عنه في مؤتمراتنا وفي لقاءاتنا.

سؤال: المعروف أن منظمة التحرير تطالب منذ سنوات بعقد قمة عربية وكانت تجابه بالرفض أو بالتهرب، إلى أن وقعت أحداث المخيمات في بيروت، وعقد مجلس الجامعة خصيصاً لبحث قضية هذه المخيمات، ووضع الشعب الفلسطيني فهل تتوقعون عقده وما

هي الفوائد المرجوة منه؟

جواب: أعتقد أن عقد المؤتمر أو عدم عقده في المرحلة الراهنة هو امتحان: هل هناك جامعة عربية؟ هل هناك قمة عربية أو ليس هناك قمة عربية؟ إذا لم تنعقد هذه القمة فهذا ستعتبره سوريا انتصاراً لمخططاتها، ومعنى ذلك أن على الدول العربية أن تجعل حافظ الأسد أميناً عاماً لجامعتها هو وكل مساعديه: خدام وفاروق الشرع، هم الجامعة العربية، لذلك أعتبر أن هذا امتحاناً للعرب، وإن كنت أنا – ولك أن تسجل عليّ ذلك– لست مع الذين يقولون أن مؤتمر القمة سيعقد، ولكن ليس للأسباب السورية فهناك أسباب جزائرية وأسباب ليبية وأسباب أخرى.

سؤال: كنت أول من أجرى اتصالات مع القيادة الليبية أثناء حرب المخيمات وبدت الأمور وكأن انفجاراً كبيراً في العلاقات الفلسطينية– الليبية قد حدث، ولكن توقف فجأة الحديث عن هذا الموضوع، أين وصلت علاقتكم مع ليبيا؟ وهل تعتقدون أن الموقف الليبي يمكن أن يتميز طويلاً عن الموقف السوري في شأن القضية الفلسطينية؟

جواب: العلاقات أو الاتصالات مع ليبيا بدأت قبل حرب المخيمات وكانت تهدف إلى تصحيح العلاقات وإعادتها على نحو يحفظ استمراريتها في المستقبل، وقد أتاحت لنا حرب المخيمات الاطلاع على موقف متقدم للأخ العقيد القذافي من خلال الموقف الجريء الذي أعلنه ضد هذه الحرب وضد الذين وراءها.

لقد قامت اتصالات نشطة ومكثفة ومازالت قائمة، ولو لاحظت الإعلام الليبي في المرحلة الأخيرة لوجدت أنه ظل محافظاً على رزانة العلاقات، فلم ينزل مرة أخرى إلى

المهاترات التي سادت من قبل، ونحن فعلاً نستطيع القول أن الاتصالات جرت على مستوى مباشر وعلى أكثر من صعيد.

أجرى الحوار [رياض هيجر]

المصدر [اليوم السابع] العدد [٦٥] الصفحة [٨-٩-١٠]

اليوم [الاثنين] التاريخ: [٥ آب [أغسطس]١٩٨٥م].

المبحث الرابع

موقف أهل السنة في لبنان

عشية الانفجار المروّع الذي أودى بحياة رئيس وزراء لبنان الأسبق رفيق الحريري، ومن كان في موكبه أو قريباً منه، دعا مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد القباني إلى اجتماع موسع للمسؤولين من أبناء الطائفة السنية، حضره: مفتو المناطق، وقضاة المحاكم الشرعية السنية العليا، وعدد كبير من العلماء والوزراء ورؤساء الوزارات السابقين.

وبعد تدارس المجتمعين للحدث الأليم، وما يتصل به من قريب أو بعيد أصدروا بياناً وكان مما جاء فيه:

(إن قتل الرئيس الحريري يستهدفهم في وجودهم ودورهم وكرامتهم، وهم لم يكتفوا بالاستنكار لهذه الجريمة النكراء، ولن يسكتوا عن حقهم ومطالبتهم بكشف الجناة المجرمين أياً كانوا ومعاقبتهم، وهم يعلنون أنهم قد نالهم من الضيم ما يكفي، ومن الصبر ما لم يعد يحتمل).

يتحدث البيان عن الضيم الذي نال أهل السنة منذ دخول قوات النظام الطائفي السوري إلى لبنان عام ١٩٧٦ وحتى عام ٢٠٠٥م، هذا من جهة. ومن جهة ثانية، فالبيان يمثل كل أهل السنة بمن فيهم حلفاء سوريا.

ونقلت في كتابي: [اغتيال الحريري] عن مستشاره الإعلامي قوله: (أعتقد أنه منذ ٢٥ إلى ٣٠ سنة، السنّة في لبنان مستهدفون، وعندما نعود إلى التاريخ صار- مقتول خمسة رؤساء حكومات سنّة، أولاً: رياض الصلح، إلى صائب سلام الذي نفي سنوات

طويلة، وعاد وتوفي في بيروت، إلى تقي الدين الصلح الذي غادر مرغماً بيروت وتوفي في باريس، إلى رشيد كرامي الذي اغتيل في الطائرة وصولاً إلى رفيق الحريري، وقُتِلَ أيضاً زعيم سنّي كبير هو المفتي حسن خالد).(١)

وإذن لم يسلم من الأذى أحد من كبار أهل السنة في لبنان، ومن منهم تحالف مع النظام الطائفي المحتل عاش كوزير أو كرئيس وزراء ينفّذ أوامر وتعليمات ضباط الأمن السوريين أو اللبنانيين، وفي هذا التنفيذ ما فيه من هوانٍ وصغار.

كان الشيخ حسن خالد رحمه الله شديد الحرص على توعية قومه، وتبصيرهم بما يحيط بهم من رياح هوجاء، ومع أنه كان متواضعاً، معتدلاً، يكره العنف والاستفزاز، فقد لقي من القريب والبعيد شتى الاتهامات، ولعل من أهمها خوضه في السياسة وهو رجل دين-على حد قولهم، وكان أسكنه الله الفردوس الأعلى لا يخيفه التهديد ولا الوعيد، فالظروف التي يمر بها لبنان لا تجيز لمثله القعود عن إنكار المنكرات.

ففي [٢٢/ ٢/ ١٩٨٤] ترأس اجتماعاً ضم قادة أهل السنّة من نواب ووزراء ورؤساء وزارات، وفي هذا الاجتماع وضع النقاط على حروفها، فعرض أهم ما لقيه أهل السنة خلال تسع سنين، ودعا إلى اتخاذ قرار يلتزمه السنّيون جميعاً، وعندما أنهى كلمة الافتتاح سمع من المدعوين ما يدعوا إلى العجب والاستغراب:

تساءل البعض هذا لم يحدث منذ عام ١٩٤٣م ، فلماذا أهل السنة دون غيرهم من المسلمين، أين إخواننا الشيعة والدروز؟!

---

(١) انظر كتابي: (اغتيال الحريري، وتداعياته على أهل السنّة في لبنان) صفحات: (١٩، ١٠٥).

فماذا يقول الشيخ حسن خالد لهذا البعض؟ ألا يرون إخوانهم الشيعة [حركة أمل] والدروز [الحزب الاشتراكي الديمقراطي] وقد احتلوا بيروت الغربية [السنّية] منذ فك الحصار الإسرائيلي؟ فكان دورهم بديلاً للقوات الصهيونية بل أسوأ . لقد استباحوا أموال الآمنين المسالمين من أهل السنة وهتكوا أعراضهم، وعاش الناس في حالة من الخوف والذعر لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى... وتحت وطأة هذا الاحتلال هدمت القوات الدرزية المحتلة مسجداً من أهم مساجد بيروت... وتحت وطأة هذا الاحتلال الغاشم جرى قتل الشيخ حسن خالد وعشرات غيره من وجهاء أهل السنة؟

وهل يقول الشيخ لهم: نحن نجتمع لنتدارس كيف نواجه الاحتلال الشيعي الدرزي ، وأنتم تريدون أن يشاركونا في اتخاذ القرار؟.

وأمّن بعضهم على مقولة البعض الأول ثم أضاف:

نحن نرفض التفرقة المذهبية بين المسلمين، ويؤلمنا الحديث عن السنة كسنة، وعن الشيعة كشيعة، وعن الدروز كدروز... إننا حملة الفكرة القومية العربية في لبنان ، ولا يجوز لنا أن ننزل إلى حضيض الطائفية المقيت!!.

هذا خداع وكذب وتضليل، فإذا كان هؤلاء لا يريدون النزول إلى حضيض الطائفية المقيت، فلماذا رشحوا أنفسهم كنواب عن دوائر أهل السنة، واختارهم أهل السنة كممثلين لهم.. وهم.. هم الذين قسّموا لبنان إلى طوائف ووضعوا لكل طائفة عدداً من النواب والوزراء لا يتجاوزه.. وهم... هم الذين اختّاروا أن يكون منصب رئيس الجمهورية للموارنة، ورئاسة الوزراء للسنة، ورئاسة المجلس النيابي للشيعة!!.

الدرزي سواء كان نائباً أو وزيراً أو شرطياً يتحرك من نقطة البداية وحتى النهاية

كدرزي، وإن تستر وتوارى خلف القومية العربية والتقدمية والاشتراكية، ومثل ذلك الشيعي والماروني، ومن أجل ذلك أسسوا [المليشيات الطائفية] واستعانوا بدول أجنبية تعتبر هذه الطوائف جيوباً لها في لبنان خاصة، وفي البلاد العربية عامة، مثل: إيران، وفرنسا، والفاتيكان، وبريطانيا، وإن كان قد تراجع دور هذه الأخيرة أمام دور كل من الولايات المتحدة وإسرائيل.

هؤلاء [أعني قادة أهل السنة]: لا ينقصهم ذكاء ولا دهاء، وخبرة في الشؤون السياسية والإدارية، بل ولا ينقصهم مكر و خبث. إنهم يعرفون جيداً أهداف وغايات كل من الدروز والشيعة والموارنة والنصيريين، وفي خلواتهم يقدمون دروساً عن تاريخ هذه الطوائف ووقوفها دائماً في صف الغزاة المحتلين، اللهم إلا النادر منهم.

ويعرفون بأن أهل السنّة هم المستهدفون، واستهدافهم يعني استهداف العروبة والإسلام في لبنان... يعرفون هذا كله ، لكنهم كانوا ولا يزالون يقودون شعباً ليسوا أهلاً لقيادته، وغير أمناء على مبادئه، وأهدافه، ولا بد من وضع حدٍ لهذا الاستهتار.

فيما يلي صوت من أصوات أهل السنة اللبنانيين الذين يدينون بالعلمانية، ويعارضون الانتماءات والشعارات الإسلامية، ويرفضون الطائفية والمذهبية.. صاحب هذا الصوت سمحت له هجرته إلى فرنسا، وشعوره بشيءٍ من الأمن أن يكتب عن محنة مليون سنّي في لبنان.

إلى الملوك والرؤساء العرب:

مليون سني لبناني في ذل الأسر والحصار

جريدة الوطن العربي- بقلم: وليد أبو ظهر.

ملوك الأمة ورؤساؤها وزعماؤها يُخاطَبون عادة في الأمور والقضايا والمشاكل التي تتناول صميم اهتمامات الأمة ومصيرها ومستقبلها، وقد يخطر على البال أن ما جرى في بيروت أخيراً مجرد [خناقة مسلحة] عادية بين حيّ وحيّ، أو بين أصحاب دكاكين مسلحة أو سياسية، لا تستأهل تقديم الشكوى على هذا المستوى الرفيع.

ولكن [الوطن العربي] تريد أن تقول، منذ البداية أن ما حدث أبعد بكثير من مجرد تصفية دموية بين دكاكين السياسة والسلاح في بيروت، فما جرى يتجاوز مظهره المحلي البيروتي، ليمس صميم مصلحة الأمة العربية ومصيرها، وليدخل في قلب الصراعات العربية والإقليمية والدولية التي تدور حول التحكم في رسم المستقبل العربي، وللتأثير في مجرى السياسات العربية، بل إنه يندرج في إطار تقرير توجهات ومصير الأنظمة والقيادات العربية القائمة.

كان الهدف بصراحة استكمال تطويق واحتواء وإخضاع وإذلال طائفة لبنانية كريمة، هي امتداد على أرض لبنان للسنة التي تشكل الأغلبية العددية المطلقة لجماهيركم العربية، والتي تؤلف الضمير العربي اليقظ والواعي أو ما يمكن تسميته الرأي العام العربي، والتي صنعت التاريخ العربي، ودافعت عبر مراحله كلها عن هويته وانتمائه القومي والإسلامي، سواء كان هذا الدفاع ببذل الروح والدم، أم بصنع وتشكيل الحضارة

والثقافة العربية والإسلامية.

ويشهد الله أن [الوطن العربي] لا تتبنى قضية السنة في لبنان، كقضية طائفية أو مذهبية أو كقضية فئة لها مصالح ومكاسب وامتيازات في إطار الكيان اللبناني الضيق واللعبة الطائفية اللبنانية، وإنما تتناولها كما أكدت مراراً، من خلال حرصها على وجه لبنان العربي. فسنة لبنان كانوا وما زالوا ضمير لبنان العربي الذي يشده إلى هذه الكتلة السنية الضخمة التي تشكل البناء العام للجسد العربي. وضرب سنة لبنان وقهرهم يندرجان تماماً في هذه المحاولات الحثيثة الجارية في المنطقة لضرب الأمة العربية وقهرها وإذلالها بمختلف الوسائل والأدوات الصهيونية والأجنبية حيناً، وحتى بوسائل وأدوات ظاهرها [تقدمي] عربي أحياناً و[إسلامي ثوري] أحياناً أخرى.

ومن المؤلم، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، أن الأمة العربية لم تتنبه بما فيه الكفاية لهذه المخططات الجارية على أرضها. وما زال رد فعلها الشعبي والرسمي يقصر كثيراً جداً عن الوصول إلى مستوى الخطر الذي يتناولها. فللآن وبعد مرور خمس سنوات على حرب الخليج، يذهب التصوير العربي إلى الظن والاعتقاد بأن المواجهة هي بين إيران والعراق، أو بين صدام والخميني، وعلى أساس هذا التصور المغلوط تقف الأمة العربية حيناً متفرجة، وحيناً متوسطة، وكأنها على الحياد، وكأن الهجمة الخمينية تختلف تماماً عن تلك الهجمات المريعة والوحشية التي انقضت عبر حدود الوطن في مراحل مختلفة مظلمة من التاريخ لتحاول تغيير الوجه العربي لهذه الأرض. بل هناك فريق عربي رسمي لا يكتفي بالفرجة أو بالوساطة، وإنما يعلن انحيازه علناً لإيران ويسعى لتمويلها وتسليحها، ليضرب الخميني الأمة العربية ويخترق صفوفها نكاية بصدام حسين والعراق.

وحرب لبنان مثل حرب العراق، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، لقد انقضى على محنة لبنان عشر سنوات، واختلف سنة لبنان مع إخوتهم الموارنة حول القضية الفلسطينية والتواجد الفلسطيني في لبنان، فانحاز السنة إلى القضية العربية الأولى وذلك تعبيراً عن ارتباطهم المصيري بالأمة العربية وغالبيتها السنية الإسلامية.

فعلوا ذلك على الرغم من كل الجروح والتجاوزات المحلية التي مارسها التواجد الفلسطيني المسلح على أرض لبنان. وهم اليوم يُنكل بهم التهمة ذاتها، بتهمة تأييد القضية الفلسطينية.

ومن المؤلم والمفجع أن الذي ينكل بهم هذه المرة إخوة لهم في الدار والجوار والدين. وما يحز في النفس أكثر وأكثر أن السلاح الذي يُقتل به سنة بيروت، وتقتحم به البيوت وتنتهك فيه الحرمات هو سلاح فلسطيني تركه ياسر عرفات والفلسطينيون لمنظمة [أمل] وزعيمها نبيه بري ليحمي عروبة وإسلام لبنان.

[الوطن العربي] ، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، لا تدافع هنا عما يقال عن تسلل جماعة عرفات إلى مخيمات بيروت أو صيدا أو الجنوب، إنما ما يهمها في المقام الأول أن تعرض أمام أعينكم مأساة السنة في لبنان، مأساة بيروت، وبيروت الغربية بالذات، حيث يعيش نحو نصف مليون سُنّي تحت كابوس القتل والترويع والاعتداء على الكرامات والحرمات.

[الوطن العربي]، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، لا تتبنى هنا قضية [المرابطون]، وهم تنظيم مسلح صغير معظم رجاله من سنة بيروت، فموقفها معروف من المليشيات المسلحة ولاسيما داخل المدن، إنما تود أن تقول أن المعركة المخططة والمرسومة

سلفاً في دمشق لضرب التنظيم كانت تستهدف استكمال تأديب وضرب سنة بيروت وقهر عروبة لبنان. فتنظيم [المرابطون] لا يشكل خطراً من حيث العدد والتسليح على الجيوش والمليشيات والدكاكين الأخرى، كمنظمة [أمل] أو [حزب الله] أو المليشيا الدرزية.

يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، لقد شُنت الحرب على بيروت فجأة بعد عودة نبيه بري ووليد جنبلاط من دمشق. وكانت الاستعدادات المسلحة قد استكملت. وبدأ التنفيذ بعدما صدرت لهما الأوامر هناك وقد اعترف بذلك زعماء منظمة [أمل]. ولم يكن الرجلان ليستطيعا تجاهل التعليمات السورية. فقد هُددا بإرسال جماعة أبي موسى المنشقة عن [فتح] لتتولى تأديب جماعة عرفات في المخيمات، إذا لم يقوما بالمهمة، ووزعت الأدوار بدقة وتصميم، وشارك فيها جميع القوى المحسوبة على سوريا في الساحة، كالشيوعيين والسوريين القوميين...

وكان التحريض مُبيتاً على أعلى المستويات السورية، تكفي الإشارة هنا إلى خطاب الرئيس الأسد عشية الاحتفال بذكرى الجلاء عن سوريا. فكان مكرساً كله للإشادة بـ [زمن الشهادة] الشيعية في الجنوب، فقد كانت هناك مهمة [استشهادية] أخرى تنتظر نبيه بري في بيروت بعد ساعات. وقد فعل التحريض فعله. فقام الرجل بالأداء على أحسن وجه، وحول الشوارع والأحياء العريقة الآهلة بالسكان إلى دمار وخراب وسواد. وعندما كاد أن يخفق بالقضاء على التنظيم المسلح الصغير، جاءه الإسناد من الخلف، من مقاتلي جنبلاط، ليحسم المعركة. تماماً كما فعل معه عندما سانده من الخلف في انتفاضة شباط العام الماضي ليعلن [تحرير] بيروت من هيمنة الكتائب والسلطة. والشرعية التي ظل وزيرها النافذ والمدلل والغائب الحاضر حتى لحظة استقالة رئيس الحكومة.

نعم، انتصر نبيه بري على بيروت مرة أخرى. وراح [الغزاة] الذين كانوا ينقلون أسلاب وغنائم المعركة يرفعون في وجه الصحافيين أصابعهم بإشارة [النصر]. نعم، انتصر مقاتلوه على المدينة التي استضافتهم وأكرمتهم واحتضنتهم، فعادوا فتحها بقوة السلاح، ورسموا علامة [النصر] على أنقاضها وجثث أبنائها.

نعم، انتصر نبيه بري، واستبيحت بيروت، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، مرة أخرى. تعرضت المدينة وما تزال لعملية منظمة من النهب والسرقة والاعتداء على الكرامات والحرمات، هناك مقاتلون قتلوا بعد استسلامهم. المستشفيات هوجمت وأهين أطباؤها وممرضاتها وجرّ الجرحى من أسرَّتهم ومهاجعهم علناً. وبعضهم صُفي فوراً وبعضهم نقل إلى حيث لا يدري أحد. واقتحمت المنازل ونهبت، ذبحت أسر بكاملها. مسجد جمال عبد الناصر الذي ينتصب في قلب بيروت دُمّر وأحرق بكل ما يرمز إلى ذكريات بيروت مع زعيم عربي، وبكل ما يرمز إلى ارتباط بيروت بإسلامها ومقدساتها. نعم أحرق المسجد الكبير، ونهبه مقاتلو وليد جنبلاط. وشاهد المراسلون الأجانب بأم أعينهم المسلحين المتصرين وهم يحملون ساعته وأباريزه الذهبية على سياراتهم، رافعين علامة [النصر].

إن بيروت في عملية تأديب عرفات و[المرابطون]، فقدت يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، ٥٠٠ قتيل وجريح من أبنائها، وليس ٢٠٠ كما ذكر سابقاً. فقد اضطر المهزومون أن يبكوا بصمت ويشيعوا ضحاياهم وقتلاهم بصمت خوفاً من إخوتهم المنتصرين في معركة وحشية دارت بين الأحياء، وأحياناً من منزل إلى منزل، واستخدمت وسط هذه الكثافة السكانية الهائلة الأسلحة بمختلف الأنواع، من الكلاشينكوف إلى مدافع الهاون بمختلف الأحجام. وعندما حاول اللواء السادس التدخل والفصل بين المتحاربين صدرت له الأوامر لا من قيادته العليا، ولا من قيادته

الميدانية، وإنها من نبيل بري لينسحب وإلا... وفعلاً انسحب عسكر السلطة إلى ثكناتهم ليتفرجوا على عملية تأديب المدينة. وبعدما انتهى التأديب الدموي، شكل بري وجنبلاط وحلفاؤهم [قوة ضاربة]. نعم، هكذا أسموها، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، لممارسة التأديب المعنوي. وراحوا يسيّرون المفارز [الضاربة] بين الأحياء المستسلمة والسكان المهزومين المقهورين من عمليات عرض عضلات استفزازية، بحجة أنها لحماية المدينة. إنهم يستبيحون المدينة ثم... يحمونها! إنها [شرعة الغاب] التي تحدث عنها وشرحها مراراً وليد جنبلاط والتي يخضع لها لبنان كله هذه الأيام؟

إن بيروت يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، لا تزال حتى هذه الساعات غابة، أو مدينة خاضعة لشرعة الغابة، تسرح فيها قطعان الذئاب الهائجة، باحثة عن فريسة أو غنيمة. ولا من مُدافع، ولا من محام، ولا من مهتم، ولا من نصير، ولا من مُجير... نعم، هذا جزاء بيروت، وهذا جزاء السنة، هذا جزاء وجه لبنان العربي وضميره. هذا جزاء السنة التي رفضت أن تحمل السلاح مع الذين حملوا السلاح وارتكبوا المذابح منذ عام ١٩٧٥. هذا جزاء السنة التي رفضت أن تنساق بالمنطق الطائفي والمذهبي، وأصرت على أن يكون حوارها مع الآخرين من خلال الكلمة والرأي والإقناع.

من البديهي، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، أن زعماء السنة في لبنان على شاكلة أهلهم المستضعفين. لا يستطيعون أن يشكوا إلا بأدب وتهيب يفرضها السلاح المسلط فوق رؤوسهم. وإذا تجرأ أحدهم ورفع صوته يُقذف منزله بالصواريخ والرصاص أو يُهدد بالاغتيال. لقد تجرأ رئيس الحكومة السني واستقال بعد مجازر بيروت، فانهال عليه تقريع وتوبيخ وسخرية بري وجنبلاط. ثم أمسكت دمشق بالخيوط، وراحت تضغط على الزعماء والوزراء المغلوبين على أمرهم لسحب استقالتهم، ثم ما

لبث أن استدعت رئيس الحكومة وزعماء السنة إليها لمصالحتهم مع المتنصرين والغالين، ولتغطية دورها في عملية التأديب.

إن سنة لبنان، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، منذ يقظة الوعي العربي في بدايات هذا القرن توجهوا إلى سوريا لتكون دائماً راعية لوجههم العربي وكرامتهم أمام المد الاستعماري والطائفي الانعزالي في لبنان. لم يكونوا يجدون غضاضة في ذلك إيماناً منهم بأن العروبة أخوة ومصير، وليست وصاية أو محوراً أو تسلطاً أو هيمنة. وقد تجلى هذا الارتباط الأخوي العميق خلال مراحل الكفاح ضد الانتداب الأجنبي. ثم تجلى في أروع صورة خلال وحدة مصر وسوريا.

ولقد ظن سنة لبنان، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، أن سوريا ما زالت على العهد، أمينة على وجه لبنان العربي، من خلال حماية السنة وكرامتهم. ولكن يبدو أن نظام دمشق الذي لا يكف ليلاً نهاراً عن الحديث عن الوحدة العربية والإخوة في القومية العربية، لا يكنّ حباً لسنة لبنان لأسباب داخلية سورية مفهومة.[1] وهذا يفسر ما يصيب وجه لبنان العربي هذه الأيام ومنذ سنوات، منذ التورط السوري المباشر والمسلح في لبنان.

إن المدن العربية الرئيسية في لبنان، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، تعرضت منذ بدايات التورط إلى مآسٍ. لقد قصفت طرابلس في الشمال مراراً وتكراراً، وهي ما زالت محاصرة. وها هي بيروت تتعرض للامتهان والإذلال مع صحوة الدور السوري في لبنان. أما صيدا المدينة الباسلة العربية السنية المحررة، فلها قصة أخرى.

(١) لا يريد الكاتب شرح الأسباب حتى لا يتهم بالطائفية. والذين يخاطبهم من الملوك والرؤساء مثله يعرفون ويصمتون.

صيدا، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، تقصف منذ شهر ونصف الشهر ليلاً نهاراً بعد تحررها من نير الاحتلال الإسرائيلي، بمدفعية حلفاء وأزلام الإسرائيليين في [القوات اللبنانية] ومن جيب يضم قرى قليلة تنتشر على مرتفعات شرق المدينة. بلغ عدد قتلى صيدا ومخيمات الفلسطينيين حتى نهاية الأسبوع الماضي أكثر من ٦٠٠ قتيل وجريح.

وشكت صيدا، شكت إلى السلطة، شكت إلى الجيش الشرعي، شكت إلى السياسة، استنجدت بنبيه بري ووليد جنبلاط، ذهب زعماؤها السياسيون وعلماء دينها إلى دمشق مهنئين مباركين في الولاية الثالثة للرئيس الأسد، ولكن ما من مجيب. حتى [حزب الله] الذي اجتاحها على يومين متتالين بألوف المسلحين، سكت ولم يهرع لنجدتها ولم يقاتل لحمايتها.

صيدا السنية العربية المسلمة تُستباح، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، والكل يتفرج، بدءاً بدمشق، ومروراً بأمل وحزب الله، وانتهاء بوليد جنبلاط الذي يستطيع برمية حجر، ولا نقول بمدافعه التي تركب [جيب] القوات اللبنانية من فوق من إقليم الخروب وربى وجبال الشوف، أن يسكت مدافع القانصين وأوكار القانصين. مع ذلك لا يسكت جنبلاط خجلاً، وإنما يفتح فمه ليوبخ بيروت، وليقول إنه في اللحظة التي كان يستعد فيها لحماية صيدا حدث التحرك [المشبوه] في بيروت.

إن وليد جنبلاط يتخلى عن إرث طويل لأبيه الشهيد كمال جنبلاط مع سنة لبنان. لقد استطاع كمال جنبلاط بوعيه وثقافته وذكائه وحسه العربي الأصيل أن يتجاوز إلى حد بعيد حدود المذهب والطائفة[1] واللعبة السياسية اللبنانية الضعيفة ليمد يده إلى الطوائف الأخرى. وفي مقدمتها السنة. ولقد بادله سنة لبنان من خلال طروحاته العربية حباً بحب

(١) ليس صحيحاً قوله هذا ووليد ابن كمال ولكن الأخير كان داهية.

وولاء بولاء. ولن أنسى أنا شخصياً، يوم زار كمال جنبلاط دار [المحرر][1] المؤلفة من ستة طوابق التي هاجمتها وقصفتها وأحرقتها منظمة [الصاعقة] الفلسطينية التابعة لسوريا، ليعزي في شهدائها من محرريها وعمالها. كان الزعيم الوحيد الذي زارنا دون أن يقول كلمة واحدة. راح يجول في المبنى وهو مذهول وعلى وجهه علائم حزن نبيل كان أكبر تعبير عن المواساة والألم.

ثم كان جزاء كمال جنبلاط نفسه القتل، لأنه تمسك بإبائه وكرامته وحرصه على استقلاليته ودوره كزعيم عربي وقائد لبناني تاريخي. رفض أن يتلقى الأوامر والتعليمات. رفض أن يكون أداة. فضل أن يكون شهيداً في زمن الشهادة الحقيقية التي تُصنع على روابي لبنان، ولا تُمنح بقرارات وبراءات وبخطب رسمية من هذه العاصمة أو تلك.

إننا نعلم ظروف وليد جنبلاط. نعرف طبيعة [حلفه الاستراتيجي] مع نبيه بري. نعرف ظروف علاقته بدمشق. ولكن إذا كان نبيه بري يرضى أن يكون أداة تنفيذ لأوامر دمشق لشعوره بالحاجة إليها بينما حزب الله يسحب البساط من تحت قدميه تدريجياً، فنحن لا نريد أن يكون وليد جنبلاط أداة. فالجنبلاطية تاريخ عريق وزعامة كبيرة لم تُصنع في دكاكين سياسة طارئة أو مؤقتة. والجنبلاطية استطاعت في عهد كمال جنبلاط أن تتحول إلى سياسة لبنانية ذات طروحات وتوجهات في العدالة الاجتماعية والعروبة. بل أصبح جنبلاط الزعيم الشعبي العربي الوحيد الذي يستطيع أن يزور ويحاور العواصم العربية المختلفة انطلاقاً من مكانته في لبنان وفي قلوب اللبنانيين، والسنة بالذات.

يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، إن الرصيد اللبناني الذي أورثه كمال لوليده

---

(١) مؤسسة صحفية لأخي وليد وله أيضاً.

احترق في حريق بيروت. إنه اليوم مجرد قائد ميليشيا، مجرد أداة مغموسة في دم ودموع بيروت. ومن البديهي أن الأبواب العربية التي كنتم تفتحونها له اعتماداً على هذا الرصيد لأبيه، لا يجوز أن تظل مشرعة، إلى أن يعود إلى جوهر الجنبلاطية، وإلى أن يثوب إلى مبادئ أبيه العظيم.(١)

ولينعم كمال جنبلاط في شهادته وعليائه وغيابه، حتى لا يرى مقاتلي ابنه وليد يفعلون في مباني بيروت وأهل بيروت ما فعلته [الصاعقة] بمبنى [المحرر] من محرِّرين وعمال. وليت دمشق تصدر الأمر لوليد بإنهاء [جيب القوات اللبنانية] شرق صيدا، ليستعيد هو وحليفه [الاستراتيجي] بري، بذلك بعض الثقة المفقودة، وليكفكف في عيون صيدا الدموع التي أهرقتها بيروت الحزينة.

لقد وقفت [الوطن العربي] مع وليد جنبلاط والدروز عندما تسللت [القوات اللبنانية] إلى الجبل والشوف تحت مظلة الاحتلال الإسرائيلي. ووقفت معه يوم خاض مع بيروت الغربية والضاحية الجنوبية معركة إنهاء التسلط الكتائبي. وهي اليوم تريده أن يكون إلى جانب المبادئ التي قاتل في السابق دفاعاً عنها واستشهد أبوه إيماناً بها، ويتعرض دروز الجولان هذه الأيام لمحنة الحصار الإسرائيلي لتمسكهم بها، وليرد رسل الدروز الذين ترسلهم إسرائيل إليه وإلى أهله وعشيرته ليمنحها [الأمان] بعد الانسحاب من لبنان.

إن ما يجرى في لبنان، وفي بيروت وصيدا بالذات، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، لم يعد جائزاً السكوت عنه. كنا نتمنى أن يستمر دور سوريا بحكم الاعتبارات التاريخية والجغرافية حافظاً وضماناً لعروبة لبنان. ولكن دمشق هذه الأيام فقدت قدرتها

---

(١) مداهنة، لكن كمالاً كان يرى نفسه أكبر من أسدٍ ونظامه.

على ممارسة دور الحكم ودور الخصم في وقت واحد. فتغيير التحالفات بين يوم وآخر، وتأليب الفرقاء والشركاء اللبنانيين على بعضهم بعضاً سياسة قد تكسب نظام الرئيس الأسد بعض الوقت، وتحقق له أرباحاً تكتيكية، ولكنها على المدى البعيد سيتحمل نتائجها لا سوريا فحسب، وإنما العرب جميعاً إضاعة لبنان تضييع للعرب. وإغراق لبنان في المأزق الطائفي حتى العمق يُعرّض سوريا لأعراض ومظاهر المرض اللبناني.

سوريا، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، تريد أن تحقق مكاسب على حساب خصومها من عرب وفلسطينيين. قد يكون ذلك من حقها في المنطق البائس السائد في العلاقات العربية اليوم. ولكن غلطة الشاطر بألف. لقد حققت انتصاراً على عرفات أمس مستخدمة أدوات مذهبية وطائفية في بلد تغلي المشاعر والحزازات والحساسيات المذهبية في مرجل من نار. ووضعت نفسها في عيون حلفائها وخصومها في موضع الحليف الذي لا يوثق بكلامه وعهوده وسياسته.

ما جرى في بيروت كان أيضاً نكسة للشرعية والسلطة اللبنانية. النكسة هذه المرة لم تحدث على يدي جعجع، وإنما على يدي دمشق[1] ورجالها وأزلامها في لبنان. وسقطت حكومة [الوحدة الوطنية] التي ترعاها دمشق. وازداد عجز جيش الشرعية ولواؤه الطائفي في بيروت الغربية. وتعمقت الحساسيات الطائفية في لبنان المقسم فعلاً حتى ولو كره الدور السوري الاعتراف بذلك. فمعالم الكانتون الماروني المسيحي وكذلك الدرزي تبدو واضحة. وسوريا لم تطلق رصاصة واحدة، ولم تحرك ساكناً لنجدة حليفها في بعبدا أمام سيطرة جعجع على الأرض والسكان والمرافئ، ولم ترسل نبيه ووليد في إثر جعجع

---

(١) دمشق التي احتلها النظام الطائفي البغيض بريئة من جرائمه.

وجماعته، وهي تترك صيدا حتى الآن تحت رحمة جيب القوات الذي لا يستطيع الصمود ولو لأيام أمام مدافع جنبلاط. والكانتون الشيعي يستكمل لمساته [التجميلية] في بيروت بوضع السنة تحت الهيمنة والوصاية في [عاصمة] نبيه بري.

هل نسأل المنتصرين الذين يرسمون علامة النصر فوق خراب ودمار وجثث بيروت؟ لماذا لا يكون غداً الدور على [حزب الله]؟ أو أمير التوحيد الشيخ شعبان؟ وماذا يمنع؟ جماعة نبيه بري تقول: إن القضية قضية وقت. وسوريا تريد أن تضرب [حزب الله] ولكن من دون أن تزعج حليفتها إيران.

لماذا لا يكون الدور غداً على آخر بقايا ورموز الشرعية والسلطة الرسمية بعد استكمال الانسحاب الإسرائيلي. يقول الرئيس الجميل أن سوريا وعدته بالانسحاب بعد الانسحاب الإسرائيلي، وبحل المليشيات المحلية، وببناء جيش قوي؟

لكن هل تفي دمشق بوعودها للجميل حقًا بعد الانسحاب؟

البوادر لا تشير إلى ذلك، بل ربما بدأت عملية تفتيت وتجزئة أكبر في لبنان. ربما لم تعد دمشق تشعر بحاجتها إلى سلطة شرعية لبنانية قوية، مادامت ترى نفسها قادرة على لعب دور الحكم بين الفرقاء والمليشيات.

على من سيأتي الدور غداً؟

من يضمن أن يظل [الحليفان الاستراتيجيان] نبيه ووليد أسياد اللعبة وأدوات التنفيذ؟

حرب السنوات العشر أبرزت وأخفت مع حركة حجر رحاها الطاحن عشرات

الوجوه وقادة المليشيات و[القوات الضاربة]. كلهم انتهوا، أو اختفوا، أو عادوا... حسبما يقتضي قانون اللعبة الصغيرة والكبيرة. وما انطبق على [المهزومين] أمس قد ينطبق على [المنتصرين] اليوم.

إن السكوت العربي، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، على ما يجري في لبنان ليس جائزاً. فلبنان جزء من هذا القارب العربي. وهذا الخرق في الجزء سيغرق القارب كله. وهذه الرقعة اللبنانية من القارب ليست حصة أو اختصاص هذا العربي أو ذاك. ليست حكراً لسوريا، أو لعرفات، أو لإيران، وغير إيران. إن لبنان مسؤولية عربية بعد الانحسار الأمريكي والانسحاب الإسرائيلي وتراجع مصداقية دمشق. ولا بد من التفكير سريعاً لإخراج لبنان[1] من محنته، أو على الأقل التخفيف من آثار المحنة.

غياب الإجماع العربي يجب ألا يلقي العرب إلى مهوى العجز. والإرادة العربية الممثلة بالملوك والرؤساء العرب مجتمعين أو منفردين، قادرة على أن تفعل شيئاً من أجل لبنان، وفي لبنان، وقبل أن تستأنف دورات العنف الدموية. ولا أدَّعي أن [الوطن العربي] قادرة على أن تملي على الزعماء العرب ما يفعلون ويقررون. ولكن تقول سلفاً إنهم قادرون على أن يفعلوا الشيء الكثير.

لقد تحركت السعودية ممثلة بالملك فهد لتندد وتحذر بما يجري في لبنان. وقال الملك: إنه ينطلق في ذلك (من مسؤولياته العربية والإسلامية). قال: إنه تلقى مئات المكالمات الهاتفية بخصوص الذي جرى في لبنان. ونحن نعرف أن السعودية قادرة على أن تفعل

---

(١) يقول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

الكثير من أجل لبنان. السعودية تملك إمكانات كبيرة للضغط والإقناع. السعودية الدولة العربية الوحيدة تقريباً التي تدفع لسوريا مخصصات المجابهة المعطلة حالياً. السعودية قادرة على أن تقنع دمشق بلعب دور أكثر اتزاناً وتعقلاً في لبنان، وبالقبول بدور عربي أمني في بيروت سيوفر على العرب وعلى اللبنانيين وعلى السوريين الكثير من الوقت والمال والأرواح.

ومع انشغال العراق بحربه مع إيران، تبدو الجزائر مؤهلة بزعامتها ودبلوماسيتها العاقلة لكي توجه النصح لدمشق وأن تضغط على أطراف لبنانية كثيرة تنظر إليها نظرة الاحترام والإكبار.

ليبيا التي تجد نفسها في حيرة من دور حليفتها سوريا، التي تضرب حليف ليبيا [المرابطون] بحلف ليبي آخر [جنبلاط] قادرة على التخفيف من حمامات الدم بالضغط على سوريا من جهة، ومن جهة أخرى بقطع الدعم عن [الحلفاء] الذين ينتصرون على أشقائهم اللبنانيين وسط المدن والأحياء الآهلة بالسكان ويتقاعسون عن نجدتهم عندما تنهمر عليهم قذائف أعوان إسرائيل.

وحتى مصر، تستطيع أن تفعل شيئاً عبر دبلوماسيتها مع حكومة بيريز المتلهف للقاء مبارك، بحث إسرائيل على الانسحاب كلياً من لبنان، وأن تقرن انسحابها عملياً من الجنوب بما تقوله عن قرارها بالانسحاب من اللعبة السياسية الداخلية في لبنان.

إن العرب لا يحكمهم العجز قط، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، إنهم قادرون على أن يفعلوا شيئاً من أجل لبنان. ولكن تنقصهم الإرادة. إن عدة دول عربية غير متورطة مباشرة في الأزمة اللبنانية قادرة على تشكيل [قوة ردع] حقيقية محايدة

لتضمن أمن وسلامة بيروت بمساعدة قوى الأمن الداخلي اللبناني. احتلال بيروت ليس سهلاً. المدن [بالوعة] جيوش. ولكن يمكن تحييد بيروت. يمكن انتزاع موافقة من دمشق ومن سائر الأطراف على تجريد بيروت من السلاح، وسد منافذها -وهي عملية سهلة- أمام تسرب السلاح والمقاتلين.

إن زعماء السنة الذين يذهبون إلى دمشق لا يملكون بنادق ولا رشاشات ولا هاونات. ولكنهم يستطيعون أن يضعوا دمشق على محك الاختبار. هل تريد دمشق أن تعيد إلى بيروت الأمن والطمأنينة والسلام؟ هل تريد حقاً المشاركة في إعادة تجميع لبنان وترسيخ سلطته الرسمية.

إن البداية هناك، من بيروت من تحييد بيروت. من نزع سلاحها. من تحريم أرضها على المقاتلين والمليشيات و[القوات الضاربة]، ريثما يشتد ساعد قوى الأمن الرسمية، ويعاد بناؤها على أساس غير متحيز طائفي.

بيروت، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، تناديكم وتستصرخكم، ومعها صيدا وطرابلس، ومعها كل لبنان فقد ملت شريعة الغاب، ومنفذي شريعة الغاب.

إن وجه لبنان العربي في خطر. هناك مليون سني لبناني عربي يعيشون تحت الحصار. تحت القذائف. تحت التهديد بالقتل والذبح. تحت إرهاب المليشيات وعلامات [النصر].

هؤلاء الخائفون، المذعورون، المخطوفون، الصامتون، هم يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، وجه لبنان العربي، هم امتداد العرب في لبنان ويد لبنان الممدودة دائماً إلى العرب.

هؤلاء، يا أصحاب الجلالة والفخامة والسيادة، يعيشون في ذل الصمت والقهر، فماذا أنتم فاعلون من أجل سُنَّة لبنان؟ من أجل عروبة وإسلام لبنان؟

الفصل الخامس

العلاقات الفلسطينية الشيعية

المبحث الأول: الوجود الفلسطيني في لبنان وموقف الطوائف منه.

المبحث الثاني: حركة أمل ومنظمة التحرير.

المبحث الثالث: أضواء على شخصية نبيه بري.

المبحث الرابع: العلاقات الفلسطينية الإيرانية.

المبحث الخامس: شق فتح . من المتآمر ومن المنفذ؟

المبحث السادس: دور إيران وحزب الله في حرب المخيمات.

المبحث الأول

الوجود الفلسطيني في لبنان

وموقف الطوائف منه

الوجود الفلسطيني في لبنان بدأ عام ١٩٤٨م إثر الحرب العربية الإسرائيلية الأولى التي أعقبها قيام دولة الكيان الصهيوني، وتشريد الغالبية العظمى من أبناء فلسطين. ولما كانت القضية في بدايتها اجتماعية، فقد رحب جميع اللبنانيين باللاجئين الفلسطينيين، وانتظروا عودتهم إلى ديارهم بعد أيام أو شهور.. وعندما مرت الشهور والسنون دون عودة الفلسطينيين إلى وطنهم اختلفت المواقف..

فأهل السنة وقفوا إلى جانب الفلسطينيين في أفراحهم وأحزانهم، قاتلوا معهم إسرائيل وأشباه إسرائيل، ووقفوا بوجه كل من حاول تقييد حركتهم ومنعهم من النشاط الفدائي، ولم يتخلوا عن نصرتهم في يوم من الأيام.

أما النصارى، ففي ٢٤/ ٤/ ١٩٤٨م، وجه البطريرك الماروني أنطون عريضة نداء إلى المؤمنين ورجال الدين جاء فيه:

(يقع على عاتقنا جميعاً، أمام هذه الكارثة، أن نفتح بيوتنا وديارنا لاستقبال ضحايا الغدر إخواننا أبناء فلسطين، وتخفيف الآلام التي يقاسونها. ونحن على ثقة بأن العواطف الأخوية التي تشدُّنا إليهم سوف تدفع بكم لمؤاساتهم ومعاملتهم معاملة الأخ لأخيه).

وكذلك كان موقف الكاهن الماروني ميشال الحايك الذي طالما شنَّف بعظاته الدينية آذان المستمعين إلى الإذاعة اللبنانية، ورئيس الجمهورية اللبنانية بشارة الخوري الذي أعطى الأوامر لتوفير الغذاء والمسكن والعناية بهم دون إبطاء، ثم احتجَّ لدى الفاتيكان لعدم إدانته إنشاء دولة إسرائيل.

غير أن الموقف بدأ يتغير منذ عام ١٩٤٩م، ففي هذا العام أبدى أحد الكهنة اليسوعيين قلقه إلى السيد بول مارك هنري الذي عُيِّن فيها بعد سفيراً لفرنسا في لبنان بقوله: (يشهد لبنان حالياً أفظع حدث في تاريخه، وهو إقامة الفلسطينيين على أرضه)[١].

لم يستطع الموارنة الذين كان بيدهم قرار الحكم في لبنان التعايش مع هذا العدد الكبير من الفلسطينيين، المسلمين، فضيقوا عليهم، وجرَّدوهم من كل حق يتمتع به اللاجئون في مختلف بلاد العالم، فهم في كثير من مخيماتهم يفتقرون إلى مياه الشرب، وإلى شبكة صرف صحي تعمل بشكل سليم، وإلى تيار كهربائي لا ينقطع بين الفيْنة والأخرى، وهذا فضلاً عن ارتفاع نسبة البطالة بين الفئة القادرة على العمل إلى أكثر من ٤٥٪، وتراجع المستوى التعليمي بين الطلاب.. وبعد مرور أكثر من ستين عاماً على الوجود الفلسطيني في لبنان لا تزال أوضاعهم على حالها من السوء، وكلما دعا بعض السياسيين لإصلاحها تصدى لهم الموارنة زاعمين بأن هذه الدعوة تمهيد للتجنيس، فيضعف أصحاب هذه الدعوة ويتراجعون عنها أمام ضغط الموارنة.[٢]

---

(١) الحروب السرية في لبنان. آني لوران، وأنطوان بصبوص، ص (١٧، ١٨).

(٢) فصّلنا القول في هذه المسألة، في الجزء الأول من كتابنا: [مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان].

وفي النصف الثاني من سبعينيَّات القرن الماضي بدأ النشاط الفدائي في لبنان، ولقيَ ترحيباً من جميع المسلمين على مختلف طوائفهم، ولم يعارضه إلا الموارنة بحجة ضعف لبنان، وضرورة النأي بنفسه عن الصراع العربي الإسرائيلي من الناحية العسكرية، وشهد عام ١٩٦٩ عدة اشتباكات دامية بين الفدائيين وقوات الجيش اللبناني، وفي كل منها كان رئيس الوزراء رشيد كرامي يقف إلى جانب الفدائيين، كما كان رئيس الجمهورية شارل الحلو ينتصر للجيش، بل هو الذي يأمره بردع الفدائيين، ومنعهم من التسلل إلى دولة الكيان الصهيوني من داخل الأراضي اللبنانية.

وتفاقم الوضع بعد أيلول عام ١٩٧٠م وبعد توافد عدد كبير من الفدائيين الذين أُخرِجوا من الأردن، ففي عام ١٩٧٣م حدثت مواجهات حادة بين قوات منظمة التحرير من جهة والجيش اللبناني من جهة أخرى، وفي بعض هذه المواجهات تدخل سلاح الطيران، فوجه ضربات مؤلمة لقوات المنظمة التي كانت تضم عدداً غير قليل من المسلمين اللبنانيين.

وما زالت الأمور في ازدياد حتى وقعت الحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٥م، وتدخل الجيش السوري فكان غطاءً وعوناً للقوات المارونية في تدميرها بعض المخيمات الفلسطينية مثل تل الزعتر والكرنتيا وغيرهما، مما أفضنا في الحديث عنه في الجزء الأول من هذا الكتاب. ولم يكن الموقف الشيعي في لبنان يختلف كثيراً عن الموقف السني لأسباب كثيرة:

منها: كان الشعب اللبناني حديث عهد بمقاومته للمستعمر الفرنسي وتُـوِّجت هذه المقاومة بالاستقلال، وشعب هذا شأنه لا بد وأن يكون متوثباً ومتعاطفاً مع كل شعب

يرضخ لنير الاستعمار الغاشم.

ومنها: أن المشاعر القومية العربية كانت في أَوْجها، وترتفع أصوات كثيرة ومؤثرة تنادي بوحدة الشعوب العربية في دولة واحدة، وبعد أربع سنين جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢م وبرز دور القائد العربي الذي سيوحِّد العرب، ويحرر فلسطين، ويدحر الاستعمار، جمال عبد الناصر [هكذا ظن العرب به]، واستمر هذا الدور حتى عام ١٩٦٧م، بل استمر في لبنان حتى وفاة عبد الناصر ١٩٧٠م.

ومنها: أن أكثر الفلسطينيين السنة، وأكثر الشيعة اللبنانيين كانوا على جهل عظيم من أمور دينهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن تأثير إيران الشاه على شيعة لبنان لم يكن له وجود فعّال إلا في بداية سبعينيات القرن الماضي، والرائد في ذلك موسى الصدر كما رأينا في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

لهذا فقد عاش الفلسطينيون السنة مع اللبنانيين الشيعة في وئام وتعاون يجمع بينهم الفقر وشظف العيش، ويعملون سويَّة في أحزاب علمانية قومية أو اشتراكية لاسيما وأن أكثر المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان أو في ضاحية بيروت الجنوبية أو في بعلبك. أي في مناطق الشيعة.

وفضلاً عن ذلك كله فقد تزاوجوا فيما بينهم وصاروا أقرباء.. وعندما بدأ النشاط الفدائي شارك فيه الشيعة مثلهم مثل السنة، وعملوا تحت راية فتح، ثم تحت راية منظمات فلسطينية أخرى، وذلك حسب اتجاهاتهم الفكرية، أو حسب مَنْ مِنَ المنظمات يدفع أكثر.

وعندما استقر عرفات في لبنان في نهاية عام ١٩٧٠م، توَّج علاقاته مع رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى موسى الصدر بمعاهدة تنسيق وتعاون، كان لها دور في تطور

العلاقات الفلسطينية الشيعية، وكان لكل من الرجلين حساباته:

فرئيس منظمة التحرير ياسر عرفات كان يرى أن موسى الصدر صادق في موقفه من القضية الفلسطينية، وليس مهماً بعد ذلك الدِّين الذي يدين به، ولا الطائفة التي ينتمي إليها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهو نجم صاعد، وسوف يكون قرار الطائفة بيده بعد حين، ويتخلص عرفات من تناقضات رئيس المجلس النيابي كامل الأسعد وغيره من زعماء الطائفة.

أما رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى موسى الصدر، فكانت حساباته تختلف عن حسابات عرفات. فقد كان يرى أن تحالفه مع منظمة التحرير يكسبه شعبية واسعة داخل الطائفة، وهؤلاء الذين تدربهم وتسلحهم منظمة فتح سينقضون عليها في يوم من الأيام، ويفتكون بها، وليس عرفات والفلسطينيون السنة كلهم في نظر الصدر وأصحابه إلا نواصب لا يختلفون أبداً عن قتلة الحسينﷺ... وسينتبه عرفات -بعد خراب البصرة كما يقولون- إلى خطئه الفظيع فيقول بعض الحقيقة:

(حركة أمل نحن الذين درَّبنا عناصرها.. ونحن أول من مدَّها بالسلاح... بل أنا من أسماها أمل، لأن الإمام موسى الصدر كان واقفاً معنا وضد من يشهر السلاح ضدنا..)[١]

قلت: إن عرفات قال بعض الحقيقة، لأن مقابلته هذه مع مجلة التضامن كانت في عام ١٩٨٥م، وقبل ذلك بتسع سنين كان يعلم أن الصدر يقف إلى جانب أعداء المنظمة. ففي:١٢/٨/ ١٩٧٦ نقلت عنه وكالة الأنباء الفرنسية اتهامه لمنظمة التحرير الفلسطينية

(١) مقابلة صحفية لياسر عرفات مع مجلة التضامن بتاريخ ٢/ ١١/ ١٩٨٥.

بالعمل على قلب الأنظمة العربية وفي طليعتها النظام اللبناني... ودعا هذه الأنظمة إلى مواجهة هذا الخطر الذي يهددها. وكانت هذه الضربة بل الطعنة التي وجهها لمن كان يعتبرهم أصدقاءه مؤلمة، مما دعا ممثل المنظمة في القاهرة إلى إصدار تصريح يندِّد فيه بما أسماه مؤامرة الصدر على الشعب الفلسطيني، ووقوفه إلى جانب الموارنة والقوات السورية المحتلة.

وما من معركة خاضها جيش لبنان العربي ومعه القوات الوطنية اللبنانية وجيش منظمة التحرير، إلا وجدوا ظهورهم مكشوفة أمام الصدر وشيعته، ومن الأمثلة على ذلك أن معلومات تجمعت لدى المفتي الجعفري سليمان اليحفوفي عن معركة ستخوضها القوات الوطنية اللبنانية والفلسطينية في بعلبك والهرمل، فقدّم هذه المعلومات للقوات الباطنية السورية، ثم سار أمامها إلى بعلبك، فدخلتها على أشلاء الضحايا الذين غرّر بهم شيخ السوء سليمان اليحفوفي، وكان ذلك بعد دخول القوات الباطنية بأيام.

وفي: ٥/ ٨/ ١٩٧٦م نقلت وكالة الصحافة الفرنسية أن الصدر دعا إلى اجتماع ضم أساقفة الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والموارنة الكاثوليك وعدداً من أعيان البقاع ونوابها، وتم عقد هذا الاجتماع [في قاعدة رياق الجوية] الذي يهدف إلى تشكيل حكومة محلية في المنطقة التي يسيطر عليها السوريون.

ثم تنكَّر الصدر لميثاق حركة أمل، فنادى بوقف العمل الفدائي، وإخراج الفلسطينيين من جنوب لبنان، وطالب بقوات طوارئ دولية، بل كان أول من طالب بذلك، ونجح في إقناع الهيئات الدولية المختصة في أن تكون نسبة جيدة من هذه القوات من إيران الشاه، وكان هذا أول وجود عسكري لإيران في لبنان.

صدمت مواقف الصدر وشيعته الفلسطينيين، فوقعت اشتباكات بين الطرفين في

أماكن متعددة من لبنان، وكان أشهرها في مدينة صيدا، وكرَّر الشيعة مطالب زعيمهم بإخراج الفلسطينيين من جنوب لبنان... ونفذ صبر المتضررين من تصريحات ومواقف الصدر، فحاولوا اغتياله، لكنهم لم يجدوه وأحرقوا منزله في بعلبك، وقال أنصاره -كما رأينا في الفصل الثاني- أن الجبهة الشعبية هي التي استهدفته، ولما لم يجد مكاناً آمناً في لبنان، أو خيّل إليه ذلك بسبب شدة رعبه لجأ إلى دمشق، وصار يمثله في كثير من المؤتمرات أو المفاوضات نائبه الشيخ محمد يعقوب الذي اختفى معه فيما بعد أثناء زيارتهم إلى ليبيا في عام ١٩٧٨م.

فلماذا لم يقل عرفات ولا مساعدوه الحقيقة كلها؟!. وماذا كانوا ينتظرون بعد المؤامرة التي نسجت خيوطها إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ونفذها أسد ونُصيريُّوه، والصدر وشيعته، وقادة الموارنة في لبنان، وكل من هؤلاء نفذها حسب طريقته؟!.[١]

وبعد مضي أكثر من خمسة وعشرين عاماً على دمار المخيمات الفلسطينية في لبنان، وأكثر من ثلاثين عاماً على إخراج منظمة التحرير وقواتها من لبنان.. لا تزال القيادة الفلسطينية صامتة على ما عندها من أسرارٍ ووثائق كانت قد أشارت لبعضها بشكل عابر.

وإذا قبلوا لأنفسهم السكوت عن قول الحق عند شدة الحاجة إليه، فلا يجوز لهم بحال من الأحوال قول الباطل، والباطل واضح في زعمهم أن الصدر كان يقف إلى جانبهم، وفي تبرئته من الجرائم التي ارتكبتها حركة أمل... كما أن الباطل واضح في قولهم:

(إن قضية اختفاء الصدر، هي قضية الشعب الفلسطيني)!! مع أن أوراق الصدر

(١) أثبت ذلك بالأدلة في الجزء الأول من كتابي: [مأساة المخيمات الفلسطينية].

كانت مكشوفة، وعانى الشعب الفلسطيني منذ عام ١٩٧٦ وحتى عام ١٩٧٨م الكثير الكثير من آثارها المدمرة.

المبحث الثاني

حركة أمل ومنظمة التحرير

فلما اشتد ساعده رماني

كان قادة حركة فتح على مختلف مستوياتهم يتحدثون [في النصف الأول من السبعينيات] بإعجاب عن هذا الشيخ الذي لا يشبهه شيخ آخر من شيوخ السنة والشيعة في ثقافته، واهتمامه الشديد بقضية فلسطين.. وكانت هذه الشهادة تشير إلى قوة العلاقة بينهم وبين موسى الصدر، لكن مقدارها ونوعيتها فقد علم بها الناس عندما انفجر لغم مضاد للدروع وسط قاعدة في البقاع تخص منظمة فتح الفلسطينية، فأوقع ٤٠ قتيلاً ومائة جريح في صفوف المجندين الشيعة والمدرِّبين الفلسطينيين، فانكشف أمر حركة أمل التي شاء الصدر إبقاء وجودها سراً. (١)

فحركة أمل كانت قائمة قبل الإعلان عنها، وقد جاء في ميثاقها:

(٦- فلسطين، الأرض المقدسة التي تعرضت، ولما تزل، لكل أنواع الظلم، هي قلب حركتنا وعقلها، وأن السعي إلى تحريرها أول واجباتنا، وأن الوقوف إلى جانب شعبها وصون مقاومته والتلاحم معها شرف الحركة وإيمانها، خصوصاً أن الصهيونية تشكل الخطر الفعلي والمستقبلي على لبنان، وعلى القيم التي نؤمن بها، وعلى الإنسانية جمعاء، وأنها

---

(١) كان ذلك في يوم من أيام شهر تموز عام ١٩٧٥ . انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

ترى في لبنان -بتعايش الطوائف فيه- تحدياً دائماً لها ومنافساً قوياً لكيانها)[1].

وفي السادس من ديسمبر ١٩٧٥م حدَّد موسى الصدر أهداف حمل السلاح في قوله:

(إن على أبناء الطائفة أن يحملوا السلاح في مواجهة ثلاثة احتمالات وهي: تصفية المقاومة، التقسيم، واحتلال الجنوب).

واستمر قادة حركة أمل من بعد اختفاء الصدر يؤكدون على هذه المعاني التي وردت في دستور الحركة، وفي تصريحات زعيمهم وإمامهم موسى الصدر:

ففي ١٨/ ٢/ ١٩٨٠ سألت جريدة الوطن الكويتية حسين الحسيني أمين عام حركة أمل عن موقفهم من منظمة التحرير، فأجاب:

(الذين ينظرون إلى أوضاع الجنوب من بعيد، يراهنون على صدام جنوبي - فلسطيني- لعدم توفر المعلومات الدقيقة والعميقة عن حقيقة الوضع، فالجنوبي قد أعطى القضية الفلسطينية كل ما عنده، حتى كاد أن يكون العربي الوحيد في كل هذا العالم العربي. وعطاء الجنوبي ينطلق من قناعته وتبنيه للقضية الفلسطينية سواء أكان هناك شعب فلسطيني ومقاومة فلسطينية أو لم يكن، فالجنوبي يعتقد بوجوب تحرير الأرض الفلسطينية المقدسة كما يعتقد بحتمية زوال إسرائيل، وهذا ما أكدته حركة أمل مراراً، بل أكثر من ذلك، فإنه إذا كان في المقاومة الفلسطينية من يعتقد بإمكانية قيام وطن قومي فلسطيني على جزء من أرض فلسطين، وهذا ما تسعى المحافل الدولية إليه، فإننا لا نعتقد بصواب هذا الرأي، لأن أي صلح مع إسرائيل، ومهما تعددت الجهات التي ترضى به،

---

(١) صدر هذا الميثاق في أوائل عام ١٩٧٥م، ونشرته كثير من وسائل الإعلام.

ليس من شأنه أن يبدِّل وصف الوجود الإسرائيلي على الأرض الفلسطينية، وطالما هناك استحالة تبديل الوصف فإن إسرائيل زائلة حتماً، ولا يلزم العرب المسلمين أي توقيع مهما كانت أهمية الجهة التي توقع).

وفي تاريخ ٢٦/ ٤/ ١٩٨٠م سألت صحيفة القبس الكويتية أمين عام حركة أمل الجديد نبيه بري عن موقفه من القضية الفلسطينية، فأجاب بما يلي:

(جاء في الميثاق الأساسي لحركة أمل: على العنصر الذي سينضم لحركة أمل، أن يحفظ الشعب الفلسطيني، وأن يقدس مقاومة الشعب الفلسطيني، وأن يعتبر تحرير الأرض الفلسطينية واجباً دينياً ووطنياً عليه).

تعقيب:

كدأب القوم: يقولون ما يفعلون خلافه، ويبطنون نقيض ما يعلنون، ولا يخجلون أبداً من الكذب وتغيير المواقف، فموسى الصدر نقض عهوده ومواثيقه بعد بضعة أشهر من إقراره لها وتوقيعه عليها، كما رأينا فيما مضى من هذا الفصل، وحسين الحسيني الذي تولى قيادة أمل بعد اختفاء الصدر عام ١٩٧٨م، كان موقفه من الوجود الفلسطيني خلاف ما نقلنا عنه قبل قليل، ولهذا فقد تخلى عن قيادة الحركة في ظروف غامضة لم يشأ الإفصاح عنها، وجاء ذكرها على لسان غيره. قال مؤلفا [الحروب السرية]:

(أنذره اثنان من مسؤولي منظمة التحرير الفلسطينية، التقياه في مكتب كاتب الافتتاحيات في جريدة النهار-ميشال أبو جودة، بوجوب التخلي عن مهامه، بسبب عدائيته الشديدة للفلسطينيين، وقد كشف لنا أبو جودة أن الحسيني تصبب عرقاً من شدة التأثر لكنه رفض الإذعان، غير أن إطلاق قذيفة واحدة باتجاه منزله في عرمون، أثناء

وجوده فيه كانت كافية لإقناعه، وتولى نبيه بري بعده رئاسة هذه الحركة السياسية العسكرية)[١].

أما القائد الثالث لحركة أمل فأمره جَلَل وتهون أمام أفعاله العدائية للفلسطينيين كل ما فعله الصدر والحسيني من قبله، وسيأتي الحديث عنه.

(١) الحروب السياسية في لبنان، ص(٢٦٤)، مصدر سابق.

تقاطع المصالح بين أمل وإسرائيل

تعاون حركة أمل [التي كانت تمثل الغالبية العظمى من الشيعة] مع العدو الصهيوني في مرحلة من المراحل، حقيقة ثابتة، وليست أسطورة اخترعها خصومهم، وإليكم ما جاء في هذا الصدد:

ذكرت وكالة رويترز في تقرير لها من النبطية بتاريخ (١/ ٧/ ١٩٨٢) بأن القوات الصهيونية التي احتلت البلدة سمحت لمنظمة أمل بأن تحتفظ بالمليشيات الخاصة التابعة لها، وبحمل جميع ما لديها من أسلحة.. وصرح حسن مصطفى، وهو أحد قادة أمل، بأن هذه الأسلحة ستستخدم في الدفاع عن أنفسنا ضد الفلسطينيين.

نشرت مجلة [الأيكونومست] البريطانية في عددها الصادر في نهاية الشهر السابع من عام ١٩٨٢م بأن [٢٠٠٠] مقاتل من عناصر أمل الشيعية انضمت إلى قوات ميليشيا سعد حداد، وتوقعت المجلة أن ينضم عدد أكبر منهم إلى الحرس الوطني الذي ترعاه إسرائيل في جنوب لبنان.

وجاء في صحيفة [الجروزاليم بوست] في عددها الصادر بتاريخ (٢٣/ ٥/ ١٩٨٥):

(إنه لا ينبغي تجاهل تلاقي مصالح أمل وإسرائيل، التي تقوم على أساس الرغبة المشتركة في الحفاظ على منطقة جنوب لبنان، وجعلها منطقة آمنة خالية من أي هجمات ضد إسرائيل.. وأن إسرائيل ترددت في تسليم أمل مهمة الحفاظ على الأمن والقانون على الحدود بين فلسطين ولبنان، وأن الوقت حان لأن تعهد إسرائيل إلى أمل بهذه المهمة).

وفي (٦/ ٦/ ١٩٨٥) نقلت وكالات الأنباء عن رئيس الاستخبارات العسكرية

الإسرائيلية أهود باراك التصريح التالي:

(إننا على ثقة تامة من أن [أمل] ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في الجنوب اللبناني، وأنها ستمنع رجال المنظمات والقوى الوطنية اللبنانية من التواجد في الجنوب والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية).

- (أكد وزير الخارجية السويدي [بيير أوبيرت] أنه نقل رسالة من رئيس حركة أمل نبيه بري إلى القيادة الإسرائيلية.. وأضاف: إن تبادل الرسائل جرى يوم الجمعة الماضية [أي في ٢١/ ٦/ ١٩٨٥] إلا أنه رفض إعطاء تفاصيل أخرى)[(١)].

ولم يستطع قادة حركة أمل إنكار هذا التعاون، وإن كان قد اختلفوا في أسبابه، وفي بيان موقفهم منه:

- ففي ١٩/ ٧/ ١٩٨٢م ألقى زعيم منظمة أمل الإسلامية حسين الموسوي خطاباً في بعلبك بمناسبة يوم القدس اتهم فيه حركة أمل التي يقودها بري بالتعاون مع العدو الصهيوني[(٢)].
- وسئل نبيه بري عن الجيش الشيعي الذي أنشأته القوات الصهيونية المحتلة في الجنوب اللبناني فأجاب:

(محاولات إنشاء جيوش، وخاصة الجيش الشيعي الذي هو أبعد ما يكون عن الإسلام وعن الشيعة تحت ذريعة وجود القوات اللبنانية.. وسنقاوم ما يسمى بالجيش

(١) وكالة الأنباء الكويتية (٢٤/ ٦/ ١٩٨٥)، وصحيفة الوطن الكويتية (٢٥/ ٦/ ١٩٨٥).

(٢) صحيفة نيويورك تايمز الصادرة بهذا التاريخ.

الشيعي، وسنقاوم كل محاولة لإقامة كانتونات طائفية أو دويلات).

وصحيفة ليبراسيون الفرنسية التي نقلت هذا التصريح عن نبيه بري بتاريخ ٣٠/ ٦/ ١٩٨٢م كانت تعلم بأن الجيش الشيعي الجنوبي فصيل من فصائل أمل، وكان مراسلها قد درس هذه المسألة دراسة وافية شاملة، ومن بين من قابلهم زعيم حركة أمل الإسلامية التي انشقت عن حركة [أمل – بري]، وما كان ينتظر من بري الاعتراف بتعاونه مع العدو الصهيوني سواء كان عن طريق الجيش الشيعي الجنوبي أو عن طريق غيره، كما ذكرنا فيما مضى خبر اعتراف وزير الخارجية السويدي بنقل رسائل بين بري والكيان الصهيوني.

- في ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٣م أجرت مجلة الأسبوع العربي استطلاعاً عن الجيش الشيعي وقائده حيدر الدايخ أحد قادة حركة أمل، ونكتفي فيما يلي بنقل الفقرات التالية من هذا الاستطلاع:

الأسبوع العربي: وصلنا إلى معسكر حيدر الدايخ الذي أقيم عند مدخله حاجز، كان يوقف السيارات ويدقق في الهويات، وكانت عناصره ترتدي الثياب العسكرية وتحمل أسلحة [الكلاشينكوف]، بعضهم لم يتجاوز العشرين من عمره وبعضهم الآخر أطلق لحيته، فأدركت عندئذٍ أن هذه العناصر هي من أفراد الجيش الشيعي وأن إسرائيل هي التي تدربهم خصوصاً وعندما شاهدت على بعد أمتار قليلة من المركز الذي نصبت فيه ست خيمات، [فيلا] فخمة يتمركز فيها الإسرائيليون بعد أن اتخذوها مقراً لهم، وكان أحد الإسرائيليين بين الحين والآخر يرفع منظاره على عينيه ويحدق في الوجوه المبتلة بفعل الأمطار المتساقطة، وإلى الجنوب معسكر آخر تابع للقوات الفرنسية كان أحد أفرادها هو

الآخر يراقب بمنظاره جماعة الدايخ والإسرائيليين.. اقتربنا من حيدر الدايخ، إنه شاب أشقر لم يتجاوز الأربعين من عمره، يلبس الثياب العسكرية، ويضع في وسطه المزنَّر بالرصاص مسدساً. ثم يمضي الصحفي جوزيف فرج [وهو الذي قام بهذا الاستطلاع] في حديثه عن ثكنة الجيش الشيعي، فيقول:

في وسطها رُفع العلم اللبناني، بينما كان أحد العناصر يقوم بإصلاح إحدى السيارات العسكرية الموجودة في الثكنة إلى جانب عدد آخر منها، وقد كتب على إحداها قوات كربلاء وسألنا حيدر عن سبب التسمية فقال: موقعة كربلاء لها مدلولات كبيرة بنظري، وهي مأساة الإمام الحسين الذي اشتهر بمحاربة الظلم، ونحن نحارب الظلم، برأيي أن لبنان كله يمر بكربلاء حالياً، لأن موقف لبنان مثل موقف الحسين بكربلاء، أعداء الإمام كثيرون، والأصدقاء تخلوا عنه، هكذا لبنان، لذلك نسترشد بالإمام الحسين ونمشي على خطاه.

وسأل جوزيف فرج خليل عيساوي -أحد عساكر الدايخ- عن سبب حمله السلاح، فأجاب:

إن سبب حملي السلاح يعود إلى المخاطر التي تتعرض لها الطائفة الشيعية،، وإلى التفتت الذي قد تتعرض له في المستقبل.

وسأل الصحفي قائد الثكنة حيدر الدايخ:

هل تعتبر أن تسميتكم الجيش الشيعي تعود إلى أن عناصركم هي من الطائفة الشيعية؟!.

فأجاب الدايخ: نحن في منطقة شيعية، وجميع عناصري [هم أولاد الجنوب اللبناني] وهم أيضاً من الطائفة الشيعية، لكن هذا لا يعني أننا طائفيون، بل ليس لدينا أي بعد أو

تفكير طائفي، يا أخي إذا كنا شيعة ماذا نفعل هل نغير هويتنا.. وهل نغير طائفتنا كي نرضي بعض الناس؟!. نحن لا يمكن أن نتخلى عن هذه الهوية ولا يمكن أن ننكر بأننا مسلمون.

الصحفي: ما رأيك بالتعليقات السياسية التي صدرت وتندد بإنشاء الجيش الشيعي في الجنوب؟!.

الدايخ: أولاً نحن [مش قد السياسيين]، ولا نعمل في السياسة ولا نهتم بما يقال عنا من السياسيين، والتاريخ اللبناني سيحاسب، وأعتقد أن حساب هؤلاء السياسيين سيكون عسيراً، لأنهم هم الذين أوصلونا إلى هذه الحالة المتردية، وليس الشعب اللبناني، واتفاقية القاهرة التي بموجبها مُنِحَ الفلسطينيون أرضاً لبنانية مَنْ وقّعها؟!.

إنهم هؤلاء السياسيون، وليس أولاد الجنوب والشمال أو أولاد بيروت. إذن لنترك التاريخ يحاسب الناس التي أخطأت بحق لبنان.. هذا وكل الناس تعلم، والحكومة أيضاً تعلم بأننا نحمل السلاح منذ بداية الأحداث وخضنا المعارك ضد الإرهاب الفلسطيني وضد التجاوزات التي كانت تحصل في الجنوب. ثم يمضي الدايخ في حديثه فيقول:

كنا نحمل السلاح قبل دخول إسرائيل إلى الجنوب، ومع ذلك فإنها [إسرائيل] فتحت يدها لنا، وأحبت أن تساعدنا، فقامت باقتلاع الإرهاب الفلسطيني من الجنوب وغيره، ولن نستطيع أن نرد لها الجميل، ولن نطلب منها أي شيء لكي لا نكون عبئاً عليها.

وعن قائد الدولة التي صنعتها إسرائيل في الجنوب الرائد سعد حداد، يقول الدايخ:

وأحب أن أقول بأن الرائد سعد حداد هو إنسان لبناني، ونُكِنّ له كل احترام وتقدير،

ويا ريت كل الرواد في الجيش اللبناني مثل الرائد حداد، لأنهم لو عملوا عمل حداد لما كان بقي غريب على أرض لبنان.. وأتساءل هل يعتبر عميلاً الإنسان الذي يحمي بلده، إذا كان هذا هو مفهوم العمالة، فإنني أول عميل من أجل حماية وطني، العمالة تكون لأولئك الذين باعوا وطنهم للغرباء.

الصحفي: كيف تصف العلاقة بينكم وبين حركة أمل الشيعية؟!.

الدايخ: أنا كشيعي، أؤمن بأن حركة أمل هي الممثل الوحيد للطائفة الشيعية، وأؤمن بأن توجهات حركة أمل ليست توجهات طائفية، لأن الإمام موسى الصدر الذي أنشأها كان ينصر المحرومين، جميع المحرومين، وعلى أية حال فحركة أمل ليست بحاجة إلى شهادة حُسن سلوك من حيدر الدايخ أو غيره، إنما أنا كشيعي أحاول أن أعبّر عن رأيي في حركة أمل التي لها ظروفها في أن تقف المواقف التي تقفها حالياً، ولكن عتبي على بعض المسؤولين فيها الذين يصفوننا بأننا أناس عاطلون عن العمل، هوايتنا حمل السلاح والتعاون مع إسرائيل، وخلق فتنة في الجنوب، وإنني آسف أن يكونوا نسوا ما فعله هؤلاء الشبان، وحيدر الدايخ بالذات من أجل حركة أمل، وهذا ليس بمنّة لأننا أولاد طائفة واحدة، وعلينا أن نساعد بعضنا البعض ونحترم بعضنا البعض، والأيام ستعطي كل إنسان حقه، علماً بأن كل شبابي هم من حركة أمل.

يجب أن تتوقف هذه المهاترات، ساعة يقولون عنّا أننا مرتزقة أو منشقون عن أمل أو جيش شيعي، المهم قناعتنا التي لن تتغير نحن أولاد الجنوب الذين يدافعون عن وطنهم وحياتهم وأرزاقهم، وإيماننا بأرضنا ووطننا ورئيسنا.

الصحفي: ما رأيك بإنشاء كانتون شيعي في الجنوب؟!.

الدايخ: نحن كأولاد الجنوب لا نرضى عن الدولة بديلاً وشعارنا رفع الظلم والحرمان عن المواطنين، ونرفض أي كانتون على الأرض اللبنانية، إن كان شيعياً أو درزياً أو مارونياً.

تعقيب:

لا بد أولاً من التذكير بما أثبتُّه في الجزء الأول من كتابي [مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان].

قلت: (إن موافقة كل من أمريكا وإسرائيل والموارنة، على دخول القوات السورية إلى لبنان بعد رفضها القاطع، يعني أن هناك مفاوضات واتصالات جرت في الخفاء جعلتهم يطمئنون اطمئناناً لا شك فيه إلى أن قوات النظام السوري ستقوم بالدور المطلوب نيابة عنهم، وهذا ما قاله زعماء النظام الصهيوني في تصريحاتهم الاستفزازية التي ذكرنا بعضاً منها فيما مضى من هذا الكتاب).

ومن هذه التصريحات قول وزير الدفاع الإسرائيلي شمعون بيريز: (إن هدف اليهود هو نفس هدف دمشق بالنسبة للمسألة اللبنانية.. ويجب أن نمنع وقوع لبنان تحت سيطرة منظمة التحرير الفلسطينية).

وقول إسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي:

(إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخُّلنا عندئذٍ سيكون بمثابة تقديم مساعدة للفلسطينيين، ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتالها للفلسطينيين فهي تقوم بمهمة لا تخفى

نتائجها الحسنة بالنسبة لنا)[١].

وإذن فقد كان هدف كل من أمريكا وإسرائيل [إنقاذ المسيحيين] و[منع وقوع لبنان تحت سيطرة منظمة التحرير] وكثيراً من الأحيان يضيفون إلى القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية عبارة وحلفائها، والحلفاء تعني أهل السنة كما أثبت واقع الحرب، وكما شهد بذلك قادة أهل السنة:

(إن المسلمين السنة في لبنان قد نالهم من الضّيم ما يكفي، ومن الصبر ما لم يعد يحتمل، وأنهم لن يسكتوا عن حقهم ومطالبتهم بكشف الجناة المجرمين أياً كانوا ومعاقبتهم)[٢]

ثم يأتي فيما بعد وزير الداخلية اللبنانية، ووزير الدفاع فيما بعد، ليكشف لنا سراً من الأسرار التي لا تدع مجالاً للشك بأن إسرائيل وأمريكا وحلفاءهما الغربيين كانوا يستهدفون أهل السنة في لبنان، وننقل فيما يلي مقتطفات من شهادة الياس المر:

(المحقق: ماذا عن موقفك إزاء الوجود السوري؟.

المر: إزاء مَن؟

المحقق: السوريون، الوجود السوري خلال عامي ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥ في لبنان، ما كان موقفك؟

---

(١) انظر الجزء الأول من كتابنا: (مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان)، الباب الثاني، الاحتلال السوري للبنان وأبعاده. فقد ذكرت المصادر التي نقلت عنها.

(٢) كان ذلك بعد مقتل رئيس الوزراء رفيق الحريري، ووقّع على هذا البيان: المفتي العام، ومفتو المناطق، ورئيس وقضاة المحاكم الشرعية السنية العليا، والنواب والوزراء ورؤساء الوزارات السابقون. انظر كتابي [اغتيال الحريري وتداعياته على أهل السنة في لبنان].

المر:.. كانت رؤيتي واضحة جداً، وسبب قناعتي بأن وجودهم مفيد للبنان، يعود إلى أن الولايات المتحدة وأوروبا والرئيس شيراك كانوا يقنعوننا بأن هذا النظام هو الضامن الوحيد للمتطرفين السنة في سوريا ولبنان وفي المنطقة، وبأن هذا النظام يحارب الإرهابيين مئة في المئة، وبأن هذا النظام لا يمكنه أن يحيا في وجود الإرهابيين، كنا نعمل معهم على ملفات ٦٠٠ ألف إرهابي، الآن يسعني القول من وجهة نظري، بأنهم كانوا يُسّوقون هذه الفكرة لدى العالم بأسره.. ثم يتساءل كيف يجمع هذا النظام بين ممارسة الإرهاب ومكافحة الإرهاب).

هذا الوزير الياس المر تعاون مع النظام السوري ضد أهل السنة، وهو الذي ارتكب جريمة الضنية وغيرها وغيرها مما تحدثت عنه في كتابي [اغتيال الحريري وتداعياته على أهل السنة في لبنان] ولا يزال ضحاياه يعانون أشد أنواع الظلم في السجون اللبنانية. كم أتمنى أن يقرأ كل مسلم سني شهادة المر[1]، ثم يكرر قراءتها، ثم يسأل نفسه: لماذا السنة دون غيرهم؟!.

أوليس في الموارنة متطرفون وهم الذين ارتكبوا مجازر يندى لها جبين كل رجل حُر أبيّ مهما كان دينه، وكان من أشهرها مجزرة تل الزعتر ومجزرة صبرا وشاتيلا؟!.

أوليس في الشيعة متطرفون، وكتابي هذا حافل بالأمثلة على ذلك من تاريخهم القديم والحديث؟!.

---

(١) أقوال الياس المر وردت في شهادته أمام عضو التحقيق في المحكمة الدولية لاغتيال الحريري، والشهادة سرية إلا أن جهاز مخابرات يعتقد أنه تابع لحزب الله سطا عليها، وقدّمها لإحدى الفضائيات اللبنانية فنشرتها.

وإذا كان من المؤكد بأن إخراج قوات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان ثم تبديد طاقات أهل السنة هدف، فلا بد أن نُذكّر بمن حدد هذا الهدف ومن نفذه:

إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وبعض دول أوروبا الغربية هم الذين حددوا هذا الهدف. وسورية الباطنية هي المنفذ الرئيس والمشرف العام على التنفيذ، ثم كان من المنفذين: الموارنة، والشيعة عبر حركة أمل.. وشاركت إسرائيل في التنفيذ في بعض المراحل لكنها فشلت.. فشلت عام١٩٧٨، وفشلت عام ١٩٨٢م، ولولا تعاون بعض المنفّذين ما تمكنت من إخراج قوات منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان.

نعود بعد هذا الاستطراد إلى الحديث عن دور أمل الشيعية في هذا الشأن:

دور أمل كان أشد خطورة من دور الموارنة، وكان الهدف واضحاً أمامهم في كل خطوة من خطواتهم، وكان أهل السنة من فلسطينيين ولبنانيين عن تخطيطهم غافلون، لأنهم كانوا يرفعون شعار تحرير فلسطين، وكثير منهم تدربوا على السلاح في معسكرات قوات المنظمة على اختلاف فصائلها... تدرّبوا والمدرِّبُون يعتقدون أنهم سيقاتلون معهم العدو الصهيوني.. أو ليسوا مسلمين، ولا يمكن أن يقاتلوا مع العدو الصهيوني أو يُنفِّذوا المخططات التي رسمها الصهاينة، وهنا الخطورة !!.

لقد تعددت الوسائل التي سلكها رجال أمل الشيعية وإن كان الهدف واحداً وغير قابل للتعدد:

فبعضهم وقف جهاراً نهاراً -كما يقولون- في الخندق الصهيوني، ومن هؤلاء حيدر الدايخ قائد الجيش الشيعي في الجنوب اللبناني وأحد قادة حركة أمل الذي نقلنا فقرات من مقابلته مع مجلة الأسبوع العربي، وفيها أثنى على القوات الإسرائيلية وعلى الرائد سعد

حداد قائد قوات الحرس الوطني اللبناني الذي صنعته إسرائيل.. وندد في مقابلته أيضاً بعدوه وعدو سعد حداد وإسرائيل، قوات منظمة التحرير الفلسطينية.. ومما ينبغي التذكير به أن حيدر الدايخ يقود جيشاً شيعياً ومعظم أفراده من حركة أمل، فهل حدث هذا كله مصادفة ومن غير تخطيط وترتيب سابقيْن؟!.

ومن هؤلاء أيضاً: داود الداود، وكان قائد حركة أمل في الجنوب، إبّان حروب الحركة على المخيمات في الجنوب، وقد تولى تصفية بعض الفلسطينيين جسدياً، وكان يُطْلَق عليه داود اليهودي، وقد تم اغتياله على يد مجهول.

وبعضهم الآخر: يمثل الخط التاريخي للحركة بتقلباته وتناقضاته وأكاذيبه، وهؤلاء يمثلون في النصف الأول من الثمانينيات الغالبية العظمى من الشيعة في لبنان إن لم نقل الشيعة كلهم، وقد علمنا في الفصلين الثالث والرابع الجرائم التي ارتكبوها ضد الفلسطينيين في مخيماتهم، ثم ضد أهل السنة في بيروت الغربية. وجدير بالذكر أن قائد حركة أمل منذ عام ١٩٨٠ م وحتى يومنا هذا، وإلى أن يشاء الله، نبيه بري، وهو رئيس كذلك للمجلس النيابي اللبناني.

والبعض الثالث: وهؤلاء من حيث الشكل قسمان:

الأول: أمل الإسلامية: التي يتزعمها حسين الموسوي الذي كان نائب رئيس حركة أمل، وانشق عنها لأنها أصبحت علمانية، ولتعاونها مع العدو الصهيوني في الجنوب، ومع الموارنة، وحزب الكتائب وبشير الجميل في بيروت.

والثاني: حزب الله، والذين أسسوه كانوا قادة في حركة أمل، ثم غيّروا مسارهم ليؤدّوا دوراً جديداً أشد طائفية، وليكونوا حزباً إيرانياً صرفاً. ومن أبرز هؤلاء: حسن

نصر الله ، والحاج حسين خليل، والنائب علي عمار، وإبراهيم الأمين.

وفي كل من حركة أمل وحزب الله، وسائر أحزاب وجماعات الشيعة تبرز أسماء وتشتهر بين الناس، ثم تختفي فجأة، وينكر الحزب أن هذا الشخص كان من منتسبيه، ثم تطوى صحيفة هذا الشخص، وقد يتبين للباحث أن مجهولاً قد اغتاله، ولا بد من وضع إشارات استفهام أمام كلمة مجهول، وقد يتبين للباحث أن هذا الذي اختفى ليس أكثر من ورقة استخدمت ثم ألقي بها في سلة المهملات، ألا ما أتفه الإنسان في مثل هذه المجتمعات المغلقة.

المبحث الثالث

أضواء على شخصية نبيه بري

أسس الزعيم الشيعي موسى الصدر حركة أمل في عام ١٩٧٥م واستمر يقودها ويقود المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى حتى غُيِّبَ عام ١٩٧٨م، فخلفه النائب حسين الحسيني، ثم تخلى عنها وعن قيادتها عام ١٩٨٠م في ظروف شاء أن لا يفصح عنها.

خلف نبيه بري حسين الحسيني عام ١٩٨٠م في قيادة حركة أمل، ولا يزال يمسك بتلابيبها منذ أكثر من ثلاثين عاماً، ويُكيِّفها حيث يشاء، وهي منقادة راضية بما يقدمه إليها من خدمات ووظائف، ولم يظهر فيها طوال هذه المدة صاحب رأي يقف بوجهه ويقول له لم فعلت كذا والصحيح خلافه. كان إذا ظهر مثل هذا الرجل يصبح عدواً لدوداً لبري ثم يجد نفسه خارج متجره، عفواً خارج تنظيم حركة أمل، وذكرنا فيما مضى نماذج على ذلك، وبعض هذه الأسماء لا يَقِل دهاءً ومكراً عن نبيه بري!!.

والعجيب الغريب أن يصبح هذا الجزّار الذي هدم المخيمات الفلسطينية على رؤوس الآمنين من سكانها، وارتكب أبشع أنواع المجازر فيها، ثم احتل بيروت الغربية السنية وفعل فيها الكثير الكثير من الفظائع... نعم العجيب الغريب أن تصبح هذه المجازر طريقه إلى تولي رئاسة المجلس النيابي، وشتان شتان ما بين هذا وذاك، فهل رأيتم في الدنيا كلها مجلساً نيابياً منتخباً حقاً يقوده سفاح جزار؟!. والأشد عجباً وغرابة أن يسوس بري المجلس بعقلية رئيس ميليشيا، فيغلقه متى يشاء هو وليس كما يشاء الدستور وأهله، ثم يستمر هذا الإغلاق عاماً ونصف العام، ثم يعلن في وقت آخر عن جلسة مخالفة لأحكام الدستور. فمن هو هذا الرجل الذي اجتمعت المتناقضات جُلّها في شخصه؟!.

قال المطَّلعون على سيرة بري الذاتية:

(... بري كغيره من شباب الشيعة بدأ في فترة شبابه الأولى يتطلع نحو الأحزاب العقائدية اليسارية التي استطاعت في الخمسينيات والستينيات استقطاب الطائفة الشيعية لما رفعت من شعارات تحقق تطلعات هذه الطائفة التي عاشت شظف الحرمان من التعليم والمراكز العليا في الدولة وحصر أبناؤها في الأعمال اليدوية المضنية في المدن كعمال أو في القرى كمزارعين لأرض قاسية جرداء على الرغم من توافر خيرات المياه المجاورة التي لا يصلها إلا بمشاريع ري لم يرصد لها حكام البلاد الأموال اللازمة.

(ومن قرية [تبنين] جاء نبيه بري مع عائلته إلى بيروت وتلقى في مدارسها العلم، وفي الصفوف الثانوية شدّه الأستاذ إنعام الجندي معلم اللغة العربية كما شدَّ كثيرين غيره إلى مبادئ حزب البعث العربي الاشتراكي فانضوى تحت لوائه، وعرف فيه زملاؤه الحزبيون، منذ كان مناصراً للحزب، حماسته وشجاعته واقتحامه حلقات الحوار ما بين البعثيين والشيوعيين، أو البعثيين وحركة القوميين العرب التي كانت تصدر نشرة [الثأر] ويتزعمها جورج حبش ووديع حداد ومحسن إبراهيم ومحمد كشلي. وهذه الأحزاب كانت هي الوحيدة التي تستقطب الشبان المسلمين في الخمسينيات والستينيات [من القرن الماضي].

(وكما في المناقشة، كان بري أيضاً في التظاهرات، ودائماً في المقدمة يحب المواجهة ويتنطّح للواجهة ويعشق الخطابة وهو فيها مميز، وإن كان ذلك على حساب لغة سيبويه. وفسر ذلك زملاؤه ورفاقه بالحماسة. وعلى هذا الأساس دعموه وعاضدوه ورشحوه رئيساً لاتحاد الطلاب الجامعيين ضد جميع ممثلي الأحزاب وذلك بعدما استطاع أن يفوز

برئاسة لجنة طلاب الحقوق في الجامعة، وكان انتصاره انتصاراً للبعث والخط القومي إجمالاً، ونكسة لليساريين واليمينيين ومنهم الشيوعيون والكتائبيون).

(تخرج نبيه بري محامياً وانكفأت أخباره وتردد أن حماسه قلّ بعدما واجه الحياة العملية، مما أدى إلى ابتعاده عن النشاطات الحزبية والسياسية، ثم قيل إنه سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبالتحديد إلى [ديترويت] حيث تنزل جالية شيعية لبنانية كبيرة [حوالي ٧٠ ألفاً] تعمل في شركات صناعة السيارات، وهنا تعرف إلى فتاة لبنانية شيعية كانت قد حصلت على الجنسية الأمريكية بحكم طول إقامة عائلتها الثرية في البلاد، وتزوج منها وأنجب ثلاثة أولاد، وبفعل هذا الزواج استطاع المحامي الشاب تكوين ثروة لا بأس بها يشاع حسب مصادر صحافية أمريكية رددتها مجلة [النهار العربي والدولي] اللبنانية أنها مكونة من بعض المحطات لبيع البنزين).

(ولما ترسّخت زعامة بري على حركة أمل، وأصبح بحكمها أحد أعمدة السياسيين في لبنان، اضطر إلى تغيير إقامته ونقلها إلى بيروت، وخالفته زوجته في ذلك فطلقها، ثم تزوج من كريمة صاحب دار الآداب للنشر، وهي من عائلة عاصي، وعندما أنجب أول أولاده منها بنتاً عمد إلى تسميتها [ميس] نسبة إلى بلدة [ميس الجبل] المجاورة لمسقط رأسه في بلدة [تبنين]..
وكان نبيه بري يتردد من قبل على بيروت، وعُرِفَ في وقت ما أنه كان مقرّباً من الرئيس كامل الأسعد الزعيم الشيعي الجنوبي نجل الزعيم الإقطاعي أحمد الأسعد، ثم كانت علاقة إعجاب بالإمام موسى الصدر، وقد تعوّد بري على مناداته بعبارة [مولانا] حتى أصبح ترديد هذه العبارة أثناء حديث بري مع أيّ كان عادة يأخذه عليها بعض منتقديه من أصدقائه.

(ولاقى هذا الإعجاب عند الإمام الصدر تجاوباً لِما يتحلى به هذا الشاب من إقدام

وحماسة وجرأة قد تصل أحياناً إلى حد الوقاحة بالنسبة إلى خصومه..، وقرّب الإمام بري منه وضمّه إلى المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى ثم إلى حركة أمل، وأصبح بري كظل الإمام لا يفارقه أبداً).

(وفي الحركة استطاع أن يكوكب حوله شباناً مراهقين يشاركونه حماسته، وأُعْجبوا بقوة شخصيته، كما لاحظ أثرياء الشيعة من المغتربين هذه الصفات القيادية لدى المحامي الشاب فتقربوا منه، وكثرت دعواتهم له لزيارتهم في بلدان الاغتراب، وأملوا فيه تحقيق مصالحهم ومصالح الطائفة الشيعية والدفاع عنها، وما لاحظه هؤلاء لاحظه أيضاً الحكم اللبناني وأجهزته والمقاومة الفلسطينية وقيادتها والسوريون ومخابراتهم، وبدأ كل طرف من الأطراف الأربعة محاولة جذبه إليه.

(وتبوأ بري قيادة أمل وكل طرف من الأطراف الأربعة يظنه له، وأغدقوا جميعاً عليه السلاح والدعم حتى قويت حركته وزعامته لها، وبدأ خلافه في بادئ الأمر مع الفلسطينيين، فقيل إنه على حق لأن تجاوزات بعضهم لا تحتمل، ولكن الفلسطينيين اتهموه بأنه عميل للمكتب الثاني اللبناني [جهاز المخابرات].

(وقيل إنه لم يكن معارضاً متحمساً للاتفاق مع إسرائيل، وقيل أيضاً إنه وسّط الرئيس صائب إسلام حتى يقنع الجميل بإشراكه في الحكم.. وقيل الكثير عن تقلباته السياسية، وهو يفسر ذلك بأنه كان دائماً يبحث عن مصلحة طائفته، ثم بلاده، ولكنه كان دائماً يحفظ خط الرجعة مع الجميع، ولا يقطع[1] شعرة معاوية نهائياً مع أحد.. وتردد أنه

---

(١) لا، بل قطع شعرة معاوية، وكل شعره مع الفلسطينيين بعد حربه لهم في مخيماتهم عام ١٩٨٥، وقطع هذه الشعرة مرات ومرات مع قادة ثورة الأرز، ولكنه لم يقطعها مع وليد جنبلاط وأمثاله=

على الرغم من خلافه مع المقاومة الفلسطينية كان أحد القلائل الذين نالوا مساعدة مادية كبيرة من هذه المقاومة عندما ودَّع ياسر عرفات عند باخرة الترحيل في بيروت.. وسياسته هذه بحفظ خط الرجعة كان أكثر ما يحرص عليها في نهجه مع سورية، إلى أن وصل ليكون رجل سورية الأول، وفي هذه استفاد كثيراً عندما قطف ثمار انتفاضة السادس من شباط، والتي لو لم يضرب جيش أمين الجميِّل الضاحية الجنوبية لما قامت أو كانت.). إهـ.

ونبيه بري يركب كل مركب يوصله إلى الشهرة و الزعامة:

- فعندما كان طالباً في الجامعة كانت الأفكار القومية سبيله إلى رئاسة اتحاد الطلبة، فركب هذا المركب، وصار من المتعصبين للبعثية والناصرية.

- وعندما دخل معترك السياسة بعد تخرجه من الجامعة، كانت الطائفية سبيله إلى قيادة حركة أمل، ثم رئاسة المجلس النيابي فسلك هذا السبيل.

- وكانت رئاسته للمجلس النيابي تلزمه بأن يتحول من تابع إلى متبوع، فلا يتردد والمهم أن يبقى الرجل الثاني في لبنان. لقد كان الرجل الأول في الطائفة وفي قيادتها من الوجهتين السياسية والعسكرية، ثم انشق عن حركته أمل نفر من رموزها وأسسوا حزب الله الفارسي الإيراني، وصاروا منافسين له في الساحة الشيعية، فدخل معهم في صراع شرس كان في بعض الأحيان يتحول إلى قتال مسلح.. وعندما غلبه هؤلاء وصل معهم إلى اتفاق غير معلن خلاصته أن تكون رئاسة المجلس النيابي لنبيه بري، ويكون قرار الطائفة

=ممن كان لهم تحالفات معهم، ويعرف إمكانية أن تنقلب الخصومة بينه وبينهم إلى ود.

بيد حزب الله. يقول الوزير السابق محمد[١] عبد الحميد بيضون:

(وهو [نبيه بري] أساء إلى حركة أمل لأنه كان العنصر الأساس في انهيار الحركة وعدم تجديد دمها وتحويلها إلى مكتب توظيفي، ولم تعد هناك حركة لها رأيها وموقفها السياسي، فالسياسة باتت كلها عند حزب الله، والحزب سعيد بهذا التقسيم).

وفي المقابل يريد بعض قادة حزب الله فك التحالف مع نبيه بري لأنه لا يستحق -في نظرهم- رئاسة المجلس النيابي، فيرد عليهم حسن نصر الله: إننا نرتكب خطأً فادحاً إذا أقدمنا على فك التحالف مع نبيه بري، فالرجل يدخل أماكن لا نستطيع دخولها، ويفاوض حيث لا يمكن أن نفاوض. هكذا قالت بعض المصادر القريبة من الحزب.

- ولا يبالي بري من تغيير مواقفه، تغييراً محرجاً لكل من كان يحسن الظن به ويتخذ منه حليفاً فقد كان سبيله -كما قلنا آنفاً- للشهرة والزعامة في السبعينيات من القرن الماضي المتاجرة بالقضية الفلسطينية، وعندما أصبح أميناً عاماً لحركة أمل في عام ١٩٨٠م ظن الفلسطينيون أنهم حققوا انتصاراً رائعاً لأن قائد هذه الحركة الحليفة ليس شيخاً متزمتاً بل هو مثلهم تقدمي قومي، وهو من جهته راح يطلق التصريحات الثورية التي تندد بإسرائيل وعملائها في لبنان، فعندما سئل عن موقفه من القضية الفلسطينية أجاب:

(جاء في الميثاق الأساسي لحركة أمل:

على العنصر الذي سينضم لحركة أمل، أن يحفظ الشعب الفلسطيني، وأن يقدّس

---

(١) محمد عبد الحميد بيضون، وزير سابق عن حركة أمل، وكان نبيه بري يعتمد عليه في كثير من اتصالاته ومفاوضاته، وهو من أبناء الطائفة الشيعية.

مقاومة الشعب الفلسطيني، واجباً دينياً ووطنياً عليه). وكان هذا التصريح في حديث له مع صحيفة القبس الكويتية بتاريخ [٢٦/ ٤/ ١٩٨٠].

وعند الاجتياح الإسرائيلي للبنان صنعت منه منظمة التحرير بطلاً، وهو لم يكن كذلك، ثم كان في طليعة من ودّعوا ياسر عرفات وزملاءه عند مغادرتهم بيروت.

ينقل بري عن عرفات:

(كان يردد بأنه سيغادر بيروت تاركاً الشعب الفلسطيني أمانة في أعناقنا أنا ووليد. ويقول: إن هذه المعركة ليست النهاية، والمهم متابعة الجهاد. وهكذا واكبت وجنبلاط عرفات وودعناه عند الباخرة).

وبعد مغادرة قوات منظمة التحرير عام ١٩٨٢م بدأ بري يدلي بتصريحات مناقضة لما كان يدلي بها من قبل:

قالت صحيفة القبس الكويتية بتاريخ [٣٠/٦/ ١٩٨٢م]: (باريس- آ.ف.ب- اعترف نبيه بري أمين عام حركة أمل، بأن الفلسطينيين والحركة الوطنية وحركة أمل خسروا المعركة، وقال لصحيفة [ليبراسيون] الفرنسية: إن على الفلسطينيين تفهم الواقع الجديد، وهم مضطرون اليوم لقبول كل ما يؤدي إلى التصفية النهائية لقضيتهم.. ثم ارتفعت نبرة صوته، فهو يرى أن تحرير فلسطين مسألة عربية وليست لبنانية، ولا يجوز استخدام الجنوب لهذا الغرض، وحركة أمل وحدها مسؤولة عن حفظ الأمن في الجنوب، ولا يجوز تسلل الفلسطينيين الفدائيين إلى بيروت أو إلى الجنوب اللبناني، ومن شاء منهم زيارة أهله في مخيمات بيروت والجنوب فعليه ألا يحمل أسلحة، وأن يرتدي

ملابس مدنية، ويحصل على تصريح من حركة أمل يسمح له بالبقاء بين يومين وشهر)[١].

ثم اشتدت تصريحات بري وحركته، فكان من جراء ذلك عدوانهم الوحشي على صبرا وشاتيلا، وكثير من المخيمات الفلسطينية، وقد فصّلنا القول في حديثنا عن هذه المأساة في الفصلين الثالث والرابع من كتابنا هذا.

وأخيراً فمن أهم صفات نبيه بري الكذب، وهو السلاح الذي يتسلح به كثير من السياسيين، ثم الغدر وخيانة حلفائه وكل من يتعاون معه. و الأمثلة على كذبه كثيرة، ومنها:

– إنكاره أن تكون حركة أمل طائفية، فهو يقول في رده على محاوره غسان شربل:

(لو كانت حركة أمل شيعية لما كنت فيها. إنها حركة لبنانية. اسمها أفواج المقاومة اللبنانية، حركة المحرومين).

– ويسأله:

هل تقاضت أمل أموالاً من الرئيس الحريري. فيجيب:

(إطلاقاً.أجبتك عن هذا السؤال من نواح عدة. ساعة من هنا، وساعة من هناك. حركة أمل لم تتسلم شيئاً على الإطلاق من أي إنسان من خارج سورية التي حصلنا منها على السلاح).

ثم يتحدث عن احتفال في دمشق قال فيه عبد السلام جلود رئيس وزراء ليبيا: نحن

---

(١) انظر القبس الكويتية [٢٠/ ١٠/ ١٩٨٣].

نقدم دعماً إلى المقاومة وحركة أمل، وعندما جاء دور بري في إلقاء كلمته خرج عن النص، وخاطب حافظ الأسد قائلاً نتلقى الدعم منكم لا من غيركم.

ثم يتحدث عن رواية انفرد بها كذاب، فيزعم أن عرفات ترك عنده صندوقاً لا يدري بري كم به من المال، فأعاده لعرفات دون أن يفتحه لأن الحركة لا تقبل أخذ مساعدات أو نحو ذلك.

وإذا كانت الكذبة كبيرة ولا تقبل التصديق يقول بري: (ليس لدي معلومات من هذا النوع) أو لا أدري إن كان مثل هذا الأمر حدث في الفترة التي سبقت قيادتي لحركة أمل.

ويعلم القاصي والداني أن أحزاب لبنان وبغض النظر عن طوائفها تتلقى دعماً من الخارج، ولا تستطيع الاستمرار من غير هذا الدعم.

ويعلم القاصي والداني كذلك أن الطائفة الشيعية من أفقر الطوائف، وبالتالي فأحزابها أشد حاجة للدعم الذي يأتي بالتأكيد من الخارج، وفيما مضى تحدثنا عن المساعدات التي كان يتلقاها الصدر، واستمرت الحركة في البحث عن مساعدات. يقول المطلع العليم بأمر حركة أمل محمد عبد الحميد بيضون:

(حزب الله وحركة أمل أساءا إلى الطائفة الشيعية لأنهما خربا علاقتهما مع الطائفة السنية، ولم يكن هناك من مبرر.. ففي حرب تموز [٢٠٠٦] لم يقف السنة ضد حزب الله، بعد انتهاء الحرب بدأ بتوجيه التهم بالعمالة والخيانة.. وبعد الدوحة تراجع عن هذه الاتهامات.. لا أحد يتهم طائفة بكاملها أو مجموعة سياسية بهذا الحجم بالعمالة والخيانة، بالعكس معروف اليوم أن حزب الله وحركة أمل يتموّلان من الخارج فكيف لحزب يتموّل من الخارج، ومن كان بيته من زجاج لا يرشق الناس بالحجارة).

أما غدر نبيه بري وخيانته لكثير من حلفائه وأصدقائه فسأكتفي بموقفه من رفيق الحريري.

كان رفيق الحريري يعتبر نبيه بري من أصدقائه، وكان سخيّاً في مساعداته التي يقدمها لحركة أمل، وضرب لنا مدير عام مؤسسة الحريري الخيرية مثالاً على ذلك فقال ما خلاصته: ذهبنا: رفيق الحريري ومحسن دلول ورياض رعد وعبد الله الأمين والفضل شلق، لزيارة نبيه بري في مقر إقامته في المزة بدمشق، وجلسنا نتناقش حول عدد الطلاب الذين سيعطيهم الحريري منحاً، وقطع دلول النقاش بسؤال وجهه إلى نبيه بري:

كم هو عدد المنح التي تحصل عليها حركة أمل من المؤسسات جميعاً التي تعطي منحاً، من الجزائر، ومن سورية، والاتحاد السوفيتي، وفرنسا؟ فأجاب بري: [١٥٠] منحة.

فقال الحريري: أعطه ٣٠٠منحة يا فضل!

الفضل شلق: وسيجار وحبّة مسك...الخ

أتدرون ما هي المكافأة التي قدمتها أمل للحريري وللمدير العام ولمؤسسته الخيرية؟!.

اعتقلوه في [٢٩/ ٥/ ١٩٨٦م] واقتادوه إلى سجن من سجونهم المظلمة الموحشة، وأثناء استجوابه سأله المحقق: لماذا لا تأخذ المؤسسة طلاباً من الطائفة الشيعية؟!

فأجاب شلق: لا، بل نأخذ!!..ويمضي شلق في حديثه، فيقول: بعد سنتين على

حادث الخطف جاءه عقل حمية[1] وقال له: يا أستاذ فضل، كنت أقلّب أوراق أخي محمد بعد استشهاده، وعثرت على ورقة تبين لي بعد قراءتها أنه هو الذي خطفك، وأطلب منك أن تغفر له هنا على الأرض، عسى رب السماء أن يغفر له فوق، ابتسمت له وقبلته وقلت له: أنت أخي يا عقل!

وتفصيل هذه القصة ذكرها الفضل شلق في كتابه [تجربتي مع الحريري]. ويشير سعد الحريري إلى خيانة بري لأبيه في شهادته أمام المحقق في قضية اغتيال أبيه:

المحقق: مع أي أطراف سياسية كان يحاول والدك بناء تحالف؟

الحريري: في حينها فتح والدي علاقة مع وليد جنبلاط، قرنة شهوان، وفتح حواراً مع حزب الله، أعتقد في حينها أن الرئيس نبيه بري خانه خيانة كبيرة ولم يعد يثق به، ولم يريد العمل معه، ولذلك فتح قنوات جديدة مع أمين عام حزب الله حسن نصر الله.

ويضيف سعد الحريري: والدي كان يثق بحسن نصر الله كثيراً، ورأى أنه بإمكانه أن يعمل معه، وأن يعقد اتفاقاً مع حسن نصر الله، ويعتقد أن حسن نصر الله رجل يلتزم بكلمته، وهذا ما لا أعرفه أنا... وفي موضع آخر من التحقيق ذكر سعد الحريري أسماء الذين كانوا يرفعون تقارير لبشار الأسد ضد أبيه، ومنهم:

جميل السيد، وإميل لحود، وناصر قنديل، بالإضافة إلى حزب الله، ونبيه بري. انتهى كلام الحريري للمحقق.

---

(١) محمد حمية شخصية مهمة في حركة أمل، وكان من أوائل الذين قتلوا أثناء اجتياح إسرائيل للجنوب اللبناني.

وبعد: هذا هو نبيه بري جزار المخيمات الفلسطينية وهذه هي تناقضاته وألاعيبه، وهو اليوم من أخطر السياسيين اللبنانيين، وكان ولا يزال أستاذاً لحسن نصر الله في المكر والخداع.

المصادر

١- كتاب [لعنة القصر] لغسان شربل.

٢- كتاب [تجربتي مع الحريري] الفضل شلق، الدار العربية للعلوم.

٣- تقرير كتبه الصحفي اللبناني إبراهيم البرجاوي في مجلة التضامن الصادرة في لندن. العدد تاريخ [٢٠/ ٧/ ١٩٨٥م].

٤- مقابلة صحفية أجرتها مجلة الأسبوع العربي مع الوزير السابق محمد عبد الحميد بيضون تاريخ ٢/ ٥/ ٢٠١١م

٥- شهادة سعد الحريري في قضية قتل أبيه أمام محقق المحكمة الدولية الخاصة بلبنان وأذاعتها فضائية الجديد اللبنانية.

٦- صحيفة القبس الكويتية العدد [٣٠/ ٦/ ١٩٨٢م]. وأيضاً العدد [٢٦/ ٤/ ١٩٨٠م].

٧- نيويورك تايمز [١٧/ ٣/ ١٩٨٤م].

٨- ليبراسيون الفرنسية [٣٠/ ٦/ ١٩٨٢م].

المبحث الرابع

العلاقات الفلسطينية الإيرانية

مما مر معنا من فصول كتابنا هذا نخلص إلى تقرير النتائج التالية:

١- حركة أمل الشيعية وحليفها النظام الباطني السوري وأطراف أخرى، كانوا في الحرب الأهلية يستهدفون أهل السنة في لبنان سواء كانوا فلسطينيين أو لبنانيين، وينفذّون مخططاً خبيثاً نسجت خيوطه كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

٢- نجح موسى الصدر في ربط حركة أمل بإيران الخميني، ثم أصبح حزب الله أشد تعصباً وولاء لإيران، حتى أن أحد قادتهم قال: نحن إيران في لبنان.. وكانت هذه العلاقة قد ترسخت في العهد الصفوي، ثم اعتراها بعض الفتور إلى أن جاء الصدر فأعاد ربط الفرع بأصله. جاء في مفكرة الرحالة الإنجليزي لورانس أوليفانت، في القرن الماضي:

(إن المتاولة [وهو الاسم الذي يطلق على الشيعة في لبنان] يكنون حقداً شديداً وعميقاً للحكومة التركية، وعلى الرغم من ولائهم العلني لها، فهم يتعاطون سراً مع الفرس، حيث ينظرون إلى بلاد الفرس، كأنها محط رحال ديانتهم ومعقل دينهم) [1]

٣- منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بأجهزتها: السياسية، والعسكرية، والأمنية تدرك

- (١) Fouad Ajami,the Vanished,Cornell University press New york1986 p.56

عن كتاب [الحروب السرية في لبنان].

هذه الحقيقة أكثر من أية جهة أخرى، وقد نقلنا ما فيه الكفاية كيف انقلب الصدر وشيعته عليهم ، وكيف حملوا السلاح ضدهم.

فمن المفترض إذا كانت منظمة التحرير الفلسطينية تحذر من عدوها مرة واحدة، أن تحذر من هذا العدو الجديد مرتين، لأنه طعنها طعنة نجلاء، في حين كانت تحسبه صديقاً وحليفاً، ولم تنتظر منه الغدر. فهل فهمت المنظمة أن ما كانت تظنه صديقاً أصبح عدواً، وصارت تتعامل معه على هذا الأساس؟.

ليست سواء فالفصائل اليسارية منها كانت علاقتها بحركة أمل سيئة وازدادت سوءاً بعد دخول القوات الباطنية السورية إلى لبنان عام ١٩٧٦م، ووصلت الأمور بينهما إلى حد مطاردة موسى الصدر ومحاولة اغتياله في منزله ببعلبك كما ذكرنا ذلك من قبل.

أما حركة فتح فقد استمرت في تعاونها مع الصدر وشيعته رغم أن هذا التعاون كان يتخلله مواجهات في بعض مناطق لبنان، وبسبب تعدد الأعداء في الداخل والخارج فقد آثرت فتح الصمت عن أمور كثيرة، بل كانت أحياناً تثني على الصدر وشيعته، وهذا منها تضليل وخداع.

لكن الشيء الذي عَجِزتُ عن فهمه أن حركة فتح اعتبرت المعارضة الإيرانية شيئاً آخر لا علاقة له بالصدر وحركة أمل وشيعة لبنان، واستمرت في التعاون معها وكأن شيئاً لم يكن، مع أن المعلومات التي لديها تؤكد أن بعض هذه الأقدام من بعض وأول هذه الأدلة أن الذين أنشؤوا حركة أمل موسى الصدر والمعارضان الإيرانيان عباس زاني الذي عينه نظام الخميني فيما بعد سفيراً لإيران في باكستان، ومصطفى شمران الذي أصبح فيما

بعد وزيراً للدفاع في أول حكومة للثورة، وقتل في الحرب العراقية الإيرانية. وشمران هذا استقطب نبيه بري عام ١٩٦٦م، ونظَّمه في رابطة الطلبة المسلمين الشيعية في الولايات المتحدة الأمريكية.

لا أريد الوقوف عند هذا الغباء أو [التذاكي] الفتحاوي، والمهم هنا أن تعاون فتح مع المعارضة الإيرانية تضاعف مع عام ١٩٧٦م، وكان المدرِبُون الفلسطينيون فخورين بطلابهم الذين سيكونون غداً طلائع تحرير فلسطين وفتح بيت المقدس..! ولو جاء من يقول لهم فلسطين لها أهلها من أحفاد عمر بن الخطاب، وعمرو بن العاص، وصلاح الدين الأيوبي، وهؤلاء ليسوا من أهلها، فلا تبالغوا في التفاؤل، وإنكم لن تجنوا من الشوك العنب.. لكان مصيره الضرب أو الطرد، كيف لا، وهذا هو قائد هذه الثورة الإمام الخميني يرفع شعار تحرير فلسطين، وهذه هي رسالته لعرفات تجزم بذلك فلماذا الشك والريبة؟.

كان الفوج يتخرج إثر الفوج في معسكرات فتح، وكانت الأخيرة تمدهم بالمال والسلاح وتسهل لهم سبيل العودة إلى إيران.. وكانت العمليات الفدائية الأولى ضد نظام الشاه محمد رضا بهلوي بأموال فتح وسلاحها، ونشأت بين الطرفين روابط وثيقة على مستوى القادة والقواعد، وكان بعض الإيرانيين يدَّعون أنهم أعضاء في تنظيم فتح، ويقسمون الأَيمان المغلَّظة أنهم سيبقون أوفياء لفتح، وهم منها في مقام التلميذ من الأستاذ.

وكان عرفات يدرك أنه سيكون لآية الله روح الله الخميني شأن كبير، فعزز علاقته به منذ أوائل السبعينيات، وكان من برنامجه إذا زار بغداد أن يزوره ويتحدث إليه ويستمع إلى وعوده المعسولة في دعم القضية الفلسطينية، وكانت الرسائل بينهما لا تنقطع، ومن

هذه الرسائل المنشورة طلب خميني من عرفات السعي لحل لغز اختفاء موسى الصدر، ورد عليه عرفات برسالة يؤكد فيها أن قضية موسى الصدر هي قضية منظمة التحرير، وفيها يبالغ -كعادته- في الثناء على الصدر، ويشيد بدعمه للقضية الفلسطينية وكان ذلك في عام ١٩٧٨م، وقد مرّ معنا خيانة الصدر لمنظمة التحرير ولفتح، وتحذيره الحكام العرب من مؤامرات المنظمة وعملها المستمر من أجل الإطاحة بهم.. وعندما رُحِّلَ خميني من العراق وأقام في فرنسا، أرسل عرفات له من يحرسه.

الموقف الفلسطيني من الثورة الإيرانية

موسم قطاف الثمار

في ١١/ ٢/ ١٩٧٩م تحولت سماء المخيمات الفلسطينية في بيروت وضواحيها إلى كتلة من النيران الملتهبة ابتهاجاً بنجاح الثورة الإيرانية، وسقوط نظام محمد رضا بهلوي. لقد كان الفلسطينيون الذين يطلقون هذه النيران الكثيفة في فرح عارم، وكانوا يرون من وراء عمامة الخميني فلسطين وهي في أبهج صورة تفتح ذراعيها لهم وتقول: الحمد لله الذي أزاح عني كابوس الصهاينة، وألف شكر وتحية للثورة الإسلامية الإيرانية.

ويرَوْن من وراء عمامة الخميني الدنيا تبتسم لهم بعد كرب عظيم طالت مدته، فهذه حركة أمل الشيعية تعتذر عن أخطائها... وهذه البلدان العربية تطلب منهم التوسط عند طلبتهم لإصلاح ما أفسده نظام الشاه.

أصرّ عرفات أن يكون أول من يزور صديقه خميني ويهنئه بنجاح الثورة، فأصدر أمره باستئجار طائرة ليتوجه على متنها إلى طهران، لكن شركة [الميدل إيست] اللبنانية لم يكن لديها طائرة واحدة غير مشغولة، فتوجه على رأس وفد كبير إلى دمشق، وفيها تمكن مكتبه من استئجار طائرة.

حاولت الطائرة أن تأخذ إذناً بالتحليق فوق إيران والهبوط في طهران، إلاّ أن طهران كانت قد أغلقت مجالها الجوي، وأوقفت اتصال برج المراقبة بالطائرات بعد هبوط طائرة الخميني. لذلك تعذر بشكل مطلق أخذ الإذن بالتحليق والهبوط في طهران.

محاولات الاتصال دامت عدة ساعات، وكان خلالها عرفات في مكتبه بدمشق يهز ساقه كعادته عندما يستغرق في التفكير أو يكون على وشك الإقدام على خطوة هامة أو على مجازفة خطرة.. وعندما علم أنه لا جدوى، فمطار طهران مغلق، هبَّ واقفاً وأمر بالتوجه إلى مطار دمشق.

وفي قاعة الشرف في المطار جرى نقاش بين مدير الطيران المدني وقبطان الطائرة من جهة، وبين عرفات ومرافقيه من جهة أخرى. فمدير الطيران المدني كان متمسكاً بالقوانين التي لا تسمح لطائرة أن تقلع دون إذن مسبق من مطار طهران، ودون إقرار خط طيرانها مع الدول التي تعبر أجواءها. وبعد ذلك النقاش قال عرفات: أنا أتحمل المسؤولية لنقلع فوراً لنقلع فوراً.

وبالفعل أقلعت الطائرة، وبعد ساعات دخلت المجال الجوي الإيراني، ولم تمض دقائق معدودة حتى أحاطت طائرات مقاتلة من طراز أف-١٥ بطائرة الرئيس. وراحت تميل بأجنحتها في إشارة تعني أن المقاتلات تطلب من الطائرة الهبوط الفوري.. وعندما أطلقت المقاتلات طلقات تحذيرية في الهواء هبّ عرفات عن مقعده واقترب من النافذة التي تطل على المقاتلات وخلع الحطَّة وراح يحي بها الطيارين الإيرانيين، وكان المقصود أن يعرف الطيارون أن هذه الطائرة التجارية تقل الرئيس ياسر عرفات، ويبدو أن الطيارين خاطبوا مركزهم الأرضي وأبلغوه المعلومات.

وبقيت المقاتلات تحيط بالطائرة صعوداً وهبوطاً، ومن الجانب الأيمن والأيسر، وبعد دقائق ساد فيها التوتر والترقب حرك الطيارون أجنحة طائراتهم بما يعني الترحيب. فقد أبلغوا قيادة الثورة الإيرانية بوصول الرئيس ياسر

عرفات فجأة لأجواء إيران، دون إذن مسبق فرحبت قيادة الثورة الإيرانية بأول زعيم يصل أجواءها.

هبطت الطائرة، وكان عدد من القياديين في الثورة الإيرانية قد وصلوا، وراحوا يقتربون من باب الطائرة الذي فتح ليطل منه الرئيس ياسر عرفات، فتعانق الجميع، وتحرك الموكب فوراً نحو المدرسة الكبيرة التي كان يقيم فيها آية الله الخميني مؤقتاً. فخصص قادة الثورة الإيرانية جناحاً واسعاً للرئيس عرفات والوفد المرافق له.. وبعد الترحيب راحوا يسألون عن أوضاع الثورة الفلسطينية والأراضي المحتلة.. ثم أحضروا لضيوفهم الطعام والشراب، وكان الأمر أبعد من إحضار الطعام لوفد لم يأكل منذ ساعات.

كانت تلك مشاركة [العيش والملح].

وبعد نصف ساعة حضر أحد العلماء الشباب، وأَسَرَّ بكلمة في أذن القيادات الإيرانية، فنهضوا فوراً، وطلبوا من عرفات أن يتفضل للتوجه إلى مقر خميني.

أمضى عرفات مع خميني ساعة كاملة، تناولا فيها أوضاع الشعب الفلسطيني وكفاحه ومستقبل إيران، وأكد الخميني أن إيران الثورة لن تدخر جهداً ولا مالاً ولا سلاحاً من أجل نصرة الشعب الفلسطيني وكفاحه العادل، وقبل الوداع قال خميني: بإذن الله سينتصر الشعب الفلسطيني كما انتصر الشعب الإيراني.. وتوجه عرفات والوفد المرافق له بعد وداع خميني إلى المطار عائداً، وهكذا حظي بوصف أول زعيم يزور طهران بعد نجاح الثورة(١).

---

(١) هذه الرواية ذكرها بسام أبو شريف مستشار ياسر عرفات، في كتابه [ياسر عرفات]، الناشر: رياض الريس للكتب والنشر.

تعقيب: ماذا لو لم ينتبه الطيارون الإيرانيون لعقال عرفات وحَطَّته أو لم يفهموا معنى هذه الحركة وضربوا الطائرة؟، وماذا يحدث لو انتظر عرفات يوماً أو يومين دون أن يعرِّض نفسه والوفد المرافق له للموت؟.

الفلسطينيون كلهم كانوا على حال كحال عرفات، لا فرق في ذلك بين يمين ويسار أو بين العلمانيين والإسلاميين.. ولو جاءهم من ينصحهم ويقول لهم: على رِسلكم، لا تستسمنوا ذا ورم، فهؤلاء الذين تبصرون مباهج الدنيا وزينتها من خلال ثورتهم أشد لؤماً من شيعة أمل الذين كان منهم ما كان عندما دخلت القوات الباطنية السورية لبنان عام ١٩٧٦م، وأنتم في نظر هؤلاء نواصب تكرهون علياً ﷺ، وابنه الحسين.. لو جاءهم من يقول لهم مثل هذا القول، لنالوا منه بأيديهم أو على الأقل بألسنتهم.

وتمر الأيام، والقوم يلهثون وراء سراب خادع، وكلما سمعوا تصريحاً معادياً للعرب، يقال لهم: هذه الجهة من بقايا تركة الشاه، وليس لها صفة رسمية، ولا تزال الثورة في بدايتها، فتخدر مثل هذه الأقاويل قادة منظمة التحرير، ويرددونها كالببغاوات.. وتتراكم الشبهات بعضها فوق بعض، ولم تعد تبريرات الآيات والمراجع مقبولة، فكرههم للعرب واضح بيّن، ونشاطهم الدائب من أجل تصدير الثورة حقيقة لا يعتريها شك، وباطنية التعامل مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لا يجهلها جهاز المخابرات الفلسطيني. لنعد إلى السياق، ولنتبيّن من خلاله كيف تطورت الأحداث والقناعات، ولتكن بدايتنا من طهران. قال عرفات بعد أن وزّع قبلاته الشهيرة على وجوه قادة الثورة الإيرانية:

(إن ثورة إيران ليست ملكاً للشعب الإيراني فقط.. إنها ثورتنا أيضاً فنحن نعتبر الإمام الخميني ثائرنا ومرشدنا الأول الذي يلقي بظله ليس على إيران فحسب بل على

الأماكن المقدسة والمسجد الأقصى في القدس)[١].

الإيرانيـون مـن جهـتهم عرفـوا كيـف يضـلّلون الفلسـطينيين أولاً والعـرب ثانيـاً، ويكسبون دعاية إعلامية جارفة لا يعارضها ويكشف زيفها إلا أولو العزم مـن الرجـال، فاتخذوا الإجراءات التالية:

- غيروا اسم الشارع الذي يوجد فيه مكتب البعثة الدبلوماسية الإسرائيلية، فأطلقوا عليه اسم شارع منظمة التحرير.
- رفعوا صورة كبيرة لعرفات على المبنى الإسرائيلي، ثم قاموا بتسليمه إلى منظمة التحرير ومنحوها اعترافاً دبلوماسياً كاملاً.
- عيّنت منظمة التحرير هاني الحسن أحد المستشارين السياسيين لعرفات رئيساً للمكتب. ثم صار هاني الحسن يصدر التصريح تلو الآخر الذي يشيد فيه بالخميني وثورته، ومنها قوله في إحدى المعاهدات:

  (غداً تركيا وبعد غدٍ فلسطين)[٢].
- وفي المقابل قام الفلسطينيون بتدريب أعداد كبيرة من الإيرانيين الذين شكلوا نواة الحرس الثوري وضباطه وقادته.

---

(١) الغارديان [عن الصحف العربية: ٢١/ ٢/ ١٩٧٩م] وهذا الذي قاله عرفات للخميني، قاله من قبل لكاسترو.

(٢) وكالات الأنباء: (١٤/ ٣/ ١٩٧٩م).

- كانت كل من منظمة التحرير والنظام السوري غطاء لدخول عشرة آلاف متطوع إيراني رغم أنف الحكومة اللبنانية بحجة محاربة إسرائيل. دخلوا على مراحل عن طريق الحدود السورية وكان على رأسهم الشيخ محمد المنتظري الذي قال في مؤتمر صحفي عقده في جامع الجامعة العربية ببيروت:

(قررنا القيام بهذه الزيارة اليوم للمشاركة في احتفال ذكرى تأسيس حركة فتح، لنعبّر بذلك عن تضامننا الإسلامي الأممي مع إخواننا فيها. فالمناضلون الإيرانيون قادمون للقتال ضد الصهيونية والاستعمار. وبعض رجالنا قد سبقوني إلى لبنان، وبعضهم الآخر سيصلون لاحقاً، حتى بدون تأشيرة إذا اقتضى الأمر. فنحن لا نحترم القوانين الدولية التي وضعها المستعمرون)[١].

هؤلاء الرجال الذين تحدث عنهم منتظري جاءوا ليكونوا رسل تصدير الثورة إلى لبنان، وليس لقتال إسرائيل كما زعم، وستثبت الأحداث المتتالية أن الإيرانيين كانوا يخططون ليكون لبنان الجمهورية الإسلامية الثانية بعد إيران.

– عندما نشبت الحرب بين العراق وإيران عام ١٩٨٠م كانت منظمة التحرير ترى أن العراق هو الذي بدأ الحرب لأهداف مشبوهة، ولهذا فقد ساءت العلاقات بين المنظمة والعراق إلى درجة العداوة، وسوف يندم القادة الفلسطينيون بعد حين على

---

(١) L'orient -LeJour-3Janvier1980 [عن كتاب الحروب السرية في لبنان].

انحيازهم لإيران.

– كان انحياز جمهور الفلسطينيين إلى إيران واضحاً في صراعها مع مصر ودول الخليج أيضاً، كان بعضهم يتمنى أن تحتل إيران دول الخليج لتعيد لهم فلسطين، وتطيح بالظالمين، وتحكم بين الناس بالقسط، ثم جاء اليوم الذي فعلوا فيهم [في كل من لبنان والعراق] ما لم تفعله إسرائيل، وقليل منهم من يتعظ.

خيبة الأمل الفلسطينية

– قال خميني لعرفات في أول لقاء بينهما في طهران:

إن إيران الثورة الإسلامية لن تلعب لعبة شرطي الخليج، الذي كان يلعبه شاه إيران، وأنها سحبت قواتها من سلطنة عُمان تأكيداً لذلك، وأنها على استعداد للبحث في قضية الجزر الثلاث في عرض مضيق هرمز، والعائدة للإمارات العربية المتحدة، وكان الشاه قد اغتصبها عام ١٩٧١م فور إعلان استقلال تلك الدولة. طار عرفات فرحاً بما سمعه من خميني، وقام بزيارة للشيخ زايد آل نهيان، ونقل إليه ما قاله له حاكم إيران الجديد.. ثم انتقل إلى دول عربية أخرى ليسوق فيها أقوال خميني.

وبعد أيام قليلة خرج آية الله صادق روحاني المقرب من خميني بتصريح غريب يقول فيه: إن البحرين جزء من إيران. ثم خرجت تصريحات رسمية تقول: إن روحاني ليس رجلاً مسؤولاً.. وقبل أن تهدأ زوبعة تصريحات روحاني خرجت تصريحات أخرى تندد بحكام العراق ودول الخليج وبعضها كانت تنقله إذاعة الأحواز، وكانت هذه خيبة أمل الفلسطينيين الأولى، وإن حاولوا التقليل من شأنها،

واستمروا في التأكيد على ثقتهم بنظام الآيات.

... ثم جاءت أزمة الرهائن الأمريكية، ووسطت أمريكا منظمة التحرير بطريقة تحدث عنها بسام أبو شريف في كتابه [ياسر عرفات]، وكانت فرصة ذهبية تخدم منظمة التحرير، ولا تضر بدولة الآيات.

أرسل ياسر عرفات قائد العمليات الحربية أبو الوليد إلى طهران، وكان رسول عرفات واثقاً من نجاحه في هذه المهمة، فحكام إيران الجدد طلابه، وعملية احتلال السفارة الأمريكية، وأسر بعثتها الدبلوماسية لن تخدم قضية إيران دولياً. لكن الطلبة قابلوا أستاذهم بجفاء ظاهر، وعاتبه أبو الحسن بني صدر، وكان وقتها وزيراً للخارجية بالنيابة لأن الفلسطينيين يقدمون أنفسهم كوسطاء، في حين كانت تتوقع الثورة أن يكونوا إلى جانبها ضد الولايات المتحدة الأمريكية، ورفض الخميني استقباله، فصارحهم أبو الوليد بخطورة موقفهم، ولم يأبه لغضبهم، ثم غادر طهران إلى بيروت. وكانت هذه خيبة أمل الفلسطينيين الثانية، ومع ذلك فقد تجاهل الفلسطينيون هياج الإيرانيين وغضبهم واستمروا في نصحهم، حتى أن هاني الحسن أبلغ الوفد الإيراني المراقب، الذي جاء إلى تونس ليكون على مقربة من القمة العربية التي عقدت هناك عام ١٩٧٩م، أن العرب مستاءون من أزمة الرهائن على الرغم من أنهم لم يدينوها علناً مراعاة لشعور الإيرانيين.

-كان عرفات عضواً في لجنة الوساطة الإسلامية المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي، وذهب مع الوفد إلى طهران مراراً، ثم في محاولة أخرى جرّب الفلسطينيون حظهم مرة أخرى، وتقدموا بمبادرة على كل من العراق وإيران، ومع

أن المبادرة لا تنتقص من الشأن الإيراني، فقد أغضبت إيران، وسارعت إلى وقف الأناشيد والأغاني الفلسطينية، واختفى علم الثورة الفلسطينية من الشوارع، واختفت معه صور عرفات.

-تحدث العراقيون ومعهم أجهزة إعلام دول الخليج العربي عن السلاح الإسرائيلي المتدفق على إيران، وكان الفلسطينيون لا يصدّقون أو لا يريدون أن يصدّقوا هذه الأخبار، وكانوا يسألون أنفسهم بشيء من الغباء السياسي: دولة إسلامية، وآيات الله، ودعوة إلى تحرير فلسطين من اليهود ثم تعاون مع اليهود في الخفاء لا يلتقيان؟!. بدأت الشكوك تراود الفلسطينيين ، ولكن الأدلة أخذت تتضافر على وجود تعاون إيراني في التسليح وغيره، وبعض هذه الأدلة قدّمها لهم السوفيات.

- وكانت مسألة حركة أمل آخر خيبات الأمل والرجاء الذي كان ينتظره الفلسطينيون من إيران، فهم من دربّ حركة أمل، وأمدها بكل ما يمكنها من الوقوف على قدميها. وعندما خذلتهم هذه الحركة ووقفت في صف قوات الغزو الباطني السوري، فهموا من الإيرانيين أنه لا علاقة لهم تنظيمية بحركة أمل، فَهِمَ بعض الفلسطينيين من بعض الإيرانيين في حديث هامس: إنهم لا يثقون بالصدر لأنه من عملاء الشاه، وكانت له دائماً اتصالات مع جهات مشبوهة. لكنهم اكتشفوا خلاف ذلك. اكتشفوا أن آيات قم وطهران هم رأس التنظيم الشيعي في لبنان والعراق وفي كل مكان يستوطنه أبناء هذه الطائفة، وهم الذين زرعوا في نفوس أبناء أمل كراهية الفلسطينيين، ووجوب التعاون مع الشيطان ضدهم، وما كان لأمل أن تتجاهل أوامر الآيات، فتعاونت مع الصهاينة، ومع القوات المسلحة المارونية، ومع قوات الغزو الباطني السوري، كما رأينا في الصفحات القليلة الماضية.

فاض كيل الفلسطينيين عندما قاد طلاب الآيات مظاهرات صاخبة في طهران يطالبون بسقوط الخائن ياسر عرفات الذي أيد مبادرة فهد بن عبد العزيز لحل أزمة الشرق الأوسط. فمبادرة الملك السعودي [وكان ولياً للعهد] كانت علنية، ورفضتها ولا تزال ترفضها إسرائيل، بينما التعاون والتنسيق بين إيران الآيات وإسرائيل يجري على قدم وساق، وترفض إيران الاعتراف بوجوده لأنه يجري في أوكار الباطنيين الخفية.. فكيف يكون هذا خائناً، وهذا شريفاً عفيفاً؟!.

حرص الفلسطينيون على استمرار العلاقات بينهم وبين إيران، لكنهم بدؤوا يتحدثون بما كانوا يرفضون البوح به. قال أحدهم:

(من الصعب فهم الآيات في قم وطهران والتعامل معهم).

وقال آخر:

(لا يمكن التعامل مع هؤلاء الإيرانيين المتحكمين في طهران وقم، فبينهم وبيننا سنين طويلة لا بد أن تطوى، حتى يكون لإيران ثورة حقيقية تؤمن بإقامة علاقة صحية وسليمة وصادقة مع العرب).

وقال خالد الحسن وهو أحد كبار المسؤولين في منظمة التحرير وعضو اللجنة المركزية لمنظمة فتح:

(إن العلاقات مع إيران ليست طيبة، وأضاف: لقد حذرنا الإيرانيين من التفكير بتصدير ثورتهم أو خلق المشاكل لجيرانهم العرب، ثم أبدى عتبه المرير على الآيات وحجج الإسلام الذين كفّروا عرفات وحرموه من الجنة لأنه أيد مشروع الأمير فهد

قبل الذهاب إلى قمة فاس العربية)[١].

تعقيب: ارتكبت منظمة التحرير خطأً فادحاً عندما أعطت هؤلاء كل شيء: من مال وتدريب وخبرة، ثم مكنتهم من الاطلاع على أسرارها، ثم خرجت بعد أكثر من عشر سنين بهذه النتائج التي ذكرنا بعضها. والذي أعرفه وجود مركز دراسات فلسطيني، وهو من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، ويملك إمكانات واسعة، وكان من المفترض أن تكلف قيادة المنظمة القائمين على هذا المركز بالمهمة التالية:

نحن مقبلون على تعاون وثيق مع المعارضة الإيرانية التي يقودها آية الله خميني، ونريد منكم دراسة تاريخ الفرس مع العرب قبل الإسلام، وبعد أن شرّف الله العرب بهذه الأمانة، ولماذا انتشر التشيّع بينهم، وما هي صلة هذا التشيّع بعقائد الفرس قبل الإسلام، ونريد منكم دراسة مؤلفات خميني، والإجابة على السؤال التالي: هل هو شيء جديد في الطائفة الشيعية-كما يقولون-أم رقم من أرقامهم القديمة الجديدة، وأخيراً ما هو حجم علاقاتهم بشيعة لبنان لاسيما ونحن نرى أن لهم وجوداً قوياً بين أبناء الطائفة الشيعية فيه، ثم يُقالُ لنا: هؤلاء الإيرانيون هم من أصول لبنانية، فكيف ذلك؟!.

نعم إن منظمة كبيرة مثل منظمة التحرير لا بد أن تبني تعاونها مع المعارضة الإيرانية على دراسة موضوعية يُقدّمها مركزهم المختص بهذه الموضوعات، فإن قيل إن المنظمة علمانية، قلت: مثل هذه الدراسات ضرورية للعلماني وغير العلماني، ولينظر من شاء إلى مراكز الدراسات الغربية.

---

(١) مجلة الوطن العربي،العدد ١٥/ ١/ ١٩٨٢م، وهو تقرير مهم، ثم كتابي[وجاء دور المجوس].

أما أن يُعرِّض عرفات وكبار قادة المنظمة أنفسهم للموت ليكونوا أول من يزور خميني بعد نجاح ثورته. وأما أن يقول مسؤول فلسطيني كبير: لا يمكن التعامل مع هؤلاء الإيرانيين المتحكمين في طهران وقم، فبينهم وبيننا سنين طويلة لا بد أن تطوى!!. فهذا عمل من لا يحترم نفسه ولا قضيته.

المبحث الخامس

شق فتح

من المتآمر ومن المنفذ؟

أرسل خميني في ٢٣ محرم ١٣٩٩هـ رسالة جوابية إلى اللجنة المركزية لحركة فتح يشكرهم على ما قدموه من عون ويطلب المزيد، ثم يعدهم بأن تكون الثورة الإيرانية وفيّة لهم مخلصة لليد التي مدت إلى الثورة الإيرانية من الإخوة في حركة فتح.

فهل برَّ الخميني بوعده لحركة فتح، وهل رد طلاب الخميني وأركان نظامه شيئاً من الجميل للذين احتضنوهم، وقدموا إليهم:

المال والسلاح والتدريب في أشد ساعات الضيق التي كانت تمر بهم؟!.

قلنا في الصفحات القليلة الماضية بأنهم كانوا أكثر غدراً من الذئاب، وما كانوا يقبلون من فتح ثم من منظمة التحرير إلا أن يكونوا تابعاً للثورة الإيرانية، يُستخدم عند الحاجة، وينفذ ما يُطلب منه وليس من حقهم أن يكونوا وسطاء في أي أمر من الأمور، فالتابع شيء والوسيط شيء آخر، فياسر عرفات قائد المنظمة كان عند هؤلاء الشعوبيين الباطنيين مخلصاً وفياً وبطلاً لا يساوم ولا يتردد، وعندما رفض أن يكون تابعاً لهم أصبح في نظرهم خائناً وكافراً.

كان الإيرانيون وحلفاؤهم سبباً من أسباب خروج قوات منظمة التحرير من

لبنان، ثم صاروا وحلفاؤهم يهاجمون قيادة فتح لأنها تخاذلت في المعركة ووافقت على قرار الخروج من لبنان، ووجدوا بغيتهم عند جناح من أجنحة فتح، معارض لمواقف القيادة وعلى رأسها ياسر عرفات، وهذا الجناح قسمان:

القسم الأول: برزت ميوله اليسارية بعد أحداث أيلول عام ١٩٧٠م، ومن أهم رموزه: أبو صالح، وماجد أبو شرار، وناجي علوش، وأبو داود [محمد داود عودة]، وصبري البنا [أبو نضال]، ومحمد أبو ميزر، وسميح كويك [قدري]، ومنير شفيق. وتمكن من التكتل بعد المؤتمر الثالث لحركة فتح ومن إيصال أبو صالح إلى عضوية اللجنة المركزية، وإيصال ماجد أبو شرار إلى أمانة سر المجلس الثوري، والأعضاء المذكورة أسماؤهم -باستثناء منير شفيق- إلى عضوية هذا المجلس.

ثم تطورت يساريتهم، فمنهم من صار سوفياتي النزعة، ومنهم من صار من أتباع ماوتسي تونغ، ومنهم من اتجه اتجاهات أخرى، لكن هذه الاتجاهات كلها كانت ضمن إطار حركة فتح.

القسم الثاني: العقيد أبو موسى، العقيد محمد البدر [أبو مجدي]، أبو خالد العملة، المقدم زياد الصغير، المقدم زياد عريقات [أبو رعد]، الرائد محمود عيسى[أبو عيسى]، ومعهم عشرات الضباط.. وأكثر هؤلاء كان يطالب بإصلاحات دون التفكير بالانشقاق عن فتح.

ولكن نمر صالح [أبو صالح] كان يبيت أمراً آخر، ويبحث عن الأعذار التي لا تستطيع قيادة فتح الوفاء بها كلها، ويجمّع الأنصار داخل الحركة، والحلفاء خارجها، وكشف عن نواياه في قمة فاس الثانية عندما عارض موقف الوفد الفلسطيني الذي

كان أحد أعضائه، ولدى انتهاء المؤتمر انفصل عن الوفد الفلسطيني، واختار العودة إلى دمشق بالطائرة نفسها التي أقلت الرئيس السوري حافظ الأسد، ثم أدلى بحديث لصحيفة [لوموند] الفرنسية، قال فيه إن عرفات لا يمثل الشعب الفلسطيني، واتهمه بالخروج عن قرارات المجلس الوطني الفلسطيني وأهداف وبرامج الثورة.

وكشف عن نواياه مرة أخرى، عندما استغل تفاقم الخلاف بين قيادة فتح من جهة، وسورية وليبيا من جهة أخرى، فقام بزيارة إلى إيران من دون علم القيادة الفلسطينية، وشن خلالها هجوماً عنيفاً على العراق، وحول من يمثل الشعب الفلسطيني زعم في حديث صحفي أنه هو الذي يمثل الشعب الفلسطيني وليس عرفات.

كانت قيادة فتح تنظر إلى هذا التحرك بشي من الاستخفاف، ثم أدركت خطورة الموقف في وقت متأخر، فتحركت وهي ترفع شعار عدم استخدام السلاح وتدعو إلى الحوار، ولكن أبو صالح ومن وراءه كانوا ينوون الحل العسكري ولا شيء غيره، وأخذوا يستعدون للمواجهة، فتمركزت قواتهم في البقاع، وأنشؤوا مراكز لهم في المخيمات الفلسطينية في كل من بعلبك وشمال لبنان.

وجهت قيادة فتح تهديدات للعقيد معمر القذافي بقطع لسانه، وخاطبه عرفات فقال: لست إلا نملة نستطيع سحقها متى نشاء، وكذلك صدرت عن خليل الوزير إشارة رسمية إلى تورط مخابرات دولة عربية بحركة التمرد. جاء ذلك في حديث [التايمز] اللندنية، أما التورط الإيراني وهو الأصل فاكتفوا بالتلميح دون التصريح.

بحث المتمردون عن سبب مقنع لإعلان تمردهم، فلم يجدوا إلا قرار نقل خمسين ضابطاً إلى تونس، لأن هذا القرار يهدد مشروعهم، وحددوا ساعة الصفر في

١٠/ ٥/ ١٩٨٣م، وكانوا قد أخبروا حلفاءهم بذلك.

وفي اليوم الثالث من التمرد أرسلت ليبيا القذافي طائرتين محملتين بالأسلحة والعتاد إلى دمشق، وسلمت أحد رموز المتمردين شيكاً بمبلغ ثلاثة ملايين دولار بالإضافة إلى إصدار تعليمات للواء ليبي يرابط على الحدود السورية اللبنانية بدخول الأراضي اللبنانية والانتشار في مناطق القوات المتمردة لمساعدتها في حال تعرضها لهجوم من قبل قوات فتح.

وفي الوقت نفسه قام وزير خارجية إيران بزيارة سرية إلى دمشق، وعقد سلسلة اجتماعات مع أبو صالح، وأعرب له عن أن إيران تضع جميع إمكانياتها تحت تصرف التمرد، وأحضر معه مبلغاً قدره خمسة ملايين دولاراً سلمها لأحد رموز التمرد.

أما المنظمات الفلسطينية التي قاتلت مع المتمردين فهي: الصاعقة، والقيادة العامة، وجبهة النضال[1].

جاء في البلاغات العسكرية الصادرة عن حركة فتح ما يلي:

(كثّف السوريون والليبيون مع العناصر العميلة قصفهم الوحشي على مخيمي نهر البارد والبداوي مساء هذا اليوم).

وفي بلاغ عسكري آخر:

(منذ الساعة الخامسة من صباح هذا اليوم ٥/ ١١/ ١٩٨٣م تتابع القوات السورية والليبية ومعها المجموعات العميلة عدوانها على مخيماتنا ومواقعنا في نهر

(١) مجلة [المجلة] العدد: ١٧٣ تاريخ ٤-١٠حزيران/ ١٩٨٣م الموافق ٢٢-٢٩شعبان/ ١٤٠٣هـ.

البارد والبداوي وتربل وتقوم مدفعياتهم الثقيلة وراجماتهم بالقصف علينا من منطقة الكورة وأقنون وشرق زغرتا والكورة وعكار ومفرق حمص. تجري محاولة تقدم على محور مركبتا، وتقوم قواتنا بالتعامل معها بكافة الأسلحة، وتم إسكات مصادر النيران بجانب المركز السوري)[١]

والشاهد في هذين البلاغين أن الجهة المعتدية هي سورية وليبيا ومعهما القوات المنشقة عن فتح، وقوات الصاعقة والقيادة العامة [أحمد جبريل]، أما المتآمر الأول فهو إيران، وهي الرابح الأول، لأنها وجهت ضربة قاتلة للمقاومة الفلسطينية، وجاءت بمقاومة باطنية طائفية تستخدمها من أجل مصالح تخدم إيران، وليس فلسطين. أما الخاسر الأول فهم هؤلاء الذين انشقوا عن حركة فتح، فقد كان كثير منهم يجزمون بأن حركتهم ستكون البديل للمقاومة، وستفتح لهم أبواباً كانت مغلقة في كل من لبنان وسورية، ثم وجدوا أنفسهم لا يستطيعون دخول لبنان الجنوبي إلا بإذن من حركة أمل أو من حزب الله فيما بعد، أما في سورية التي يقيمون فيها فكانت أجهزة الأمن تطاردهم وتكبت أنفاسهم من شدة المراقبة، ويصدق فيهم القول: لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

أما ياسر عرفات الذي كان يتلقى الضربة تلو الأخرى من إيران وتوابعها في لبنان، وكان يقابل ذلك كله بصمت وصبر، وإن اضطر إلى الحديث، فيتجنب ذكر مراجع الطائفة الشيعية، فإذا كان حديثه عن حركة أمل لا بد من أن يمتدح موسى الصدر، مع

(١) بلاغ عسكري رقم (ع٢١/ ٨٣)، وبلاغ عسكري رقم (٢٢/ ١٩٨٣) صادر عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية تاريخ ٥/ ١١/ ١٩٨٣. حركة التحرير الوطني الفلسطيني. فتح، الكويت.

أنه يعلم جيداً أنه رأس البلاء، وكذلك شأنه إذا تحدث عن إيران، فلا يذكر اسم خميني إلا بالتقدير والثناء، ثم يضفي عليه من الألقاب والأوصاف التي لا يستحقها، وثبت فيما بعد أن عرفات نفسه لم يكن مقتنعاً بها.

عرفات هذا بعد معاناة مع القوم استمرت أكثر من خمسة وعشرين عاماً، وكانت كقطع الليل المظلم تراكمت بعضها فوق بعض. نفذ صبره، وقال في الأسطر القليلة التالية ما كان يقول خلافه أملاً في الإصلاح:

(صدمني هذا التوجه المعادي للعروبة، والذي أوجد تناقضاً مع العرب ومع جيران إيران من دون مبرر، وصدمني أيضاً وقوف إيران موقف المتفرج من حرب المخيمات، ومن محاولة التصفية التي تعرضت لها أثناء حصار طرابلس، وقبل ذلك كله يصدمني في الثورة الإيرانية إصرار قادتها على الاستمرار في القتال ضد العراق..)(١)

تصريح عرفات لمجلة التضامن وإن كان قد جاء متأخراً فهو نهاية تجربة مريرة أعلن في ختامها الزعيم الفلسطيني أنه ومنظمته أخطؤوا في حسن ظنهم بإيران الثورة، كما أخطؤوا في دعمهم لحركة أمل الشيعية في لبنان التي قدموا لها المال والسلاح والتدريب... ويستغرب أشد الاستغراب من عداوة الخميني وثواره العرب، وإصرارهم على تصدير ثورتهم لدول الجوار وللعالم، ثم يشير إلى دورهم المشبوه في حرب المخيمات، وفي حصار طرابلس.

---

(١) جاء هذا القول في مقابلة أجرتها مجلة [التضامن] التي كانت تصدر في لندن مع عرفات في عددها الصادر بتاريخ ٢/ ١١/ ١٩٨٥.

فهل تتعظ حركة حماس من تجربة عرفات، وهل يتعظ الإخوان المسلمون من وراء حماس أم يكررون الخطأ نفسه؟!.

المبحث السادس

دور إيران وحزب الله

في حرب المخيمات

زعمت إيران الخميني بأنها التي أوقفت هذه الحرب، ووضعت حداً لسفك الدماء بين حركة أمل الشيعية والفلسطينيين في مخيماتهم في عام ١٩٨٥م، وصدّق [الدراويش] أو أهل الأهواء من أهل السنة هذه المقولة، وإذا جاء من ينكرها أمطروه بوابل من النقد والتجريح، وأشبعوه وعظاً وتذكيراً.

وبعد أن أصبحت هذه المسألة في ذمة التاريخ، وتلتها أحداث مريرة شغلتنا عنها، فإننا في هذه الدراسة سنبيّن حقيقة الموقف الإيراني وتابعه [حزب الله] في لبنان، أما المصادر التي اعتمدت عليها فهي:

١- بعض ما كتبته خلال تغطيتي لهذه الأحداث في حينها.

٢- جريدة كيهان الإيرانية، وهي جريدة النظام الرسمية.

٣- كتاب [مغدوشة، قصة الحرب على المخيمات في لبنان] لمؤلفه العميد ممدوح نوفل قائد قوات الثورة الفلسطينية في لبنان، وهو من أهم المصادر لأنه كتاب ميداني، عرض المؤلف فيه مواقف جميع الأطراف بموضوعية، وكان يحسن الظن بشيوخ حزب الله، ويأخذ أقوالهم على ظاهرها، ومن جهة أخرى فقد كان صريحاً في عرضه

لأقوال السياسيين في غرفهم المغلقة، وهي مناقضة لما يقولون في العلن.

وأذكرّ بما قلته في الصفحات القليلة الماضية:

إن إيران استهدفت حركة فتح لأنها تمثل مركز الثقل في المقاومة الفلسطينية، والقضاء عليها قضاء على المقاومة كلها، ولهذا فقد لعبت دوراً خطيراً في حركة الانشقاق التي قادها كل من نمر صالح [أبو صالح] وأبو موسى، وأبو خالد العملة، مما دفع ياسر عرفات إلى القول:

(... وصدمني أيضاً وقوف الثورة الإيرانية موقف المتفرج من حرب المخيمات ومن محاولة التصفية التي تعرضت لها أثناء حصار طرابلس..)، وهذا وغيره وغيره يعني أن هذا النظام الماكر المراوغ لا ينوي خيراً للفلسطينيين ولا للعرب. وننتقل إلى عرض المواقف:

الجانب الفلسطيني:

أ- يقول ممثل عرفات في لبنان: أبو عمار حذرّنا من خديعة سورية يكون حزب الله حصانها. نحن قلنا [لأبو عمار] إن السوريين ضد دخول حزب الله إلى مغدوشة، وأدلجناها له وقلنا إن السوريين ضد أي دور لأي قوة إقليمية في لبنان بما في ذلك إيران، وشرحنا له مواقف الشيعة ومشايخهم، وموقف جماعة السفارة الإيرانية في بيروت ودمشق، وحدثناه عن جهودهم باتجاه فك الحصار عن المخيمات وإدخال التموين والأدوية إليها. وبالرغم من كل حديثنا قال أبو عمار: لا تخطئوا، السوريون ليسوا ضد دخول حزب الله إلى مغدوشة، ولكن توقيت دخولهم غير معروف. وأضاف ممثل عرفات عصام سالم:

تحليل أبو عامر صحيح ومعلوماته دقيقة، هذا رجل ليس بسيطاً، من تونس يتابع أدق التفاصيل وتصله المعلومات من عدة اتجاهات، وبعضها تصله قبل أن يصلنا. ويا أبو علي من يملك المعلومات يملك القدرة على التحليل الصحيح.

ب- وصف أبو جهاد أناس أمل بالحشاشين، والحرب الدائرة بسببها بحرب المسلمين ضد الحشاشين، وهو وصف دقيق يعبّر عن فطرة سليمة، واطلاع جيد على أحداث تاريخنا الإسلامي، وهو بالتأكيد ليس قاصراً على أمل دون حزب الله وشيعة إيران.

أما ياسر عبد ربه الأمين العام المساعد للجبهة الديمقراطية، فقد قال يخاطب شيوخ الشيعة وقادة حزب الله:

(اعتبروا أبناء المخيم وبناته نصارى يستجيرون بكم، اعتبروهم ما شئتم، ما تريدون أن نفعله نحن جاهزون. أستحلفكم بالله وبدينه أن تفعلوا شيئاً ما لإنقاذ أطفالنا وعرضنا وشرفنا. هل أنتم يا معشر العلماء عاجزون عن تكفير المجرم نبيه بري، وداوود داوود. هل أنتم يا ممثلي الإمام الخميني قابلون بأن نقول إننا استجرنا بإمام المسلمين ولم يستجيب، ولم يتمكن من حمايتنا..) وأضاف:

(خذوا مغدوشة وأعطونا الأمان لمخيماتنا. الخليفة عمر بن الخطاب أعطى الأمان للنصارى في القدس يوم فتحها، طالبهم بالجزية وأعطاهم الأمان والأمن على أملاكهم وأعراضهم، أعطونا الأمان لمخيماتنا، وإذا أردتم الجزية على نساء فلسطين وأطفالها وشهدائها فنحن جاهزون لدفع الجزية لكم وللبطل نبيه بري).

ثم تحدث ممثل عرفات في لبنان عصام سالم بعد ياسر عبد ربه، فكان مما قاله:

(أنا كعسكري لا أستطيع تحمل سقوط أحد المخيمات على يد اليهودي داوود داوود، وفي حال سقوط الرشيدية أو انهياره لا تلومونا على ما سيقع من مجازر، لا تلومونا إن تورط بعض الفلسطينيين في دم الشيعة من أبناء حارة صيدا.. وأكد أن سقوط أحد المخيمات ووقوع مجازر فيه سيؤديان إلى مجازر في حارة[1] صيدا ولا أحد يضمن بقاء الوضع مسيطراً عليه في محيط حارة صيدا، ولا بلدة الغازية. وسمى عصام قرى شيعية أخرى. وقال: حتماً ستقع مجازر طويلة عريضة. ثم لماذا الصمت على التعبئة الطائفية الحاقدة التي يقوم بها نبيه بري وداوود داوود؟، وتساءل هل الفلسطينيون هم الذين قتلوا الإمام الحسين؟ وأجاب بأن كلا... وأضاف:

أنا لا أخفيكم أنا لدي تعليمات من الأخ القائد أبو عمار بعمل كل شيء من أجل منع انهيار أي من المخيمات، نحن نفهم صعوبة التحرك بالنسبة لكم في بيروت بسبب من السيطرة السورية هناك، في الجنوب لا وجود للسوريين. الطريق من جسر سنيق والمنطقة الصناعية في ضاحية صيدا الجنوبية حتى الرشيدية كلها مواطنون مسلمون من أتباعكم بإمكانكم التأثير عليهم، فتوى منكم ضد نبيه بري وداوود داوود نعتقد أنها كافية لفض المحيطين به من حوله).

ج- ويمضي الفلسطينيون في تصريحاتهم التي يشيرون من خلالها إلى أنهم يواجهون طائفة الشيعة كلها، وليس حركة أمل وحدها، فمنهم من يكتفي بالتلميح لأن منصبه يمنعه من التصريح. يقول ممدوح نوفل:

---

(١) وهي حارة شيعية تقع شرق صيدا.

(لسنا نحن من قتل الحسين بن علي)[١].

ينقل ممدوح نوفل عن أبي يحيى أحد وجهاء مخيم عين الحلوة قوله:

هل صحيح أن الجبهة قررت الانسحاب من مغدوشة.

فأجاب ممدوح:

لم نصعد لمغدوشة لكي ننزل منها، الصيفية هناك، وبرودة مغدوشة في الصيف حلوة.

علق أبو يحيى، ونحن نركب السيارات: هذه هي الأصالة. وأضاف: إن كل أهل عين الحلوة يحيونكم، ويحيون قيادة الجبهة الشباب الشجعان، وأمعن في التقريظ:

أنتم فلسطينيون أصلاء، وقيادة المنظمة على رأسنا، تاجنا حتى لو كره المتاولة[٢]، والأشقاء السوريون ومعهم جبهة الرفض كلها.

ينقل ممدوح عن قوات مغدوشة الفلسطينية قولهم له:

أنت جالس معهم [أي مع قيادة حزب الله] وقواتهم تهاجمنا مع قوات أمل، وأضاف التنصت اللاسلكي يؤكد مشاركة حزب الله في الهجوم، كما نقل عن حارسه قوله: الشباب في مغدوشة يقولون: إن حزب الله يشارك في الهجوم...

(١) كتاب: مغدوشة، قصة الحرب على المخيمات في لبنان، ممدوح نوفل. صفحاته: ٣٤٧، ٣٢٩، ٢٤٦، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣.

(٢) كتاب [مغدوشة]. مصدر سابق، ص:١٦٧، ويطلق على الشيعة في بلاد الشام اسم المتاولة.

والبرقيات الواردة على الجهاز كلها تقول: إن هذا الهجوم هو من حزب الله.

مصطفى سعد: قائد التنظيم الشعبي الناصري. والده معروف سعد الذي جرى اغتياله في ساحة النجمة في صيدا عام ١٩٧٥م، وهو زعيم صيدا، ورث مصطفى الزعامة عن أبيه. وكان لا يرى في هذه المسألة فرقاً بين حركة أمل وحزب الله. ففي اجتماع كبير بين تنظيمه وبعض قيادات منظمة التحرير الفلسطينية قال يخاطب قائد القوات الفلسطينية في لبنان:

(أنت تبحث في الاتجاه الغلط يا ممدوح. حزب الله لا يقل خطورة عليكم وعلينا على المدى البعيد، ولا يجوز أن يكون حزب الله هو المخرج. اطرحوا انسحاب الطرفين المتحاربين من مغدوشة، واطلبوا قوات من الحركة الوطنية بقيادة التنظيم الناصري. اطرحوا تسليم مغدوشة للجيش اللبناني على أن تختار صيدا عناصر القوة وقيادتها)[١].

وقال أبو ليلى وهو أحد قادة الجبهة الديمقراطية يلخّص موقفه وموقف مصطفى سعد وعدداً من المحاضرين:

(إن ناس حزب الله يتصرفون باعتبارهم جميعاً أبناء الإمام علي، وأبناء الإمام لا يقاتلون بعضهم بعضاً لأنه محرم عليهم هذا الصنف من القتال). وأضاف رمزي إلى ما قاله أبو ليلى: (إن المعلومات المؤكدة تقول: إن حزب الله يلعب لعبة مزدوجة وسخة، مع أهالي القرى السبعة تقول إن مقاتليه صامدون في مغدوشة وهم الذين منعوا الفلسطينيين من التقدم باتجاه الغازية وعنقون، ومعنا [الجبهة الديمقراطية] ومع فتح يقولون إنهم ضد نبيه بري وضد السوريين ويعدون بإرسال مشايخ إلى المخيمات.

(١) كتاب [مغدوشة]. مصدر سابق، ص: ٣٠٧ و ٣٣٥.

واعتبر رمزي أن حزب الله أخطر من أمل بكثير على الفلسطينيين لأنه قوة، ولاؤها غير لبناني وغير عربي، ولاؤها لإيران مئة بالمئة)[١].

وليد جنبلاط: زعيم الدروز السياسي أولاً وثانياً وثالثاً، ثم زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي، ثم زعيم ما يجدّ من أحزاب تخدم أمن وأطماع الطائفة الدرزية وليأذن لي القارئ الكريم التوسع بعض الشيء في نقل ما قاله في غرف مغلقة مع قيادة منظمة التحرير أو ما فهمه هؤلاء منه في اجتماعاتهم معه أثناء احتلال مغدوشة في عام ١٩٨٦م.

- يقول جنبلاط: (الإخوان في سورية لديهم تفويض أميركي. الأمريكيون غطسوهم في المستنقع اللبناني وقالوا لهم العبوا على راحتكم ولكن ضمن حدود الملعب المحدد، وأصول اللعبة المرسومة سلفاً)[٢].

- وقال جنبلاط: (إن نجاح حركة أمل في معركتها مع الفلسطينيين، يغريها ويشجعها على نقل المعركة للجبل، وقد تصل إلى المختارة... السوريون يلعبون بالمحرمات وقد تحرقهم في النهاية. اللعب بالمحرمات الوطنية والقومية، يحرق في النهاية أمهر اللاعبين، وقديماً قالوا من ينام على حد السيف بالسيف يُقتل.

يلعبون بالورقة الطائفية في لبنان، ويستخدمون الآن الورقة الشيعية ضد الفلسطينيين واللبنانيين ويعملون على تقوية التيار الشيعي واستنهاضه.. سورية لن

---

(١) مغدوشة، مصدر سابق، الصفحات: ٣٠٧ و ٣٧٤.

(٢) وهذا ما أثبته في الجزء الأول من كتابي [مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان]، وكذلك ما صرح به إلياس المر وزير الداخلية الأسبق.

تنجو من النار إذا استمرت في اللعب بالطائفية..).

- وعن حزب الله يقول: (إن حزب الله بدأ يتحرك خصوصاً في الجنوب، مفيد التعاطي الإيجابي معه، ولكن بيقظة وحذر شديدين. ونصح [الكاتب ممدوح] أن نستفيد نحن من موقف هذا الحزب، لأنه لا يمثل خطراً مباشراً علينا أو عليكم، ثم استدرك: لاحقاً لا نعرف كيف يتطور موقفه).

- ناقش الجانب الفلسطيني مع وليد جنبلاط مسألة احتلال مغدوشة، وكانوا متأكدين تأييده لها، وفعلاً ناقش الخطة باهتمام وأعطاهم موافقته، ثم ختم حديثه معهم بالقول:

(إذا نجحتم سأهاجمكم في الإعلام بعنف، وسوف أقول هذا تمدد فلسطيني خارج المخيمات ومؤشر خطير على العودة بالأوضاع إلى ما كانت عليه قبل ١٩٨٢م، أما إذا فشلتم وفشلت العملية فسأدافع عنكم بكل قوتي وسوف أزج إمكانات الحزب والطائفة في الدفاع عنكم وعن المخيمات، وسوف أرفع شعار إن ما يجري ضد المخيمات يدفع كل حر فلسطيني إلى الانتحار، وسأتحرك تجاه جبهة الإنقاذ للملمة الموضوع).

- وأسهب جنبلاط في حديث له مع الجانب الفلسطيني عن المخابرات السورية، وأنه لا يستطيع أن يتحدث مع صديقه جورج حبش في أي شأن سياسي خاص ولو كان ذلك في غرفة مغلقة، فكل شيء في دمشق قابل للاختراق، أما قادة الأحزاب السياسية في لبنان فيتسابقون في كتابة التقارير للجنرال علي دوبا أو لمن هو أقل منه رتبة في المخابرات السورية.. وهو في كل ما ذكر يبرر تناقضاته ومنها هجومه الشديد على ياسر

عرفات وزملائه في منظمة التحرير، بينما هو في السر يقيم معهم أوثق العلاقات.

- وفي لقاء مغلق لقيادة الجبهة الديمقراطية في لبنان قال ممدوح نوفل مفنداً الشبهات التي يثيرها زملاؤه ضده ومنها علاقته بوليد جنبلاط:

(وأكدت احترامي الشخصي لرأي وليد جنبلاط وصدقه في العلاقة معنا، وحرصه على سلامة المخيمات. صحيح أن الحزب التقدمي له مصلحة في حماية الحزب ورئيسه، ووليد له مصلحة في حماية طائفته من الهيمنة الشيعية، وله مصلحة في إضعاف نبيه بري. ولكن نحن أيضاً لنا مصلحة في ذلك، لاسيما وأن هذا البعبع بدأ بنا وليس بالدروز. نبيه يتمرجل على نساء وشيوخ وأطفال المخيمات وليس على مشايخ ونساء الطائفة الدرزية. وليد لم يطلب منا بدء المعركة ضد نبيه بري، بل هو الذي بدأ المعركة ضد أهلنا بتشجيع سوري)[1].

وفي التعقيب على تصريحات ومواقف وليد جنبلاط أكتفي بتسجيل الملحوظتين التاليتين:

الأولى: وليد جنبلاط الأمس، هو وليد جنبلاط اليوم، فهو يقدّم مصلحته ومصلحة طائفته وحزبه على كل مصلحة، ويدلي بتصريحات صارخة في العلن ثم يعمل بخلافها في السر، ويقول لحلفائه: انتبهوا سأقول عنكم غداً كذا وكذا. ويقول لحلفائه: انتبهوا سأقول عنكم غداً كذا وكذا. يقول مؤلف كتاب [مغدوشة]:

(الباطنية عند وليد جنبلاط ليست وليدة قناعاته الدينية أو بسبب انتمائه للطائفة

(١) كتاب [مغدوشة]. ممدوح نوفل، صفحات: ٥٤، ١٢٩، ٢٨٨.

الدرزية، بل هي جزء من اللعبة السياسية في لبنان، ومن لا يتقنها يدفع ثمناً غالياً يصل إلى حد الاغتيال. الباطنية والمراوغة وسرعة تبديل المواقف مدرسة متكاملة ينتمي إليها معظم السياسيين اللبنانيين من موارنة ودروز وشيعة وسنة.. إلى أن يقول: فالصراحة والوضوح في الحياة السياسية اللبنانية يساويان السذاجة والبله، وثمن ذلك باهظ. حياتك والأهداف التي يسعى الإنسان لتحقيقها تنتهي بسيارة مفخخة، أو بطلقات كاتم صوت، أو تكتيل قوى كبيرة ضدك وضد موقفك)[١].

الثانية: إذا كان وليد جنبلاط مع مصلحة طائفته، فقد كان بالأمس يقاتل مع حليفه نبيه بري فصائل ناصرية محسوبة على أهل السنة، وهو اليوم يدعم بطريقة أو بأخرى المنظمات الفلسطينية التي تقاتل أمل وشيعتها، ولا ندري غداً الجهة التي يدعمها؟!.

إلا أن وقائع التاريخ تؤكد بأن الموارنة هم الخصم الألد للدروز، أما أهل السنة فقد كانوا رسل سلام بين الطرفين، وليقرأ من شاء دور الأمير عبد القادر الجزائري في فتنة عام ١٨٦٠م، ودور أهل دمشق في وأد نار الفتنة بين الدروز والموارنة، وتقديم كافة أنواع الدعم للدروز.

وكان الدروز في صراع دائم مع كل من جيرانهم المتاولة والنصيريين.. وعلى ضوء هذه الوقائع التاريخية نستطيع أن نتفهم خفايا الأحداث التي تشهدها بلاد الشام.

الجانب الإيراني: كعادتهم في كل مسألة مهمة تتصل بالشأنين العربي والإسلامي، يصدرون مواقف متناقضة، وإذا جاءهم من يعترض على موقف من هذه المواقف، قالوا: هذا الذي أصدر هذا التصريح لا يعد من المراجع الرسمية، وليس لما يقوله

(١) كتاب [مغدوشة]. مصدر سابق، ص: ١١٣.

قيمة، ويصدق الدهماء من أبناء أمتنا مقولتهم، وإليكم أمثلة على ذلك:

ففي لبنان كانت ترافق المجازر التي ترتكبها حركة أمل ضد أبناء المخيمات الفلسطينية اجتماعات بين الفلسطينيين ووفد شيعي يضم قيادة حزب الله، وشيوخ الطائفة وشخصيات إيرانية. وقد نقل لنا ممدوح نوفل ما يحسن الاستدلال به:

- كان الأمين العام المساعد للجبهة الشعبية ياسر عبد ربه يتحدث بانفعال شديد عما يلقاه الفلسطينيون، وكانت كلماته مؤثرة جداً (بكى مِن وقْعِها عدد من المشايخ خصوصاً كبار السن منهم. وقد هتف أحدهم من شدة التأثر أن كفى يا أخي بالله عليك كفى)!

قلت: البكاء صنعة عند القوم، ولا أدري من أين يأتون بالدموع الغزيرة!

- يقول ممدوح نوفل: (بعد ذلك تحدّث الشيخ عباس الموسوي باسم حزب الله، وشنّ هجوماً صريحاً وعنيفاً على نبيه بري وجميع أركان قيادة حركة أمل، وأدان حصار المخيمات، وحمّل المسؤولية لسورية التي تدعم وتشجع بري على الجريمة. وقال: سلاحنا مستهدف كما سلاحكم وعرض التعاون بين حزب الله والفلسطينيين.. وأنهى حديثه بالقول: الوقت وقت عمل، وإخواني العلماء، وممثل الجمهورية الإسلامية سبقوني في الحديث، ونحن في حزب الله نوافق على كل ما قيل. والمهم صفاء النيات فيما بيننا، وسينصرنا الله على القوم الظالمين، وهذا وعد من الله الذي قال: ألا إن حزب الله هم الغالبون).

وفي جواب على أحد الأسئلة قال موسوي:

(إن بقاءنا في موقف المتفرج يفقدنا تأثيرنا في العديد من القرى، وأضاف: نبيه

بري الكافر [وكرر كلمة كافر، واستأذن العلماء بإطلاق هذا الحكم عليه] يحرض ضدنا، ويقول: إننا متواطئون معكم على ذبح الطائفة الشيعية)[١].

قلت: يتبيّن لنا مما سبق ذكره، ومما سيأتي الحديث عنه أن عباس الموسوي كاذب في كل ما قاله، وإذا كانت حركة أمل إيرانية شيعية من ألفها إلى يائها، فكذلك حزب الله، فهما من رحم واحد، ولكل منها دوره، والخلاف بينهما من قبيل التنافس، ولا يزال كذلك.

والذي أراده الموسوي والوفد المرافق له في لقائهم مع الوفد الفلسطيني أمران:

الأول: التفاوض على دخول مغدوشة من غير قتال، وهذا يتيح لهم حماية القرى الشيعية في شرق صيدا، ويحقق لهم مكاسب جمة خسرتها حركة أمل، وقد قالوا شيئاً من هذا للوفد الفلسطيني، وتحقق لهم ذلك.

الثاني: شهادة مزورة تثبت بأن الفلسطينيين طلبوا من الخميني التدخل لحماية المخيمات ووقف المجازر. وتحقق لهم ذلك أيضاً، فعندما قال ياسر عبد ربه بانفعال:

(إن لدينا نداء رسمياً موجهاً من أبناء المخيمات إلى السيد الإمام الخميني شخصياً، فهم يتمنون عليه التدخل وإرسال من يمثله من العلماء ليدخلوا المخيمات، ويقيموا فيها ويمنعوا المجازر وينقذوا ما يمكن إنقاذه).

تلقّف أبو أحمد رئيس الوفد الإيراني هذه الكلمة، وطلب نسخة من الرسالة الموجهة إلى الإمام الخميني، ووعد بأنه سيرسلها إليه. وأضاف:

---

(١) كتاب [مغدوشة]. مصدر سابق، صفحات: ٢١١، ٢١٥، ٢١٦.

(نريد استيضاح موقفكم من دور الجمهورية الإسلامية وتدخلها من الزاوية السياسية. وسأل عما إذا كنا نريد دوراً للجمهورية الإسلامية في معالجة حرب المخيمات؟ وإذا كنتم تريدون ذلك أعلنوا موقفاً رسمياً في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى. أرسلوا لنا مذكرة، فهذا يساعدنا في الحديث مع السوريين ومع نبيه بري)[1].

أين كان أبو أحمد والخميني وحزب الله من هذه الحرب التي تحدث عنها العالم بأسره، ولماذا لم يأت هذا التحرك إلا بعد أن أوشكت الحرب على الانتهاء، وحقق المعتدي مبتغاه، ومثل إيران الخميني كمثل القاتل الذي يمشي بجنازة القتيل. وأين كان أبو أحمد والخميني عندما عقد اجتماع جماهيري في مسجد مخيم برج البراجنة، وقرر الأهالي أكل لحم القطط والكلاب والحمير إن وجدت، ووجهوا برقيات إلى شيوخ السنة والشيعة والدروز يطلبون منهم إصدار فتوى رسمية وعلنية بهذا الشأن، وأن يتوجهوا مع نفر من المشايخ والعلماء والمؤمنين إلى المخيم ليروا بأعينهم الأطفال الرضع الذين يشارفون على الموت جوعاً بعدما جف الحليب في صدور الأمهات، ويشاهدوا حجم المآسي والدمار الذي لحق بالناس وممتلكاتهم؟!. بل وأين أبو أحمد والخميني من عملية الإبادة التي تعرض لها أهل المخيمات والتي تحدثنا عنها فيما مضى من هذا البحث.

لندع أبا أحمد والرسالة التي أخذها من أهل المخيمات، وننتقل إلى الحديث عن الموقف الرسمي الإيراني. فشهر العسل بين منظمة التحرير وإيران انتهى في نهاية عام ١٩٨٠م عندما تبيّن للخميني أن قائد منظمة التحرير الفلسطيني ياسر عرفات لن يكون ورقة يستخدمها كيفما يشاء وفي أي وقت يشاء. ولهذا فقد بدأت إيران

---

(١) مغدوشة، مصدر سابق، ص: ٢١٤.

وحلفاؤها يوجهون الضربة تلو الأخرى للمنظمة، وكان من أهم هذه الضربات شق منظمة فتح، [وفتح كما هو معروف مركز الثقل في منظمة التحرير] والقسم المنشق صار يسمى بفتح الانتفاضة، ثم شق الحلفاء منظمة التحرير، وصار اسم [المنتوج] السوري الإيراني [جبهة الإنقاذ الفلسطينية]، ثم أصبحت إيران تسمّي منظمة التحرير الحقيقية [العرفاتيون]. وهذا الذي فعله الحليف الإيراني- السوري إنجاز لم تحلم به كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

ومما يجدر ذكره أن عودة السلاح الفلسطيني كان سبب الحرب الظالمة التي شنتها أمل ومن وراءها على المخيمات الفلسطينية، وحرب كهذه لا يمكن أن تكون كل من سورية[1] وإيران في منأى عنها، وفيما يلي بعض الشواهد التي وردت في صحيفة النظام الإيراني الرسمية [كيهان]:

- ندَّد إمام جمعة طهران وحجة الإسلام والمسلمين السيد علي الخامنئي بالتحركات المشبوهة التي يقوم بها بعض المأجورين ممن يسمون بالقادة الفلسطينيين، وهم منهمكون في الملذات في الخارج، ويحاولون إيجاد الاضطرابات في لبنان، وحذّر هؤلاء قائلاً:

إن نفس هؤلاء المأجورين يقومون اليوم بخلق الفوضى والاضطرابات في لبنان من خلال تحريك الفلسطينيين في المخيمات.

نقلت كيهان فقرات من هذه الخطبة في ٦/ ١٢/ ١٩٨٦م أي بعد ثلاثة شهور من ذاك الاجتماع الذي بكى فيه شيوخ الطائفة الشيعية على ما أصاب أبناء فلسطين في

---

(١) اكتفيت بالأدلة التي ذكرتها فيما مضى من هذه السلسلة على الدور الخبيث الذي لعبته سورية الباطنية ضد الفلسطينيين ومخيماتهم وقضيتهم التي هي قضية كل مسلم.

مخيماتهم، وحمّلوا مسؤولية هذه الكارثة للمجرم نبيه بري كما وصفه بعضهم، وللكافر نبيه بري كما أفتى الأمين العام الأسبق لحزب الله- عباس الموسوي، وكل هذا خداع وتضليل ينسخه ما قاله خامنئي في خطبته الآنفة الذكر لأنه كان رئيساً لجمهورية إيران، وإمام جمعة طهران، وموضع ثقة الخميني ومرشداً للثورة من بعد موته.

خامنئي يحمّل مسؤولية حرب المخيمات لمن سماهم بالمأجورين المشبوهين من قادة منظمة التحرير، ولم يوجه أي اتهام أو نقد للجزار نبيه بري ومساعديه من قادة حركة أمل الشيعية، وهو بهذا الموقف المنحاز منسجم مع موقف بلده وقيادته من منظمة التحرير الفلسطيني ومن العرب أجمع.

وحزب الله بعد دخوله مغدوشة بالتنسيق مع الفلسطينيين، وبعد أن قويت شوكته أصدر بياناً يطالب فيه القوات الفلسطينية بمغادرة الأراضي اللبنانية، وهذا ما تنشده إسرائيل وحلفاؤها، وهذا أيضاً خلاف ما تتبجح به إيران وتوابعها في البلاد العربية. إنه من غير شك فضيحة، ولهذا حاول الحزب وسادته في طهران امتصاص النقمة فأصدروا توضيحات. نشرت صحيفة كيهان في عددها تاريخ ٦/ ١٢/ ١٩٨٦م شيئاً منها:

(القوات الفلسطينية التي دعاها حزب الله اللبناني في بيان أخير له إلى مغادرة الأراضي اللبنانية هي فقط القوات التي لا تبدو مستعدة لوقف إطلاق النار ووقف نزيف حرب المخيمات والتي تدين بالولاء الأعمى لزعامة عرفات الخيانية.. ومن هنا فبيان حزب الله لا ينطوي على أي تغيير جوهري في مواقفه بالنسبة لضرورة مساندة كل الأجنحة الفلسطينية التي لم تتخلَّ عن إيمانها بالكفاح المسلح في مواجهة

إسرائيل الغاصبة، بل إن التغيير الكبير الملحوظ في مواقف قيادة عرفات والفصائل التابعة له بتنسيقها المباشر مع أمين الجميّل والقوى المسيحية التي تعادي طموحات المسلمين اللبنانيين المشروعة هو الذي يبرر حالياً الطلب منها الابتعاد عن الأراضي اللبنانية وترك اللبنانيين كافة يقررون مصيرهم بأنفسهم).

قلت: إن القوم فقدوا الحياء والخجل. فمن الذي تعاون مع بشير الجميّل ثم مع أخيه أمين الجميّل؟!، إنه وكما أثبتنا في هذه السلسلة: موسى الصدر ونبيه بري. ومن ثمرات هذا التعاون المشبوه انضمام اللواء السادس اللبناني إلى حركة أمل في احتلالها لبيروت الغربية ثم في حربها ضد المخيمات الفلسطينية، ويبقى طلبهم إخراج القوات الفلسطينية من لبنان هو طلب من يخدم مخططات معروفة لا تخدم ديننا ولا أوطاننا.

وساءهم موقف جبهة الإنقاذ الفلسطينية من حرب المخيمات. لقد رأى الجند من قوات جبهة الإنقاذ أن المستهدف في هذه الحرب هم الآمنون من سكان المخيمات، وأن الفظائع التي ترتكب أشد هولاً من الفظائع التي ارتكبتها قوات حزب الكتائب والقوات الإسرائيلية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد بدأ هؤلاء الجند يستردون الوعي الذي فقدوه منذ أكثر من ثلاثة أعوام! فياسر عرفات ليس بهذا السوء، والحلف الإيراني السوري ليس أكثر من سراب يحسبه الظمآن ماءً، ولهذا فقد خاض كثير منهم غمار هذه الحرب دفاعاً عن نسائهم وأطفالهم، فغضبت إيران وهددت وتوعدت سورية الباطنية، ومن هذا التهديد ما نشرته كيهان في عددها ٢٩/ ١١/ ١٩٨٦م، تحت عنوان [لتسمعنا جبهة الإنقاذ]:

(.. ثم لنا كلمة مع الكوادر والقيادات الفلسطينية التي لا تؤمن إيماناً أعمى بخط

عرفات، وتتحفظ على مساوماته.. على هذه القيادات المعنية الحريصة على إبقاء قضيتهم حية في ضمير الشعوب، وفي ضمير المواطن اللبناني المتخندق أمام قوات الاحتلال الإسرائيلي، عليها أن توجه نارها وكلمتها ضد قيادة عرفات التي تغتنم فرصة الاقتتال الدموي في المخيمات، وتسعره عبر تغذيته المستمرة بالسلاح والأفراد الذين يجري شحنهم إلى مناطق المخيمات بدعم من أمين الجميل والمليشيا المسيحية التي لها مصالح معروفة في إبقاء قتال المخيمات متواصلاً إلى فترة طويلة تكفي للقضاء على همم المتقاتلين وطاقاتهم التي يلزم حشدها ضد العدو الإسرائيلي المشترك.

ولهذا يكون من المرفوض تماماً أن تبدي القيادات الفلسطينية في جبهة الإنقاذ أدنى ميل للسقوط في المطب الذي رسمه عرفات لاستدراجهم واستغلالهم بنحو سيىء جداً إلى سمعتهم وأمانتهم، وسيرفع من رصيد هذا الرمز الخياني في عالم المساومات والصلح مع الصهاينة)[1]

قصارى القول: فإن إيران وتوابعها وحلفاءها اختزلوا حركة فتح ومنظمة التحرير والشعب الفلسطيني بمصطلح جديد أسموه [العرفاتيون]، ووصفوا العرفاتيين بالخيانة والتآمر، وافتعال معارك جانبية لإشغال الناس عن المعركة الكبرى التي يجب أن تجتمع عليها الأمة من أجل تحرير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي، مع أن العرفاتيين كانوا أول من ذكَّر الأمة بوجوب الجهاد، وكان عرفات أول من تسلل إلى فلسطين، وأطلق الرصاصة الأولى على العدو الصهيوني.

---

(١) كيهان، انظر الأعداد تاريخ: ٨/ ١١/ ١٩٨٦، ٢٩/ ١١/ ١٩٨٦، ٦/ ١٢/ ١٩٨٦، ٧/ ٢/ ١٩٨٧.

وعرفات كان أول من أحسن الظن بهؤلاء، فدربهم في معسكراته، وساعدهم في تأسيس حركة أمل، وكانوا يثنون عليه ويعترفون بفضله عليهم، وهذا أسلوب انفرد به الباطنيون عن سائر خلق الله.

نعود إلى الحديث عن الدبلوماسي الإيراني [أبو أحمد] والرسالة التي حملها إلى الخميني من سكان المخيمات يطالبونه بالعمل من أجل وقف العدوان عليهم.

جاءت هذه الرسالة بعد أن استنفذ العدوان أغراضه تحت سمع وبصر ودعم القيادة الإيرانية وتوابعها من حزب الله وشيعة لبنان، وليس بعد ذلك إلا تأدية دور الوسيط الحيادي. وعلى الفور بدأت القيادة الإيرانية أول فصول الرواية فأرسلت وفداً برئاسة آية الله جنتي، تدارَسَ الوضع عند وصوله إلى بيروت، ووضَعَ أطراً لقمع الفتنة وخنقها في مهدها (وهذه رواية صحيفة كيهان)، ولم تكن وساطته في مهد الفتنة، وإنما في نهايتها، وجاء دور المشي بجنازة القتيل، وذرف دموع التماسيح عليه.. ثم واصل المهمة ممثل الجمهورية الإسلامية في إيران السيد عيسى الطباطبائي، والشيخ محمد العارفي ممثل الحركة الإسلامية [أي أهل السنة].

ولماذا الشيخ محمد العارفي الذي لا يملك شيئاً يقدمه، وهو من كان شاهداً على حصار مخيم الرشيدية، ولم يستطع أن يقدّم لهم أرغفة من الخبز يسدون بها رمقهم، عندما كانوا يقتاتون الأعشاب من شدة جوعهم، ورأى بعينيه أن قوات حركة أمل غطاء لعدوان الطائفة كلها، وأجرت معه الصحف مقابلات تحدث فيها بصدق وصراحة عن الحصار الظالم المفروض على المخيمات. كان العارفي يعلم حق العلم أن زملاءه الشيعة في تجمع علماء لبنان لو اعتصموا داخل هذه المخيمات البائسة لما

استطاعت قوات أمل أن تطلق عليهم رصاصة واحدة. فكيف لو شارك في هذا الاعتصام بعض آيات ومراجع قم وطهران؟!.

نعود إلى السؤال نفسه: لماذا الشيخ العارفي، وفي هذا الوقت بالذات؟!.

الشيخ محمد العارفي عضو ناشط في تجمع علماء لبنان، وهذا التجمع خليط من الشيعة، ومن السنة المؤيدين لإيران، والغالبية العظمى من دعاة وعلماء أهل السنة كانوا من المفتونين بنظام الآيات، ومن أبرز هؤلاء: الجماعة الإسلامية، وحركة التوحيد الإسلامي، ومن أشهر الدعاة والشيوخ: أمين عام الجماعة الإسلامية آنذاك فتحي يكن، ورئيس حركة التوحيد الإسلامي سعيد شعبان، ومحمد العارفي(١)،

(١) في مقابلة لمجلة المجلة [العدد، تاريخ ٤-١٠/ ٢/ ١٩٨٧م] مع الشيخ محمد العارفي، قال عما شاهده في مخيم الرشيدية (من الناحية التموينية: كيف أصفها وكيف أعبّر عما رأيت؟ ٦٠٪ من بيوت المخيم على الأرض مدمرة، لا يمكن تصور معنى أن أقول لكِ: تدخلين بيوتهم فلا تجد ملحاً! أنا لا أتكلم عن الرز والسكر أو الطحين، بل أقول لكِ إنك لا تجدين حتى الملح. وبعد عدة أيام من دخولي المخيم والأهالي لا يأكلون سوى الحشائش: الهندباء، العلت، والكزبرة والدردار وسواها. يأكلون الفجل والبصل والليمون. وقبل أيام من مغادرتي المخيم كانت هذه المزروعات قد استهلكت من داخل المخيم ومن المناطق القريبة. وفي المدة الأخيرة كم من الشهداء والأسرى والجرحى سقطوا في محاولة الحصول على بعض منها.

مرة كنت أتمشى قرب مقبرة المخيم، فصادفت فتاة في الثامنة من عمرها. سألتها عن اسمها فقالت: أحلام، وعما تفعله هنا. قالت: أبحث عن عشب الدردار! والعشب في المقبرة ملوث، وتكثر النفايات حوله. سألتها لماذا لا تذهبين إلى الأماكن التي يكثر فيها الدردار الكبير النظيف؟ وبحزن أجابت: نفذ من الأماكن القريبة، والأخرى بعيدة وتقع قرب الدشم [دشم حركة أمل]=

ماهر حمود، وشيوخ آخرون منهم من هداه الله إلى الحق فعاد إلى رشده، ومنهم من لا يزال بوقاً لإيران يهتف لها مؤيداً لها في كل قرار تتخذه، ولا أدري هل تشيع هؤلاء، وطلبت منهم إيران كتمان تشيعهم ليستمروا في تضليل أهل السنة، لكنهم وبالتأكيد شيعة من الوجهة السياسية، وأكبر مثال على ذلك الشيخ ماهر حمود. والخطورة في تجمع العلماء أنه صار يردد ما تريده إيران أن ينتشر بين أهل السنة، وهذا الذي يردده غير متهم بينهم لأنه من علمائهم، فالفلسطينيون الذين يتعرضون للإبادة في مخيماتهم اسمهم [العرفاتيون]، والحرب الشرسة التي تدور رحاها بين طرفين غير متكافئين ليست عدواناً من أمل وشيعتها وحليفها السوري ضد المستضعفين من أبناء المخيمات الفلسطينية، إنما هي حرب بين المنافقين على حد زعمهم.

نشرت كيهان في عددها تاريخ ١٣/ ١/ ١٩٨٧م بياناً صادراً عن تجمع علماء لبنان وهذا مختصر لما جاء فيه:

(... شجب البيان الأحزاب اليسارية وعملاء عرفات المؤججين للاشتباكات في طرابلس.. وأكد على أن المذبحة التي ارتكبت بحق النساء والأطفال الأبرياء على يد عدد من المخربين من عملاء عرفات لا يمكن تبريرها أبداً.. وأعرب تجمع علماء الدين اللبنانيين من جديد عن تأييده لاقتراح جمهورية إيران الإسلامية بشأن المخيمات، ودعا كافة المتخاصمين لبذل قصارى جهدهم في رعاية وتنفيذ المشروع..).

لا يختلف هذا البيان في شكله ومضمونه عن سائر البيانات الصادرة عن قيادة

=وأنا لا أريد أن أطلبها من إخوتي الشباب حتى لا يقتلوا، كما لا أستطيع الذهاب لقطفها، فالقناص لا يفرق بين مسلح وفتاة صغيرة).

النظام الإيراني. فالنقد يوجه لعرفات وللعرفاتيين، ولا يتعرضون لنبيه بري بأي نقد أو ذم.. وهؤلاء [تجمع العلماء] وأمثالهم هم الذين ضللوا الناس، وكانوا بثنائهم المطلق على ثورة إيران، وعلى حزب الله أرضية لانتشار التشيّع في أوساط أهل السنة.

الوطن العربي: ١٥/ ١/ ١٩٨٢



خميني ـ عرفات: صورة من «الأرشيف».

الفصل السادس

الملاحق

الملحق الأول

حقيقة انتصار حزب الله [١]

المرحلة التي سبقت تأسيس الحزب

انسحاب القوات الإسرائيلية من جنوب لبنان في الأسبوع الأخير من الشهر الماضي [٢] والذي جاء قبل موعده المحدد، كان مناسبة استثمرها قادة الطائفة الشيعية من العرب والعجم استثماراً نادر المثال، لاسيما وأن القوم يعرفون كيف يستغلون مثل هذه المناسبات.

لقد دعوا إلى مهرجانات خطابية في كل دولة ومدينة، بل في كل حي من الأحياء، ومن أهم ما قيل بهذه المناسبة: الحديث الذي أدلى به الأمين العام لحزب الله اللبناني لإحدى الفضائيات العربية التي يستمع إليها عشرات الملايين من الناطقين بالعربية، ويبدو أن نصر الله قد أعد حديثه إعداداً جيداً، وعرف كيف يدغدغ عواطف المستمعين، كما عرف كيف يغمز من قناة الآخرين، والآخرون بالتأكيد ليسوا من أبناء طائفته.

تفاعل الناس، كل الناس مع القائد المنتصر، وأسبغوا عليه ألقاباً وأوصافاً ما سمع بمثلها صلاح الدين بطل حطين، ومحرر القدس من رجس الصليبيين، وأقول: ما سمع

---

(١) كتبت هذا البحث بعد انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان في الشهر الخامس من عام ٢٠٠٠م ونشرته في مجلة السنة، وأُعيد نشره في ملحقات هذا الكتاب لتعم الفائدة منه إن شاء الله.

(٢) شهر أيار من عام ٢٠٠٠ م.

بمثلها صلاح الدين مع علمي بأن الشيعة يكرهونه غاية الكره، لكنني لا أعرف أن عندهم بطلاً مثل صلاح الدين أو أقل لنشبه نصر الله به، وذلك لأن للقوم موقفاً سلبياً من الجهاد كله ليس هذا موضع الحديث عنه، وإن كان طلاب العلم من السنة والشيعة يعرفونه.

ولا أعدو الحقيقة عندما أقول: لا أعرف حدثاً معاصراً أيده الحكام والمحكومون من الأوربيين الشرقيين والغربيين، والعرب، واليهود كهذا الحدث، ولكل فلسفته في هذا الشأن:

- فاليهود تخلصوا من ورطة كلفتهم عدداً كبيراً من الضحايا، كما كلفتهم بلايين الدولارات.
- والأوربيون - على مختلف دولهم - يحرصون على استقلال لبنان، ولا يتم هذا الاستقلال إلا إذا خرجت القوات العسكرية التي احتلته، ولهذا فهم يطالبون بخروج القوات العسكرية السورية بعد الإسرائيلية.
- وأجهزة إعلام الحكومات العربية بالغت في نفاقها لحكومتي سورية ولبنان اللتين تدعمان حزب الله.
- وأحزاب الشيطان وأعوانه وجدوا في هذا الحدث مادة خصبة للهجوم المسف على دعاة وجماعات أهل السنة.. هؤلاء - على حد زعمهم - الذين لا يعرفون إلا ترويع الآمنين، والتآمر على سلامة المواطنين، وإثارة النعرات الطائفية، وزرع الخوف والإرهاب في كل مكان تطؤه أقدامهم.
- وكثير من الجماعات والهيئات الإسلامية السنية، أقاموا المهرجانات والاحتفالات في قليل من الدول التي تسمح بمثل هذا النوع من الأنشطة، وأرسلوا برقيات التأييد والتهنئة لقادة حزب الله مشفوعة بأسمى آيات التبجيل والتعظيم .. وإن تعجب فأعجب لقول أحد قادة هذه الجماعات لحسن نصر الله: إنك مجدد هذا العصر،

وآخر يقول: إنك قدوة لشباب الإسلام .. يحدث هذا وملايين الناس يستمعون، وحق لأتباع هؤلاء القادة الذين ابتليت بهم أمتنا في آخر هذا الزمان أن يقولوا:

هذا والله هو الإسلام [الشيعي] وهؤلاء هم الرجال والقادة والعلماء!! ترى ألم يتعظ أصحابنا من تسرعهم في تأييد ثورة الخميني، لاسيما وأن كلاً منهم ناله طعنات من غدر الشيعة بهم، ووقوفهم إلى جانب أعدائهم، وفي جلساتهم المغلقة يقولون الكثير ويشكون بمرارة مما يجعلنا نشعر أحياناً أنه لا فرق بين مواقفنا ومواقفهم، لكنهم لا يقولون شيئاً يغضب الشيعة في العلن، ويا ليت حظنا عندهم مثل حظ الشيعة.

اعتدنا في مثل هذه الساعات الحرجة أن يضيق أصحابنا ذرعاً من حوارنا معهم، ويردون علينا قائلين:

هل تريدون منا أن نقول: لا، لم يقاتل الشيعة في جنوب لبنان، ولم يقدموا ضحايا، وبالتالي: لم ينتصروا، ولم يرغموا الجيش الإسرائيلي على مغادرة لبنان قبل الموعد المقرر؟!.

مهلاً يا إخواننا: إننا ما أردنا ولا نريد بخس الناس حقوقهم، وندرك جيداً أن الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نقول الحق كما أمرنا بالعدل في أمورنا كلها، وحاشا لله أن ننكر بأن حزب الله قاتل العدو الصهيوني، وألحق به ضربات موجعة، وكسر كبرياءه وغطرسته، وحرم المواطنين اليهود في شمال فلسطين الأمن والأمان طيلة عقد ونصف من عمر الزمن.

وإذا كنا نعترف بقتال حزب الله للجيش الإسرائيلي المحتل، فإننا نريد أن نضع هذا القتال في إطاره الصحيح دون زيادة ولا نقصان، وفصله عن هذا الإطار تشويه لتاريخنا الحديث، ومسخ للحقيقة، واستهتار بعقول أبناء أمتنا، ومن أجل وضع الأمور في إطارها الصحيح دعونا نبدأ القصة من أولها:

- منذ أن أذن الله لنا بالجهاد سلَّ سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - سيوفهم وانطلقوا في مختلف أرجاء الأرض ينشدون إحدى الحُسنيين: النصر أو الشهادة، وكان فتح فلسطين على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ من ثمار هذا الجهاد المبارك.

وعرف المسلمون طوال مراحل التاريخ كيف يحافظون على المسجد الأقصى، وليس بيننا من يجهل سيرة البطل صلاح الدين الأيوبي، الذي استطاع تحرير الأقصى من رجس الصليبيين بعد استعمار نكد دام مائة عام، والرافضة من أشد أمم الأرض كرهاً لهذين القائدين العظيمين: عمرو بن العاص، وصلاح الدين الأيوبي.

- بعد الحرب الكونية الأولى دخلنا في صراع مرير مع الإنكليز الذين احتلوا فلسطين واستعمروها، ومع اليهود الذين سهلَّ لهم الإنكليز أمر إقامة وطن قومي لهم في أرضنا المباركة.

كان علماؤنا الأفاضل يقودون الأمة في مسيرة جهادها التي أخذت أشكالاً مختلفة، ونذكر من بين هذه الأسماء: الشيخ الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى ورئيس الهيئة العربية العليا، والشيخ كامل القصاب، والشيخ عز الدين القسام، ثم الشيخ حسن البنا، والشيخ مصطفى السباعي، والشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ محمد محمود الصواف رحمهم الله وأسكنهم فسيح جنانه.

- ولا نعرف للشيعة مشاركة في هذا الجهاد المبارك، بل ومن المؤسف أن شيوخهم في هذه المراحل كانوا مشغولين بتأليف الكتب التي يتهجمون بها على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وكانوا يسفّون في شتم أبي هريرة ﷺ، وأقرب مثال على ذلك ما كتبه علّامتهم في جبل عامل عبد الحسين شرف الدين، أما إيران الشاه فكانت على علاقة

وثيقة مع إسرائيل، ومعظم آيات الشيعة كانوا من المؤيدين للشاه.

أستثني من ذلك علّامتهم في العراق - كاشف الغطاء - وأسماء قليلة جداً شاركت في المؤتمرات التي صارت تعقد في الخمسينيات من أجل فلسطين، ولكن هذه المشاركة شيء آخر غير الجهاد.

- التجأ عدد كبير من الفلسطينيين إلى لبنان بعد الهزيمة التي منيت بها الجيوش العربية في عام ١٩٤٨، واستوطنت الغالبية العظمى منهم في بيروت وجنوب لبنان، ثم تضاعف هذا العدد بعد حرب أيلول ١٩٧٠ بين منظمة التحرير والجيش الأردني، وانتقال عدد كبير من أعضاء المنظمة إلى لبنان، وما كانت لبنان لتقبل هؤلاء الوافدين الجدد لولا ضغط دول الجامعة العربية من جهة، وتعاطف أهل السنة حكاماً ومحكومين داخل لبنان من جهة أخرى.

- تزايدت العمليات الفدائية التي تنطلق من الجنوب اللبناني ضد العدو الصهيوني بعد عام ١٩٧٠، ولم تكن معدومة قبل هذا التاريخ، وكان الجانب النصراني في لبنان ضد العمل الفدائي، ومن الأدلة على ذلك استقالة رئيس الوزراء رشيد كرامي (٢٤ نيسان ١٩٦٩) احتجاجاً على اشتباكات الجيش المدعوم من رئيس الجمهورية شارل الحلو مع منظمة التحرير. وفي ٢٣/ ١١/ ١٩٦٩ جرى توقيع اتفاق القاهرة بين العماد أميل البستاني قائد الجيش اللبناني وياسر عرفات رئيس منظمة التحرير. وقد أجاز هذا الاتفاق لمنظمة التحرير استخدام منطقة العرقوب لشن حرب عصابات ضد إسرائيل.

وجملة القول كانت العلاقات بين الجيش وقوات الأمن اللبنانية من جهة، ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى دائمة التوتر، لكنها لم تكن كذلك مع معظم رؤساء

الوزارات اللبنانية.

- مما يجدر ذكره أن قوة منظمة التحرير تتمثل بحركة فتح، وحركة فتح لم تكن شيئاً لولا دعم الإسلاميين لها، ومعظم الذين شاركوا في إنشائها كانوا من الإخوان المسلمين أو من اتجاهات إسلامية أخرى، ونذكر من بينهم: خليل الوزير، آل الحسن [خالد، وعلي، وهاني]، محمد يوسف النجار، توفيق النتشة.

وإذا كان الفساد قد نخر عقول وقلوب قادة فتح إلا من رحم ربي منهم، وهم قليل، ففي قواعدهم رجال صالحون قُتِلَ كثير منهم بعمليات فدائية، ومن جهة أخرى فقد قبلت فتح أن تكون غطاء لجناح إسلامي(١) يعمل بشيء من الاستقلالية، وكان وجود هذا الجناح في الجنوب اللبناني سبباً من أسباب توتر العلاقات بين فتح ونظام الحكم في دمشق، الذي كان يتهم هذا الجناح بتنفيذ عمليات ضد النظام النصيري.

وخلاصة القول: فقد كان أهل السنة داخل لبنان وخارجه يتعاطفون ويتعاونون مع منظمة التحرير، ويُعتَبرونَ عمقاً لها، أما غير أهل السنة فيمد يده إليهم عندما تكون له مصلحة، وينأى بنفسه عنهم عندما تكون لهم معه مصلحة.

- فتحت منظمة التحرير صدرها للشيعة في جنوب لبنان، وكان لها صلات وثيقة مع رئيس المجلس الشيعي الأعلى موسى الصدر، والصدر مواطن إيراني أرسله مدير الأمن العام الإيراني الجنرال بختيار إلى لبنان بمهمة ظاهرها ديني دعوي مع أنه لا يعد من علماء الشيعة،

---

(١) كانوا يسمون: حركة الجهاد الإسلامي، وليس لهم علاقة بالجماعات التي تسمى بهذا الاسم في الوطن العربي، وقدم هؤلاء الإخوة بطولات منقطعة النظير عند الاجتياح اليهودي للبنان عام ١٩٨٢ م.

وباطنها سياسي طائفي، والذين انتدبوه لهذا الغرض سهلوا له طريق الوصول إلى القصر الجمهوري، وإقامة علاقات مريبة مع رئيس الجمهورية فؤاد شهاب وبطانته [أقطاب النهج]، وخلال فترة قصيرة تمكن الصدر من الحصول على الجنسية اللبنانية بموجب مرسوم جمهوري، وأنشأ عدداً كبيراً من المدارس والنوادي والجمعيات والحسينيات، في سائر أنحاء مناطق الشيعة، وجعلها مركزاً لأنشطته.

وفي عام ١٩٦٩ أنشأ الصدر المجلس الشيعي الأعلى، وأصبح رئيساً له، وكان ذلك بعد وصوله بعشر سنين، وكان للسنة والشيعة مجلس واحد قبل هذا التاريخ [١٩٦٩].

وفي عام ١٩٧٣ شكل الصدر منظمة أمل، واسمها قبل الاختصار [أفواج المقاومة اللبنانية]، وما كانت هذه المنظمة لتنشأ لولا احتضان منظمة فتح لها، وفتح مراكزها لتدريب الشيعة المنتمين إليها.

وفي هذا العام ١٩٧٣ ساءت علاقة الصدر مع أجهزة الأمن الإيراني، فانتقل إلى صفوف المعارضة، وأخذ أصدقاؤه في فتح يدربون أتباع الخميني، وكان مصطفى شمران مسؤولاً عن هذه الأنشطة، ويساعده الدكتور صادق الطبطبائي، وصادق قطب زاده، وعباس زاني [أبو شريف]، ومعظمهم تولوا مناصب وزارية أيام حكم نظام الخميني(١).

قصارى القول: الإيرانيون الشيعة الوافدون إلى لبنان هم الذين أسسوا حركة أمل، وما نبيه بري إلاّ تلميذ ضمه أستاذه مصطفى جمران إلى تنظيمه الذي أسسه في

---

(١) من المصادر التي اعتمدت عليها: وجاء دور المجوس، الجزء الأول، وكتاب إيران في ربع قرن للدكتور موسى الموسوي وهو إيراني شيعي وخبير بأمر القوم، وكتاب الحروب السرية في لبنان لأنطوان بصبوص وآني لوران.

[كاليفورنيا] عام ١٩٦٦ وسماه [رابطة الطلبة المسلمين][(١)]، ولم يكن للأستاذ وتلميذه قبل هذا التاريخ توجهات إسلامية.

المؤامرة:

قلت فيما مضى: تفاعل أهل السنة في لبنان مع منظمة فتح تفاعلاً كبيراً، وكل من كان يزور لبنان، ويتفقد مدنه وقراه ومخيماته لابد وأن يلمس آثار هذا التفاعل في خطب العلماء ودروسهم، وعلى ألسنة الطلبة في معاهدهم وجامعاتهم، وفي تصريحات السياسيين [من المتسبين للسنة] رغم اختلاف ميولهم.

قد يقال لأحدهم: أما ترى انحياز قادة منظمة التحرير للاتجاه اليساري العلماني، فيجيبك: بلى، ولكن فتح تختلف عن المنظمات الأخرى التي لا تشكل ثقلاً في القرار الفلسطيني، ومن جهة أخرى فقضية فلسطين عندنا فوق كل اعتبار.

أما غير أهل السنة فمواقفهم كانت عدائية، وإن كانت أساليبهم مختلفة، فمنهم من ركب موجة الجبهة الوطنية اللبنانية [ومنظمة التحرير عضو في هذه الجبهة] ثم انقض عليها أو تخلى عنها في أحرج الأوقات، ومن الأمثلة على ذلك: دروز جنبلاط، وشيعة موسى الصدر، ومنهم من جاهر بعداوته منذ البداية، وحاولت فتح أن تستميلهم ففشلت، ومثالنا على ذلك نصارى لبنان وبالأخص الموارنة.. وما زالت الاحتكاكات تتطور بينهم وبين المنظمة إلى أن وصلت الأمور إلى حرب أهلية بعد مجزرة [عين الرمانة] في ١٣/ ٤/ ١٩٧٥ م.

---

(١) الحروب السرية في لبنان، ص: ٢٦٤.

وفي ٥/ ٦/ ١٩٧٦ دخلت القوات السورية إلى لبنان، وكان أسد يوهم كل طرف من أطراف الصراع في لبنان بأن هذا التدخل لمصلحته، كما كان يردد القول داخل سورية بأنه ما غامر ولا تدخل إلا لإنقاذ المقاومة الفلسطينية، ففي خطاب ألقاه بدمشق في ٢٠/ ٧/ ١٩٧٦ في اجتماع مجلس المحافظين قال:

(في يوم من الأيام انهارت جبهة المقاومة [الفلسطينية] والأحزاب الوطنية، وأرسلوا إلينا الصرخات ونداءات الاستغاثة.. إلى أن يقول: وتبين لنا أن الجهد السياسي وتقديم السلاح لم ينقذ الموقف، إذاً ليس أمامنا إلا أن نتدخل بشكل مباشر. كنا أمام خيارين آنذاك: إما ألاّ نتدخل فتسقط المقاومة في لبنان، وإما أن نتدخل فننقذ المقاومة، ونتعرض لاحتمال الحرب مع إسرائيل.. ثم قال: إنه تدخل تحت عنوان جيش التحرير الفلسطيني، وتبعته قوات من الجيش السوري)[1].

هل تدخل الأسد لإنقاذ المقاومة الفلسطينية؟، وهل هو من أصحاب المغامرات الذين يتدخلون ولو أدى هذا التدخل إلى حرب مع إسرائيل؟.

حافظ أسد ضابط طيار، والطيار دقيق في حساباته، ومن جهة أخرى فالذين يعرفونه يؤكدون بأنه ليس من أصحاب المغامرات، وليس وارداً البتة أن يزج بنفسه في حرب مع إسرائيل بسبب حفنة من المشاغبين الفلسطينيين.

وهو في مسألة تدخله في لبنان، لم يتدخل إلا بعد مضي أكثر من عام على حرب دموية مدمرة، وبعد حصوله على تفويض من جامعة الدول العربية، بل قدمت له هذه الدول

(١) المسلمون في لبنان، محاضر اجتماعات قمة عرمون خلال الحرب الأهلية، للشيخ حسن خالد رحمه الله، دار الكندي، بيروت: ١٩٧٨.

مساعدات مغرية مقابل قبوله التدخل في لبنان، ومن جهة أخرى، فقد طالبت جهات لبنانية كثيرة بتدخله، وفي مقدمة هؤلاء: السلطة، والموارنة، والشيعة، وآخرون غيرهم.

ومع ذلك لم يغامر أسد لأن إسرائيل لم تأذن له:

صرح وزير حرب إسرائيل شمعون بيريز لصحيفة معاريف [٨/ ١/ ١٩٧٦] بأن إسرائيل لن تبقى مكتوفة الأيدي، في حال حدوث أي تدخل سوري في لبنان. وجاء التدخل الأمريكي بعد هذا التصريح:

نقلت وكالة اليونايتد برس من واشنطن [يوم ٢٧/ ١/ ١٩٧٦] ما يلي:

(إن وزارة الخارجية الأمريكية أكدت بأنها تقوم بنقل الرسائل من الكيان الصهيوني إلى سورية، حول الوضع في الجنوب اللبناني، وقال فردريك براون المتحدث باسم الوزارة في تصريح للصحفيين: إننا على اتصال مع حكومات سورية وإسرائيل ولبنان، وإننا نراقب الوضع عن كثب. واعترفت الصحف الإسرائيلية بأن اتصالات من هذا النوع قد جرت، **وأوضحت أن سورية أكدت لمسؤولين أمريكين، أن وجود قواتها في الجنوب إنما يستهدف المقاومة واليساريين اللبنانيين**).

وتحدث كيسنجر أمام لجنة الاعتمادات بالكونغرس فقال:

(إن الولايات المتحدة تلعب دوراً رئيسياً في لبنان، وإننا شجعنا المبادرة السورية هناك، إن الوضع يسير لصالحنا ويمكن رؤية خطوط تسوية).

وبمثل هذا القول، قال المتحدث بلسان البيت الأبيض [رونالد نيسين]، والمتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية.

وتغير الموقف الإسرائيلي بعد الدور الذي لعبه المسؤولون الأمريكان بين كل من سورية ولبنان وإسرائيل، والذي لا نعلم عنه إلا القليل، فوزير الحرب -بيريز- الذي كان يعارض التدخل أصدر تصريحاً لوكالات الأنباء في ٢/ ٦/ ١٩٧٦ قال فيه:

(التدخل السوري موجه ضد ياسر عرفات وحلفائه، والقوات السورية دخلت الشمال والوسط وليس الجنوب).

وقال موشيه دايان:

(إن على إسرائيل أن تظل في موقف المراقب حتى لو غزت القوات السورية بيروت واخترقت الخط الأحمر، لأن غزو القوات السورية للبنان، ليس عملاً موجهاً ضد أمن إسرائيل) [وكالة الصحافة الفرنسية ٥/ ٦/ ١٩٧٦].

وأعلن رئيس وزراء إسرائيل إسحاق رابين في تصريح نقلته إذاعتهم:

(إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان. فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين، وتدخلنا عندئذٍ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين، ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحسنة بالنسبة لنا).

إسرائيل لا تلقي القول على عواهنه عندما تقول على لسان وزير دفاعها: إن هدفنا هو نفس هدف دمشق بالنسبة للمسألة اللبنانية، وأوربا وأمريكا لا يوافقون على التدخل السوري إلا إذا قامت الأدلة القطعية عندهم التي تؤكد أنه ضد منظمة التحرير ولمصلحة النصارى.

أما نصارى لبنان، فالنصيريون حلفاء لهم منذ القديم، وكان هذا الحلف يبرز بشكل

واضح عندما يكون المسلمون في حالة ضعف، فبعد الحرب العالمية الأولى كان النصيريون يطالبون بالانضمام إلى لبنان لأنهم لا يثقون بالمسلمين، وجاء الرفض من بعض أطراف الموارنة ومن فرنسا التي خشيت من الإنكليز وحلفائهم في سورية ولبنان [الدروز، وبعض النصارى كالبروتستنت، وبعض المسلمين المثقفين ثقافة غربية إنجليزية]. ورغم بقاء جبال النصيرية ضمن سورية، فقد بقيت علاقات وثيقة بين العوائل المارونية والعوائل النصيرية، وكانت فرنسا مرجع الطرفين.

وإذا كانت العلاقات بين الموارنة والنصيريين قديمة، وترعاها فرنسا وسيدة الجميع أمريكا (!!)، فليس من المستغرب أن يطلب زعماء الموارنة من النظام النصيري بدمشق التدخل ضد منظمة التحرير والقوى الوطنية، ففي ٩/ ٨/ ١٩٧٦ أعلنت وكالات الأنباء الخبر التالي: (وصل كميل شمعون زعيم الوطنيين الأحرار وزير الداخلية اللبناني إلى دمشق على متن طائرة هيلوكوبتر للتباحث مع حلفائه السوريين، ولتنسيق العمل العسكري في لبنان ضد المقاومة والقوات التقدمية، وأعلن شمعون أنه يثق ثقة كاملة بالرئيس السوري، أما بيار الجميل فقد صرح في بيروت أن سورية هي الدولة الوحيدة التي يمكنها أن تفرض السلام في لبنان). وهناك تصريحات كثيرة صادرة عن الموارنة سبقت هذا التصريح وتؤدي نفس المعنى، ومن جهة أخرى فإن المبعوث الأمريكي الذي كان ينسق ما بين دمشق وإسرائيل كان يلتقي بزعماء الموارنة، فيطلعهم على ما يجري، ويستمع إلى وجهة نظرهم وينقلها إلى الأطراف المعنية.

لننتقل إلى الحديث عما جرى على أرض الواقع بلبنان بعد التدخل السوري لنرى:

هل دخلت قوات أسد إلى لبنان لإنقاذ المقاومة من الهلاك والهزيمة الماحقة كما كان

يدعي أمام المواطنين في سورية وفي بعض المحافل العربية، أم كان يريد تنفيذ المخطط الذي جاءت تصريحات اليهود والأمريكان والموارنة لتفضحه؟!، وسأتوخى الإيجاز قدر الاستطاعة، كما سأتوخى تغطية الأحداث منذ دخول القوات السورية، وحتى خروج المقاومة الفلسطينية والوطنية من لبنان.

- شق نظام أسد منظمة التحرير، فمنظمة الصاعقة وجهت بنادقها إلى صدور رفاقهم في منظمة التحرير، ثم شق فتح، ثم الجبهة الشعبية -جورج حبش-.
- شق الحركة الوطنية، فخرجت منها حركة أمل ومنظمة البعث وآخرون، وحسب تدبير مسبق أوعز موسى الصدر لضباط الشيعة العاملين في صفوف جيش لبنان العربي، فانفصلوا عنه، وكان انفصالهم وهم الذين يتولون مسؤوليات مهمة فيه ويعرفون أدق أسراره، ضربة قاتلة لهذا الجيش الذي كان يُعد أملاً من آمال الحركة الوطنية، وكان قد تمكن قبل دخول القوات السورية من السيطرة على معظم الأراضي والمواقع اللبنانية.
- انتصرت القوات السورية الغازية على القوات الوطنية والفلسطينية في كل من البقاع، وعكار، والجبل، وصيدا، وفرضت الحصار المحكم على كل: من البر والبحر والجو، ومنعت الأسلحة والمؤن من الوصول إلى قوات الحركة الوطنية.
- وقعت معارك بين الدروز والموارنة، وبين الشيعة والموارنة، لكنها كانت قليلة، ولها أسبابها، أما العدو المشترك طوال هذه الحرب فهم أهل السنة اللبنانيون والفلسطينيون، وتناوب على حربهم: اليهود، القوات النصيرية، الموارنة، أمل بدعم قوي من الشيعة، الدروز، وكانت بعض هذه القوى تتعاون وتنسق فيما بينها، وقد يكون هذا التنسيق علنياً ميدانياً، وقد يكون غير مباشر عن طريق وسيط آخر،

وأقوى الوسطاء وأكثرهم فاعلية الأمريكان عن طريق مبعوثهم الدائم في المنطقة.

وهذه هي لغة الأرقام:

- انفرد الموارنة باحتلال وتدمير المخيمات التالية: الكرنتينا، جسر الباشا، برج حمود، وكانوا يتلقون الدعم من إسرائيل، ومن الجيش اللبناني.
- انفردت القوات النصيرية باحتلال البقاع، وعكار، والجبل، وصيدا [كما رأينا فيما مضى]، وما كان ذلك ممكناً لولا انشقاق الشيعة وعملاء النظام السوري عن المقاومة والحركة الوطنية.
- دفع النظام النصيري عملاءه الفلسطينيين أمثال المنشقين من فتح وأحمد جبريل لمواجهة إخوانهم في مخيمي البداوي ونهر البارد، فسقط المخيمان في نهاية عام ١٩٨٣، وكانت الخسائر في الأموال والأرواح فادحة، كما أن عملاء سورية كانوا واجهة وستاراً للقوات السورية الغازية.
- حاصرت قوات الموارنة مخيم تل الزعتر في أواخر حزيران من عام ١٩٧٦، وثبت سكان المخيم ثباتاً مشرفاً، وسقط المخيم في ١٤/ ٨/ ١٩٧٦، وكانت القوات الإسرائيلية والنصيرية متورطة في هذه المجزرة، أما القوات الإسرائيلية فقد كُشف النقاب عن تورط وزير الدفاع شمعون بيريز في جلسة من جلسات الكنيست الإسرائيلية، أما تورط القوات السورية فتحدث عنه ضباط عرب كانوا مشاركين فيما سمي بقوات الردع العربية. قال الملازم محمد خليل من القوات الليبية:

(إنها مؤامرة تستهدف المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في لبنان، وكما نرى بأعيننا تفاصيل المعركة سياسياً وعسكرياً نقول: إن الذين ينفذونها كثيرون، وإن النظام السوري متورط فيها). [ولينظر من شاء شهادة آخرين في كتاب أمل

والمخيمات الفلسطينية، ص: ٤٣].

- شاركت في الهجوم على طرابلس في الأسبوع الأخير من الشهر التاسع عام ١٩٨٥ كل من القوات الآتية: القوات النصيرية، ميليشيا النصيريين في حي [بعل محسن] أو الحزب العربي الديموقراطي، الحزب السوري القومي، الحزب الشيوعي، منظمة حزب البعث، وساهمت القوات اللبنانية في هذه الحرب إذ منعت نقل المحروقات والطحين إلى طرابلس، وسقطت المدينة في ٦/ ١٠/ ١٩٨٥ بعد معارك دامية.
- مذبحة صبرا وشاتيلا: جاءت بعد مقتل بشير الجميل، وإذا كان قاتله نصراني وقومي سوري، وسورية أسد هي المحرض، فما علاقة فلسطينيي صبرا وشاتيلا حتى يتعرضوا لانتقام القوات اللبنانية؟!.

كانت هذه القوات تقتل الشباب والشيوخ والأطفال، وكانت القوات اليهودية تحميها، وهذا ما شهد به العالم، وشهدت به معارضة حكومة بيغن، وعلى إثرها أبعد شارون عن وزارة الحرب.

هاجمت قوات أمل مخيمي صبرا وشاتيلا، وارتكبت فيهما مجازر أبشع من التي ارتكبها اليهود والقوات اللبنانية، فحتى المرضى في مستشفى غزة لم يسلموا من المجزرة، ومما زاد من هول المذبحة وبشاعتها، انضمام اللواء السادس في الجيش اللبناني لحركة أمل لأن أفراده وقيادته من الشيعة، وليقرأ من شاء الفظائع التي ارتكبتها قوات أمل في صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة في كتاب [أمل والمخيمات الفلسطينية، ص: ٨٩ - ١٠٩][1].

---

(١) هذه السلسلة [مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان] تضمنت أهم ما ورد في كتاب [أمل والمخيمات الفلسطينية].

قام القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية بإذاعة تقرير حول المجازر التي ارتكبتها قوات أمل، وبعد نشر هذا التقرير وجهت المنظمة التي تطلق على نفسها اسم [الجهاد الإسلامي] تهديداً لمراسلي الصحف الأجنبية، فاضطرت هيئة الإذاعة البريطانية إلى سحب مراسليها الثلاثة خوفاً على حياتهم.

ومنظمة [الجهاد الإسلامي] ستار كان حزب الله يتوارى خلفه عند بداية تأسيسه.

لقد شهد العالم أجمع [عربه وعجمه] أن هدف القوات السورية والقوات الإسرائيلية من دخول لبنان إخراج المقاومة، وكانت هذه القوات تنسق فيما بينها في اجتماعات سرية أو عن طريق وسيط، فليبيا بذلت جهداً مضنياً من أجل إنقاذ المقاومة، ومكث رئيس وزرائها عبد السلام جلود وقتاً طويلاً يتنقل بين دمشق ولبنان محاولاً التوسط، وحل الخلاف بطريقة سلمية، لكنه وجد أبواب دمشق مغلقة، وها هو ورئيسه يتحدثان عما توصلا إليه من نتائج:

قال معمر القذافي: (ليبيا تقف إلى جانب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، وتعارض التدخل العسكري السوري في لبنان، لقد حذّرنا سورية من تصرفها هذا، وإذا كانت سورية تريد السلام الآن على حساب الفلسطينيين، وتريد تصفية المقاومة الفلسطينية، فلا يمكننا أن نلزم الصمت، ونعتقد أن من الخيانة الوطنية محاولة تصفية المقاومة الفلسطينية، وإننا نأمل أن تعيد سورية النظر في موقفها).

وقال عبد السلام جلود: (هناك مؤامرة عربية ودولية ضد المقاومة الفلسطينية

والحركة الوطنية في لبنان، وقد وقع الاختيار على النظام السوري لتنفيذ هذه المؤامرة)[1].

وهذه الشهادة جاءت من نظام صديق وحليف لسورية في تلك المرحلة، وهناك جهات عربية وإعلامية أخرى هاجمت النظام السوري واتهمته بتنفيذ مخطط مشبوه ضد القضية الفلسطينية.

وفي ٨/ ٩/ ١٩٧٦ نشرت التايم اللندنية مقالاً تحت عنوان: إسرائيل تشارك في حرب لبنان سراً جاء فيه:

(إن التفاهم غير المعلن بين إسرائيل والنظام السوري، بسحب قواته العسكرية المتواجدة في الجبهة، ونقلها تدريجياً إلى لبنان وإلى الحدود مع العراق).

وأضافت المجلة: (إن هذه التدابير قد وضعت الإسرائيليين في الجانب الذي يقف فيه النظام السوري بعد تدخله الفعلي إلى جانب قوى اليمين، والذي يتعهد بالأساس، بتصفية الفدائيين الفلسطينيين، تمهيداً لفرض تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط، وتقوم إسرائيل بفرض حصار يجري على عدة موانئ لبنانية يسيطر عليها الوطنيون وخاصة مينائي صيدا وصور لمنع وصول الأسلحة إلى الوطنين والمقاومة. لقد استطاعت إسرائيل بعملها هذا الحصول على سيطرة فعلية، على شريط من الأرض جنوب لبنان يمتد حتى نهر الليطاني.

وقالت المجلة: (إن عدداً من أركان النظام السوري الحاكم حضروا الاجتماع الموسع

---

(١) الموقف الليبي عام ١٩٧٦ نقيض الموقف الليبي عام ١٩٨٢م، وهكذا القذافي في تغيير مواقفه، وكل من يبحث هذه المسألة يجد نفسه عاجزاً عن فهمها.

الأخير، بين شمعون بيريز والقوى اليمينية في جونية، حيث شجع المباحثات بيريز، على إمضاء ليلة على سفينة الشحن التي أقلته إلى لبنان).

كان التدخل الإسرائيلي سرياً في لبنان عام ١٩٧٦، ثم بدأ يميل شيئاً فشيئاً إلى العلنية حتى جاء الاجتياح الإسرائيلي إلى لبنان في: ٤/ ٦/ ١٩٨٢، وفرضت القوات الإسرائيلية حصاراً على بيروت الغربية لم تشهده من قبل، وما رفعوا الحصار حتى خرجت المقاومة من لبنان، وعندما كان بعض الفلسطينيين [الذين احتفظوا بعلاقات لا بأس بها مع أسد ونظامه] يطلبون من أسد التدخل لرفع الحصار عنهم، كان يقول لهم: (إنه ليس هناك كيان فلسطيني، وليس هناك شعب فلسطيني، بل سورية وأنتم جزء من الشعب السوري، وفلسطين جزء لا يتجزأ من سورية، وإذن نحن المسؤولون الممثلون الحقيقيون للشعب الفلسطيني) [هذه وصيتي لكمال جنبلاط، ص: ١٠٥].

أما ما قاله أسد لمبعوث عرفات: (أريد أن تهلكوا جميعاً لأنكم أوباش).

ثمة سؤال لا نشعر أننا أعطينا الموضوع حقه دون الإجابة عليه: هل كانت خسائر أهل السنة قاصرة على خروج المقاومة، وعلى المذابح التي تعرض لها الفلسطينيون في مخيماتهم؟!.

لا، ليس الأمر كذلك، فالدبابات النصيرية التي كانت تجوب شوارع صيدا تحصد أرواح المدنيين، وتقصف واجهات المحلات التجارية، وتوقع خسائر مذهلة في مبنى المستشفى الكائن في ضاحية من ضواحي صيدا الجنوبية، أقول: إن المعتدين يعلمون أن صيدا لبنانية وليست فلسطينية، ومعظم سكانها من السنة.

وطرابلس التي استباحها النظام النصيري لبنانية سنية وليست فلسطينية، وكذلك بيروت الغربية التي اقتصر حصار إسرائيل عليها وحدها، دون أن يتعرض سكان بيروت

الشرقية لأي أذى.

وبينما كانت بيروت الغربية تضمد الجراحات التي خلفها الحصار اليهودي، وتظن أن الغمة قد فُرِجَتْ، إذ بـها تفاجأ باجتياح قوات أمل وقوات جنبلاط لحماها، ويرتكب الغزاة الجدد من الفظائع التي لم يرتكبها اليهود من قبل، ثم يقع صراع بين طرفي الغزاة أيهم يسيطر على مساحة أكبر وأهم.

ولم يسلم كبار العلماء من طغيان النظام النصيري حيث أقدمت قواتهم على اغتيال مفتي لبنان الشيخ حسن خالد رحمه الله، مع أن الرجل كان مسالماً، ثم اغتالت الشيخ صبحي الصالح وهو الرجل الثاني في المؤسسة الإسلامية السنية، وجدير بالذكر أن الشيخين الفاضلين ليس لهما أدنى صلة بالسلاح وحملته، لكنه الحقد الباطني ضد أهل السنة.

ومع خروج المقاومة الفلسطينية أجبروا القوات اللبنانية السنية [وإن كان قادة هذه القوات ليسوا من السنة[1] في شيء] على مغادرة لبنان: كالمرابطين، وجماعة شاكر البرجاوي، وغيرهم وغيرهم.. وهناك مئات إن لم أقل آلاف من شباب أهل السنة المتمسكين بدينهم، العاملين من أجل رفع راية الإسلام، استطاعوا الفرار من لبنان هائمين على وجوههم لا يدرون أين يضعون عصا التسيار، ومن لم يحالفه الحظ في الهروب، كان مصيره السجن، وما أكثر السجون في سورية، وما أشد بشاعتها.

وبخروج القوات السنية من الفلسطينيين واللبنانيين، طُوي شعار تحرير فلسطين، كل فلسطين من البحر وحتى النهر، ورفعت كل دولة عربية تحرير ما احتلته إسرائيل عام ١٩٦٧ م، وأُغلِقَ بابُ الجهاد بوجوهنا، ولكن إلى حين إن شاء الله، فإيماننا بانتصارنا على

(١) أقول ليسوا من السنة في شيء، ولا أقول ليسوا من الإسلام في شيء.

اليهود، وتحرير قدسنا قوي لا تهزه العواصف، ولا توهنه نوائب الدهر.

إننا لا نستغرب غدر الموارنة، ولا خبث وكيد الباطنيين، لكننا نستغرب ضحالة فكر وعلم المغفلين من أهل السنة الذين يفصلون الحدث عن ماضيه، ويصفقون للذين قد قتلوا بالأمس أطفالهم، وبقروا بطون أخواتهم، وتناسوا تعاون هؤلاء!! مع اليهود، ووقوفهم صفاً وحداً يتزعمه الأمريكان، هدفه منعنا من الجهاد، بل تشويه صورة الجهاد، وتسمية الأمور بغير مسمياتها[١].

(١) ورد حديثنا عن التعاون السوري الإسرائيلي الشيعي وبشكل موسع فيما مضى من كتابنا الأول [مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان].

ولادة حزب الله

مع إطلالة عام ١٩٨٢ م شهدت الساحة اللبنانية ولادة حزب شيعي جديد منافس لحركة أمل. إيران التي صنعت هذا الحزب من ألفه إلى يائه كانت لها أسباب تدعوها إلى ذلك:

منها أن موسى الصدر وإن كان قريب الخميني وأحد تلامذته، فنهجه يختلف عن نهج أستاذه. فالأول مرن لا يغلق بابه بوجه أحد، أما الثاني فمتشدد والأصل أن بابه لا يفتح إلا بإذن.. وجاء نبيه بري بعد تغييب الصدر فرفع شعار العلمانية، وهذا لا يناسب الوضع الجديد في إيران.

ومنها: أن حركة أمل لم تعد مقبولة عند الدروز والسنيين، وكذلك فبينها وبين الحركات الوطنية واليسارية صراعات تصل إلى القتال المسلح، وليس من مصلحتها أن تتبنى ورقة محروقة، ومع ذلك فمرجعية أعضائها في إيران، ومنها تتلقى مساعدات مجزية، وتستمر في تأدية دور يعجز عنه حزب الله.

سفير إيران في لبنان حجة الإسلام فخر روحاني تحدث عن بعض هذه المعاني في مقابلة أجرتها معه صحيفة اطلاعات الإيرانية في نهاية الشهر الأول من عام ١٩٨٤، يقول روحاني عن لبنان:

(لبنان يشبه الآن إيران عام ١٩٧٧، ولو نراقب ونعمل بدقة وصبر، فإنه إن شاء الله سيجيء إلى أحضاننا، وبسبب موقع لبنان وهو قلب المنطقة، وأحد أهم المراكز العالمية، فإنه عندما يأتي لبنان إلى أحضان الجمهورية الإسلامية، فسوف يتبعه الباقون).

ويضيف قائلاً:

(لقد تمكّنا عن طريق سفارتنا في بيروت من توحيد آراء السنة والشيعة حول الجمهورية الإسلامية والإمام الخميني، والآن غالبية خطباء السنة يمتدحون[1] الإمام الخميني في خطبهم).

(وسئل عن نبيه بري فقال: إنه عضو في السي، آي، إيه [المخابرات الأمريكية]، وكان انتخابه رئيساً لمنظمة أمل بحماية السفارة الأمريكية.

ويتابع حديثه عن أمل:

(أمريكا تدعم عملاءها مباشرة أو عن طريق التابعين لها، وإلا فكيف يمكن تفسير قيام الجزائر بدفع خمسين مليون دولار لمنظمة أمل؟ ما هي علاقة الجزائر؟ بلد سني[2] في شمال أفريقيا يقوم بدعم الشيعة في لبنان، ظاهرة فريدة وحسنة.. ولكن أنا أعرف بأن أمريكا وراء دعم الجزائر للشيعة) اهـ.

ونقلت صحيفة النهار اللبنانية [١١/ ١/ ١٩٨٤] عن السفير نفسه - روحاني - قوله: (لبنان يشكل خير أمل لتصدير الثورة الإسلامية).

---

(١) وقد صدق في قوله هذا.

(٢) لينظر المتعالمون من أبناء قومنا إلى قول هذا السفير: (وإلا فكيف يمكن تفسير قيام الجزائر بدفع خمسين مليون دولار لمنظمة أمل؟ ما هي علاقة الجزائر بلد سني في شمال أفريقيا يقوم بدعم الشيعة في لبنان؟). إنه تفكير طائفي متزمت يجري في دماء الشيعة، وكل موقف يقفونه لابد وأن ينطلقوا فيه من هذا المنطلق. أسأل الله تعالى أن يشرح صدور أبناء قومنا للحق، وأن يهديهم سواء السبيل.

قلت: حجة الإسلام فخر روحاني من السفراء المعدودين في إيران، وقد أدلى بهذه التصريحات بعد انتهاء عمله في لبنان، ولكنه كان يعني ما يقول، وعندما سألت جريدة [إطلاعات] رئيس الوزراء في تلك الفترة [مير حسين موسوي] عن هذه التصريحات أيدها، وأشاد بسعة معلومات روحاني، وعمق خبرته في الشأن اللبناني، أما وزارة الخارجية فكانت طبيعة عملها تقتضي مجاملة الحكومة اللبنانية وعدم الاصطدام معها، ومثل هذه التناقضات محسوبة وكثيرة بين أوساط المسؤولين الإيرانيين.

* * *

وإذا كان لبنان بوابة إيران إلى البلدان العربية.. وإذا كان هذا الحزب الجديد سيكلف بمهمات أكبر من حجم لبنان.. وإذا كان الحزب الجديد لن يتمكن من منافسة منظمة أمل إلا إذا كان مدعوماً دعماً قوياً من إيران.. إذن لابد وأن يتولى الخميني بالذات هذه المهمة، وهذا الذي حدث:

- منذ الاجتياح الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢ بدأت قوات الحرس الثوري الإيراني تتسلل إلى لبنان عن طريق سورية وبالتنسيق معها، وأقامت هذه القوات مخيمين لتدريب الشيعة: الأول في الزبداني، وهي بلدة سورية على حدودها مع لبنان، والثاني في بعلبك اللبنانية، وكانت القوات السورية تشارك في التدريب، وفي تنظيم دخول قوات الحرس الثوري إلى لبنان بدون تأشيرة، وهل يستطيع الأمن اللبناني محاسبة السوريين عن مثل هذه الأمور؟!.

ولابد لنا هنا من تسجيل الملحوظات التالية:

كان المسلمون العرب من أهل فلسطين، والجزيرة العربية، ومصر، وبلاد الشام، والمغرب العربي يسعون من أجل دخول لبنان، والانضمام إلى القوات التي تدافع عن

بيروت الغربية، وعن الجنوب المحتل.. كان هؤلاء الأحرار يطرقون جميع الأبواب، وهم لا يريدون غير إغاثة أطفال المسلمين ونسائهم، وغير الموت في ساحة الوغى، وكان النظام النصيري لا يسمح لأي منهم مجرد المرور من سورية إلى لبنان.. أخبرونا بالله عليكم أيها المغفلون من أبناء قومنا: لماذا يغلق هذا النظام الخبيث الأبواب بوجه كل ما هو سني، ويفتحها على مصراعيها أمام كل ما هو شيعي؟!.. أجيبوا أيها المعجبون بحزب الله، وبكل ما هو شيعي خميني:

لماذا يرفض هذا النظام اللحية السنية ويقبلها إذا كانت شيعية؟!.

نعود إلى الحديث عن تأسيس حزب الله:

- على هامش [المؤتمر الأول للمستضعفين] اجتمع الخميني بعدد من علماء ودعاة الشيعة الذين شاركوا في هذا المؤتمر، وكان من بينهم: محمد حسين فضل الله، صبحي الطفيلي، وممثل حركة أمل في طهران إبراهيم أمين، وتدارس معهم الخطوات الأولى اللازمة من أجل إنشاء هذا الحزب الجديد.
- عاد الوفد إلى لبنان، وكثّف من اتصالاته مع وجهاء وعلماء الطائفة الذين لم يشاركوا في لقاء طهران، ثم تكرر لقاؤهم بالخميني، ووضعوا وإياه الخطوط العريضة لحزب الله. يقول أحمد الموسوي في مقال له بمجلة الشراع: (من أنتم.. حزب الله [٢]):

(ثم استكملت الخطوط التنظيمية الأولى باختيار هيئة قيادية للحزب ضمت ١٢ عضواً هم: عباس الموسوي، صبحي الطفيلي، حسين الموسوي، حسن نصر الله، حسين خليل، إبراهيم أمين، راغب حرب، محمد يزبك، نعيم قاسم، علي كوراني، محمد رعد، محمد فنيش.

ولم يكن هؤلاء وحدهم نواة التأسيس لحزب الله، إنما كان معهم عشرات من الكوادر والشخصيات الإسلامية الأخرى من حركة أمل، وحزب الدعوة، وقوى ومجموعات تبلورت شخصيتها الإسلامية السياسية مع الثورة الإسلامية وقائدها الإمام الخميني، وكوادر أمنية أخرى ما زالت أسماؤها طي الكتمان).

فمن هذه الشخصيات التي بقيت أسماؤها طي الكتمان، ولم يعلن عنها؟!، تقول كثير من المصادر المختصة: كان من بين هذه الأسماء رئيس المجلس الشيعي الأعلى محمد مهدي شمس الدين، ومحمد حسين فضل الله، ولقد جاء في كتاب [الحروب السرية في لبنان]: (يتولى الخميني أعلى المسؤوليات في لبنان، ونظراً لبعده عن لبنان، فهو يفوض صلاحياته التشريعية والتنفيذية والقضائية إلى نائبه محمد مهدي شمس الدين الذي يرأس لجنة ولاية الفقيه)، وهناك أسماء أخرى يحافظون على سريتها، ويحرصون على عدم ارتباطها العلني بحزب الله، ومن الأمثلة على ذلك الأسماء التي كانت تحمّلها أجهزة المخابرات العربية والغربية مسؤولية الأعمال الإرهابية كخطف الرهائن والطائرات.

وهناك أنصار للحزب في أوساط أهل السنة مثل الشيخ سعيد شعبان وحركته - التوحيد - وتجمع العلماء، ومنظمة الجهاد الفلسطينية، حتى أن بعض هؤلاء كان يتهم بالتشيع.

ومركز قيادة الحزب الفعلية لا الشكلية هي السفارة الإيرانية، ومن الأطراف التي كانت تشارك في اجتماعات قيادة الحزب وفي اتخاذ القرارات، سفير إيران السابق في دمشق -محتشمي- وقائد الحرس الثوري في لبنان.

- حزب الله اللبناني عضو في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، الذي تأسس في طهران

عام ١٩٨١، أما بقية الأعضاء فهم: الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، ومنظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية، و حزب الدعوة العراقي، وحركة العمل الإسلامي العراقية، وحركة أمل الإسلامية -حسين الموسوي- وهذه الحركة جزء من حزب الله، أما المحافظة على اسم آخر فكان من قبيل التقية.

ويجتمع أعضاء المجلس الأعلى للثورة الإسلامية اجتماعات دورية في طهران، وبحوزتهم عدد من معسكرات التدريب موزعة بين إيران وسورية ولبنان، ففي إيران لهم أربعة معسكرات، وفي سورية اثنان: معسكر السيدة زينب، ومعسكر الزبداني، وفي لبنان: معسكر الشيخ عبد الله، ومعسكر الدركي، وكلاهما في بعلبك.

فنحن إذن أمام تنظيم عالمي يرعاه الخميني أو من يمثله، والمنظمات التي يتألف منها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية تؤدي مهمة مزدوجة: الأولى محلية، والثانية عالمية، والقيادة طهران الآيات[1].

- وخلال أشهر قليلة، وُلِدَ وترعرع في لبنان حزب يعتبر من أكبر وأغنى الأحزاب اللبنانية على الإطلاق بما فيها حزب الكتائب الذي مضى على تأسيسه أكثر من خمسين عاماً.. كيف حدث ذلك؟!.

الذين يثيرون مثل هذا السؤال يعرفون الجهود المضنية التي يبذلها كل من أراد أن يشكل حزباً سياسياً، فهو من جهة لابد له من صياغة مبادئ مقنعة لهذا الحزب، ومن جهة أخرى لابد له من إقناع الناس بجدوى هذه المبادئ، وقدرتها على منافسة الأحزاب الأخرى، وقد يمر عقد أو عقدان، دون أن يتطور هذا الحزب، ويحتل مكان الصدارة في

---

(١) عن مجلة [جون أفريك] الفرنسية، العدد الصادر في منتصف فبراير ١٩٨٤.

ميادين الأنشطة السياسية.

لكن هؤلاء الذين يثيرون مثل هذا السؤال يجهلون أن الإمامية -الاثني عشرية- هم أقرب ما يكونون إلى الحزب، فمراجعهم من الآيات يتولون مركز قيادة الطائفة، والمتمسكون بدينهم من أبناء الطائفة هم قاعدة هذا الحزب، وحتى غير المتمسكين بدينهم لبعضهم دور داخل هذا التنظيم، أما المناهج والأهداف، والتستر خلف شعارات براقة تستقطب الجماهير [التقية]، فللقوم باع طويل في هذا المجال، وخبرة عريقة عمرها هو عمر التاريخ الإسلامي.

وعندما جاءت الأوامر والتعليمات من آية الله روح الله الخميني، قال معظم شيعة لبنان سمعاً وطاعة للإمام وحكومته، فكم نتمنى أن يفهم المنظرون الفلاسفة من أصحابنا معلومات كافية عن عقائد الشيعة وآياتهم وطبيعة تكوينهم.. وكم نتمنى أن يدركوا أهمية المرجعية في نشأة وتطور الطوائف والأحزاب والجماعات، ولو أدركوا ذلك لوفروا على أنفسهم هذه الأوقات والجهود التي يهدرونها، وجعلوا القضية الأولى في مسيرتهم الدعوية هي قضية المرجعية.

أما التمويل المادي لحزب الله فقد تكفلت به قيادتهم في إيران، ويقول المختصون بالشأن الإيراني أن هذه المساعدات بلغت في بداية رئاسة رفسنجاني الثانية حوالي [٢٨٠ مليون دولار]، وهذا غير السلاح والعتاد الحربي الذي كان يشحن لهم عن طريق سورية، ومن الأرقام الأخرى التي تذكر [١٢ مليون] في الشهر، ويقول علي نوري زاده: بلغت المساعدات عام ١٩٩٣ [١٦٠ مليون]، وجاء في كتاب الحروب السرية:

(بلغت الأجرة الشهرية للمقاتل خمسة آلاف ليرة لبنانية، وهي أعلى أجرة تقاضاها

مقاتل في لبنان عام ١٩٨٦، لدرجة أن مقاتلي أمل راحوا بهدف الكسب يهجرون صفوف الحركة للانخراط في حزب الله، وهذا الأخير يجني موارده أيضاً من الزكاة ومن ابتزاز الأموال من التجار المسيحيين أو من الذين لا يلتزمون بالتعاليم الإسلامية [الحلاقين والخياطين وأصحاب الملاهي] وكذلك من خطف الرهائن، فضلاً عن ذلك جاء في تقرير دبلوماسي فرنسي أن حزب الله في البقاع قد استولى على الأراضي المسيحية فيها لنشر زراعة الخشخاش)[١].

فعلى الذين يحلو لهم أن يقارنوا ما بين حزب الله والأحزاب السنية الإيرانية أن يضعوا في حسبانهم تركيبة الطائفة الشيعية من جهة، وحجم الدعم الذي كانت إيران تقدمه لفرعهم في لبنان، ومن الأمثلة على ذلك أن عدد الخبراء والمدربين الإيرانيين الذين كانوا يتولون رعاية تنظيم شؤون حزب الله في لبنان يزيد عن الألفين.

أما أحزاب أهل السنة، فلا تلقى من الحكومات العربية إلا الكبت والاضطهاد والتنكيل، وحرمانهم من الأنشطة الإعلامية والسياسية والاقتصادية والثقافية، والمساعدات التي تقدمها هذه الأنظمة تكون من نصيب الجهات التي تحاد الله ورسوله والذين آمنوا، فأين هذا من ذاك؟!.. إننا لو نظرنا إلى الجانبين: الاقتصادي والاجتماعي في حزب الله لوجدنا أنفسنا أمام دولة وليس أمام حزب: فمن المؤسسات التعليمية إلى المؤسسات الصحية، إلى مؤسسات البناء والتجارة، وغير ذلك كثير.

(١) الحروب السرية، مصدر سابق، ومجلة المجلة، العدد: ١٠١٣، تاريخ(١١ - ١٧/ ٧/ ١٩٩٩).

المرحلة الأولى من مسيرة الحزب

تأكد عندنا فيما مضى أن حزب الله مؤسسة إيرانية في ثوب لبناني، وهذا يعني أنه لابد لنا من استعراض الأوضاع العامة في إيران لنتعرف من خلالها على أهداف هذا الحزب في مرحلته الأولى.

كانت إيران في عام ١٩٨٢ [وهو العام الذي تأسس فيه الحزب] تخوض حرباً شرسة مع العراق، وكانت الكفة قد بدأت تميل لمصلحة العراق، ولم يكن ذلك متوقعاً، لأن عدد سكان إيران ثلاثة أمثال عدد سكان العراق، ونسبة الشيعة العراقيين تتجاوز ٤٠٪ قليلاً، وكثير من هؤلاء سيكونون [طابوراً خامساً] لمصلحة إيران، وكان شاه إيران قد ترك للآيات جيشاً قوياً، وأسلحة متطورة.

إيران كانت تعتقد أن العراق ما كان ليتفوق عليها لولا الدعم المادي الذي كان يتلقاه من دول الخليج، وبشكل خاص من السعودية والكويت، وهذا الاعتقاد صحيح لأن دول الخليج كانت مهددة من إيران التي رفعت شعار تصدير الثورة منذ تولي الآيات زمام الحكم، وكانت تدافع عن نفسها من خلال المساعدات التي تقدمها للعراق.

وكان العراق يتلقى الدعم العسكري - أعني الأسلحة وقطع الغيار - من فرنسا بالدرجة الأولى، ثم من أمريكا، وكان للسعودية دور في إقناع الأمريكان بتقديم هذا الدعم لأن الخليج مهدد بالسقوط إذا انتصرت إيران على العراق.

الأمريكان والفرنسيون كانوا يدعون الحياد في هذه الحرب، وادعاؤهم هذا ليس صحيحاً، فقد كانوا معنيين باستمرارها، لأن في استمرارها: إنعاشاً لاقتصادهم،

واستنزافاً لثروات البلدين وبلدان دول الخليج، وضماناً لتفوق جيش ربيبتهم إسرائيل، لكنهم أيضاً معنيون - بدافع من مصالحهم - بحفظ أمن الخليج، وعدم سيطرة الإيرانيين عليه.

وإذن: فإن أهداف الحزب في مرحلته الأولى لن تتجاوز ما يلي:

١ - قيام جمهورية إسلامية في لبنان، ولولا تصدير الثورة لما وقعت حرب إيران مع العراق، وإن ادعى الإيرانيون بأن العراق هي التي بدأت هذه الحرب.

٢ - توجيه ضربات موجعة لكل من الدول الآتية: أمريكا، فرنسا، السعودية، الكويت.

أما تصدير الثورة إلى لبنان، فلقد مر معنا فيما مضى مقابلة حجة الإسلام فخر روحاني سفير إيران في بيروت، وقوله الذي نقلته عنه النهار: (لبنان يشكل خير أمل لتصدير الثورة الإسلامية).

وما كان قادة الحزب يخفون هذا الهدف، ففي كانون الثاني من عام ١٩٨٦ راحوا يعدون في طهران، دستور الجمهورية الإسلامية المقبلة [على كل لبنان أو على جزء منه]، وقد شارك في إعداده [٦٣ شخصية] ومنهم من هو منسوب لأهل السنة، ومما جاء في هذا الدستور:

(ينبغي تأليف حكومة إسلامية في لبنان كشرط لازم لوضع حد للحرب الداخلية فيه)، ومما هو جدير بالذكر أن الخميني هو المرجع لهذه الدولة، وهو عندهم ظل الله في الأرض كلها.

قيل لأحد قادة الحزب - إبراهيم الأمين-: أنتم جزء من إيران، فكان رده: (نحن لا

نقول: إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان، ولبنان في إيران) [جريدة النهار: ٥ - ٣/ ١٩٨٧].

وبعد تفجير مقري المارينز ووحدة المظليين الفرنسيين أُرسِلَتْ البرقيات التالية للخميني: (حزب الله وجه مع تجمع العلماء المسلمين في ٢٩/ ١٠/ ١٩٨٣ برقيات إلى الإمام الخميني ومجلس الدفاع الأعلى للثورة الإسلامية في إيران، أشادوا فيها بالانتصارات التي يحققها المسلمون، ومما جاء في البرقيات:

(إن شعبكم المسلم في لبنان والمرتبط بولايتكم يرفع إلى مقامكم أسمى التبريكات والتهاني لمناسبة انتصار حماة الإسلام.. نرفع إليكم التهاني ببركة حركتكم الشعبية المتصاعدة في لبنان وفي بيروت حيث الضربة الحيدرية والخمينية لمقري قيادتي القوات الأمريكية والفرنسية)[1].

فالحركة في لبنان للخميني، والشعب المسلم مرتبط بولايته، والضربة حيدرية وخمينية، وهذه هي العقلية التي كان يفكر بها ما يسمى بتجمع العلماء، إذ لا حل عندهم وعند حزب الله إلا بقيام جمهورية لبنانية إسلامية على غرار إيران.

هذا عن تصدير الثورة، أما الحديث عن أهم العمليات فنوجزه فيما يلي:

١ - اختطاف [دافيد دودج] رئيس الجامعة الأمريكية بالوكالة، في تموز ١٩٨٢، وكان أول رهينة غربية، وقد نقل إلى دمشق، ومنها جرى نقله جواً إلى طهران حيث وضع

---

(١) انظر كتاب السراب، مركز الوحدة الإسلامية للدراسات والتوثيق، ص: ١٥٧، وجريدة النهار: ٣٠/ ١٠/ ١٩٨٣.

بسجن انفرادي بالقرب من مطار مهراباد.

٢ - في ١٧/ ٣/ ١٩٨٣ أعلنت منظمة تطلق على نفسها اسم [الجهاد الإسلامي] عن هجومها على دوريتين: إيطالية وأمريكية، وأوقعت في صفوفهما ثلاثة عشر جريحاً.

٣ - وفي ١٨/ ٤/ ١٩٨٣ أعلنت المنظمة - الجهاد - مسؤوليتها عن الاعتداء على السفارة الأمريكية بواسطة سيارة مفخخة، وكانت محصلة هذا الاعتداء: ٦٣ قتيلاً، والجدير بالذكر أن حزب الله كان قد أصدر عام ١٩٨٦ طابعاً بريدياً بمناسبة تحقيق هذا النصر على [الشيطان الأكبر]، وجرى توزيعه عن طريق رسائلهم التي يرسلونها من بيروت الغربية إلى كل مكان في العالم.

٤ - وفي ٢٣/ ١١/ ١٩٨٣ اقتحمت سيارتان انتحاريتان مبنيين يضمان جنود القوة المتعددة الجنسية فسقط ٢٤١ قتيلاً من البحارة الأمريكيين و ٥٨ مظلياً فرنسياً عدا عشرات الجرحى.

٥ - أعلنت منظمة الجهاد الإسلامي في كانون الثاني ١٩٨٤ مصرع رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت [مالكوم كير].

٦ - في ١٢/ ١٢/ ١٩٨٣ هزت الكويت سبعة انفجارات: ثلاثة منها وقعت في مصالح أمريكية، وثلاثة أخرى في مؤسسات كويتية هي: الشعيبة الصناعية، ومبنى المراقبة والتحكم الآلي التابع لوزارة الكهرباء والماء، وبرج المراقبة في مطار الكويت الدولي، والانفجار السابع أمام مقر السفارة الفرنسية في حي الجابرية السكني.

٧ - وفي عام ١٩٨٥ تعرض الأمير الشيخ جابر الأحمد لمحاولة اغتيال عندما اعترضت الموكب سيارة مفخخة في عملية انتحارية لم يكتب لها النجاح، ونجا الأمير من

الموت بأعجوبة.

وفي هذه والتي قبلها ألقت السلطات الكويتية القبض على الجناة، وكانوا خليطاً من العراقيين والكويتيين واللبنانيين.

٨ - وفي ١١/ ٣/ ١٩٨٣ اختطف الحزب طائرة كويتية وعلى متنها [٥٠٠ راكباً]، وأجبروها على التوجه إلى مطار مشهد الإيراني، واحتجزوا في لبنان رهينتين وهما [جان لوي نورماندان، وروجيه أوك] من الجنسية الفرنسية.

٩ - ابتدعوا في الحج ما أسموه [مسيرة الوحدة] والبراءة من الشيطان، والحج لا يحتمل مثل هذه المظاهرات الصاخبة، فما كان من السلطات السعودية إلا التصدي لهذه الفتنة التي افتعلها الرافضة وبلغت أوجها في عام ١٩٨٧، ومما ضاعف من استعدادات السعودية اكتشافها أسلحة خفيفة أثناء تفتيش أمتعة الحجاج الإيرانيين، وهكذا حولوا موسم الحج إلى ساحة حرب، ففي عام ١٩٨٧ سقط عشرات القتلى، وامتلأت مستشفيات ومستوصفات مكة بالجرحى.

❁❁❁

هذه بعض الأعمال الإرهابية التي نفذها حزب الله في المرحلة الأولى التي أعقبت تأسيسه، وكانت البيانات التي تصدر بعد كل عملية تنسب إلى: منظمة الجهاد الإسلامي، أو منظمة العدالة الثورية، أو المقهورون في الأرض، وكلها أسماء وهمية ليس لها أصل، يقول صبحي الطفيلي الأمين العام الأسبق لحزب الله:

(تضم الجهاد الإسلامي كل الذين يريدون التستر خلف اسم ما دون الإعلان عن

هويتهم)، ومن جهة أخرى فقد كان الغرب والشرق يعلم أن حزب الله هو الذي ينفذ هذه العمليات نيابة عن إيران، وكانت بعض الدول الغربية تضطر إلى التفاوض مع إيران بشكل سري، من أجل إطلاق سراح المخطوفين، ولعل كثير من المتابعين ما زالوا يذكرون فضيحة [إيران غيت] التي كشفها جناح آية الله حسين المنتظري عن طريق مجلة الشراع اللبنانية، وتعرض صاحبها لمحاولة اغتيال بسبب نشره لأسرار هذه الصفقة بين إيران - الثورة الإسلامية- وبين الشيطان الأكبر.

إيران كانت تدعي أن الأمريكان هم العدو رقم [١] للإسلام والمسلمين، وأنه لا مجال لأي لقاء أو تفاهم أو حوار بينهما، وأمريكا التي تتشدد في مقاطعة إيران زعيمة الإرهاب في العالم، ثم يكتشف العالم قضية الطائرة الأمريكية التي هبطت في مطار طهران، وهي محملة بقطع الغيار، وعلى متنها وفد من كبار المسؤولين في البيت الأبيض، أرسلهم الرئيس الأسبق [ريغان] للتفاوض مع نظرائهم من مساعدي الخميني.

استطاعت إيران أن تحل كثيراً من مشاكلها مع الغرب مستخدمة في ذلك قضية الرهائن. أما سورية، فلقد قدمت خدمات نادرة للأمريكيين والفرنسيين، وكان لها الفضل (!!) في إطلاق بعض الرهائن، ومما لا شك فيه أن الغربيين يحترمون مواطنيهم، ويحرصون على سلامتهم وكرامتهم، ولهذا السبب فقد اقتنع الأمريكان بأهمية عودة القوات السورية إلى بيروت، وقد عادت بالفعل، وأغلق ملف الرهائن.

ولسائل أن يسأل: ما هي علاقة حزب الله بالأعمال الإرهابية التي وقعت في الكويت وفي السعودية؟!.

الجواب: حزب الله العضو الأهم في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وهذا المجلس

هو الذي كان ينظم العمليات الإرهابية في الجزيرة وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، وفي جميع هذه العمليات كان يجري اعتقال لبنانيين من أعضاء الحزب، ومن جهة ثانية (وهذا هو الأهم) فقد كان يجري تدريب المنظمات الشيعية الإرهابية في لبنان، وكان حزب الله ينظم عمليات تهريب الأسلحة والمتفجرات إلى إخوانهم في الجزيرة العربية، ففي عام ١٩٨٧ اكتشف حكام الخليج [١٢] ألف قطعة سلاح بين بنادق كلاشينكوف، وقواذف صواريخ آر بي جي، ورشاشات ثقيلة ومتوسطة، واحتجت كل من السعودية والكويت والإمارات عند حافظ الأسد لأن بعض ضباط أمنه كانوا متورطين مع حزب الله في هذه العملية.. والذي أعلمه أن آخر عمليات تهريب أسلحة من لبنان إلى المنظمات الشيعية في الخليج كان قبل عملية تفجير القاعدة الأمريكية في الخبر [٢٥-٦-١٩٩٦] بأيام قليلة.


لبنان - المحافظات
عكار
2
طرابلس
زغرتا
الكورة
الهرمل
بشتري
البترون
3
جبيل
بعلبك
بيروت
كسروان
5
1
المتن
بعبدا
زحله
عاليه
الشوف
البقاع الغربي
4
جزين
راشيا
صيدا
النبطية
حاصبيا
صور
بنت جبيل
مرجعيون
1 محافظة بيروت
2 محافظة لبنان الشمالي
3 محافظة جبل لبنان
4 محافظة لبنان الجنوبي
5 محافظة البقاع

المرحلة الثانية من مسيرة الحزب

جدّت أمور مهمة على الساحتين اللبنانية والعربية، من أهمها:

١ - أنهى المؤتمر اللبناني الذي عُقد في مدينة الطائف السعودية، حالة الفوضى، وعادت الدولة لتبسط نفوذها على الأرضي اللبنانية غير الخاضعة للاحتلال.

٢ - وافقت إيران الخميني على إنهاء حربها مع العراق، وهذا يعني خروجها من هذه الحرب مهزومة.

٣ - اجتاحت القوات العراقية دولة الكويت، واعتبرتها محافظة من محافظات العراق، ووضع هذا الاحتلال العالم على حافة حرب لا يعلم نتائجها إلا الله سبحانه وتعالى.

احتلال النظام العراقي للكويت، وتهديده لبقية دول الخليج حقق لإيران انتصارات ما كانت تحلم بها، وكان من أفضلها تنازل صدام عن الانتصارات التي حققها والتي من أجلها قامت الحرب، وتقديمها طواعية لإيران، أما الأمريكان وحلفاؤهم، فقد باتوا يخشون من تحالف إيران مع العراق، ولا يرجون من إيران إلا وقوفها على الحياد.

ولم يكن حزب الله راضياً عن مؤتمر الطائف لأنه قطع الطريق على قيام جمهوريتهم الإسلامية في لبنان، ولهذا فلقد عمت مظاهراتهم التي تهاجم السعودية والوهابية مختلف المدن التي ينتشرون فيها، وإذا كانت السعودية قد ضغطت على الفرقاء اللبنانيين من أجل نجاح المؤتمر، فما علاقة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعوته التوحيدية الإصلاحية؟!.

أجل، لابد أن يبرز الحقد الرافضي الباطني على ألسنة القوم، وعلى جميع مواقفهم وأفعالهم، وما تخفي صدورهم أعظم وأخطر.

إذن: لابد وأن يكون الهدف الجديد متناسباً مع ما جد من أمور مهمة، كما لابد وأن تشارك أطراف ثلاثة في رسمه: إيران وسورية والحزب.

فسورية التي تحتل معظم الأراضي اللبنانية من مصلحتها أن تحارب إسرائيل بقوات حزب الله، لتجبرها على الانسحاب من الجولان، وعقد معاهدة سلام معها، ومن مصلحتها أيضاً أن لا تعود قوات المجاهدين السنة إلى جنوب لبنان، لأن عودتها تشكل خطراً على النظام النصيري في دمشق، وفضلاً عن هذا وذاك، فإن دعم حزب الله يضمن عودة القوات السورية إلى بيروت، التي أجبرت على الابتعاد عنها بعد اجتياح قوات الصهاينة لبيروت وجنوب لبنان.

وإيران لا تزال تصر على تصدير الثورة، لكنها سلكت طريقاً آخر يختلف عما كان عليه الحال أيام الخميني، فأسلوب المواجهة الذي اتبعه إمامهم فشل وعاد عليهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، أما الأسلوب الجديد الذي سلكه رفسنجاني فليس فيه أي استفزاز للعرب، وعلى العكس فإنه يعتمد على الشعارات التي يفتقدها جمهورنا، ومن هنا جاءت دعوتهم إلى تحرير فلسطين والمقدسات الإسلامية، ورفع راية الجهاد في سبيل الله، ومساعدة الهيئات والجماعات السنية التي ترفع هذا الشعار، وبالتالي لا تستطيع الحكومات العربية والأجنبية تجاهل إيران ودورها في معاهدات السلام العربية الإسرائيلية، وسيبقى لبنان بوابة إيران إلى البلدان العربية، وسيبقى حزب الله الجهة الوحيدة المنتدبة من أجل تحقيق أهداف إيران وطموحاتها.

حصر حزب الله جل اهتماماته بمقاومة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، وعادت سورية إلى بيروت كما كانت وأشد، ومن الصلاحيات الجديدة والمتعسفة التي مارسها النظام نزع سلاح الأحزاب والميليشيات إلا سلاح حزب الله، وإغلاق فضائيات الأحزاب إلا [تلفاز حزب الله]، ومنعت الجماعات الإسلامية السنية والأحزاب الوطنية من الجهاد في الجنوب اللبناني، وكانت هذه الجماعات قد أدت دوراً مهماً في مقاومة الاحتلال، وأوقعت خسائر فادحة في جيش العدو المحتل، وقدمت عدداً كبيراً من الشهداء، فلماذا يمنعون من الجهاد في سبيل الله؟! ألأنهم من أهل السنة، ولكن نظام أسد يزعم بأنه غير طائفي. وقادة حزب الله وزعماؤهم في طهران يدعون أن ثورتهم لجميع المسلمين، وكثير من الذين كانوا يجاهدون هم ممن يحسنون الظن بالآيات وحزبهم المدلل. فهل أدركوا تعصب أصحابهم الطائفي، أم إن المحب لمن يحب مطيع؟!.

أجرت مجلة [فلسطين المسلمة] مقابلة مع نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم، وكان مما سألته:

أعلنتم قبل فترة عن تأسيس السرايا اللبنانية لمواجهة الاحتلال لتوسيع المقاومة الشعبية للاحتلال، فما هو تقييمكم لنجاح هذه الفكرة؟.

فكان مما جاء في جوابه: (أطلقنا هذه الفكرة بعد جو إشاعة البعض في أننا نحتكر المقاومة، ولا نعطي فرصة للآخرين في الوقت الذي نعتبر فيه أن الساحة مفتوحة للمقاومة، فلسنا نمنع أحداً من الانتقال من موقع لموقع لمقاتلة الإسرائيليين، لكن بعض العاجزين أصبحوا يردون السبب لنا..).

مقابلة نعيم لفلسطين المسلمة كانت في شهر نيسان من عام ١٩٩٩، وإعلان حزب

الله عن تشكيل هذه السرايا كان في عام ١٩٩٨، أي بعد سيطرتهم التامة على مختلف مناطق ومدن الجنوب، ومن جهة أخرى فقد كان الحزب يتصرف وكأنه دولة، ولهذا فقد خصص جهازاً لتدريب المتطوعين، وبعد التدريب يحدد للمتطوع نطاق عمله، ومن هذا المنطلق فهو الذي يحدد قبول هذا ورفض ذاك.

هذه العملية الدعائية أعلن عنها الحزب قبل عامين فقط - ١٩٩٨- وكان المنع قائماً قبل هذا الوقت، ومنذ عدة سنين، وليسأل من شاء أصدقاء حزب الله من أهل السنة: كأعضاء جبهة العلماء، وحركة التوحيد، والجماعة الإسلامية، بل وليسأل من شاء منظمات ما يسمى بالمعارضة الفلسطينية التي انشقت عن عرفات، وتبعت أسد النصيرية بطل الصمود والتصدي.

وبلغ دعم إيران للحزب أوجه في هذه المرحلة، جاء في تقرير وجهه أحد الدبلوماسيين الأوربيين إلى حكومته في مطلع صيف ١٩٨٦، وكشف فيه أبعاد اللعبة السورية، ما يلي:

(تقوم طائرات الشحن الإيرانية من طراز بوينغ ٧٤٧ بالإقلاع والهبوط ثلاث مرات في الأسبوع، على طرف مدرج مطار دمشق، ناقلة حمولات غامضة، فالبضائع التي تفرغ عبارة عن أسلحة خفيفة مرسلة إلى [حراس الثورة] الذين يشرفون على تدريب أتباع حزب الله في معسكر زبداني بالقرب من دمشق، أو في المعسكرات الكائنة في منطقة بعلبك. أما البضائع المحملة فهي مدافع هاون وصواريخ مضادة للطيران من طراز سات. كذلك يحفل ميناء اللاذقية بنشاط من هذا النوع)[١].

---

(١) الحروب السرية، مصدر سابق، ص: ٢٧٥.

وهذا الدعم الذي كان حزب الله يتلقاه من سورية وصنيعتها -الحكومة اللبنانية- ومن إيران، لا يمنعنا من القول: لقد قاتل الحزب قوات الاحتلال الصهيوني قتالاً ضارياً، وكان القادة نماذج حية لجنود الحزب، فالأمين العام الأسبق عباس الموسوي، قتل وهو يتفقد المواقع في فبراير ١٩٩٢، والأمين العام الحالي حسن نصر الله فقد ابنه في إحدى المعارك، وأثبت الحزب أنه من حيث التدريب والإعداد في مستوى المهمة التي انتدب لها. ومما يجدر ذكره أن النجاحات التي حققها من أجل تحرير الجنوب جعلت الناس ينسون أو يتناسون أعماله الإرهابية التي كانت في وقتها حديث العالم كله، ومع تحسين صورته في أعين الناس فقد تحسنت صورة إيران.

حقيقة وحجم هذا الانتصار

يقول الكاتب اليهودي [آريه ناؤور] [معاريف: ٢٦/ ٥/ ٢٠٠٠]: (عندما بدأت حرب لبنان سميت [حملة سلامة الجليل] وكان يفترض بالحملة أن تستغرق ٤٨ ساعة، على عمق ٤٠ كيلومتراً، وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن لمجموعة من كبار الضباط على مشارف بيروت: أنتم تعرفون جيداً أنني ما كنت سأصادق على حملة تنطوي على عدد كبير من الإصابات تزيد على بضع عشرات من جانبنا، وبعد وقت قصير من ذلك ارتفع عدد ضحايانا إلى ٥٠٠، فأغلق بيغن على نفسه باب بيته ولم يجد ما يواسيه، ولشهامته لم يتهم أحداً، وفي آخر مرة يظهر فيها أمام مركز الليكود قال: إنه يجري في لبنان مأساة، ومنذئذٍ ارتفع عدد ضحايانا ضعفين وأكثر..).

هذه هي مسألة اجتياح إسرائيل للأراضي اللبنانية.. وهذه هي أهداف حملة سلامة الجليل، فبشير الجميل أراد من وراء هذه الحملة إخراج منظمة التحرير وقوات الجيش السوري من لبنان، وبيغن أراد عقد اتفاقية سلام مع لبنان تنهي حالة الحرب. جاء في افتتاحية صحيفة ها آرتس الإسرائيلية في منتصف حزيران: لا تحولوا عملية السلام من أجل الجليل إلى سلام من أجل لبنان.

صُدِمَ بيغن من موقف بشير الجميل بعد انتخابه رئيساً للجمهورية، لقد اعتذر عن عقد اتفاقية سلام مع إسرائيل لأن الوقت غير مناسب، ووعد بالعمل من أجل تهيئة الأجواء التي تسمح بذلك، وصُدِمَ أكثر من موقف الزعيم الماروني بيار الجميل -والد بشير الجميل- الذي أكد تمسكه بالموقف العربي العام.

تعارضت المصالح الإسرائيلية مع المصالح المارونية، وسقطت نظرية الزعيم اليهودي

[بن غوريون] الذي كان ينادي بدولة مارونية في لبنان تتحالف مع إسرائيل ضد الإسلام السني العربي، وبعد أن فقدت إسرائيل أي أمل بالموارنة، فقد راحت تبحث عن مخرج لها من ورطتها منذ عام ١٩٨٢.

نعود إلى الحديث عن قتلى اليهود الذين بلغوا [٥٠٠]، كما يقول الكاتب اليهودي [آريه ناؤور] فمن هؤلاء الذين أوقعوا بجيش الغزاة هذا العدد الكبير؟!.

حزب الله لم يكن قد ظهر إلى الوجود عام ١٩٨٢، وحركة أمل كانت تقف في الطرف المعادي للذين أحسنوا إليها - منظمة التحرير -، فلم يبق إلا أهل السنة من الفلسطينيين واللبنانيين، وما كانت القوات النصيرية بقادرة على منعهم لأنـها قابعة على الحدود السورية اللبنانية.

وإذن: فلقد مضى اليهود عام ١٩٨٢ يبحثون عن مخرج، ولهذا لم نستغرب أن يعلن باراك عن تعهده بالانسحاب من لبنان فور فوزه بالانتخابات الإسرائيلية، ووعد أن يكون ذلك بعد عام واحد، أما لماذا كان الانسحاب قبل شهرين من الموعد المحدد؛ فالذي أراه أن حافظ الأسد كان يعلق آمالاً عريضة على جبهة حزب الله مع إسرائيل، فإذا طالبت حكومة باراك المسؤولين اللبنانيين بتنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة فسيكون الرد السوري اللبناني: الانسحاب من لبنان والجولان صفقة واحدة لا تتجزأ، وبعد تكرار هذا الرد، أرادت حكومة باراك سلب سورية هذه الورقة الوحيدة التي تستخدمها في الضغط على إسرائيل، ولهذا فقد جاء اتخاذ هذا القرار بعد فشل مفاوضات واشنطن، وفشل لقاء الأسد مع كلينتون في سويسرا.

فوجئت سورية بقرار الانسحاب، وحاولت استغلال عدم انسحاب إسرائيل من

مزرعة [شبعا]، فجاءت التهديدات الإسرائيلية بأنها ستعتبر سورية مسؤولة عن أي هجوم يشنه حزب الله بعد الانسحاب، وستهاجم البنية العسكرية السورية في لبنان، وأنها ستضرب الجسور المقامة على طريق دمشق بيروت السريع، ومنشآت سورية رئيسية في بيروت ووادي البقاع [عن رويتر ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٠].

فما كان من الزعيم النصيري الهالك إلا التراجع، ورفع شعاره المعهود [كن أرنباً عند اللزوم]، وسكت الجميع عن مزرعة [شبعا] التي يقدَّر عدد سكانها بحوالي [٧٠ ألفاً] وهم من أهل السنة.. ثم تغيرت المواقف، وصارت أجهزة إعلام حزب الله وكل من حكومة: لبنان وسورية وإيران، تتغنى بهذا النصر الكاسح الذي حققه الحزب، وقال نصر الله فيما قاله: إن عصر الهزائم العربية قد انتهى، وعاد السكان إلى قراهم. وتولى حزب الله حفظ الأمن في الجنوب فلم تطلق حتى رصاصة واحدة باتجاه الجليل.

* * *

هذه هي حقيقة هذا الانتصار الذي حققه حزب الله ومن يقف وراءه.. وهذه صفحات موجزة تحكي المأساة التي صنعها الثنائي الإيراني النصيري في لبنان.. وهذه هي مأساة أهل السنة في هذا البلد المنكوب المحتل.

الملحق الثاني

التعاون الإيراني الإسرائيلي الأمريكي الباطني(١)

التعاون الوثيق بين الرافضة -على مختلف فرقهم- وأعداء المسلمين السنة، واضح عندي وضوح الشمس رأد الضحى، وليس هذا خاصاً بعصرٍ دون عصر أو بمكان دون مكان آخر، بل هذا هو نهجهم منذ أن ابتليت أمتنا بظهور فرقهم، وأي باحث يقلب صفحات التاريخ لابد وأن يجد أدلة على مفحمة على ذلك.

ولقد كنت أتابع الحرب العراقية الإيرانية منذ يومها الأول، وكعادتي كنت أجمع في [الأرشيف] الذي يرافقني في حلّي وترحالي أهم الوثائق التي أحصل عليها، وتجمَّع لدي كمٌّ كبير من المعلومات، وكان من أهمها التناقض المذهل بين ما تقوله إيران عن كل من إسرائيل وأمريكا، وبين ما يجري في الخفاء.

يقول يعقوب نمرودي وهو من أهم تجار الأسلحة في دولة الكيان الصهيوني:

(إن إسرائيل ترسل إلى إيران الخميني وخاصته منذ اندلاع الحرب مع العراق شحنات من الأسلحة أكبر من تلك التي كانت ترسل إلى إيران في عهد الشاه). وأضاف:

---

(١) كانت لي مساهمات في هذا الشأن ومنها على سبيل المثال وليس الحصر:

أ- مؤامراتهم عبر التاريخ في هذا الكتاب وفي كتاب [رؤية إسلامية].

ب- ما كتبته منذ دخول القوات الباطنية السورية إلى لبنان عام ١٩٧٦ عن تعاونهم مع الموارنة والصهاينة والأمريكان وكانوا هم المنفذين لمخططاتهم.

جـ- كتابي: [وجاء دور المجوس] .

(إن استمرار الحرب يؤدي إلى انهيار الجيش العراقي القوي الذي يشكل تهديداً خطيراً لنا في الجبهة الشرقية).

هذه الصفقات التي بلغت قيمتها عدة مليارات من الدولارات اعترف ببعضها هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الشورى الإيراني، لكنه زعم بأنها قيمة مشتريات نفطية تمت قبل الثورة. ولم يكن التعاون والتنسيق بين إسرائيل وإيران قاصراً على صفقات السلاح، بل شمل الخبراء في الزراعة والري والاقتصاد، ولم تتوقف حتى يومنا هذا.

ومن بين هذا الكم الكبير من الوثائق والدراسات فقد وقع اختياري في هذا الملحق على ما يلي:

الأولى: المذكرة السوداء. التعاون التسليحي بين النظام الحاكم في إيران والكيان الصهيوني، وهي دراسة موجزة نشرتها وزارة الخارجية العراقية.

الثانية: عرض لكتاب ألفه [تريتا بارزي] وهو أول وأخطر كتاب يفك ألغاز العلاقات بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة الأمريكية، وعنوانه [حلف المصالح المشتركة] التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة الأمريكية.

المذكرة السوداء:

التعاون التسليحي بين النظام الحاكم في إيران والكيان الصهيوني

في يوم السبت ١٨ تموز ١٩٨١ تحطمت طائرة شحن تجارية أرجنتينية من نوع [كانديرسي ٠ ال٤٤] فوق أراضي الاتحاد السوفيتي قرب منطقة يريفان في أرمينيا عندما كانت تقوم بثالث رحلة من مجموع اثنتي عشر رحلة مقررة لها من تل أبيب إلى طهران لنقل شحنات من الأسلحة والذخيرة وقطع الغيار الأمريكية الصنع وغيرها من الكيان الصهيوني إلى إيران.

وفي يوم الخميس ٢٠/ آب/ ١٩٨١ بثت شبكة تلفزيون [إي. بي. سي] الأمريكية برنامجاً تلفزيونياً اسمه [نايت لاين] استضاف فيه رئيس جمهورية إيران السابق [أبو الحسن بني صدر].

وأكد بني صدر أن الإسرائيليين يبيعون منذ مدة الأسلحة والمعدات العسكرية لإيران، وقال إنه يعارض شخصياً التعامل مع إسرائيل وإنه كان يقول في الاجتماعات الحكومية إن على الإيرانيين أن يتصالحوا مع العراق لا أن يدخلوا في هذه التجارة.

وقال الرئيس الإيراني السابق إن جهوده في هذا المجال قد أحبطت أيضاً نظراً لخشية زعماء الدين الحاكمين من أن الجيش إذا تم الصلح مع العراق، قد يتجه صوبهم ويطيح بهم من السلطة.

وقال أبو الحسن بني الصدر: (لقد كان الشيء الغريب هو شراء الأسلحة من

إسرائيل، الأمر الذي يظهر أن شهوة الحكم لدى الملالي كانت قوية جداً.. أثناء إشغالي رئاسة الجمهورية كانت القضية قضية شراء غير مباشر وكنت أعارض ذلك ، فلقد قلت إذا كان علينا أن نشتري الأسلحة من الإسرائيليين فلماذا لا نتصالح مع العراق ؟ إن ذلك سيكون أفضل بكثير).

وفي يوم الجمعة ٢٨/ آب/ ١٩٨١ صرح ناطق رسمي باسم الحكومة القبرصية في نيقوسيا: إن الطائرة الأرجنتينية من طراز [كانديرا سي ال ٤٤] في رحلتها المرقمة [٢٢٤ي.ر] المعروفة [بتاريخ ١٧/ تموز/ ١٩٨١] قد استخدمت مطار لارنكا الدولي للتزود بالوقود وقال الناطق الرسمي القبرصي رداً على سؤال توضيحي بشأن الطائرة الأرجنتينية ما يلي:

١ - في يوم ١١/ تموز/ ١٩٨١ هبطت الطائرة المذكورة في مطار لارنكا قادمة من [تل أبيب] وغادرته إلى [طهران] في نفس اليوم حاملة [٥٠] صندوقاً زنتها [٦٧٥٠] كيلو غراماً وكان قبطانها الكابتن ماكفيرتي.

٢- في يوم ١٢/ تموز/ ١٩٨١ هبطت الطائرة نفسها في مطار لارنكا قادمة من [طهران] وغادرته في نفس اليوم إلى [تل أبيب] وكان قبطانها الكابتن كورد يرو.

٣- وفي يوم ١٣/ تموز/ ١٩٨١ هبطت الطائرة ثانية في لارنكا قادمة من [تل أبيب] وغادرته في وقت مبكر من صباح اليوم التالي إلى طهران .. ثم عادت إلى لارنكا ظهر يوم ١٤/ تموز/ ١٩٨١ وغادرته إلى [تل أبيب] وكان قبطانها الكابتن كورد يرو.

لم يكن التعاون التسليحي بين إيران و الكيان الصهيوني سراً مغلقاً بحيث يحتاج إلى فضح وتأكيد من الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن بني صدر لكن أهمية ما كشفه بني

صدر يكمن في أنه اعتراف من مسؤول إيراني لا يمكن بحكم منصبه السابق على قمة السلطة في إيران أن يعتري معلوماته الخطأ أو يشوبها النقص الأمر الذي يجعل منه دليلاً لا يحتمل النقاش وقرينة لا تقبل الشك إلا إذا كان هناك من يدعي أنه على علم بالشؤون الإيرانية أكثر من الإيرانيين أنفسهم بل ومن رئيس إيران السابق والقائد العام للقوات المسلحة فيها.

إن حادثة الطائرة الأرجنتينية المعروفة، وما أدلى به الناطق الرسمي القبرصي عن قيامها بثلاث رحلات بين تل أبيب وطهران ثم اعتراف الرئيس الإيراني السابق بني صدر الذي أكد فيه وجود صفقات أسلحة بين إيران والكيان الصهيوني لم تكن أول أو آخر دليل يكشف النقاب عن أبعاد التعاون التسليحي بين الطرفين فمنذ الشهر الأول للحرب التي بدأتها إيران على العراق تدفقت المعلومات عن حصول اتصالات سرية، مباشرة وغير مباشرة، بين مسؤولين إيرانيين ومسؤولين إسرائيليين لعقد صفقات أسلحة بين الكيان الصهيوني وإيران، وأن تل أبيب زودت طهران فعلاً بما تحتاجه من بعض أنواع الأسلحة والأعتدة وقطع الغيار .

إن المعلومات التي تسربت إلى الصحف ووسائل الإعلام الأخرى في مختلف دول العالم لم تترك مجالاً للشك في وجود تعاون تسليحي بين إيران والكيان الصهيوني. فبتاريخ ٢١/ ١٠/ ١٩٨٠ أكدت مجلة [إفريك إيزي] التي تصدر في باريس في تقرير بعثه مراسلها من طهران أن خبراء عسكريين ومدنيين إسرائيليين وصلوا إلى إيران بعد ثلاثة أيام من اندلاع الحرب لمساعدة هيئة الأركان الإيرانية التي يرتبط بعض قادتها بروابط حميمة مع الاستخبارات الإسرائيلية الموساد.

وبتاريخ ٢/ ١١/ ١٩٨٠ ذكرت صحيفة [اوبزرفر] البريطانية أن إسرائيل أرسلت عدة شحنات من المعدات الحربية إلى إيران، وان شحنات من قطع لغيار قد قامت بتفريغها بواخر رفعت أعلام دول أخرى أثناء مرورها إلى الموانئ الإيرانية الثلاثة [بندر عباس وشاه بهار وبوشهر].

وبتاريخ ٣/ ١١/ ١٩٨٠ ذكرت صحيفة [دي فيلت] الألمانية الغربية أن إسرائيل جهزت إيران بقطع غيار الأسلحة الأمريكية وبشكل خاص قطع غيار لطائرات [ف-٤] المقاتلة .

وقد جرى شحن تلك المعدات العسكرية بحراً وأن البواخر رفعت أعلام دول أخرى وسلكت طرقاً غير الطرق المعتادة قبل وصولها إلى إيران قادمة من إسرائيل.

وأشارت كل من مجلة [الوطن العربي] الصادرة في باريس بتاريخ ٥/ ١١/ ١٩٨٠، ومجلة [في· سي· دي] الفرنسية بتاريخ ١١/ ١١/ ١٩٨٠ ومجلة [جون افريك] بتاريخ ١٤/ ١١/ ١٩٨٠، إلى التعاون العسكري بين إيران وإسرائيل. وقالت مجلة الوطن العربي إن سفينة إسرائيلية محملة بالأسلحة وقطع الغيار قد رست في ميناء [انتورب] البلجيكي قبل توجهها إلى موانئ أوربية أخرى لتفريغ حمولتها ومن هناك تم شحنها ثانية إلى إيران.

في حين أكدت مجلة [في· سي· دي] أن إسرائيل زودت إيران بالأسلحة وقطع الغيار منذ عدة أشهر بطريقة سرية، وأن اتصالات سبقت ذلك بين مبعوثين إسرائيليين ومسؤولين إيرانيين، أما مجلة [جون افريك] فقد ذكرت أن المساومات التجارية بين الإسرائيليين والإيرانيين حول تزويد إيران بالأسلحة والأعتدة وقطع الغيار قد جرت في هولندة .

وبتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٨١ ذكرت صحيفة [السياسة] الكويتية استناداً إلى مصادر مطلعة في باريس أن إسرائيل أعادت إلى إيران [٦] محركات لطائرات [ف-١٥] سبق أن أرسلت إلى تل أبيب لتصليحها وإدامتها . وقالت إن العملية تمت بواسطة دولة أوربية تربطها بإسرائيل صلات وثيقة .

وبتاريخ ١٥/ ٧/ ١٩٨١ ذكرت شبكة تلفزيون [سي٠بي٠اس] الأمريكية أن إسرائيل تقوم منذ مدة بتزويد إيران بمعدات وأسلحة لاستخدامها في حربها ضد العراق وأن صفقة بهذا الشأن تمت خلال الأسبوع الأول من شهر تموز عن طريق سماسرة أوروبيين قيمتها [١٠] ملايين دولار أمريكي ومعظم الصفقة مدافع [١٠٦] ملم وذخيرتها.

وقد أقيم جسر جوي بين إسرائيل وإيران ابتداء من يوم الأحد ١٢/ ٧/ ١٩٨١ لشحن الصفقة على طائرات ليست مسجلة في إسرائيل أو إيران وهي من نوع [برستول بريتانيا] .

وبتاريخ ٢١/ ٧/ ١٩٨١ قالت صحيفة [معاريف] الإسرائيلية إن حكومة طهران قد لجأت إلى عدد من تجار السلاح والوسطاء الأجانب من أجل الحصول على السلاح الاعتدة وقطع الغيار من إسرائيل . وقالت أيضاً إن إيران طلبت شراء هذه الأسلحة من إسرائيل قبل إطلاق سراح الرهائن الأمريكان .

وبتاريخ ٢٤/ ٧/ ١٩٨١ أكدت صحيفتان أرجنتينيتان هما [كروتيا] و[لابرينسا] أن الطائرة الأرجنتينية التي سقطت فوق أراضي الاتحاد السوفيتي كانت تنقل الأسلحة والمعدات العسكرية من إسرائيل إلى إيران .

وفي لندن كشفت [صنداي تايمز] في عددها ليوم ٢٦/ ٧/ ١٩٨١ تفاصيل حادث الطائرة الأرجنتينية وأكدت أن الشخص المكلف بتسليم الأسلحة من تل أبيب إلى

طهران هو تاجر الأسلحة البريطاني [ستيوارات آلن ماكفيرتي] وأكدت الصحيفة طبقاً لمعلومات استقتها من شريك لـ [ماكفيرتي] وهو شخص سويسري يدعى [اندرياس جيني] أنه تم تسليم الشحنات الثلاث لإيران في أيام ١٢و١٤و١٧/ تموز/ ١٩٨١ وذلك قبل تحطم الطائرة في ١٨ تموز ونقلت الصحيفة نقلاً عن [اندرياس جيني] أن المسؤولين الإسرائيليين كانوا يصرون على أن تغادر جميع الأسلحة والأعتدة وقطع الغيار مطار تل أبيب بوثائق رسمية تبين تفاصيل البضاعة ولكن دون تحديد الوجهة النهائية لها.

وفي الوقت نفسه كان الإيرانيون يصرون على استخدام مطار لارنكا في قبرص كمحطة أولية ويقولون أن هذه الطريقة استخدمت في السابق وثبتت سلامتها .

ونقلت الصحيفة عن جيني قوله : (إنه واثق بأن عناصر من منظمة التحرير الفلسطينية في لارنكا هم الذين كشفوا العملية وأبلغوا السوفيت بها وكان السوفيت في انتظار الطائرة على الحدود).

وبتاريخ ٢٧/ ٧/ ١٩٨١ نشرت صحيفة [لوفيغارو] الفرنسية تقريراً عن حادثة الطائرة الأرجنتينية وعن التعاون العسكري بين إيران والكيان الصهيوني وقالت (لقد أجرى ممثلون للخميني قبل فترة اتصالاً سرياً جداً في لندن مع ممثلي شركة إسرائيلية تعمل في الخفاء لصالح الحكومة الإسرائيلية). وبتاريخ ٢٧/ ٧/ ١٩٨١ أيضاً ذكرت مجلة [دير شبيغل] الألمانية الغربية (لقد وجدت جهورية إيران الإسلامية في إسرائيل مورداً جديداً للأسلحة، فمنذ مدة يحاول مشترو الأسلحة إيجاد مصدر لإمداد السلاح لآية الله خميني. والآن حصل خميني، ليس بفضل سعيه، وإنما بموافقة إسرائيل على تزويده بالأسلحة وقطع الغيار عبر وسطاء من أوربا).

وبتاريخ ٢٩/ ٧/ ١٩٨١ قالت صحيفة [تريبون دي لوزان] السويسرية تحت عنوان [أسلحة إسرائيلية إلى إيران]: (إن ناقل هذه الأسلحة هو رجل أعمال سويسري من كانتون زيوريخ الذي أعلن عن تنظيمه لنقل كمية كبيرة من العتاد العسكري بالطائرة من إسرائيل إلى إيران لم يفعل شيئاً غير قانوني. هذا ما يشار إليه في [بيرن] حيث أن المعلومات التي صدرت حول هذا الموضوع لم تؤثر على السلطات الفيدرالية السويسرية. ولكن هذا لا يقلل من أهمية أن اسم سويسرا ولمرة أخرى يرتبط بأعمال تجارة الأسلحة المسيئة التي يريد القانون السويسري الحؤول دونها).

وابتداء من يوم الخميس ٢٠/ ٨/ ١٩٨١ وعلى مدى ثلاثة أيام سلطت شبكة تلفزيون [اي٠بي٠سي] الأمريكية الضوء على العلاقات الوثيقة بين الكيان الصهيوني وإيران في مجال التسلح، فقد أذاعت هذه الشبكة نتائج التحقيقات التي قامت بها في عدد من عواصم العالم منذ عدة أشهر. وأكدت هذه التحقيقات أن صفقات الأسلحة بين الكيان الصهيوني وإيران كانت تقوم بواسطة طرف ثالث ثم تطورت وأصبحت صفقات مباشرة. لقد جمعت شبكة تلفزيون [اي٠بي٠سي] كل ما يتعلق بهذا الموضوع من وثائق وأسماء الأشخاص والطائرات المستأجرة لنقل الصفقات ونسخ من الحوالات المالية التي قبضتها حكومة إسرائيل عن طريق بعثتها العسكرية في زيورخ في سويسرا.

إن التفاصيل التي أذاعتها محطة تلفزيون [اي٠بي٠سي] لا تغطي جميع المعاملات العسكرية بين الكيان الصهيوني وإيران ولكنها تعطي دليلاً مدعوماً بالوثائق على التعاون القائم بين الطرفين، يضاف إلى ذلك الاعتراف الذي أدلى به الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن بني صدر المذكور في بداية المذكرة.

وتؤكد الوثائق التي نشرتها محطة تلفزيون [اي٠بي٠سي] أنه في شهر أيلول/ ١٩٨٠ وصل إلى طهران رجلا أعمال فرنسيان بدعوة من الحكومة الإيرانية، وبعد اندلاع الحرب مع العراق دعت وزارة الحربية الإيرانية الرجلين الفرنسيين لمقابلة قادة الجيش والطيران والبحرية الذين أعدّوا قوائم باحتياجاتهم العسكرية بما في ذلك طلب مستعجل للحصول على إطارات لعجلات طائرات [ف-٤] التي لدى إيران عدد كبير منها.

وفوراً قدّم الرجلان الفرنسيان هذا الطلب عن طريق السفارة الإسرائيلية في باريس. وفي تشرين أول / ١٩٨٠ وصلت طائرة من تل أبيب إلى مدينة [نيم] في جنوب غرب فرنسا وعليها [٢٥٠] إطاراً مطاطياً لعجلات طائرات [ف-٤] ووصلت أيضاً إلى تلك المدينة شحنات أخرى منها محرك لدبابة [سكوريبون] من أصل [٥٠] محركاً وصلت في وقت لاحق.

ووصلت من ميناء في ايطاليا إلى مدينة [نيم] أيضاً قطع غيار لدبابات [ام-٦٠] ووضعت جميع هذه المعدات على متن طائرة أخرى مستأجرة من شركة لوكسمبورغية تدعى [كارغولوكس] وتوجهت إلى طهران. وقد قبضت البعثة العسكرية الإسرائيلية في زيورخ مبلغ [٣٠٠] ألف دولار أمريكي ثمناً لإطارات الطائرات.. كما زودت إسرائيل إيران أيضاً في تلك الفترة بمدافع رشاشات وصلت الدفعة الأولى منها إلى البرتغال ثم شحنت إلى إيران.

وسألت [اي٠بي٠سي] مراسلها في تل أبيب عن ذلك فاعترف بأن الرقابة تمنعه من أن يتفوه بشيء وقال أن سكرتير [بيغن] أبلغه ما يلي:

(إن التقاليد في إسرائيل تمنع الإدلاء بأية معلومات عن مبيعات الأسلحة). ولذلك قال المراسل إن إسرائيل لم تنف ولم تؤيد هذه المعلومات ، لكن بني صدر أكد لمراسل

[اي• بي• سي] في باريس: (إن هذه العلاقة مع إسرائيل بدأت قبل الحرب مع العراق وأنه – بني صدر – عارضها شخصياً وأبلغ الخميني أنه من الأفضل التصالح مع العراق من أن تواصل إيران علاقة عسكرية مع إسرائيل).

وسألت [اي• بي• سي] أيضاً [جودي باول] السكرتير الصحفي للرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر الذي تمت هذه العمليات في عهده فكان شديد التحفظ ولكنه قال: (نحن على علم بأن إيران كانت بحاجة ماسة إلى الأسلحة) وقال أيضاً: (كنا نعلم أن إيران تتلقى أسلحة من إسرائيل) وإن حكومة كارتر فاتحت إسرائيل بهذا الموضوع وإن إسرائيل لم تعترف بالعمليات ولكنها قالت إنها تأخذ ذلك بعين الاعتبار.

لقد لاذ المسؤولون الإيرانيون بالصمت وعملوا بكل طاقاتهم على إحاطة تعاونهم العسكري مع الكيان الصهيوني بالكتمان والسرية التامة ظناً منهم أن ذلك ممكن رغم افتضاح الكثير من المعلومات عنه وتسربها إلى الصحف ووسائل الإعلام الأخرى في مختلف دول العالم ولكن بعد حادث الطائرة الأرجنتينية وكشف النقاب عن حقائق التعاون التسليحي بين الكيان الصهيوني وإيران بالأسماء والأرقام والتواريخ وعلى لسان تاجر الأسلحة السويسري الذي تعاقد على نقل كميات كبيرة من الأسلحة الأعتدة وقطع الغيار من تل أبيب إلى طهران ثم بعد أن اعترف بني صدر وأكد أن بلاده تعاونت مع الكيان الصهيوني في هذا المجال فقد حدثت بلبلة في طهران انعكست في تصريحات المسؤولين الإيرانيين.

ففي يوم ٢٦/ ٧/ ١٩٨١ أصدرت وزارة الخارجية الإيرانية بياناً رسمياً أعطته عنوان (مؤامرة وكالة اسوشيتدبرس ضد الثورة الإسلامية في إيران)

كذبت فيه تكذيباً قاطعاً خبر سقوط الطائرة الأرجنتينية ووصفت هذا الخبر بأنه فرية مخزية.

وورد في بيان وزارة الخارجية الإيرانية فقرة عن خبر سقوط الطائرة تقول: (الأمر يتعلق، كما [يدعي] الاتحاد السوفيتي بسقوط طائرة أرجنتينية في هذه البلاد و[الادعاء] بأنه لم يبق أي أثر لهذه الطائرة، وأن وكالة الاسوشيتدبرس نقلت إلى العالم [أسطورة] على أساس أنها الواقع زاعمة أن طائرة سقطت كانت في حركة بين تل أبيب وطهران وأنها كانت تنقل السلاح من إسرائيل إلى إيران).

وهنا نحن نطرح السؤال التالي: كيف يمكن التوفيق بين [ادعاء] السوفييت القائل بأن الطائرة الأرجنتينية تحطمت ولم يبق لها أي أثر وأن إرسال وفد للتحري عنها غير ممكن وبين زعم الاسوشيتد برس؟ وكيف يمكن أن يصدق العالم أن طائرة تتعرض لحادثة جوية فتسقط ولم يبق لها أي أثر؟ وإذا كان حصل هذا الاصطدام الجوي فعلاً فماذا حصل للطائرة السوفيتية؟.

وبعد هذا التكذيب القاطع لخبر سقوط الطائرة الأرجنتينية الذي أعلنه الاتحاد السوفيتي يوم ٢٣/ ٧/ ١٩٨١ وتناقلته وكالات الأنباء يستطرد بيان وزارة الخارجية الإيرانية فيقول: (إن شعبنا العظيم يعرف دوافع عداء وكالات الأنباء ضد الثورة الإسلامية ويفهمها جيداً، وإن وزارة الخارجية تعلن تكذيبها لهذه الفرية المخزية).

وفي يوم الاثنين ٢٧/ ٧/ ١٩٨١ اعترف [بهزاد نبوي] الوزير الإيراني للشؤون التنفيذية والناطق باسم الحكومة بسقوط الطائرة ولكنه نفى نفياً قاطعاً في مؤتمر صحفي عقده في طهران أن الطائرة التي اختفت فوق الاتحاد السوفيتي كانت تحمل أسلحة

مشتراة من الكيان الصهيوني.

وأحجم نبوي عن الإشارة إلى طبيعة الشحنة التي نقلتها الطائرة لإيران قبل أن تصطدم لدى عودتها بطائرة سوفياتية فوق أراضي الاتحاد السوفيتي .

أما هاشمي رفسنجاني رئيس البرلمان الإيراني فقد اعترف في تصريح لصحيفة [كيهان] وأذاعه راديو طهران في ٢٨/ ٧/ ١٩٨١، بأن الطائرة الأرجنتينية كانت تنقل أسلحة إلى طهران. وقال رفسنجاني إن الطائرة تحطمت لدى عودتها من طهران بعد أن أفرغت حمولتها من الأسلحة.

وبتاريخ ١٩/ ٨/ ١٩٨١ صرح القائم بأعمال السفارة الإيرانية في بيروت [محسن الموسوي] بأن إيران اشترت أسلحة من السوق الدولية نقلت بحراً من أيسلندة إلى قبرص ومن قبرص كانت تنقلها الطائرة الأرجنتينية قبل سقوطها.

وبتاريخ ٢٣/ ٨/ ١٩٨١ أذاعت [وكالة أنباء بارس] الإيرانية الرسمية نص الخبر التالي: (قال حسين موسوي وزير الخارجية إذا كانت الحكومة الإيرانية قد اشترت أسلحة من إسرائيل فإن مثل هذه الصفقة لا بد وأن تم التفاوض عليها من قبل شخص رئيس الجمهورية المخلوع بني صدر الذي كان قائداً عاماً للقوات المسلحة خلال إشغاله منصبه في إيران).

وفيما كان حكام إيران والناطقون باسمهم يتخبطون في محاولاتهم للتمويه وإخفاء حقيقة مهمة الطائرة الأرجنتينية، جاء تصريح الناطق الرسمي باسم الحكومة القبرصية يوم ٢٨/ ٨/ ١٩٨١ فوضع النقاط على الحروف وأجهض محاولات النظام الإيراني للتمويه والكذب والتستر على تعاونه التسليحي مع الكيان الصهيوني.

إن هذا التعاون التسليحي بين إيران والكيان الصهيوني لم يأت من فراغ ولا يعبر عن علاقة ثنائية فحسب وإنما يعكس هذا التعاون حقائق جديدة توضح دور هذا النظام في المنطقة، وإن اعتراف جودي باول السكرتير الصحفي للرئيس الأمريكي السابق كارتر بأن واشنطن كانت على علم مسبق بتصدير أسلحة وقطع غيار أمريكية الصنع لإيران عبر إسرائيل قد أكد طبيعة هذا الدور.

إن وزارة الخارجية في الجمهورية العراقية تؤكد أن التعاون العسكري بين إيران والكيان الصهيوني لم يكن سراً دفيناً في منأى عن رصد ومتابعة أطراف عديدة في منطقتنا أو خارجها.

غير أن الوزارة تعتقد أن كشف هذا التعاون يكتسب أهمية تكمن في كونه الدليل القاطع على خطأ القلائل ممن كانوا يعتبرون الوقائع السابقة للتعاون الإيراني –الصهيوني غير كافية ويكشف أمامهم الفرق الكبير بين ادعاءات هذا النظام وحقيقة تصرفه البعيد عن المبادئ. ومهما كانت تفسيرات من لا يزال لهم تعاون مع هذا النظام، فإن فضيحة التعاون التسليحي بين طهران وتل أبيب قد جعلتهم وجهاً لوجه أمام حقيقة قاسية هي أنهم لم يختاروا فقط الوقوف إلى جانب أجنبي في حرب طرفها الآخر عربي معتدى عليه، بل اختاروا أيضاً أن يكونوا شركاء في حلف أصبح واضحاً الآن أن أحد أطرافه هو الكيان الصهيوني.

والأهمية الثانية لكشف وتعرية هذا التعاون تكمن في تسليط الضوء على حرص الولايات المتحدة وسعيها لإبقاء التعاون الإيراني–الصهيوني مستوراً وادعائها بعدم المعرفة المسبقة به.

ولكن بعد أن اعترف جودي باول بأن واشنطن كانت على علم مسبق بتصدير

أسلحة وقطع غيار أمريكية الصنع لإيران عبر إسرائيل أصبح موقف الولايات المتحدة واضحاً، فهي بدون شك أحد أطراف هذا التعاون، وهذا ليس غريباً.. إنما الغريب هو أن البعض لازال يتردد ولا يريد أن يعرف حقيقة الدوافع التي جعلت نظام خميني يشن الحرب على العراق.. ومن هي الأطراف التي تتواطأ لاستمرارها.

حلف المصالح المشتركة

التعاملات السرية بين اسرائيل وايران والولايات المتحدة(١)

تبقى السياسة بشكل عام مثل جبل الجليد لا يظهر منه على السطح سوى قمَّته في حين يظل الهول الأكبر منه قابع في الأسفل مهدداً بالغرق من جراء الاصطدام به، ولعل ما يجري على ساحة الأحداث في الشرق الأوسط، سيما ما هو متعلق بالمواجهات الأمريكية الإسرائيلية من جهة وإيران من جهة ثانية، يؤكد على صدق نظرية السياسة البراجماتية الضاربة في الجذور الأمريكية وتابعتها إسرائيل في الشرق الأوسط.

في هذا السياق يأتي هذا الكتاب كأول كتاب يفك ألغاز العلاقات المعقدة والغامضة غالبا بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة.

من هو تريتا بارزي صاحب هذا الكتاب الإشكالي؟

يعد المؤلف الوحيد الذي تمكن من الوصول إلى كبار صناع السياسة الأمريكيين والإسرائيليين، كما أنه خبير في السياسة الخارجية الأمريكية، ولعل أهم ما يشير إليه المؤلف هو العلاقات الثلاثية المعقدة التي تربط بين هذه الدول الثلاث، ويجادل بأن أمل أمريكا في إرساء الاستقرار بالعراق والتوصل إلى سلام لا جدوى منه بدون فهم المنافسة الإسرائيلية الإيرانية على الوجه الصحيح.

---

(١) كتاب حديث من تأليف: تريتا بارزي، الناشر: الدار العربية للعلوم - تاريخ النشر: ٠٨/٠٢/٢٠٠٨.

يقع الكتاب في نحو أربعمائة صفحة من القطع الكبير ويقسم إلى ثلاثة أقسام موزعة في عشرين فصل يتناول الأول منها حقبة الحرب الباردة والثاني الحقبة أحادية القطب فيما الثالث فشأنه الحديث والتطلع عن المستقبل.

من طهران إلى تل أبيب.. علاقات قديمة:

تحت عنوان [تحالف أملته الضرورة] يتحدث بارزي عن العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية، ذلك أنه منذ ولادة دولة إسرائيل واجهت إيران مأزقاً ميَّز تعاملاتها مع الدولة اليهودية منذ ذلك الحين، فقد أدرك الشاه أن إقامة دولة ليست عربية موالية للغرب في الشرق الأوسط يمكن أن يعزز أمن إيران عبر لفت انتباه الدول العربية وتخصيص مواردها، وهي الدولة التقليدية المنافسة لإيران في المنطقة، لكن لو أراد الشاه الاعتراف رسمياً بإسرائيل أو دعم إنشائها علناً فسيصب جزء من جام غضب العرب على إيران، ولذلك توجب على إيران سلوك مسارين العداء المكشوف والتحالف المكشوف، وعلى مدى العقود الثلاثة التي تلت ذلك تعامل الشاه مع هذا العمل الموازن بمهارة فائقة.

كان إحساس الشاه هو أن الإيرانيين شبه محاصرين بالعرب، والعرب يتبنون دائماً سياسات معادية لإيران، ولهذا ففي أواخر الخمسينات تبلور اتفاق تفاهمي إسرائيلي إيراني عززه توطيد العلاقات المصرية السوفيتية وبروز عبد الناصر كزعيم للجماهير العربية بعد حرب السويس في العام ١٩٥٦ . ومن جهته لعب بن جوريون على أوتار المخاوف من انتشار الشيوعية ولذلك طلب من الرئيس ايزنهاور دعم حلف إيراني تركي إثيوبي للوقوف بقوة في وجه التوسع السوفيتي عبر الوكيل المصري عبد الناصر، وقد تجاوز التوافق بين إيران وإسرائيل حدود التهديدات المشتركة التي يشعران بها، فالنمو الاقتصادي المذهل

لإسرائيل ورفض العرب بيع نفطهم لإسرائيل، جعلا تل أبيب في أمس الحاجة إلى سلعة تملك إيران الكثير منها وهكذا جرى النفط الإيراني في الأنابيب الإسرائيلية.

ومن الأسباب التي عززت تلك العلاقة وجود جالية يهودية كبيرة في إيران تتلهف إسرائيل لانتقالها للدولة العبرية، كما كانت طهران على استعداد لتوفير ممر آمن لليهود العراقيين للوصول إلى إسرائيل أيضاً، وبدورها طمعت إيران في نفوذ إسرائيل في واشنطن وكانت في أمس الحاجة إلى التكنولوجيا الإسرائيلية المتطورة من أجل نموها الاقتصادي.

وقد شكلت الزيارة التي قام بها بن جوريون لإيران في العام ١٩٦١ سابقة في البروتوكول السري فقد أبقيت الزيارة سراً، واتبعت الرحلات المتتالية التي قام بها رؤساء الوزراء الإسرائيليون لإيران البروتوكول نفسه. وباختصار القول فقد نجحت إيران طوال ثلاثة عقود في الحفاظ بتحالف جيوسياسي مع دولة تمنحها اعترافاً رسمياً وعلى السماح بتواجد إسرائيلي كبير في طهران بدون الاعتراف ببعثتهم كسفارة.

والشاهد أن الشاه قد تعلم بالطريقة الصعبة كيف أن المعرفة العلنية بتعاملاته مع إسرائيل تضر بالمصلحة الاستراتيجية، وعليه فقد بقيت القنوات السرية فعّالة ووصلت إلى حد التجسس على مصر والعراق وبقية الدول العربية وغير خاف على أحد كيف أمدّت إيران إسرائيل بالنفط في حرب أكتوبر من عام ١٩٧٣ عندما امتنع العالم العربي كله عن ذلك.

إسرائيل والتعاون مع آيات الله:

في أعقاب عودة آية الله روح الله الخميني إلى إيران وسقوط دولة الشاه، بدا على

السطح خسارة استراتيجية لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل غير أن القنوات السرية كانت لا تزال تعمل ويبدو أنها مستمرة والعهدة على الراوي [تريتا بارزي] ففي فصل يحمل عنوان [تحولات أيديولوجية، واستمراريات جيوسياسية] يوضح كيف أن وحدة الهدف الفارسية الإسرائيلية تتجاوز الخصومات إذا كان الهدف تحطيم قوة العرب.

ففي مستهل العام ١٩٨٠ أي بعد شهور على اندلاع أزمة الرهائن، قام أحمد كاشاني النجل الأصغر لآية الله العظمى أبو القاسم كاشاني بزيارة إسرائيل لمناقشة مبيعات الأسلحة والتعاون العسكري ضد البرنامج النووي العراقي في اوزيراك.

وقد أثمرت رحلته عن موافقة بيجن على شحن إطارات لطائرات الفانتوم المقاتلة إضافة إلى شحن أسلحة إلى الجيش الإيراني، وقد جاء قرار بيجن متناقضاً تماماً مع مصلحة الولايات المتحدة وسياسة واشنطن الصريحة القائمة على فرض العزلة على إيران لتأمين تحرير الرهائن الأمريكيين.

وعلى الجانب الآخر كان الخميني يسمح لعدد كبير من اليهود الإيرانيين بمغادرة إيران، وقد عبر الآلاف منهم نحو باكستان باستخدام الحافلات، ومن هناك جرى نقلهم بواسطة الطائرات إلى استراليا حيث سمح لهم بالهجرة إلى الولايات المتحدة أو إلى إسرائيل. واستناداً إلى محمد رضا أمين زاده وهو مسئول إيراني فرَّ من البلاد في العام ١٩٨٥ أجرى عقيد في الجيش الإسرائيلي اسمه يوري المفاوضات على الصفقة والذي زار إيران في مستهل العام ١٩٨٠.

كشف استعداد إيران للتعامل مع إسرائيل كيف أن المآزق التي كانت تعاني منها

طهران حدّت من قدرتها على متابعة أهدافها الأيديولوجية. خلال هذه المرحلة المبكرة أظهر الثوريون ميلاً إلى وضع الأيديولوجية جانباً لتقديم أمنهم ومصالحهم الخاصة، في لحظة معينة قام أحد المقربين من آية الله الخميني بأخباره بأن هناك شحنة كبيرة من الأسلحة تفكر إيران في شرائها ومصدرها إسرائيل، سعى هذا الشخص إلى الحصول على موافقة آية الله الخميني على المضي قدماً في صفقة الشراء وسأل آية الله الخميني إن كان من الضروري مناقشة مصدر الأسلحة والاستعلام عنه عند القيام بعملية الشراء فأجاب ذلك الشخص بالنفي فرد عليه آية الله الخميني بهدوء (إذا نحن لا نبالي).

طهران وازدواجية الخطاب:

بدا واضحاً بشكل متزايد فيما بعد أن خطاب إيران المعادي لإسرائيل لا يتطابق مع سياستها الفعلية، ففي الوقت الذي كانت إيران تتعامل فيه سراً مع الحكومة الإسرائيلية كانت تدين علناً الدولة اليهودية وتشكك في حقها في الوجود، على سبيل المثال دعا وزير الخارجية الإيراني في ١٤ أغسطس آب ١٩٨٠ إلى وقف مبيعات النفط إلى الدول التي تدعم إسرائيل، وبعد صخب كبير لم يتم تنفيذ ذلك التهديد وقد بدا واضحاً أنه بعد أن تولى الثوريون السلطة تصرفوا بناء على مبادئ مختلفة.

إحدى الركائز الأساسية للسياسة الخارجية للحكومة الثورية كانت [المعارضة الخطابية لإسرائيل والتعاون العملي مع الدولة اليهودية].

ومن الواضح أن الترتيبات لم تكن مثالية بالنسبة إلى إسرائيل، لكن منطق المبدأ المحيطي أرغم إسرائيل على التودد إلى الإيرانيين، فتصاعد شعبية الرئيس المصري أنور السادات في الولايات المتحدة وعلاقات بيجن الخاصة المجمدة مع كارتر عقّدا الخيارات الاستراتيجية

الإسرائيلية، فإذا كان التقارب الأمريكي العربي بعد كامب ديفيد سيتعزز أكثر فان حاجة إسرائيل إلى ثقل موازن إقليمي للعرب -إيران- سيزداد تبعا لذلك ومن هنا كان من الضروري إبقاء الأبواب مفتوحة للفوز بإيران مجدداً.

ويعلق غاري سيك الذي خدم في مجلس الأمن القومي الأمريكي في ذلك الوقت على ذلك بالقول (من منظور إسرائيلي كانت تلك خطة استراتيجية بعيدة المدى كانت تلك السياسة المحيطية كانوا يحاولون تكرار التجربة الإثيوبية مع إيران لكن في ٢٢ سبتمبر ١٩٨٠ تحققت تكهنات الشاه بأن صدام حسين سيهاجم إيران عندما يعطي الفرصة بعد خمس سنين فقط من التوقيع على اتفاقية الجزائر وبدلاً من أن تجد إسرائيل نفسها أكثر اعتماداً على إيران كانت طهران هي التي وجدت نفسها فجأة في حاجة ماسة إلى قدرة إسرائيل على الحصول على الأسلحة الأمريكية.

تعاون عسكري في مواجهة بغداد:

بعد مرور ثلاثة أيام على دخول القوات العراقية الأراضي الإيرانية قطع موشي ديان زيارة خاصة كان يقوم بها إلى فيينا لعقد مؤتمر صحفي لحث الولايات المتحدة -في غمرة أزمة الرهائن- على نسيان الماضي ومساعدة إيران على مواصلة دفاعها عن نفسها.

بعد ذلك بيومين قال نائب وزير الدفاع الإسرائيلي موردخاي زيبوري لصحيفة معاريف الإسرائيلية بأن إسرائيل ستقدم مساعدات عسكرية لإيران في حال غيَّرت موقفها العدائي من الدولة اليهودية وهذا ما جرى بالفعل... وكانت النتيجة أن تم عقد لقاء جمع بين مسؤولين إيرانين وإسرائيليين لإبرام صفقة أسلحة، وهناك ناقش العقيد الإسرائيلي بن يوسف ونظيره الإيراني العقيد

زارابي مـدير المجمـع الصـناعي العسـكري بـإيران اقتراحـات كثـيرة منهـا اتفـاق يسـمح لتقنيّـين إسرائيليـين بتـدريب الجـيش الإيـراني عـلى تعـديل العتـاد الحـربي الأمريكـي الصـنع بحيـث يلائـم قطـع غيـار إسرائيليـة الصـنع، وفي واشـنطن حـثّ السـفير الإسرائـيلي لـدى الأمـم المتحـدة افـراييم ايفـرون وزيـر الخارجيـة الأمريكـي ادمونـد موسـكي عـلى تليـين موقـف إدارة كـارتر مـن مبيعـات الأسـلحة إلى طهـران مع نقل هواجس تل أبيب من مضامين الانتصار العراقي.

وعلى العكس من رغبات واشنطن تراجع بيجن عن الوعد الذي قطعه لكارتر واستأنف مبيعات الأسلحة وقطع الغيار لإيران، وأثناء اللقاء الأخير بين كارتر وبيجن الذي انعقد في ١٣ -١١-١٩٨٠ أعاد بيجن التأكيد على مصلحة إسرائيل في استئناف العلاقات مع إيران.

ويجمل البروفيسور [ديفيد مناشري] من جامعة تل أبيب والخبير الأول في الشؤون الإيرانية بإسرائيل مشهد الميل الإسرائيلي لإيران بالقول (طوال فترة الثمانينات لم يقل أحد في إسرائيل شيئاً عن وجود خطر إيراني لم يتفوه أحد حتى بهذه الكلمة) كان الهدف الإسرائيلي حتمية هزيمة جيش صدام حسين وبالأحرى الخلاص من جيش عربي يزيد حجمه بمقدار أربعة أضعاف عن حجم الجيش الإسرائيلي.

إيران تعرض و واشنطن ترفض:

في ٩ ابريل نيسان ٢٠٠٣ سقط نظام صدام وشعرت إيران بأن الأيادي الأمريكية تمتد إليها، لهذا بادر الإيرانيون بإعداد اقتراح شامل بين حدود صفقة ضخمة محتملة بين البلدين تعالج كافة نقاط النزاع بينهما حملها إلى واشنطن [تيم غالديمان] السفير

السويسري القائم بالأعمال الأمريكية أذهل الاقتراح الأمريكيين سيما وأنه حصل على موافقة المرشد الأعلى للثورة خامنئي، يقول [فينت ليفريت] المدير الرفيع لشؤون الشرق الأوسط لدى مجلس الأمن القومي اعترف الإيرانيون بأن أسلحة الدمار الشامل ودعم الإرهاب قضايا قابلة للتفاوض، كما عرضوا وقف دعمهم لحماس والجهاد ودعم عملية نزع سلاح حزب الله وتحويله إلى حزب سياسي، وفي الموضوع النووي عرض الاقتراح فتح البرنامج النووي الإيراني بالكامل أمام عمليات تفتيش دولية غير مقيدة من أجل إزالة أية مخاوف من برامج التسلح الإيرانية إضافة إلى استعداد إيران لتوقيع البروتوكول الخاص بمعاهدة عدم الانتشار كما عرضت إيران التعاون الكامل في مواجهة المنظمات الإرهابية فيما البند الأكثر إثارة هو قبولها بإعلان بيروت الصادر عن القمة العربية أي خطة السلام التي أعلنها ولي العهد السعودي عام ٢٠٠٢ في بيروت.

وفي المقابل كان للإيرانيين مطالب تكتيكية مثل تسلم أعضاء من المنظمة الإرهابية -بحسب المؤلف- الإيرانية العاملة في العراق منظمة مجاهدي خلق في مقابل تسليم ناشطين من القاعدة تحتجزهم إيران. أما المطالب الاستراتيجية فقد أراد الإيرانيون التوصل إلى تفاهم على المدى الطويل مع الولايات المتحدة عبر وقف كافة التصرفات المعادية التي تقوم بها أمريكا مثل خطاب محور الشر والتدخل في الشؤون الداخلية الإيرانية وإنهاء كافة العقوبات الأمريكية واحترام المصالح القومية الإيرانية بالعراق ودعم مطالب الإيرانيين بالحصول على تعويضات عن الحرب واحترام حق إيران بالحصول غير المقيد على التكنولوجيا النووية والبيولوجية والكيميائية وأخيراً الاعتراف بالمصالح الأمنية الإيرانية المشروعة في المنطقة، كما أوضحت الوثيقة الإجراءات الخاصة بالتفاوض المتدرج إلى حين التوصل إلى اتفاقية تكون مقبولة لدى الطرفين.

والتساؤل كيف جاء الرد الأمريكي؟ واقع الحال إنه لم يقتصر على رفض العرض الإيراني فقط بل وجّهت واشنطن لوماً وتقريعاً بالغاً للسفير السويسري باعتباره تجاوز حدود التفويض الدبلوماسي.

والشاهد أن الكتاب مليء بالمناورات والأسرار والعلاقات الخفية بين مثلث واشنطن -طهران- تل أبيب، سيما وأن كلاً منهم تسعى للسيطرة على المنطقة الشرق أوسطية ما يستدعي التساؤل: ماذا عن المستقبل؟

بين طموحات إيران وأهداف إسرائيل:

الإجابة بحسب [تريتا بارزي] أن التصادم بين طموحات إيران الإقليمية وإصرار إسرائيل على الهيمنة الاستراتيجية سيبقى سبباً لزعزعة الاستقرار والإضرار بمصالح واشنطن في المنطقة، ما لم تعترف أمريكا بأنه لا يمكن إرساء الاستقرار ولا الديمقراطية بدون إنهاء لعبة الموازنة والسعي بصدق إلى بناء شرق أوسط يكامل بين التطلعات المشروعة للدول كافة بما في ذلك إيران، لكن إدارة بوش لا تزال مصرة لغاية الآن على مقاومة مثل هذا التحول.

غير أنه في مرحلة ما على الطريق، سيعتري أمريكا ضعف شديد بسبب إخفاقها في العراق لدرجة أن المنافسة الإسرائيلية الإيرانية ستطغى على المخاوف التي تساور واشنطن من أن إيران ستنجح في تحدي هيمنتها، ففي خطاب حالة الاتحاد الذي ألقاه بوش في ١٠ يناير ٢٠٠٧ اتهم إيران بزعزعة استقرار العراق ودعم الميلشيات الشيعية، وبدافع من رغبة جامحة للمحافظة على هيمنة أمريكا على المنطقة، أشار بوش إلى أنه ستتم مواجهة إيران وفرض مزيد من العزلة عليها من قبل الولايات المتحدة عبر تشكيل تحالف

مناوئ لإيران يتألف من الدول العربية وإسرائيل، بمعنى أن سياسة توازن القوى ستبقى الدليل الذي يوجه أمريكا.

ولعل أفضل من عبَّر عن محتوى هذا الكتاب كان مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق زيجينو بريجنسكي والذي قال (إن الكتاب دراسة ثاقبة ومثيرة وفي الوقت المناسب تماماً تفك ألغاز كيفية تلاعب كل من إيران وإسرائيل بسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بالرغم من أن العلاقات بين الطرفين تراوحت بين التواطؤ السري والتصادم العلني).

أما شلومو بن عامي وزير الخارجية الإسرائيلية السابق، فيقول عن الكتاب إنه شرح رائع لواحد من أكثر الصراعات التي نشهدها اليوم استعصاء في تحليل رصين ومبتكر يكشف عن التلاعب الذي تقوم به كافة الأطراف وبخاصة الإسرائيليين والإيرانيين على الاختلافات الأيديولوجية بغرض إخفاء ما يحتمل أن يكون نزاعاً استراتيجياً قابلاً للحل، ويضيف إن هذه دراسة عن التلاعب بالإيديولوجية والدين في الصراع على الهيمنة على الشرق الأوسط.

وقد شكلت الزيارة التي قام بها بن جوريون لإيران في العام ١٩٦١ سابقة في البروتوكول السرّي فقد أبقيت الزيارة سراً، واتُّبعت الرحلات المتتالية التي قام بها رؤساء الوزراء الإسرائيليون لإيران البروتوكول نفسه.

وباختصار القول فقد نجحت إيران طوال ثلاثة عقود في الحفاظ بتحالف جيو سياسي مع دولة تمنحها اعترافاً رسمياً، وعلى السماح بتواجد إسرائيلي كبير في طهران بدون الاعتراف ببعثتهم كسفارة.

والشاهد أن الشاه قد تعلم بالطريقة الصعبة كيف أن المعرفة العلنية بتعاملاته مع إسرائيل تضر بالمصلحة الاستراتيجية، وعليه فقد بقيت القنوات السرية فعالة ووصلت إلى حد التجسس على مصر والعراق وبقية الدول العربية، وغير خافٍ على أحد كيف أمدَّت إيران إسرائيل بالنفط في حرب أكتوبر من عام ١٩٧٣ عندما امتنع العالم العربي كله عن ذلك.

الملحق الثالث

منظمات العنف الانتحاري[١]

التقرير يكشف الهيكل التنظيمي لحركات [فدائيي الموت] وأسماء قياداتها الحركية والعسكرية.

أربع منظمات رئيسية تتولى التنفيذ

جماعة موسوي- العمل- المجاهدون- الدعوة

يشرف عليها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في إيران ومركز تنسيق العمليات في دمشق.

يحاربون العالم

تقول مجلة [جون افريك] في تقديمها للتقرير [الوثيقة]:

يقول محمد سلحمي المراسل الخاص لمجلة [جون-أفريك] الأسبوعية أن: (هؤلاء المتطوعون للانتحار، ليسوا أطيافاً أو أشباحاً، وليسوا قتلة في الظل يعملون في خدمة مؤامرة غامضة سرية، لا هدف معيناً لها، بل هم حملة ألوية الحق، كما يزعمون إنهم

(١) نشرت مجلة [جون افريك] هذا التقرير قبل أن يقف حزب الله على قدميه ويشتد عوده، ثم نشرته بعض الصحف العربية في ١٨/ ٢/ ١٩٨٤م .والتقرير يؤكد أن الشيعة وإن كثرت الخلافات فيما بينهم فهم جسد واحد وحزب واحد ضد كل من يخاصمهم ويخاصمونه.

يريدون قهر العالم، وكما فعل شمشون التاريخي المعروف يتوقون إلى هدم الهيكل [علي وعلى أعدائي يا رب]).

أما [الهيكل] عندهم، فهو هذا العالم كله الذي تسيطر عليه [قوى الظلم]، كما يقولون، وبعضهم يطلق عليها [قوى الإمبريالية] وأشياعها.

ولكن هؤلاء الفدائيين من نوع آخر جديد، عندهم معجم آخر، رؤية مغايرة للتاريخ عن تلك التي يفهمها العلماء والناس، فهم يقدمون أنفسهم بمثابة المستضعفين، المحرومين، ويباهون في أنهم لا يخشون شيئاً، ولا ترتعد فرائصهم أمام أي خطر، فهم يشغفون بمحاربة هذا العالم الشيطاني.. أما الطريق كما يرون، فهو هذا الذي يمشون عليه، طريق [الشهادة] التي ستؤتي ثمارها.

أما العالم الذي من أجله يموتون، وعنه يبحثون ويكافحون لبنائه، لسوف يكون أفضل بكثير من هذا العالم الذي يدأبون على خرابه.

فهل سيكون هكذا؟

تجيب مجلة [جون أفريك] على السؤال قائلة:

-لا شيء بعد يثبت ذلك، وليس من بينة تشد إلى الأخذ بهذا الاعتقاد، فالثورة الإيرانية لم تهدف إلى بناء دولة، الأمر الذي، لربما، يوضح السبب في الانطلاق بالعنف إلى خارج إيران.. ولربما يقدر لها يوماً بأن يتسع عنفها الثوري هذا، وينمو، ويمتد كما الثورة الشيوعية، باتجاه ما يتوازى مع حلم ستالين بإقامة [اشتراكية في دولة واحدة].

ولكن حتى الآن، فإن العالم، وبالخصوص الغرب وحلفاءه في الأقطار الإسلامية،

يجب أن يلتفتوا إلى نوع من [ثورية عالمية] جديدة يكون الإيمان بطقوسها ومبادئها سلاحاً حاداً، و لربما لا نظير له.

سؤال وجواب

فهل هي ظاهرة عابرة؟ أم أنها حقيقة سوف تستمر باستمرار الفقر والبؤس واليأس التي منها انطلقت؟

ما زال الوقت مبكراً للرد على هذا السؤال. فلنقرأ الخطوط العريضة لهذا التقرير الذي جمع صاحبه الحقائق المرئية من معايناته الشخصية، دون حكم مسبق، ولكن دون اعتذار أيضاً من هذه الموجة الصاخبة للعنف، التي لا ترتكز إلى مقومات واضحة، والتي لا تضرب عموماً، ولا تقتل سوى الأبرياء.

ونحن، إذ ننشر هاهنا -تقول المجلة- ما كتبه الصحفي محمد سلحمي الذي غامر في زيارته لقواعد أولئك الذين تكرسوا للإرهاب، الانتحار، في [المدرسة]، حيث يجري إعدادهم في مخيمات التدريب، والذي تتبع عن كثب تحركاتهم وكتائبهم، واجتمع بالمسؤولين القياديين عنهم.. فإننا نهدف إلى التعرف إليهم أكثر. سواء بقصد استدراك حقيقة أعمالهم وتكتيكهم، أو لربما للاتصال بهم في محاولة لمحاورتهم لإنقاذ أرواح الكثيرين منهم، بعد أن تمت عملية أشبه بغسيل المخ لهم، من خلال وعدهم بالجنة وترسيخ مفهوم معين في أذهانهم لأنهم [جند الله].

الجهاز التنظيمي لفدائيي الموت

وبعد هذا التقديم الصحفي للتقرير الوثيقة كشفت المجلة النقاب عما أسمته [الجهاز التنظيمي لفدائيي الموت] من المسلمين. وأكدت المجلة أن ما يسمى بـ [حركة الجهاد الإسلامي].. وهي مسؤولة كما هو شائع عن أعمال العنف والإرهاب في كل من بيروت والكويت، ليست تنظيماً بالمعنى الدقيق للكلمة، وإنما هي اسم يطلق على بعض الأعمال الإرهابية التي يقوم بها [فدائيو الموت].

ويبدأ المراسل الصحفي للمجلة محمد سلحمي تقريره قائلاً: أنه زار طهران وقم والأحواز، ثم دمشق وبعلبك.. ومدناً كثيرة أخرى وتجول في أنحائها في محاولة لتتبع أعمال [الانتحاريين]، وهم بضعة ألوف يتلقون تدريباً عقائدياً ودينياً مكثفاً قبل أن ينفذوا ما يصدر إليهم من مخططات للعمليات في منطقة الشرق الأوسط.

ويستطرد قائلاً: إن الهرم التنظيمي لهذه الحركات الانتحارية يندرج في سلسلة من التنظيمات هي:

أولاً: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية

المجلس الأعلى للثورة الإسلامية هو قمة الهرم التنظيمي وهو السلطة العليا التي تملي على الحركات الانتحارية مهامها. وتخضع هذه الحركات خضوعاً كاملاً للمجلس، وكان المجلس قد تأسس في طهران عام ١٩٨١. ويرأسه رجل من العراق يدعى حجة الإسلام محمد باقر الحكيم.

يستمد هذا المجلس سلطته من الإمام روح الله الخميني الذي يتمتع بصفة السلطة

العليا. ويحكم المجلس قبضته على أربع حركات وهي:

-حركة الانشقاق داخل [منظمة أمل] في لبنان [جماعة موسوي].

-منظمة العمل الإسلامي.

-المجاهدون.

-الدعوة.

وعلى أربعة معسكرات للتدريب في إيران ومعسكران في البقاع ومعسكر بالقرب من دمشق.

وقد ألحق بالمجلس مركز لتنسيق العمليات، مقره دمشق، ويرأسه سفير إيران لدى سوريا السيد محتشمي.

ملحوظة: أصيب هذا السفير أخيراً بعد أن تلقى طرداً ملغوماً.

وباستثناء حركة الانشقاق عن منظمة أمل بقيادة حسين موسوي، وهي تتمتع بوضع خاص من حيث تبعيتها للمجلس، فإن جميع الحركات ترتبط ارتباطاً مباشراً بالإمام الخميني، ومن خلاله بالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية الذي يعمل على تحقيق هدف رئيسي هو إقامة حكم إسلامي في العراق على نمط نظام الخميني.

وتتراوح الأنشطة التي تمارسها هذه الحركات ما بين الدعوة إلى الإيمان-على مثال منظمة الدعوة الإسلامية-والعمل العسكري. وينتشر قادة هذه الحركات في كل من طهران وبعلبك ودمشق.

- مهام المجلس في العراق والكويت والبحرين والجزيرة العربية:

وكتب المراسل الخاص للمجلة في طهران حمزة قائدي ملحقاً خاصاً للملف الذي أعدته المجلة، وأفرده للحديث عن المهام والأنشطة التي يمارسها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في كل من العراق والكويت.

وكشف النقاب أيضاً عما يسمى [بالجبهة الإسلامية لتحرير البحرين]. كما سلط الأضواء على ما يدعى [بمنظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية].

ويشير المراسل الخاص بالمجلة في طهران إلى أن العراقيين، من بين سائر الذين كرسوا حياتهم من أجل الثورة الإسلامية، ووهبوا حياتهم للعمل الإسلامي في مجالات السياسة والعقيدة والجهاد المسلح خارج إيران، إنما يشكلون نسبة عظيمة. وهم يناوئون بوحشية النظام في بغداد، ويرأس هذا المجلس محمد باقر الحكيم.

ويقول المراسل: إن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية يمارس سلطته على ثلاث حركات رئيسية، وهي: العمل الإسلامي، والدعوة، والمجاهدون. ويستمد المجلس السلطة التي يمارسها على هذه الحركات بوصفه مركزاً للثورة الإسلامية يجمع بين الأعلى كفاءات من حيث الفعالية والتدريب. غير أن هذه الحركات وإن كانت ملحقة بالمجلس الأعلى فإنها تتمتع بالاستقلال الذاتي.

وقد تميز [المجاهدون] عن غيرهم من الحركات بالأعمال الانتحارية [كاميكاز] التي قاموا بها في قلب بغداد، وفي غيرها أيضاً. ونفذت [الدعوة] أعمالاً مشابهة في العراق وغيره. بل إنها أعلنت، في بادئ الأمر مسؤوليتها عن الاعتداءات التي وقعت خلال شهر ديسمبر من عام ١٩٨٣م في الكويت، لكنها نفت، في وقت لاحق، عن نفسها هذه المسؤولية، وذلك بعد أن أعلنت إيران وغيرها من الحركات الإسلامية شجبها للعمليات.

وكان للاعتداءات في الكويت نتائج لحقت ببعض العراقيين المقيمين في هذا البلد. ففي أعقاب هذه الاعتداءات ارتفع عدد المعتقلين من العراقيين المشبوهين في الكويت.

وتفيد الشائعات التي وردت إلى طهران أن الحكومة الكويتية تعتزم تسليم عدد من اللاجئين السياسيين العراقيين إلى بغداد.

وتواجه حياتهم في حال تسليمهم للسلطات العراقية مخاطر حقيقية. وقد وجه المجلس الأعلى للثورة الإسلامية تحذيراً للكويت في حال تسليم العراقيين إلى بغداد.

ملاحظة: أكدت الكويت رسمياً أنها ترفض إنسانياً مثل هذا العمل وأنه يجري تخيير المبعدين تحديد وجهة سفرهم.

وجواباً على هذا التحذير، فإن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية قد حاز من بعض الرعايا الكويتيين على تأييدهم. ومن هؤلاء شخصيات سياسية من أصل عراقي أو إيراني.

- من مهام المجلس: الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين.

لا ينفرد البحرينيون عن غيرهم فيما يعتريهم من مشاعر التحريض الخارجي ضد السلطات في بلادهم. فالبحرينيون مضوا قدماً وتجاوزوا غيرهم. وكانت الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين قد أسسها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية عام١٩٧٩م. واكتفت الجبهة حتى اليوم بتنظيم المظاهرات في الجزيرة وقام الطلاب البحرينيون ممن يتلقون دراساتهم في دول أجنبية بمظاهرات مماثلة.

ورفعت هذه المظاهرات شعارات تستنكر فيها ما أسمته.. الاعتقالات والقمع الذي شهده البحرين. هذا، ونفت الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين صحة المعلومات التي

كانت قد نشرت في عام ١٩٨١م وتحدثت في حينه عن محاولة انقلابية تساندها طهران.

ويقول المراسل مشيراً إلى المقدرة العسكرية للجبهة الإسلامية لتحرير البحرين: أن هذه الجبهة لا تجد في نفسها في الوقت الراهن المقدرة على القيام بعمل عسكري، لكنها لا تستبعد الأخذ بالعمل العسكري.

ويتساءل مصدر في الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين لم يكشف النقاب عن هويته، أمام المراسل عما إذا كانت أحداث الكويت لن تتكرر في البحرين. ويجيب قائلاً: إن أحداً لا يستطيع أن ينفي ذلك.

- **مهام المجلس الأعلى للثورة الإسلامية: منظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية.**

يسود لدى أعضاء [منظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية] شعور مشابه. وكانت المنظمة قد تأسست عام١٩٧٥م. ولم تظهر إلى حيز العلانية إلا في نهاية١٩٧٩م، وذلك بعد الانتصار الذي حققه خميني في إيران، وعندما قامت المنظمة بعملية مسلحة في مكة قاومت القوة السعودية خلالها خمسة عشر يوماً. وكانت مظاهرات عنيفة في شرق المملكة قد رافقت هذه العملية.

ويؤكد أعضاء المنظمة أن عملهم في الوقت الراهن يقتصر على العمل في المجالات السياسية والثقافية والتنظيمية، لكنهم يضيفون: إن ما يجري في مواقع أخرى من أرض الإسلام، في لبنان والكويت و الخليج، سوف يضاعف من قوتنا.

وينوه أعضاء المنظمة بالعديد من الأوضاع في المجتمع السعودي. ويشير هؤلاء في هذا الصدد إلى حوالي عشرين ألف طالب يتلقون دراساتهم الجامعية في الولايات المتحدة

الأمريكية. ويدعون أن هؤلاء ثاروا -على حد قول المنظمة- ضد التخلف، ويزعمون أن النظام يقف فوق لغم محشو.

ويختم المراسل تحقيقه الصحفي بالتساؤل عن مستقبل الخليج، وما إذا كان هذا المستقبل سيشهد تحولات لم يعرفها في ماضٍ كانت فيه الحركات الإسلامية في مرحلة التكوين. هذا الخليج الذي يعيش اليوم -على حد زعمه- سياسياً واجتماعياً على هامش العالم.

ثانياً: جماعة موسوي المنشقة عن حركة [أمل]

تأسست الحركة عام ١٩٨٢م في بعلبك، وذلك على أثر الانشقاق داخل حركة أمل.ويقودها حسين موسوي، وهو متهم - على حد قول الصحف الفرنسية- باغتيال سفير فرنسا الأسبق لدى لبنان السيد لويس دولامار الذي اغتيل في سبتمبر من عام ١٩٨١م. وكان حسين موسوي قد انشق في عام ١٩٨٢م [يونيو] عن نبيه بري قائد حركة أمل. وعزا في حينه، حركة الانشقاق هذه إلى (النضال ضد الصهيونية، وتوجيه هذا النضال في سبل أفضل).

ويبلغ حسين موسوي من العمر أربعين عاماً، وهو معلم سابق في المدارس الابتدائية، ويعلن ولاءه الكامل وغير المشروط للثورة الإسلامية في إيران.

وفي سرعة بالغة انتقل حوالي ستمائة عضو في الحركة التي يقودها إلى العمل. وعلى سبيل المثال قامت شاحنتان بتاريخ ٢٣أكتوبر١٩٨٣ بتدمير قيادتين للقوة متعددة الجنسيات في بيروت، إحداها فرنسية وسقط فيها ثمانية وخمسون قتيلاً، والثانية أميركية وسقط فيها مائتان وواحد وأربعون من المارينز. وفي ٤ نوفمبر ١٩٨٣م انفجرت شاحنة مفخخة بالقرب من القيادة العامة للجيش الإسرائيلي في صور، وخلفت العملية وراءها

حوالي ستين قتيلاً، من بينهم اثنان وثلاثون أسيراً من اللبنانيين والفلسطينيين.

في أعقاب هذه العمليات أصبح حسين موسوي بمثابة الشيخ الذي يقض مضجع الغربيين. وعلى هذا النحو أيضاً أصبحت مراكز التدريب التابعة له هدفاً للغارات التي يشنها الطيران الفرنسي والأميركي والإسرائيلي.

ويقول حسين موسوي لمراسل المجلة: إن القوة متعددة الجنسيات تحالفت مع المحتل الإسرائيلي، واتفقت معه على تدميرنا. ويجب عليها أن تعلم أنها إذا لم تغادر لبنان فإننا سوف نتصرف من غير ما رحمة.

ويشير المراسل إلى أن المقابلة الصحفية التي أجراها مع حسين موسوي لم تكن بالأمر الهيّن، وكان عليه من أجل الوصول إلى موسوي أن يحصل من السلطات السورية على المرافقة. وقد طلبت هذه السلطات من المراسل تعهداً يلزمه بالامتناع عن توجيه الحديث إلى حوالي خمسين ألف جندي سوري منتشرين في البقاع. ويقول المراسل تعليقاً على التعليمات التي تلقاها من السلطات السورية في هذا الشأن: (وأنه يصعب الوفاء بعهد على هذا النحو، إذ أن بعض الجنود السوريين يلاحقونك في كل مكان ليبيعونك آلة للتصوير أو مذياعاً. إن الحدود هي مكان للقيام بتهريب شتى أنواع البضائع على وجه ممتاز).

- الحركة لا تعمل باستقلال ذاتي عن سوريا

ويؤكد أحد مساعدي حسين موسوي للمراسل أن الحركة لا تتمتع بأي استقلال ذاتي. إن كل عملية تقوم بها تفترض -على حد قوله- الموافقة المسبقة من السوريين. ويعزو المساعد افتقار الحركة للاستقلال الذاتي إلى التبعية الكاملة للحركة إلى سوريا في كل ما تحتاج إليه من مؤن وذخائر وأسلحة ومدربين، الخ...

وفي المعسكرات التابعة لحركة أمل [جماعة موسوي] في البقاع يقوم السوريون بأعمال التدريب، فيما يقوم الإيرانيون بتلقين الدروس الدينية وتعاليم الشهادة لإعداد[رجال الانتحار].

ثالثاً: منظمة العمل الإسلامي بقيادة تقي الدين المدرسي

تأسست [منظمة العمل الإسلامي] في طهران، وذلك عام ١٩٧٩م، أي بعد خمسة أشهر من انتصار الخميني في إيران.

وقد أسست في حينه على يد رجل إيراني يدعى آية الله محمد شيرازي. غير أن ولاءه لواحد من خصوم الخميني ويدعى آية الله شريعة مداري (وهو موضوع اليوم تحت الإقامة الجبرية في قم) أدى إلى الإطاحة به عن قيادة المنظمة، وتنصيب محمد تقي الدين المدرسي مكانه على يد الخميني. وكان المدرسي هذا يشغل مركز قائد للعمليات المسلحة في المنظمة، وهو دكتور في الشريعة الإسلامية. وله من العمر ثمانية وثلاثون عاماً. وهو صاحب عشرات المؤلفات في الفلسفة.

والمدرسي عراقي الجنسية ومن مواليد كربلاء ويعتبر واحداً من العقول المدبرة للحركات والمنظمات الإسلامية، وكان قد هدد في وقت سابق بتفجير البيت الأبيض. ويقول المراسل الذي عقد حديثاً مع المدرسي في طهران أنه أعلن أمامه أنه استطاع خلال أسبوع واحد جمع خمسمائة ممن يتوقون إلى الموت فوراً وتنفيذ أعمال انتحارية. إن الحدود، أيا كانت الحدود، لن تقف -على حد قول المدرسي- في وجههم.

وكان يحيط بالمدرسي شبان غالبيتهم من المراهقين.

وكانت منظمة العمل الإسلامي قد قامت بعشرات الاعتداءات في بغداد، ويعود

آخر اثنين منها إلى ٢٧نوفمبر١٩٨٣م، حيث تم تدمير قيادة المخابرات وبناءً تابعاً لإدارة قوى الجيش، ويدعى اللذان قاما بتنفيذ هاتين العمليتين وقُتلا فيها: عبد الحسين أبو لحمة، وإبراهيم سلمان.

ويشير المراسل نقلاً عن أوساط منظمة العمل الإسلامي إلى أن الخميني يكن إعجاباً شديداً لمحمد تقي المدرسي. وتعزو هذه الأوساط تسمية المدرسي قائداً للمنظمة إلى هذا الإعجاب.

وخلافاً لغيرها من الحركات الإسلامية، فإن منظمة العمل الإسلامي تضم إلى عضويتها مسلمين من جنسيات متعددة. حيث يلتقي فيها العراقيون والإيرانيون والبحرانيون والأفغان والمغاربة والأفارقة من الصحراء الجنوبية (الملغاش، ونيجيريا، وزائير وإفريقيا الجنوبية). وكان البعض منهم قد جاء إلى إيران ما بعد الثورة لتلقي الشريعة الإسلامية في الحوزة [الجامعة الإسلامية في قم].

ويؤكد المراسل نقلاً عن أوساط المنظمة أن التنظيم يضم إلى عضويته خمسة من المغاربة، وجزائرياً واحداً، وثلاثة تونسيين. وكان قد التقى بتونسي واحد منهم.

رابعاً: المجاهدون بقيادة عزيز الحكيم

تأسست حركة المجاهدين عام ١٩٨٠م في طهران. وسارعت القيادة في جمهورية الخميني إلى مباركة هذه الحركة، ويقودها عزيز الحكيم، وهو واحد من أخوة المدعو حجة الإسلام باقر الحكيم. ويلحق به من حيث المرتبة التنظيمية أحمد الحيدري قائد العمليات العسكرية، وجلال الدين الصغير المنظر العقائدي للحركة، أستاذ للرياضيات. وقد تعرف مراسل المجلة على مسؤول البحرين في حركة المجاهدين ويدعى حسن راضي.

وتضم الحركة في صفوفها مسلمين من مختلف الجنسيات بما في ذلك الفرنسية. وقد أجرى المراسل مقابلة صحفية مع أحد الفرنسيين من أعضاء الحركة. وقال: إنه أشهر إسلامه وانضم إلى حركة المجاهدين لإعلاء كلمة الإسلام.

ويقول المراسل: إن الطموح السياسي الذي يسيطر على توجهات عزيز الحكيم هو سحق الصهيونية. ويعلن الحكيم أمام المراسل: (إن تعبئة الأمة الإسلامية هو ضرورة من أجل الوصول إلى هذا الهدف، غير أن الأمة تم لجمها على أيدي قادتها).

لذا فإن عزيز الحكيم يعمل -كما يقول- على زعزعة الأنظمة في العالم العربي من المحيط إلى الخليج. وتحقيقاً للهدف المنشود في الوقت الراهن، وهو زعزعة هذه الأنظمة، فإن حركة المجاهدين -على حد قول عزيز الحكيم- تعمل بالتنسيق مع سائر الحركات الإسلامية المماثلة.

وقد رفض أعضاء الحركة على لسان حسن راضي مسؤول البحرين أن يعترف أمام المراسل بمسؤولية الحركة عن الاعتداءات التي وقعت في الكويت بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٨٣م. واكتفت الحركة بالإعلان أمام المراسل أن هذه الاعتداءات قد تم تنفيذها [باسم الإسلام]!!.

إيرانيون يحملون الجنسية الكويتية يمولون الحركات الإسلامية

وصف المراسل الكويت بأنها مركز للمعارضة الإسلامية في العراق، ويقول: إن عدداً كبيراً من الإيرانيين يقيمون في الكويت ويتمتعون بالجنسية الكويتية، ويقوم بعض هؤلاء بتمويل الحركات الإسلامية.

وكان المراسل قد التقى في الأحواز بمجموعات تابعة لحركة المجاهدين، وذلك في

معسكر [باديجان غيور أسلي] وهو ثاني المعسكرات من حيث الأهمية، ويلي المعسكر الأول والذي يحمل اسم [طريق القدس رقم ١٠]. ويشرف على التدريب في المعسكر الأول مدربون من الباكستان وأفغانستان وكوريا الشمالية وليبيا. ويؤكد المراسل استناداً إلى الاعترافات التي حصل عليها في المعسكر أن الحركة بمقدرتها الحصول على جوازات للسفر كويتية وسعودية مزيفة، وهو الأمر الذي يخولهم التنقل في أوروبا، وما بين الكويت والعراق.

خامساً: الدعوة

وهي أقدم هذه الحركات والمنظمات قاطبة، إذ يعود تأسيسها إلى عام ١٩٥٦م. وكانت مدينة النجف في العراق مركزاً لانطلاق هذه المنظمة.

وتقوم كل من حركتي [الدعوة] و [المجاهدين] بضم المسلمين إلى عضويتها من بين المعدمين واللاجئين العراقيين إلى إيران وغيرها وأسرى الحرب من العراقيين. ويبلغ عدد الأُسر التي لجأت إلى إيران بسبب النزاع بين العراق وإيران حوالي خمسين ألف أسرة عراقية. وتبلغ أعمار هؤلاء ما بين عشر سنوات وخمس وعشرين سنة.

يترأس الحركة الشيخ محمد مهدي الآصفي، البالغ من العمر خمسين سنة. ومن أعضاء المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية رجل يدعى محمود الهاشمي.

ويصف المراسل هذه الحركة بأنها أقدم هذه الحركات وأفضلها من حيث التنظيم، ولديها مراكز في العالم بما في ذلك أميركا اللاتينية حيث يتم تنسيب السوريين واللبنانيين إليها. وقد تخلت في عام ١٩٨٠م عن العمل العسكري، وانصرفت عنه إلى العمل السياسي. وهو الأمر الذي يثير الاستياء لدى حركتي [العمل] و[المجاهدين] اللتين تتوقان إلى الاستفادة من المقدرات الحربية لحركة الدعوة وتوظيفها في الأعمال العسكرية، ويضيف المراسل أن عدداً

من أتباع حركة الدعوة تعتريهم خيبة أمل من قياداتهم، وما تظهره القيادات من عزوف عن العمل العسكري، لذا فإنهم أخذوا يتخلون عنها لينتسبوا إلى غيرها.

مركز تنسيق العمليات

كان سفير إيران لدى سوريا السيد محتشمي (الذي تلقى طرداً ملغوماً أخيراً) يقوم بالتنسيق بين هذه الحركات وما يعهد إليها من مهام، ويساعده كل من محمد أحمد الحيدري، والسيد داهقاني.

ويقوم بتمثيل حركتي العمل والمجاهدين في سوريا رجلان، أحدهما إيراني ويدعى صادق الموسوي، والثاني عراقي ويدعى دهقاني. ويحكم هذا الأخير قبضته على الآلاف من (حراس الثورة) المتواجدين في البقاع. ويعمل كلاهما بأوامر الممثل الخاص للإمام الخميني في دمشق والمدعو أحمد الفهري، ومسؤول [حزب الله] في الشرق الأوسط الشيخ صبحي، فيما يضطلع السفير بمهام التنسيق مع طهران.

ويقوم بمهام التعبئة والتنسيب رجل عراقي يدعى عمر الحلو. أما العقل المدبر فموجود في طهران، ويدعى أحدهم محمد تقي المدرسي. ويشير المراسل إلى أن حسين موسوي لا يشغل مركزاً عالياً في هذا النظام.

معسكرات التدريب

بحوزة هذه المنظمات والحركات عدد من معسكرات التدريب، وهي موزعة في إيران وسوريا ولبنان. أربعة منها في إيران ومعسكران في البقاع، ومعسكر واحد في سوريا.

في إيران - باديجان غيور أسلي - في منطقة القمص، ومعسكر طريق القدس رقم

[١٠] في طهران، بالإضافة إلى معسكر في منطقة عربستان.

في سوريا -معسكر السيدة زينب- في ضاحية دمشق.

أ-معسكر السيدة زينب:

تنطلق [منظمة الدعوة الإسلامية] التي تضم إلى عضويتها [فدائيين] من عدة أقطار وخاصة المناوئين لنظام الحكم في بغداد، في عملياتها ضد العراق من هذا المعسكر. ويقع المعسكر في ضاحية دمشق، وعلى بعد ١٠ كم من العاصمة السورية، ويحظر على هؤلاء التجول خارج المعسكر. ويعزو المراسل هذا الحظر إلى الخوف الذي يعتري السلطات السورية من مغبة انتشار أفكار [منظمة الدعوة الإسلامية] بين صفوف الشعب السوري وانتقالها إليهم بالعدوى.

ب-في البقاع:

بحوزة هذه المنظمات معسكران في منطقة البقاع، ويقعان بالقرب من الحدود السورية. ويطلق عليهما:

١-معسكر الشيخ عبد الله، وكان هذا المعسكر هدفاً للغارة الجوية التي قام بها سلاح الجو الفرنسي بتاريخ ١٧ نوفمبر الماضي ١٩٨٣م.

٢-معسكر الدركي: وهو ثكنة كانت في الماضي مركزاً لقيادة الدرك اللبناني، وهو اليوم واحدة من ثلاثة معسكرات يشغلها حراس الثورة الإيرانية، ويحظر الدخول إليها حظراً تاماً.

الدور السوري

تقوم دمشق -على حد قول المجلة- بإمداد حركة الانشقاق عن [أمل] بقيادة حسين موسوي بحاجتها من الذخيرة والمال والسلاح.

ويقود معسكرات التدريب الواقعة في منطقة البقاع ضباط سوريون تابعون لأجهزة رفعت الأسد.

وإذا كان المدربون من السوريين يشكلون غالبية عظمى، فإن عدداً محدوداً من اليمنين والباكستانيين والليبيين والأوروبيين والأمريكيين يشاركون السوريين في أعمال التدريب.

وتؤكد المجلة أن كل عملية يقوم بها أنصار حسين موسوي ضد الإسرائيليين أو القوة متعددة الجنسيات تفترض الموافقة المسبقة من دمشق. ويشير أحد مساعدي حسين موسوي لمراسل المجلة (إلى أن الحركة لا تتمتع بحرية العمل)، ولا تمنح دمشق موافقتها على العمليات التي تقوم بها الحركة إلا إذا توفر فيها شرط واحد، وهو الاستجابة إلى مصالح السلطة السورية. ويقول المراسل: إن قائد الحركة [حسين موسوي] يعرف أن الذين طردوا رئيس منظمة التحرير الفلسطينية من طرابلس يستطيعون أيضاً طرده هو من البقاع، غير أن الدعم الذي يتلقاه هو من الضرورة بمكان لوجوده واستمراره.

تحكم دمشق قبضتها على سائر هذه الحركات وبوجه خاص حركة [العمل الإسلامي] العراقية.

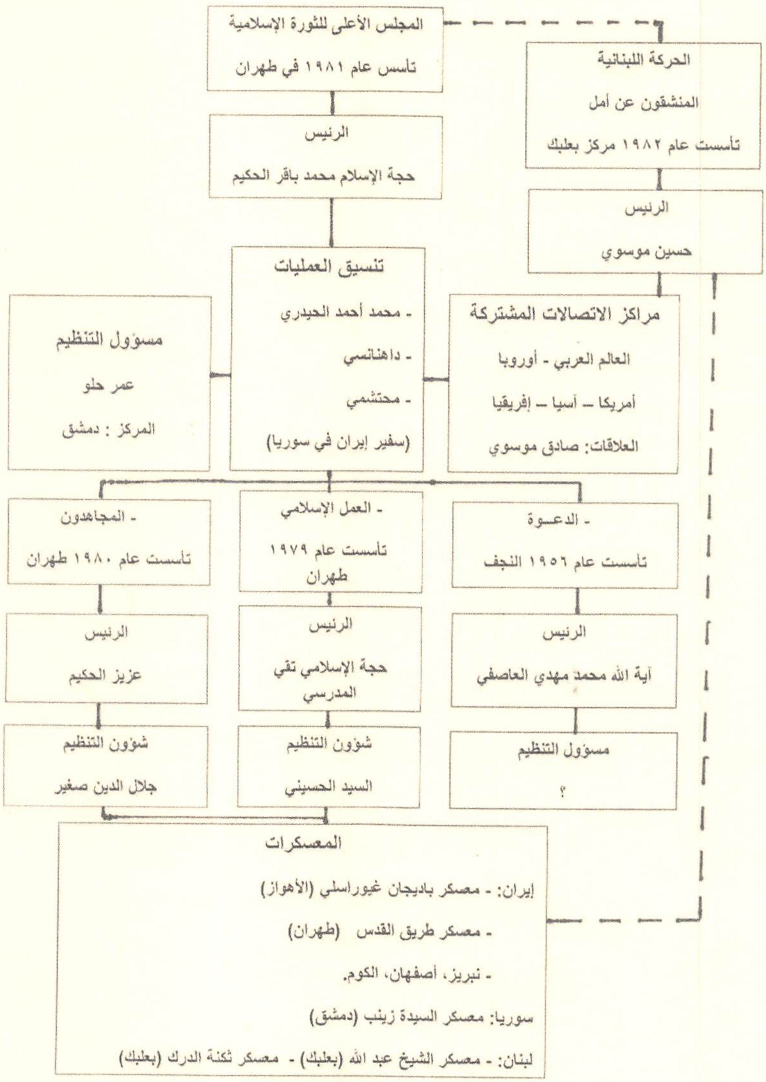
وتشير المجلة إلى أن المساندة التي تقدمها دمشق لإيران قد تقلصت بصورة واضحة منذ بدأت الحركات الإسلامية تسيطر أو تحتكر لنفسها زمام المعارضة في العراق. إذ أن دمشق

تخشى من وصول هذه الحركات إلى السلطة في بغداد. لكن الرئيس حافظ الأسد عاجز في الوقت الراهن عن التخلي عن الورقة الإيرانية. لذا، فإن دمشق -على حد قول المراسل- تثابر على استقبال الحركات الإسلامية، غير أنها تضيق في نفس الوقت الرقابة عليها.

ويعتقد المراسل أن المخاوف التي تعتري دمشق من تحكم حركة الدعوة الإسلامية في أوضاع العراق، تملي عليها أيضاً مدى ما تقدمه من مساعدات لحركة حسين موسوي. إنها ترفع من مساعداتها أو تقلص من حجمها وفقاً لنفس الاعتبارات.

قادة الحركات

الهياكل التنظيمية للحركات الانتحارية، ويلاحظ تغيب حركة الجهاد الإسلامي التي لا تشكل تنظيماً بالمعنى الحقيقي للكلمة، وإنما هي اسم يطلقه الفدائيون على بعض العمليات التي يقومون بها.



الملحق الرابع

وثائق

- وفيه رسالة من الخميني إلى قيادة منظمة التحرير عندما كان في المنفى.

- وفيه أيضاً بلاغات عسكرية من قيادة فتح مؤرخة في ٥/ ١١/ ١٩٨٣، وكانت تخوض معارك طاحنة ضد القوات السورية والليبية ومعها المجموعات الفلسطينية المنشقة.

رسالة الامام اية الله الخميني لقيادة الثورة الفلسطينية

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٣ محرم ١٣٩٩ هـ

الاخوة المناضلون / اللجنة المركزية لحركة فتح ايدكم الله .

لقد تلقيت رسالتكم الكريمة .. وانى اشكركم على تعاطفكم مع شعب ايران المظلوم وعلى شعوركم بمسئوليتكم الاسلامية فى المساهمة فى تحقيق مطالبه العادلة والمشروعة .. شكرا جزيلا .. واسأل الله تعالى التوفيق لكم ولاخواننا المسلمين الثائرين لاحقاق الحق فى فلسطين وأملى للحركة الاسلامية فى ايران - التى بابعادها الواسعة وآثارها العالمية لا مثيل لها فى التاريخ - ان تنتصر بمساندة اخواننا المسلمين فى فلسطين وان تحقق اهدافها الانسانية والاسلامية وان تمزق راية الظلم ، وتزيله ، لترفرف راية الاسلام المجيدة ويتمكن اخواننا المسلمين فى نفس الوقت من قطع يد " اسرائيل " المجرمة التى تعبث فسادا فى ارضنا ويرفعوا راية الفتح على منارة المسجد الأقصى المبارك . اننى طوال محاربتى للشاه المجرم كنت ادين " اسرائيل " وكانت مساعدة الشاه " لاسرائيل " - عدوة الاسلام والانسان - احد اسباب معارضتى له . ان شعب ايران العظيم عانى كثيرا من النظام الامبراطورى الرجعى وذاق الامرين على يد اسرة بهلوى اللاشرعية والتى استمر تحكمها بضعة وخمسين عاما ... وهدرت ثروات وطنه على يد الشاه الاثيمة ، كما تسببت مخططات غاصبى البترول المترفين فى تخلفه وبعده عن مواكبة الحضارة .. ولكن هذا الشعب العظيم قائم ثائر بأذن الله ، فى ارجاء الوطن كافة يطالب وارادته الجبارة الحازمة هى سحق النظام الامبراطورى واقامة الجمهورية الاسلامية على انقاض هذا النظام البغيض .

ان مطالب شعبنا فى الحرية والاستقلال واقامة الحكم العادل هى فى مقدمة حقوق الانسان وفى صلب بيانه ، وما يدافع عنه لدى المجتمعات البشرية ... بل هى فوق ذلك مرضاة لله تعالى .. ولما كانت كذلك كان املنا بالنصر كبير ، وكان من الطبيعى ان نرى الذين ما يزالون على فطرتهم الصافية يشعرون بواجبهم فى مساندة هذا الشعب .

شكرى وتقديرى لحركة التحرير الوطنى الفلسطينى " فتح " على ماعرضت لنا وقدمت من امكانيات وعلى سعيها لتحرير شعبنا المسلم من سيطرة الناهبين الدوليين الغاشمين وعلائهم وزبانيتهم ... انى اشد باخلاص على اليد التى مدت الى من الاخوة فى حركة فتح .. كما ارجو منكم ان لا تدخروا جهدا فى تقديم العون الاعلامى وغير الاعلامى لاخوانكم المسلمين .

اننا متى وصلنا الى الحكم فى ايران سوف ندعم حركتكم المقدسة ... ونحن الان قد استطعنا قطع النفط عن " اسرائيل " التى كان الشاه الخائن يمدها به كمادة حيوية يمكنها من الاستمرار فى محاربة المسلمين .. واذا وفقنا فى اقامة الجمهورية الاسلامية سندعو اليهود الايرانيين الذين هاجروا الى فلسطين وهم يعيشون الان حياة تعيسة تحت وطأة التمييز والاستثمار ، ويستغلهم اليهود الاوربيون والامريكان ، سندعوهم للعودة الى وطنهم والعيش فى ايران احرارا محترمين آمنين من الاعتداءات التى كانوا يتعرضون لها فى عهد السلطات الجائرة .

تحياتى وشكرى الى الشعب المسلم فى لبنان والى الشيعة فى جنوبه وهم يجاهدون فى سبيل استقلال وطنهم وحريته ويدافعون عن شعب فلسطين المظلوم كما اقدم شكرى للذين قاموا بالمسيرة فى يوم التاسع من شهر محرم معلنين تضامنهم مع شعب ايران المسلم راجيا منهم الاستمرار فى صمودهم واصرارهم فى محاربة " اسرائيل " ، عدوة الاسلام والمسلمين وامالهم بالتكاتف مع الحركة الاسلامية الاصلية واخوانهم المؤمنين فى ايران وفلسطين من اجل طرد الغاصب والمستعمر من ارجاء الوطن وصد الاعداء والغزاة عن التخريب والتدمير والقتل والنهب .

آية الله روح الله الخميني

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
« فتـح »
الكويت

الرقم ....
التاريخ ١٩٨٣/١١/٥

بلاغ عسكري رقم (ع ٢١/ ٨٣)

كثف السوريون والليبيون مع العناصر العميلة قصفهم الوحشي على مخيمي نهر البارد والبداوي مساء هذا اليوم . واستمر هذا القصف العنيف أكثر من ساعة ونصف بصورة متواصلة استخدمت في هذا القصف جميع أنواع المدفعية السورية المتواجدة في منطقة الشمال من منطقة اميون والكورة وشرقي زغرتا والهيكليه وقصر الدويهي وحتى من مفرق عشش ، وقد تسبب هذا القصف بخسائر مادية وبشرية فادحة في المخيم وبين اللاجئين من سكان المخيم .

وثورة حتى النصر ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
« فتح »
الكويت

الرقم ....
التاريخ ١٩٨٣/١١/٥

بلاغ عسكري رقم (ع ٨٣/٢٣)

قامت القوات السورية والليبية ومعهما العناصر العميلة بقصف مخيم نهر البارد صباح هذا اليوم، بالمدفعيه والصواريخ الثقيلة وقد نتج عن هذا القصف الوحشي للمخيم خسائر مادية كبيرة مع بعض الخسائر البشرية، وقد استهدف القصف خزانات المياه الخاصة بالمخيم وكذلك محولات الكهرباء فيه.

وثورة حتى النصر،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
« فتــح »
الكويت

الرقــم ....
التاريخ ١٩٨٢/١١/٥

بــلاغ عسكــرى رقم (ع ٨٣/٢٤)

تمت محاولــة للتقدم على محور عطا الغوار منذ صباح هذا اليوم ،وقامت القوات السورية بقصف المنطقــة مدفعيا وصاروخيــا بعنف تمهيدا لهذا التقدم ،تصدى أبطالنالهذه المحاولة وتمكنوا من احباطها وانضم الى قــواتالثورة الفلســطينية (٦٠) عنصرا من القوات المعــــده للهجــــوم .

وثورة حـــتى النصـــــر ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
« فتح »
الكويت

الرقم ....
التاريخ ١٩٨٣/١١/٥

بلاغ عسكري رقم (ع ٢٥/ ٨٣)

قامت القوات السورية وأدواتها بالاضافة الى اللبيين منذ صباح هذا اليوم بأربع موجات هجومية على محاور التقدم باتجاه مخيم نهر البارد وقد تمكن أبطالنا من صد كافة الهجمات البربرية الحاقدة التي شنت رغم كثافة القصف المدفعي والصاروخي ، الذي استهدف بشكل أساسي قلب مخيم نهر البارد ، ولقد سقط خلال هذا القصف العنيف عدد كبير من الشهداء والجرحى في صفوف المدنيين الفلسطينيين .

ولا يزال القصف مستمرا حتى لحظة اعداد هذا البلاغ ، وقد اعلن ثلاثون من العناصر المهاجمة انضمامهم الى قوات الثورة الفلسطينية المدافعة بصلابة عن وجودها وحريتها .

وثورة حتى النصر ،،،

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
« فتح »
الكويت

الرقم ....
التاريخ ١٩٨٢/١١/٥

من دمشق الى الجميع

هناك اعتصام في مكتب م.ت.ف للتنظيمات الشعبية الفلسطينية ، ومسيرات في المخيمات الفلسطينية في دمشق تنادي بوقف قصف مخيماتنا وثورتنا وشعبنا والاعتصام تحت شعار " ارفعوا أياديكم عن شعبنا ".

صرح ناطق رسمي باسم القيادة المشتركة للجنة الشعبية والديمقراطية بما يلي :-

تابعت القيادة المشتركة التطورات الدارية في الشمال بقلق شديد وتحديدا شمول القصف لمخيمي نهر البارد والبداوي وما يترتب عليه من تدمير واسع لهذين المخيمين ، ومن اراقة لدماء شعبنا وهي اذ تؤكد على ضرورة الوقف الفوري لقصف المخيمات والاقتتال ، وتعبر عن ادانتها لهذا التصعيد الخطير وتحمل المهاجمين مسؤولية ما يجري لهذا التصعيد من تدمير ذاتي واسع ، وما تقدمه خدمة لاعداء شعبنا وثورتنا .

وانها لثورة حتى النصر...

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التحرير الوطني الفلسطيني
« فتح »
الكويت

الرقم ....
التاريخ ١٩٨٣/١١/٥

من المقر العام للجميع

عشرات الشهداء والجرحى الأبطال من أبناء شعبنا الفلسطيني في مخيم اليرموك سقطوا اليوم نتيجة الرصاص الغادر من رجال قوات الأمن الداخلي والوحدات الخاصة السورية التي استخدمت في مواجهة المظاهرات الشعبية الحاشده ، تعبيرا عن النقمة وتأييدا لـ منظمة التحرير الفلسطينية وقياداتها الشرعية ، وتعبيرا عن الاستياء الجماهيري المطلق على الحرب التي تشنها السلطات السورية وأتباعها والنظام الليبي على الثورة الفلسطينية والمخيمات الفلسطينية في شمال لبنان ، وعلى مدينة طرابلس وجوارها ، وتشير معلوماتنا الأولية الى ارتفاع عدد الضحايا بشكل كبير في حين تحاول السلطات السورية تكذيب معلوماتنا عبر وكالات الأنباء وحصر القتلى والجرحى ببضعة اعداد المتاجر والمدارس مغلقة والمخيم محاصر بالوحدات الخاصة السورية .

عهدا لجماهيرنا وأبطالنا على الصمود البطولي في مواجهة هذه الهجمة الحاقدة ،

وثورة حتى النصر ،،،

الفهرس

الفصل الثاني

موسى الصّدر مؤسس حركة أمل وإمام شيعة لبنان

الفصل الثالث

أمل والمخيمات الفلسطينية

الفصل الرابع

الموقف العام

الفصل الخامس

العلاقات الفلسطينية الشيعية

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١١٥٤١/ ٢٠١٢م